

هذه فهرسة ما في النصف الاول من كتاب المستطرف في كل فن مستظرف من الابواب
والنصول المعترف جميعها في ديباجة الكتاب وهي أربعة وثمانون بابا منها في هذا النصف
اثنان وأربعون كما هو موضوع هذه الفهرسة المجعولة للاستدلال على أى باب من الابواب
أو فصل من الفصول في أى صحيفة من صحائف هذا النصف

هذه فهرسة ما في النصف الاول من كتاب المستطرف في كل فن مستظرف من الابواب
والنصول المعترف جميعها في ديباجة الكتاب وهي أربعة وعشرون بابا منها في هذا النصف
اثنان وأربعون كما هو موضوع هذه الفهرسة المجهزة للاستدلال على أى باب من الابواب
أو فصل من الفصول في أى صحيفة من صحائف هذا النصف

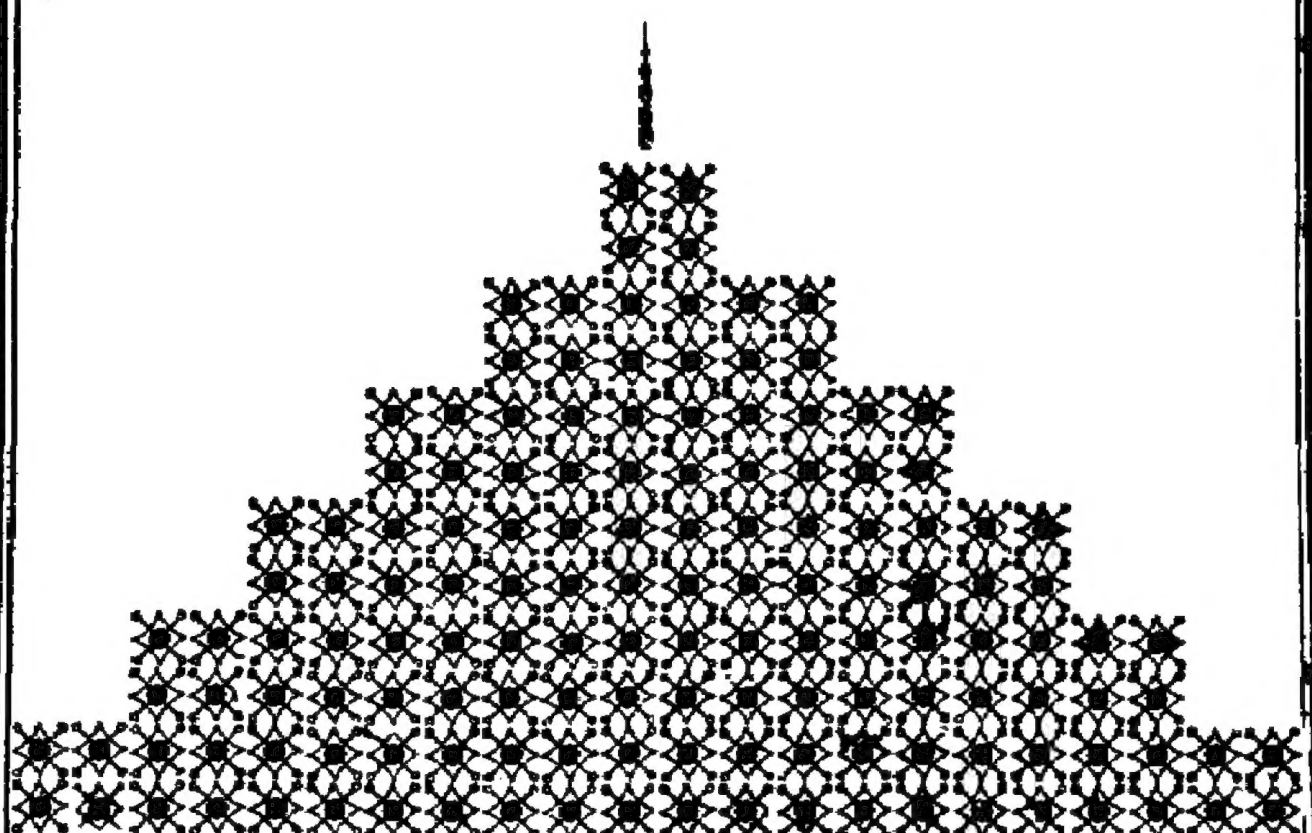
• (فهرسة النصف الاول من المستطرف) •

صفحة	
٦	الباب الاول في مباني الاسلام وفيه خمسة فصول
٦	الفصل الاول في الاخلاص لله تعالى والثناء عليه
٧	الفصل الثاني في الصلاة وفضلها
١٠	الفصل الثالث في الزكاة وفضلها
١٣	الفصل الرابع في الصوم وفضله
١٤	الفصل الخامس في الحج وفضله
١٥	الباب الثاني في العقل والذكاء والحق وذمه وغير ذلك
٢٠	الباب الثالث في القرآن وفضله
٢٣	الباب الرابع في العلم والادب وفضل العالم والمتعلم
٢٩	الباب الخامس في الآداب والحكم وما شبه ذلك
٢٣	الباب السادس في الامثال السائرة وفيه فصول
٣٣	الفصل الاول فيما جاء من ذلك في القرآن العظيم واحاديث النبي الكريم
٣٤	الفصل الثاني في امثال العرب
٣٥	الفصل الثالث في امثال العامة والمولدين
٣٦	الفصل الرابع في الامثال من الشعر المنظوم
٤٢	الفصل الخامس في الامثال السائرة بين الرجال والنساء
٥٠	الباب السابع في البيان والبلاغة والقصاحة وفيه فصول
٥٠	الفصل الاول في البيان والبلاغة
٥١	الفصل الثاني في القصاحة
٥٨	الفصل الثالث في ذكر الفصحاء من الرجال
٦٧	ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن
٧١	الباب الثامن في الاجوبة المسكنة والمستحسنة
٧٤	الباب التاسع في ذكر الخطب والخطباء
٧٥	فصل في ذكر الشعر والشعراء وسرفاتهم
٨٠	الباب العاشر في التوكل على الله تعالى وفيه فصول
٨٠	الفصل الاول في التوكل على الله تعالى
٨٤	الفصل الثاني في القناعة والرضا بما قسم الله تعالى
٨٨	الفصل الثالث في ذم الحرص والطمع وطول الامل
٩٠	الباب الحادي عشر في المشورة والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب
٩٥	الباب الثاني عشر في الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما شبه ذلك
١٠٠	الباب الثالث عشر في الصمت وصون اللسان وفيه فصول

الفصل الاول في الصمت وصون اللسان	١٠٠
الفصل الثاني في تحريم الغيبة	١٠٢
الفصل الثالث في تحريم الشتمية بالنميمة	١٠٣
الباب الرابع عشر في الملك والسلطان الخ	١٠٧
الباب الخامس عشر فيما يجب على من يحب السلطان والتحذير من محبته	١٠٩
الباب السادس عشر في ذكر زوراء وصفاتهم واحوالهم وما أشبه ذلك	١١١
الباب السابع عشر في ذكر الحجاب والولاية وما فيها من الغرر والخطر	١١٣
الباب الثامن عشر فيما جاء في القضاء الخ وفيه فصول	١١٨
الفصل الاول فيما جاء في القضاء وذكر القضاة واحوالهم وما يجب عليهم	١١٨
الفصل الثاني في الرشوة والهدية على الحكم وما جاء في الديون	١٢٠
الفصل الثالث في ذكر القصاص والمتصوفة وما جاء في الرياء ونحو ذلك	١٢٢
الباب التاسع عشر في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك	١٢٣
الباب العشرون في الظلم وشؤمه وسوء عواقبه الخ	١٢٦
الباب الحادي والعشرون في بيان الشروط التي تؤخذ على العمال الخ وفيه فصلان	١٣١
الفصل الاول في سيرة السلطان في استجابة الخراج الخ	١٣١
الفصل الثاني في احكام أهل الذمة	١٣٢
الباب الثاني والعشرون في اصطناع المعروف وانعائه الملهوف الخ	١٣٦
الباب الثالث والعشرون في محاسن الاخلاق ومساوئها	١٣٩
الباب الرابع والعشرون في حسن المعاشرة والامودة والاخوة والزيارة وما أشبه ذلك	١٤٣
الباب الخامس والعشرون في الشفقة على خلق الله تعالى الخ وفيه فصلان	١٥١
الفصل الاول في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم	١٥١
الفصل الثاني في الشفاعة واصلاح ذات البين	١٥٢
الباب السادس والعشرون في الحياء والتواضع الخ وفيه فصلان	١٥٣
الفصل الاول في الحياء	١٥٤
الفصل الثاني في التواضع ولين الجانب وخنض الجناح	١٥٤
الباب السابع والعشرون في العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك	١٥٥
الباب الثامن والعشرون في الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت	١٥٦
الباب التاسع والعشرون في الشرف والسودد وعلاؤ الهمة	١٦٢
الباب الثلاثون في الخير والصلاح الخ	١٦٤
الباب الحادي والثلاثون في مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضي الله عنهم	١٧٥
الباب الثاني والثلاثون في ذكر الاشرار والفجار الخ	١٨٥

صفحة	
١٨٧	الباب الثالث والثلاثون في الجود والسخاء والكرم الخ
٢٠٤	الباب الرابع والثلاثون في الجمل والنخ وذكور الجلاء الخ
٢١٠	الباب الخامس والثلاثون في الطعام وأدابه والضيافة الخ
٢٢٢	الباب السادس والثلاثون في العفو والحلم والصفح الخ
٢٣٤	الباب السابع والثلاثون في الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذم
٢٤٤	الباب الثامن والثلاثون في كتمان السر وتحصينه وذم افشائه
٢٤٦	الباب التاسع والثلاثون في الغدر والخيانة الخ وفيه فصول
٢٤٦	الفصل الأول في الغدر والخيانة
٢٤٩	الفصل الثاني في السرقة والسراق
٢٥٠	الفصل الثالث فيما جاء في العداوة والبغضاء
٢٥٢	الفصل الرابع في الحسد
٢٥٤	الباب الأربعون في الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها الخ وفيه فصلان
٢٥٤	الفصل الأول في فضل الجهاد في سبيل الله وشدة البأس
٢٥٥	الفصل الثاني في الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها
٢٦٠	الباب الحادي والأربعون في ذكر أسماء الشجعان وذكر الأبطال وطبقاتهم الخ
٢٧٠	الباب الثاني والأربعون في المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول
٢٧٠	الفصل الأول في المدح والثناء
٢٧٨	الفصل الثاني في شكر النعمة
٢٨١	الفصل الثالث في المكافأة

الجزء الاقل من كتاب المستطرف في كل
فن مستطرف تأليف الامام
الاوحد العالم العلامة الاوذي
الفهامة الشيخ شهاب الدين
أحمد الابشيبي تغمده
الله بالرحمة
والرضوان
آمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الملك العظيم العلي الكبير الغني الحميد اللطيف الخبير المنفرد بالعز والبقاء
والارادة والتدبير الحى العليم الذى ليس كمثل شئ وهو السميع البصير تبارك الذى بيده
الملك وهو على كل شئ قدير أحمد الله حمداً عظيماً معترف بالمجزاة والتقدير وأشكره على ما أعان
عليه من قصده ويسر من عسيره وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا مشير ولا
ظهير له ولا وزير وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير
المبعوث الى كافة الخلق من غنى وفقير ومأمور وأمير صلى الله وسلم عليه وعلى آله
وأصحابه صلاة يفوز قائلها من الله بغفرة وأجر كبير وينجوبها في الآخرة من عذاب
السعير وحسبنا الله ونعم الوكيل فنعلم المولى ونعم النصير (أما بعد) فقد رأيت
جماعة من ذوى الهمم جمعوا أشياء كثيرة من الآداب والمواعظ والحكم وبسطوا
مجلدات في التواريخ والنوادر والاختبار والحكايات واللائق ورقائق الاشعار
والقوافي ذلك كتباً كثيرة وتفرّد كل منها بفرائد فوائده لم تكن في غيره من الكتب
محصورة فاستخفرت الله تعالى وجعت من مجموعها هذا المجموع اللطيف وجعلته
مستقلاً على كل فن ظريف ومعينه المستطرف في كل فن مستظرف واستدلت
فيه بآيات كثيرة من القرآن العظيم وأحاديث صحيحة من أحاديث النبي الكريم وطرّزته
بحكايات حسنة عن الصالحين الاختبار ونقلت فيه كثيراً مما أودعه الزمخشري في
كتابه ربيع الأبرار وكثيراً مما نقله ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد ورجوت أن يجد

مطالعه فيه كل ما يقصد ويريد وجعت فيه لطائف وطرائف عديدة من منتخبات الكتب
النفسية المفيدة وأودعته من الاحاديث النبوية والامثال الشعرية والالفاظ اللغوية
والحكايات الخفية والنوادر الهزلية ومن الغرائب والدقائق والاشعار والرقائق ما تشفى
بذكره الامم وتقرر رؤيته العيون وينشرح بمطالعه كل قلب محزون (شعر)
من كل معنى يكاد الميت يفهمه * حسنا ويعشق القرطاس والقلم
وجعلته يشغل على أربعة وعشرين بابا من أحسن الفنون متوجة بالفاظ كأنها الدر المكنون
كما قال بعضهم شعرا في المعنى

فني كل باب منه در مؤلف * كنظم عقود زينتها الجواهر

فان نظم العقد الذي فيه جواهر * على غير تأليف فالدر قاصر

وضمنته كل لطيفة ونظمته بكل طريقة وقرنت الاصول فيه بالتصول ورجوت أن
ينسري ما رمته من الوصول وجعلت أبوابه مقدمة وفصلتها في مواضعها مرتبة منظمة
ليقصد الطالب الى كل باب منها عند الاحتياج اليه ويعرف مكانه بالاستدلال عليه
فيبدأ كل معنى في باب ان شاء الله تعالى والله المسؤول في تيسير المطلوب وأن يلهم
الناظر فيه سائر ما يراه من خلل وعيوب انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهذه
فهرسة الكتاب والله الموفق للصواب (الباب الاول) في مباني الاسلام وفيه
خمس فصول (الباب الثاني) في العقل والذكاء والحق والذم وغير ذلك (الباب
الثالث) في القرآن العظيم وفضله وحرمة وما عدا الله تعالى لقارنه من الثواب
العظيم والاجر الجسيم (الباب الرابع) في العلم والادب وفضل العالم والمتعلم (الباب الخامس)
في الآداب والحكم وما أشبه ذلك (الباب السادس) في الامثال السائرة وفيه فصول
(الباب السابع) في البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه
فصول (الباب الثامن) في الاجوبة المسكتة والمنهضة ورشقات اللسان وما جرى
مجرى ذلك (الباب التاسع) في ذكر الخطب والخطباء والشعراء وسرفاتهم وكبوات الجياد
وهفوات الامجاد (الباب العاشر) في التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة
وذم الحرص والطمع وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادي عشر) في المشورة
والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب (الباب الثاني عشر) في الوصايا الحسنة
والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك (الباب الثالث عشر) في الصمت وصون اللسان
والنهي عن الغيبة والسعي بالنصيحة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول (الباب الرابع
عشر) في الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الاسلام وما يجب للسلطان على الرعية وما يجب
لهم عليه (الباب الخامس عشر) فيما يجب على من يحب السلطان والتحذير من محبته
(الباب السادس عشر) في الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك (الباب السابع عشر)
في ذكر الجبابرة والولاة وما فيهم من الغرر والخطر (الباب الثامن عشر) فيما جاء في
القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهبة على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص
والمصروفة وفيه فصول (الباب التاسع عشر) في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك

(الباب العشرون) في الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك (الباب الحادي والعشرون) في بيان الشروط التي تؤخذ على العمال وسيرة السلطان في استجابة الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان (الباب الثاني والعشرون) في اصطناع المعروف وإغاثة الملهوف وقضاء الخوائج للمسلمين وادخال السرور عليهم (الباب الثالث والعشرون) في محاسن الاخلاق ومساوئها (الباب الرابع والعشرون) في حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما شبه ذلك (الباب الخامس والعشرون) في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان (الباب السادس والعشرون) في الحياء والتواضع وابن الجانات وخفض الجناح وفيه فصلان (الباب السابع والعشرون) في العجب والكبر والخيلاء وما شبه ذلك (الباب الثامن والعشرون) في الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت (الباب التاسع والعشرون) في الشرف والسود وعلو الهمة (الباب الثلاثون) في الخير والصلاح وذكر السادة الصمابة وذكر الاولياء والصالحين رضي الله عنهم أجمعين (الباب الحادي والثلاثون) في مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضي الله عنهم (الباب الثاني والثلاثون) في ذكر الاشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوفاحة والسفاهة (الباب الثالث والثلاثون) في الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الامجاد واحاديث الاجواد (الباب الرابع والثلاثون) في البخل والشح وذكر البخلاء واخبارهم وما جاء عنهم (الباب الخامس والثلاثون) في الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والمضيف واخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك (الباب السادس والثلاثون) في العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المَعذرة والعتاب وما شبه ذلك (الباب السابع والثلاثون) في الوفاء بالوعد وحسن العهد ورعاية الذمم (الباب الثامن والثلاثون) في كتمان السر وتخصيته وذم افشائه (الباب التاسع والثلاثون) في الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول (الباب الاربعون) في الشجاعة وغرورها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتجريض على القتال وفيه فصول (الباب الحادي والاربعون) في ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم واخبارهم وذكر الجبناء واخبارهم وذم الجبن (الباب الثاني والاربعون) في الممدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول (الباب الثالث والاربعون) في الهجاء ومقدماته (الباب الرابع والاربعون) في الصدق والكذب وفيه فصلان (الباب الخامس والاربعون) في بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرايات وذكر الانساب وفيه فصول (الباب السادس والاربعون) في الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبح والطول والقصر والالوان واللباس وما شبه ذلك (الباب السابع والاربعون) في ذكر الحلى والمصوغ والطيب والتطيب وما جاء في التختيم (الباب الثامن والاربعون) في الشباب والشيب والصحة والعافية واخبار الممرين وما شبه ذلك وفيه فصول (الباب التاسع والاربعون) في الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن

منها (الباب الخمسون) في الاسفار والاعتراب وما قيل في الوداع والفراق والحث على ترك الإقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين الى الاوطان (الباب الحادي والخمسون) في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه (الباب الثاني والخمسون) في ذكر الفقر ومدحه (الباب الثالث والخمسون) في ذكر التلطف في السؤال وذكر من سئل بخاد (الباب الرابع والخمسون) في ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك (الباب الخامس والخمسون) في العمل والكسب والصناعات والحرف والعجز والتواني وما أشبه ذلك (الباب السادس والخمسون) في شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتسلي عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول (الباب السابع والخمسون) فيما جاء في اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والسرور بعد الحزن ونحو ذلك (الباب الثامن والخمسون) في ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان (الباب التاسع والخمسون) في أخبار العرب وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب أمرهم (الباب الستون) في الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والقال والطيرة والقراءة والنوم والرؤيا (الباب الحادي والستون) في الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر ونحو ذلك (الباب الثاني والستون) في ذكر الدواب والوحوش والطيور والهوام والحشرات مرتباً على حروف المعجم (الباب الثالث والستون) في ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم (الباب الرابع والستون) في خلق الجن وصفاتهم (الباب الخامس والستون) في ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والابار وفيه فصول (الباب السادس والستون) في ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول (الباب السابع والستون) في ذكر المعادن والاحجار وخواصها (الباب الثامن والستون) في الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس ومن كرهه واستحسنه (الباب التاسع والستون) في ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادير الجلساء في مجالس الخلفاء (الباب السبعون) في ذكر القينات والاعاني (الباب الحادي والسبعون) في ذكر العشق ومن يلى به والافتخار به والعفاف وأخبار من مات بالعشق وما في معنى ذلك وفيه فصول (الباب الثاني والسبعون) في ذكر صفات الشعر والموالي والدوييت وكان وكان والموشحات والزجل والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وفيه فصول (الباب الثالث والسبعون) في ذكر النساء وصفاتهم ونكاحهن وطلاقهن وما يدح وما يذم من عشرتهن وفيه فصول (الباب الرابع والسبعون) في ذم الخمر وتحريمها والنهي عنها (الباب الخامس والسبعون) في المزاح والنهي عنه وما جاء في الترخيص فيه والبسط والتعمق وفيه فصول (الباب السادس والسبعون) في النوادر والحكايات وفيه فصول (الباب السابع والسبعون) في الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول (الباب الثامن والسبعون) في القضاء والقدر وأحكامهما والتوصل كل على الله (الباب التاسع والسبعون) في التوبة وشروطها والندم والاستغفار (الباب الثمانون) في ذكر الامراض والعلل والطب والدواء من السنة والعبادة وثوابها وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادي والثمانون) في ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله

(الباب الثاني والثمانون) في الصبر والتأسي والتعازي والمراني ونحو ذلك وفيه فصول
(الباب الثالث والثمانون) في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها ونحو ذلك (الباب
الرابع والثمانون) في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخر الأبواب ختمتها بالصلاة
على سيد العباد أرجو بذلك شفاعته يوم المعاد

• (الباب الأول في مباني الاسلام وفيه خمسة فصول) •

(الفصل الأول) في الاخلاص لله تعالى والثناء عليه وهو أن تعلم أن الله تعالى واحد
لا شريك له فرد لا مثله صمد لا ند له أزلي قائم أبدى دائم لا أول لوجوده ولا آخر
لا بد منه في يوم لا يقنيه الابد ولا يغيره الا مد بل هو الاول والاخر والظاهر والباطن
منزه عن الجسمية ليس كمثله شيء وهو فوق كل شيء فوقيته لا تزيد بعدا عن عبادته وهو أقرب
إلى العبيد من جبل الوريد وهو على كل شيء شهيد وهو معكم أينما كنتم لا يشابهه قربه
قرب الأجسام كما لا يشابه ذاته ذوات الأجرام منزه عن أن يحده زمان مقدس عن أن يحيط
به مكان تراء أبصار الأبرار في دار القرار على ما دلت عليه الآيات والخبار حتى قادر
جبار قاهر لا يعثر به عجز ولا قصور ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت
خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا تحصى مقدوراته ولا تنهاه معلوماته
عالم بجميع المعلومات لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات يعلم السر
وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر مرصد للكائنات مدبر للحادثات
لا يجري في ملكه قليل ولا كثير جليل ولا حقير خبير بأوשר نفع أو ضرر الإيقضاته وقدره
وحكمه ومشيئته فإشاء كان ومالم يشأ لم يكن فهو المبدئ المعيد الفاعل لما يريد لا معقب
لحكمه ولا راد لقضائه ولا مهرب عنه مد عن معصيته لا يتوفيقه ورجته ولا قوة له على
طاعته إلا بمحبته وإرادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشیاطين على أن يحركوا
في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته لمجزوا به مع بصيرتكم بكلام لا يشبه كلام خلقه
وكل ما سواه سبحانه وتعالى فهو حادث أوجده بقدرته وما من حركة وسكون الا وله
في ذلك حكمة دالة على وحدانيته قال الله تعالى ان في خلق السموات والارض الآية وقال
ابو العتاهية

فيا عجبا كيف يعصى الاله أم كيف يجعده الجاحد
وفي كل شيء له آية * تدل على انه الواحد
ولله في كل تحريكة * ونسكينة في الورد شاهد

وقال غيره

كل ما زنتي اليه بوهم * من جلال وقدره وسفاه
فالذي أبدع البرية أعلى * منه سبحانه مبدع الاشياء

وقال علي رضي الله عنه في بعض وصاياه لولده اعلم يا بني انه لو كان ربك شريك لانتك
رسله ولرايت آثار ملكه وسلطانه واعرفت أفعاله وصفاته ولكنه اله واحد لا يضاده في ملكه
أسد وعنه عليه الصلاة والسلام كل ما يتصور في الازمان فانه سبحانه بخلافه وقال لبيد

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زاتل
وكل ابن اتى لوططاول عمره * الى الغاية القصوى فلقبر آيل
وكل أناس سوف تدخل بينهم * ذوي هبة تصفر منها الأناامل
وكل امرئ يوماسيرف سعيه * اذا حصلت عند الله الحاصل

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان اشعر كلمة قالتها العرب * ألا كل شيء ما خلا الله باطل ثم بعد هذا الاعتقاد الاقرار بالشهادة بأن محمدا رسول الله بعثته برسالاته الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشريعته الشرائع وجعله سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر وجب على الخلق تصديقه فيما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة فلا يصح ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بهد الموت من سؤال منكرو ونكبروه مما لمكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد في قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك هادي نيك ومن نيك ويؤمن به ذاب القبر وأنه حق وأن الميزان حق والصراط حق والحساب حق وأن الجنة حق والنار حق وأن الله تعالى يدخل الجنة من يشاء بغير حساب وهم المقربون وأنه يخرج عصاة الموحدين من النار بهد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويؤمن بشفاعته الانبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء وأن يعتقد فضل الصحابة وذى الله عنهم ويحسن الظن بجميعهم على ما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا به موقنا فهو من أهل الحق والسنة مفارق اعصاب الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا للدوام الى الممات على التمسك والاعتصام بحبائها انه سميع مجيب فهذه العقيدة قد اشتملت على احد أركان الاسلام الخمسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا

(الفصل الثاني) في الصلاة وفضلها قال الله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين وقال تعالى واقموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واختلفو في اشتقاق اسم الصلاة هم هو ف قيل هو من الدعاء وتسمية الصلاة دعاء معروف في كلام العرب فسميت الصلاة صلاة لما فيها من الدعاء وقيل سميت بذلك من الرحمة قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فهي من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الناس دعاء قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى أي ارحهم وقيل سميت بذلك من الاستقامة من قواهم صلوات العود على النار اذا قوم منه والصلوة تقيم العبد على طاعة الله وخدمته وتنهيه عن خلافه قال الله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل لانها صلة بين العبد وربيه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علم الايمان الصلاة فمن قرع لها قلبه وحافظ عليها بحمد وودها فهو مؤمن وعن عرين الخطاب رضى الله عنه أنه قال وهو على المنبر ان الرجل يشيب

عارضاه في الاسلام وما أكل الله تعالى صلاة قبل وكيف ذلك قال لا يتم ركوعها وسجودها وخشوعها وتواضعه واقباله على الله فيها وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فمكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وقبل الحسن ما بال المتهمدين من أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بأرجن فالبسهم نور من نوره وقال بعضهم لا تقوت احدا صلاة في جماعة الا بذنب وكانت رابعة العدوية تصلي في اليوم والليله ألف ركعة وتقول والله ما أريد بها ثوابا ولكن ليسر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول للانبياء عليهم الصلاة والسلام انظروا الى امرأة من امتي هذا عملها في اليوم والليله وقال بعضهم صليت خلف ذي النون المصري فلما اراد أن يكبر رفع يديه وقال الله شبهت وبقي كانه جسد لاروح فيه اعظاما لربه جل وعلا ثم قال الله أكبر فظننت أن قلبي انخلع من هيبه تكبيره وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كذب من ادعى محبتي واذا جئت عليه الليل نام عني أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه ولعبد الله بن المبارك رضي الله تعالى عنه

اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
اطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن في الدنيا هجوع
وكان سيدي الشيخ الامام العلامة فتح الدين بن أمين الدين الحكيم النخري رحمه الله كثيرا ما يتنزل بهذه الايات

يا أيها الراقد كم ترقد * قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخدم الليل ولو ساعة * تحظى اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله * لم يبلغ المنزل لو يجهد

وكان سيدي أويس القرني لا ينام ليله ويقول ما بال الملائكة لا يفترون ونحن نفترون وقال حذيفة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وقال هشام بن عروة كان أبي يطيل المعـتوبه ويقول هي رأس المال وقال أبو الطيب لسمعت أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول يا أيها الناس قوموا الى نيرانكم فاطفئوها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر وجزأ محمد بن المنكدر عليه وعلى أمه وعلى أخته الليل اثلاثا فماتت أخته بفراة عليه وعلى أمه فماتت أمه فقام الليل كله وكان مسلم بن بشار اذا أراد أن يصلي في بيته يقول لاهله تحذثوا فليست اسمع حديثكم وكان اذا دخل البيت سكت أهله فلا يسمع لهم كلام فاذا قام الى الصلاة تحذثوا وضعدوا ووقع حريق الى جنبه وهو في الصلاة فاشعر به حتى أطفئ وكان الحمام يقع على رأس ابن الزبير في المسجد الحرام يحسبه جذاعا منصوبا بطول اتصابه في الصلاة وكانت العصافير تقع على ظهر ابراهيم بن شريك وهو ساجد كما تقع على الحائط وختم القرآن في ركعة واحدة أربعة من الائمة عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير وأبو حنيفة رضي الله تعالى عنهم ورأى الاوزاعي شابا بين القبر والمنبر فلما طلع الفجر استلقى ثم قال عند الصباح يحمد القوم السري فقال يا ابن أخ لك

ولا صحابك لا للجمالين وكان خلف بن أيوب لا يطرد الذباب عن وجهه في الصلاة فقبل له
 كيف تصبر فقال بلغني أن الفساق يصبرون تحت السياط ليقال فلان صبور وأما بين
 يدي ربي أفلا أصبر على ذباب يقع علي وقال أبو صفوان بن عوانة ما من منظر أحسن من
 رجل عليه ثياب بيض وهو قائم يصلي في القمر كأنه يشبه الملائكة وقال الحسن ما كان
 في هذه الأمة أعبد من فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت
 تقوم بالانصهار حتى تورمت قدمها وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه
 وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكانت دموعه تقع في مصلاه كوكف المطر وكان
 إبراهيم الخليل عليه السلام يسمع لقلبه خفقان وغليان هذا خوف الحبيب والخليل
 مع ما أعطا من الاجلال والاکرام وشرف المقام فالعجب كيف يطمئن قلب من أزعجته
 الآثام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل قال له ادع الله أن يجعلني رفيقك في الجنة
 فقال أعني على نفسك بكثرة السجود وقال حاتم الأصم ربه الله تعالى فأتني صلاة
 الجماعة مرة فعزاني أبو اسحق البخاري وحده ولومات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة
 آلاف لأن مصيبة الدين عندهم أهون من مصيبة الدنيا وكان السلف رضي الله عنهم
 يعززون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى وسبعة إذا فاتتهم الجماعة وقال
 ابن عباس رضي الله عنهما ما ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه
 وأنشد بعضهم

خسر الذي ترك الصلاة وخابا * وأبى معادا صالحا وما آبا
 أن كان يجدها فحسبك أنه * اضحى بربك كافرا مرتابا
 أو كان يتركها النوع تنكاسل * غطى على وجه الصواب حجابا
 فالشافعي وما لك رأيا له * أن لم ينب حد الحسام عقابا
 والرأي عندي للإمام عذابه * بجميع تأديب يراه صوابا

اللهم أعنا على الصلاة وتقبلها منا بكبرمك ولا تجعلنا من الغافلين برحمتك يا أرحم الراحمين
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

ومما يستحسن الحاقه بهذا الفصل ذكر شيء من فضل السؤال والاذان أما السؤال فقد قال
 الرسول صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لامرتهم بالسؤال عند كل صلاة وقال أيضا
 صلاة على أثر السؤال أفضل من خمس وسبعين صلاة على غير السؤال وقال حذيفة بن اليمان
 رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام ليلته يجدها شاس فاه بالسؤال وقال
 صلى الله عليه وسلم السؤال مطهرة للفم مرضاة للرب وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال
 لو يعلم الناس ما في السؤال لبات مع الرجل في لحافه وقال أيضا أفواهمكم طرق لكلام ربكم
 فنطقوها والاختيار في السؤال أن يكون بعود الأركان ويجزى بغيره من العبدان وبالسعد
 والاشنان والخرقة المشنة وغير ذلك مما ينظف ويستاك عرضا مبتدئا بالجانب الأيمن من فيه
 وينوي به الاتيان بالسنة والسؤال بعود الزيتون يزيل الحقر من الاسنان وقال الصحاب
 يقول عند السؤال اللهم بارك لي فيه يا أرحم الراحمين ويستاك في ظاهر الاسنان وباطنهما ويتر

السؤال على أطراف أسنانه وأضراسه وسقف حلقه امرارا لطيفا ويستمال بعود متوسط
لاشديد اليبوسة ولاشديد اللين فان اشتد يسهل لينه بالماء وقد قيل ان من فضائل السؤال
انه يذكر الشهادة عند الموت ويسهل خروج الروح * وأما الاذان فقد روى عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه قبل في قوله تعالى ومن
أحسن قولاً لمن دعا الى الله وعمل صالحا نزلت في المؤذنين وعن أبي سعيد الخدري رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يغفر الله للمؤذن مدى صوته ويشهد له ما سمعه من رطب
وبابس وعن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المؤذنون
أطول الناس أعنا فأيوم القيامة رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين
رواه البخاري ومسلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شيء الا شهد له يوم
القيامة رواه البخاري والاحاديث في فضله كثيرة مشهورة والله سبحانه وتعالى
أعلم

(الفصل الثالث في الزكاة وفضلها) قرن الله سبحانه وتعالى الزكاة بالصلاة في مواضع
شقي من كتابه قال الله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى ويقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
وذلك دين القيمة وعن بريدة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما حبس قوم الزكاة الا حبس الله عنهم القطر وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما خلطت الزكاة ما لا قط الا اهلكته وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده ما يركي ولم يرك ومن كان عنده ما يحج ولم يحج
سأل الرجعة يعني قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فإني تركت * ولنطق به هذا
الفصل ذكر شي من الصدقة وفضلها وما جاء فيها وما أعاد الله تعالى للمتصدقين من الاجر
والثواب ودفع البلاء قال الله تعالى ان الله يجزي المتصدقين وقال تعالى والمتصدقين
والمتصدقات والآيات الكريمة في ذلك كثيرة والاحاديث الصحيحة فيه مشهورة وروى
الترمذي في جامعه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم
لجاره وفي صحيح مسلم وموطا مالك وجامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة او قال ما نقصت صدقة من مال
وما زاد الله عبدا بعفو الا عزاً وما تواضع عبد الا رفعه الله تعالى ودخات امرأة سلاء على
عائشة رضي الله عنها فقالت كان ابني يحب الصدقة وأمي تبغضها لم تتصدق في عمرها الا بقطعة
شهم وخليفة فرأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكان أمي قد غطت عورتها بالخليفة
وفي يدها الشهمة تلحسها من العطش فذهبت الى أبي وهو على حافة حوض يسقي الناس فطلبت
منه قدحاً من ماء فسقيت أمي فمؤذيت من فوق الأمن سقاها فاشل الله يدها فانتبهت كما ترين

ووقف سائل على امرأة وهي تتعشى فقامت فوضعت لقمة في فيه ثم بكرت الى زوجها
 في مزرجته فوضعت ولدها عنده وقامت لحاجة تريد قضاءها فاختلسه الذئب فوقفت وقالت
 يا رب ولدي فأتاها آت فأخذ الذئب فاستخرجت ولدها من غير أذى ولا ضرر فقال لها
 هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل * وعشش ورشان في شجرة في دار رجل فلما
 همت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذاً فراح ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا
 وكلما فرخ الورشان أخذوا أفراخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام وقال يا رسول
 الله أردت أن يكون لي أولاد يذكرون الله تعالى من بعدى فأخذها الرجل بأمر امرأته ثم
 أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين إذا رأيتاه يصعد الشجرة فشقاء نصفين فلما
 أراد الرجل أن يصعد الشجرة اعترضه سائل فأطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الأفراخ
 على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام فقال للشيطانين ألم تفعلما أمر تكلم
 به فقال اعترضنا ملكا فطرحنا في الخافقين وقال النخعي كانوا يرون أن الرجل الظالم
 إذا تصدق بشئ دفع عنه البلاء وكان الرجل يضع الصدقة في يد الفقير ويتمثل قائما بين يديه
 ويسأله قبولها حتى يـمـكـون هو في صورة السائل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وعنه صلى الله عليه وسلم قال ردوا صدقة البلاء ولو بمثل
 رأس الطائر من طعام وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ردوا مذمة السائل ولو بظلف
 محرق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال عيسى صلوات
 وسلامه عليه من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام وكان نبينا محمد
 صلى الله عليه وسلم يناول المسكين يده وعنه صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يكسوم مسلما
 ثوبا الا كان في حفظ الله ما كانت عليه منه رقعة وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة
 تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وعن الزبيد بن خبثم
 انه خرج في ليلة شامية وعليه برنس خرق رأى سائلا فأعطاه اياه وتلا قوله تعالى ان تنالوا البر
 حتى تنفقوا مما تحبون وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرذ القضاء
 الا الدعاء ولا يز يد في العمر الا البر وان سوء الخلق شؤم وحسن الملكة ثناء والصدقة تدفع
 ميتة السوء وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة ترز جبال الدنيا الا من الصدقة وعن عمر
 رضي الله عنه ان الأعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضل لكن وعن أبي هريرة رضي الله
 عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تداركوا الهموم والغموم بالصدقات يدفع
 الله ضرركم وينصركم على عدوكم وعن عبيد بن عمير قال يحشر الناس يوم القيامة أجوع
 ما كانوا قاطوا وأعطش ما كانوا قاطون اطعم الله أشبعه الله ومن سقى الله سقاه الله ومن كسا الله
 كساه الله وقال الشعبي من لم يرتق نفسه الى ثواب الصدقة أخرج من الفقير الى صدقة فقد
 أبطل صدقته وضرب بها وجهه وكان الحسن بن صالح اذا جاءه سائل فان كان عنده ذهب
 أو فضة أو طعام أعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شئ أعطاه دهنًا أو غيره مما ينتفع به
 فان لم يكن عنده شئ أعطاه كحلًا أو اخرج ابرة وخطا فرقع به ما نوب السائل ووجهه رجل

ابنه في تجارة فضت أشهر ولم يقع له على خير فتصدق برغيفين وأرخ ذلك اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما راجعا فسأله أبوه هل أصابك في سفرك بلاء قال نعم غرقت السفينة بنا في وسط البحر وغرقت في جلة الناس واذا بشاين أخذاني فطرحاني على الشط وقال لي قل لو لك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت بأكثر من ذلك وقال علي رضي الله عنه **وكرم وجهه** اذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك فيوافيك به حيث تحتاج اليه فاعتمه حله اياه والله در انقائل حيث قال

يكي على الذاهب من ماله * وانما يبقى الذي يذهب

(وحكى) أن رجلا عبد الله سبعين سنة فبينما هو في معبد ذات ليلة اذ وقعت به امرأة جميلة فسأته أن يفتح لها وكانت ليلة شامية فلم يلتفت اليها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فأعجبته فليكت قلبه وسلبت ليه قترك العباداة وتبعها وقال الى اين فقالت الى حيث اريد فقال هيهات صار المراد مريدا والاحرار عبيدا ثم جذبها فأدخلها مكانه فأقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تفكر ما كان فيه من العباداة وكيف باع عباداة سبعين سنة بمعصية سبعة أيام فبكى حتى غشى عليه فلما أفاق قالت له يا هذا والله أنت ما عصيت الله مع غيري وأنا ما عصيت الله مع غيرك وانني أرى في وجهك أثرا الصلاح فبالحق عليك اذا صالحك مولاك فاذا كرتني قال فخرج هائما على وجهه فآوا الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث اليهم في كل ليلة بعشرة أرغفة فجاء غلام الراهب على عادته بالخبز ففقد ذلك الرجل العصا يده فأخذ رغيفا فبقي منهم رجل لم يأخذ شيئا فقال ابن رغبني فقال الغلام قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طأ ويا فبكى الرجل العصا وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه أنا أحق أن أبيت طأ ويا لاني عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فأمر الله تعالى ملك الموت بقبض روحه فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة هذا رجل فتر من ذنبه وجاء طائعا وقالت ملائكة العذاب بل هو رجل عاص فأوحى الله تعالى اليهم أن زنوا عباداة السبعين سنة بمعصية السبع ليال فوزنوها فربحت المعصية على عباداة السبعين سنة فأوحى الله اليهم أن زنوا بمعصية السبع ليال بالرغيف الذي أثر به على نفسه فوزنوا ذلك فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل الله توبته (وحكى) أن رجلا جلس يوما بكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل يبأ به فخرج اليه واتهره فذهب فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها في بعض الايام وبين أيديهما دجاجة مشوية واذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعي اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو وزوجها الاول قد ذهبت اليه الدجاجة ورجعت وهي باصكية فسألهما زوجها عن مكانها فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرته له فسمعتهم مع ذلك السائل الذي اتهره زوجها الاول فقال لها زوجها أنا والله ذلك السائل وذكر عن مكحول أن رجلا أتى الى أبي هريرة رضي الله عنه فقال ادع الله لابي فقد وقع في نفسي الخوف من هلاكه فقال له ألا أدلك على ما هو أنفع من دعائي وأنجع وأسرع اجابة قال بلى قال تصدق بمنه بصدقة تنوي بها نجاة ولدك

وسلامة مامعه تخرج الرجل من عنده وتصدق على سائل بدينهم وقال هذا خلاص ولدي
وسلامته ومامعه فنادى في تلك الساعة مناد في البحر ألا ان الفداء مقبول وزيد مغاث
فلما قدم سألوه عن حاله فقال يا أبت لقد رأيت في البحر عجبا يوم كذا وكذا في وقت
كذا وكذا وهو اليوم الذي تصدق فيه والده عنه بالدينهم وذلك انما أشرفنا على الهلاك
والتلف فسمعنا صوتا من الهواء ألا ان الفداء مقبول وزيد مغاث وجاءنا رجال عليهم
ثياب بيض فقدموا السفينة الى جزيرة وكانت بالقرب منا وسلمنا وصرنا بخير أجمعين *
والآن نروي الحكايات في ذلك كثيرة وفيما أشرت اليه كفاية لمن وعى وأن ليس للانسان
الا ما سعى والله أعلم

(الفصل الرابع في الصوم وفضله وما أعد الله للصائم من الاجر والثواب) قال الله تعالى
يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون قيل
الصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص * فصوم العموم هو كف البطن والفرج
وسائر الجوارح عن قصد الشهوة * وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد
والرجل وسائر الجوارح عن الآثام * وصوم الخصوص هو صوم القلب عن الهمم
الدنية وكفه عما سوى الله بالكلمة * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الجسد الصيام
وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه
وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية انها ايام الصوم
تركوا فيها الاكل والشرب وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال من أفطر يوما في رمضان من غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر وروى
في صحيح النسائي عنه ايضا صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة
وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين وروى الزهري أن تسبيحة واحدة في شهر رمضان
أفضل من ألف تسبيحة في غيره وروى عن قتادة انه كان يقول من لم يغفر له في شهر رمضان
فلن يغفر له في غيره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في شهر رمضان من
الخير لتمت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها ولو أذن الله للسموات والارض أن تسكما
لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم ليس من عبد يصلي في ليلة من شهر
رمضان الا كتب الله له بكل ركعة ألفا وخمسمائة حسنة ويخلى له بيتا في الجنة من يا قوة جراه
لهما سبعة وون ألف باب لكل باب منها مصراعان من ذهب وله بكل سجدة يسجد بها شجرة يسير
الراكب في ظلها مائة عام وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل صائم دعوة فاذا أراد أن يقبل
فليقل في كل ليلة عند فطره يا واسع المغفرة اغفر لي وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
من صام يوما من رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاذا انسلخ عنه الشهر وهو حي لم
يكتب عليه خطيئة حتى الحول ومن عطش نفسه لله في يوم شديد الحر من أيام الدنيا كان حقا
على الله أن يرويه يوم القيامة وقال بعضهم الصيام زكاة البدن ومن صام الدهر فقد وهب
نفسه لله تعالى وروى في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن

ما اجتنبت البكائر وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال صيام ثلاثة أيام من كل شهر كصيام الدهر وهي الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر وفي صحيح البخاري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه * وفضل الصوم غزير لانه خصه الله تعالى بالاضافة اليه كما ثبت في الصحيح من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال محبوا عن ربه عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزى به وقد يكتفى في فضله بهذا الحديث الجليل وحسبنا الله ونعم الوكيل

(الفصل الخامس في الحج وفضله) قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجاً أو معتمراً فبات اجري الله له أجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع الحج ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وفي الحديث ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وفيه اعظم الناس ذنباً من وقف بعرفة فظن ان الله لم يغفر له وهو افضل يوم في الدنيا وفي الخبر ان الحجر الاسود يا قوته من يواقيت الجنة وانه يعيشه الله يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وجاء في الحديث الصحيح ان آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وقال مجاهد ان الحاج اذا قدم وامك لحقتهم الملائكة فسلموا على ركان الابل وصالحوا ركان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقاً وكان من سنة السلف رضي الله عنهم ان يشبهوا الغزاة ويستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء لهم ويبادروا ذلك قبل ان يتدنسوا بالآثام وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعد هذا البيت ان يحججه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كلهم الله تعالى من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروص المزفوفة فكل من حجها يتعلق بأستارها ويسعى حولها حتى تدخل الجنة فيدخل معها (وحكى) أن جميلة الموصلة بنت ناصر الدولة أبي محمد ابن حمدان حجت سنة ست وثمانين وثلثمائة فصارت تاريخاً مذكوراً قبل انها سقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزد والتج واستعجبت البقول المزروعة في المراكن على الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونشرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصحب فيها وعندها الاشموخ العنبر وأعتقت ثلثمائة عبدة ومائتي جارية وأغنت الفقراء والمجاورين * ولما بنى آدم عليه السلام البيت قال يا رب ان لكل عامل أجراً فما أجر عملي قال اذا طقت به غفرت لك ذنوبك قال زدني قال جعلته قبلة لك ولا ولدك قال يا رب زدني قال أغفر لكل من استغفرني من الطائفتين به من أهل التوحيد من أولادك قال يا رب حسبي * وفي الحديث الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقيل للحسن ما الحج المبرور قال ان ترجع زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة * وأقول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير وكانت كسوتها المسوح والانطاع وكان يطيبها حتى يوجد ويحجها من خارج الحرم وكان حكيم بن حزام يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت فيقول لا اله الا الله وحده

وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله أحبه وأخشاه ورؤى الحسن بن علي رضي الله عنهما يطوف بالبيت ثم صار إلى المقام فصلى ركعتين ثم وضع خذله على المقام فجعل يبكي ويقول عبيدك يبابك خويدمك يبابك سائلك يبابك مسيكنك يبابك يرد ذلك مراراً ثم انصرف رضي الله عنه فترى عساكين معهم فلق خبزياً كاون فسلم عليهم فدعوه إلى الطعام فجلس معهم وقال لولا أنه صدقة لا كنت معكم ثم قال قوموا بنا إلى منزلي فتوجهوا معه فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدرهم * وحج عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشي على رجله حتى وقف بعرفات فأعشق ثلاثين ملوكاً وجلسهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفاً وقال اعتقتم لله تعالى لعله يعتقني من النار وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما اني لاسمعي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته فشي من المدينة إلى مكة عشرين مرة ومن لطيف ما انشد عمرو بن حبان الضريحي لم يهد إليه الحجاج شيئاً

كان الحجاج الآن لم يقربوا مني * ولم يحملوا منها سواك ولانعلا
اتونا فاجادوا بعد اراكة * ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا
وقال غيره

يحجون بالمال الذي يجمعونه * حراما إلى البيت العتيق المحرم
ويرزعم كل منهم - مو أن وزره * يحطوا لكن فوقه في جهنم

وقال آخر

حج في الدهر حجة * حج فيها وأحرما
وأنا نأمن الحجا * زكراً وحجراً
فهو ذو الجلة الذي * ما توفى محزماً

وتخاصم بدوي مع حاج عند منصرف الناس فقبل له اتخاصم رجلاً من الحجاج فقال

يحب لك ما يغفر الله ذنبه * ويرجع قد حطت عليه ذنوب

وقال أبو الشعمق

إذا حججت بمال أصله دنس * فما حججت وليكن حجت العير
ما يقبل الله إلا كل طيبة * ما كل من حج بيت الله مبرور

والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب الثاني في العقل والذكاء والحق وذمه وغير ذلك)

نص الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز ومنزل خطابه الوجيز على شرف العقل وقد ضرب الله سبحانه وتعالى الأمثال وأوضحها وبين بدائع مصنوعاته وشرحها فقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبِل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال عز من قائل وعزني وجعلني ما خلقت خلقاً أعز علي منك بك آخذوبك أعطي وبك احاسب وبك اعاقب وقال أهل المعرفة والعلم العقل جوهر مضي

خالقه الله عز وجل في الدماغ وجعل نوره في القلب يدرك به المعلومات بالوسائط والمحسوسات
 بالمشاهدة * واعلم أن العقل ينقسم الى قسمين قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما
 * فأما الاول فهو العقل الغريزي المشترك بين العقلاء * وأما الثاني فهو العقل التجريبي
 وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ
 اكمل عقلا وأتم دراية وان صاحب التجارب أكثر فهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من بيضت
 الحوادث سوادلته وأخلقت التجارب لباس جدته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريه
 أقداره وأقضيته كان جديرا برزانه العقل ورجاحة الدراية وقد يخص الله تعالى بأطافه
 الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانه عقل وزيادته معرفة تخرجه
 عن حد الاكتساب ويصير بها راجعا على ذوى التجارب والآداب ويدل على ذلك قصة
 يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما أخبر الله تعالى به في محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه
 الحكم صبيا فمن سبقت له سابقة من الله تعالى في قسم السعادة وأدركته عناية أربية
 اشرفت على باطنه أنوار ملكوتية وهداية ربانية فاتصف بالذكاء والعظيمة قلبه وأسفر
 عن وجهه الاصابة ظنه وان كان حديث السن قليل التجربة كما نقل في قصة سليمان بن
 داود عليهما السلام وهو صبي حيث رد حكم أبيه داود عليه السلام في أمر الغنم والحرث
 وشرح ذلك فيما نقله المفسرون أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب غنم
 والاخر صاحب حرث فقال أحدهما ان هذا دخلت غنمه بالليل الى حرثي فأهلكته
 واكاته ولم يبق لي فيه شيء فقال داود عليه السلام الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما
 خرجا من عنده مرأى على سليمان عليه السلام وكان عمره اذ ذاك على ما نقله ائمة التفسير احدى
 عشرة سنة فقال له ماما حكم بينكما الملك فذكر له ذلك فقال غير هذا الرفق
 بالفريقين فعادا الى داود عليه السلام وقال له ما قاله والده سليمان عليه السلام فدعاه
 داود عليه السلام وقال له ما هو الارفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الغنم الى صاحب الحرث
 وكان الحرث كراما قد تدلت عناقيدته في قول أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الاغنام
 يأكل لبنها ويتنفع بدراها ونسلها ويسلم الكرم الى صاحب الاغنام ليقوم به فاذا عاد
 الكرم الى هيئته وصورته التي كان عليها اليه دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم
 الى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به كما قال
 سليمان عليه السلام وفي هذه القصة نزل قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكما في الحرث
 اذ نقشت فيه غنم القوم وكألا حكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتيناه حكما وعلما فهذه
 المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية
 وأطاف الهية واذا قدف الله تعالى شيئا من انوار مواهبه في قلب من يشاء من خلقه
 اهتدى الى مواقع الصواب ورجح على ذوى التجارب والاكتساب في كثير من الاسباب *
 ويستدل على حصول كمال العقل في الرجل بما يوجد منه وما يصدر عنه فان العقل معنى
 لا يمكن مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الاجسام * فأقول يستدل على عقل الرجل
 بأمور متعددة منها ما يلهى الى محاسن الاخلاق واعراضه عن رذائل الاعمال ورغبته

في اسداء صنائع المعروف وتجنبه ما يكسبه عارا وبورئه سوء السمعة وقد قيل لبعض الحكماء
 لم يعرف عقل الرجل فقال بقله سقطه في الكلام وكثرة اصابته فيه فقل له فان كان غائبا فقال
 يا حدى ثلاث اما برسوله واما بكتابه واما بهديته فان رسوله قائم مقام نفسه وكتابه يصف
 نطق لسانه وهديته عنوان همته فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها
 وقيل من اكبر الاشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس ويكفى أن
 حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى اياه فانه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
 انه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق فقتضاه أن من رزق المداراة لم يحرم
 التوفيق وقالوا العاقل الذي يحسن المداراة مع أهل زمانه وقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لاهل العقل وواحدة لسائر الناس وقال
 علي بن عبيدة العقل ملك والحصل رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها
 فسمعه أعرابي فقال هذا كلام يقطر عليه وقيل بأيدي العقول تمسك أعنة النفوس وكل
 شيء اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا وقيل لكل شيء غاية وقد والعقل لا غاية له
 ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه تفاوت الازهار في المروج واختلف الحكماء في ماهيته
 فقال قوم هو نور وضعه الله طبعاً وغريزة في القلب كالنور في العين وهو يزيد وينقص ويذهب
 ويعود وكما يدرك بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك بنور القلب المحجوب والمستور وعي
 القلب كعمى البصر قال الله تعالى فانهم الاتعمى الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور
 وقيل محل العقل الدماغ وهو قول أبي حنيفة رحمه الله وذهب جماعة الى انه في القلب
 كما روى عن الشافعي رحمه الله واستدلوا بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها
 وبقوله تعالى ان في ذلك لذكرا لمن كان له قلب أي عقل وقالوا التجربة مرآة العقل
 ولذلك جدت آراء المشايخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوفا لا يطيش لهم هم ولا يسقط لهم
 فهم وعليكم بآراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاء الطبع فقد أفادت هم الايام حيلة وتجربة
 قال الشاعر

ألم تر أن العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب
 وقال آخر

اذا طال عمر المرء في غير آفة * أفادت له الايام في كرها عقله
 وقال عامر بن عبد قيس اذا عقلك عقلك عمالاي عنيك فانت عاقل ويقال لا شرف الا شرف
 العقل ولا غنى الا غنى النفس وقيل يعيش العاقل بعقله حيث كان كما يعيش الاسد بقوته حيث
 كان قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء عقل فانه * وان كان ذابيت على الناس هين
 ومن كان ذا عقل أجل لعقله * وأفضل عقل من يتدين
 وقالوا العاقل لا تطره المنزلة السنية كالجبل لا يتزعزع وان اشتدت عليه الريح والجاهل
 تطره أدنى منزلة كالخشيش يحركه أدنى ريح وقيل لعلي رضي الله عنه صف لنا العاقل
 قال هو الذي يضع الشيء مواضعه قيل فصف لنا الجاهل قال قد فعلت يعني الذي لا يضع

الشيء مواضعه وقال المنصور لولده خذ عنى ثنتين لا تقل من غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير
وقال أردشير أربعة تحتاج الى أربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقربا الى
المودة والعقل الى التجربة وقال كسرى انوشروان أربعة تؤدى الى أربعة العقل الى
الرياسة والرأى الى السياسة والعلم الى التصدير والحلم الى التوقير وقال القاسم بن محمد من لم
يكن عقله اغلب الخصال عليه كان حنقه من اغلب الخصال عليه وقيل افضل العقل معرفة
العاقل بنفسه وقيل ثلاثة هن رأس العقل مداراة الناس والاقتصاد فى المعيشة والتجيب
الى الناس وقيل من أعجب برأى نفسه بطل رأيه ومن ترك الاستماع من ذوى العقول مات
عقله وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه انه قال اهل مصر أعقل الناس صغارا وأرجهم
كبارا وقيل العاقل المحروم خير من الاحمق المزدوق وقيل لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة
حتى تموت ولا طعاما حتى يسترثه ولا يثق بخلييل حتى يستقرضه وقيل طول اللحية أمان
من العقل وسئل بعضهم ايماءا جدي فى الصبا بالحياء أم الخوف قال الحياء لان الحياء يدل
على العقل والخوف يدل على الجبن وقيل غضب العاقل على فعله وغضب الجاهل على
قوله وقال ابو الدرداء رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عويمر اردد عقلا
تردد من الله تعالى قربا قلت بآبى وأمى ومن لى بالعقل قال اجتنب محارم الله تعالى وأدفر انض
الله تعالى تكن عاقلا ثم تنقل الى صالح الاعمال تردد فى الدنيا عقلا وتردد من الله قربا وعزا
(وحكى) بعض أهل المعرفة قال حياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكرو حياة القلب
بالعقل وحياة العقل بالعلم ويروى عن على بن ابي طالب كرم الله وجهه انه كان ينشد
هذه الايات ويترنم بها

ان المكارم أخلاق مطهرة * فالعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشيها
والعين تعلم من عيني محمدتها * ان كان من حزينها أو من اعادتها
والنفس تعلم انى لا اصدقها * ولست ارشد الا حين اعصها

وقال بعض الحكماء العاقل من عقله فى ارشاد ورأيه فى امداد فقوله سديد وفعله جيد
والجاهل من جهله فى اغراء فقوله سقيم وفعله ذميم ولا يكتفى فى الدلالة على عقل الرجل
الاغترار بمحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلفته وتطافسة برته اذ كم من
كنيف مبيض وجلد مفضض وقد قال الاصمعى رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن
وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخروج فأردت أن أختبر عقله فسلمت
عليه وقلت له ما كنية سيدنا فقال ابو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعى
فضحك منه وعلت قلة عقله وكنة جهله ولم يدفع ذلك عنه غزارة خرج منه ودخله وقد
يكون الرجل موسوما بالعقل مرموقا بعين الفضل فيصد منه حالة تكشف عن حقيقة
حاله وتهمد عليه بقله عقله واختلاله وقيل ان اياس بن معاوية القاضى كان من اكابر
العقلاء وكان عقله يهده الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها فكان من جملة

الوقائع التي صدرت منه وشهدت لها العقل الرابع والفكر القادح انه كان في زمانه رجل مشهور بين الناس بالامانة فاتفق أن رجلاً أراد أن يحسج فأودع عند ذلك الرجل الامين كيساً فيه جملته من الذهب ثم حج فلما عاد من حججه جاء الى ذلك الرجل وطلب كيسه منه فأنكره وبجده فجاء الى القاضي اياس وقص عليه القصة فقال له القاضي هل اخبرت بذلك أحداً غيري قال لا قال فهل علم الرجل انك أتيت الى قال لا قال انصرف واكتب أمره ثم عد الى بعد غد فانصرف ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع فقال له قد حصل عندى أموال كثيرة ورأيت أن أودعها عندك فاذهب وهي لها موضعها حصينا فضى ذلك الرجل وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجل فقال له القاضي اياس امض الى خصمك واطلب منك وديعتك فان جحدك فقل له امض معي الى القاضي اياس انما كن انا وأنت عنده فلما جاء اليه دفع اليه وديعته فجاء الى القاضي وأعلمه بذلك ثم ان ذلك الرجل المستودع جاء الى القاضي طامعاً في تسليم المال فسيبه القاضي وطرده وكانت هذه الواقعة مما يدل على عقله وصحة فكره * ولما مات بعض الخلفاء اختلفت الروم واجتمعت ملوكها فقالوا الا نشتغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغزوة منهم والوثبة عليهم وعقدوا ذلك المشورات وتراجعوا فيه بالمناظرات وأجمعوا على أنه فرصة الدهر وكان رجل منهم من ذوى العقل والمعرفة والرأى غائباً عنهم إفتقروا من الحزم عرض الرأى عليه فلما اخبروه بما اجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صواباً فسألوه عن علة ذلك فقال في غد أخبركم ان شاء الله تعالى فلما أصبحوا أتوا اليه وقالوا قد وعدتنا ان تخبرنا في هذا اليوم بما عولنا عليه فقال معاً وطاعة وأمر باحضار كلبين عظيمين كان قد أعدتهما ثم حرس بينهما وحرّض كل واحد منهما على الآخر فتواثبا وتهاشحا حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وأرسل على الكلبين ذئباً كان قد أعدّه لذلك فلما أبصره تركا ما كانا عليه وتأنفت قلوبهما ووثبا جميعاً على الذئب فقتلاه فأقبل الرجل على أهل الجمع فقال مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج بين المسلمين ما لم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر تركوا العداوة بينهم وتأنفوا على العدو فاستحسنوا قوله واستصوبوا رأيه فهذه صفة العقلاء * (وأما ذم الحق) فقد قال ابن الاعرابي الحماقة مأخوذة من حقت السوق اذا كسدت فكانه كاسد العقل والرأى فلا يشاور ولا يلتفت اليه في امر من الامور والحق غريزة لا تنفع فيها الحيلة وهو داء دواؤه الموت قال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * الحماقة اعيت من يداويها

والحق مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا حق ابغض الخلق الى الله تعالى اذ حرمه اعز الاشياء عليه وهو العقل ويستدل على صفة الاحق من حيث الصورة بطول اللحية لأن مخرجها من الدماغ فمن افرط طول لحية قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو أحمق وأما صفة من حيث الافعال فترك نظره في العواقب وثقته بمن لا يعرفه والعجب وكثرة الكلام وسرعة الجواب وكثرة الالتفات والخلق من العلم والعجلة والخفة والسفة

والظلم والغفلة والسهو والخملاء ان استغنى بطر وان افتقر قنط وان قال أخش وان سئل
بجمل وان سأل ألمح وان قال لم يحسن وان قيل لم يفقه وان ضحك قهقهه وان بكى صرخ وان
اعتبرنا هذه الخلال وجدناها في كثير من الناس فلا يكاد يعرف العاقل من الاحمق * قال
عيسى عليه السلام عالجت الابرص والاكمة فأبرأهم - ما وعالجت الاحق فأعيانى والسكوت
عن الاحق جوابه وتطر بعض الحكماء الى أحمق على حجر فقال حجر على حجر (وحكى) أن
أحمقين اصطفا في طريق فقال أحدهما للآخر تعالى نمتن على الله فان الطريق تقطع بالحديث
فقال أحدهما أنا نمتنى قطائع غنم انتفع بلبنها ولحها وصفها وقال الآخر أنا نمتنى قطائع
ذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيئا قال ويحك أهدأ من حق العصبة وحرمة
العشرة قصايمها وتخاصما واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا
على أن أول من يطلع عليهما يسكون حكما بينهما فطلع عليهما شيخ بمحار عليه زقان من عسل
فخذ ثام بهديهما فنزل بالزقن وقصحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمي مثل
هذا العسل ان لم تكونا أحمقين وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كان رجل
يتعبد في صومعة فأمطرت السماء وأعشبت الارض فرأى جواره يرعى في ذلك العشب فقال
يا رب لو كان لك جار لرعيته مع جارى هذا فبلغ ذلك بعض الانبياء عليهم السلام والصلاة والسلام
فهم أن يدعو عليه فأوحى الله اليه لا تدع عليه فاني اجازى العباد على قدر عقولهم ويقال فلان
ذو حق وافر وعقل نافر ليس معه من العقل الا ما يوجب حجة الله عليه وخطب سهل هند ابنة
عتبة فحمتته فقال

وما هو جى يا هند الا سجيبة * اجر لها ذيلي بحسن الخلائق
ولو شئت خادعت الفتى عن قلوبه * ولا طمت في البطحاء من كل طارق
ويقال للابل السليم القلب هو من بقر الجنة لا ينطح ولا يرمح والاحق المؤذى هو من بقر سقر
والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث في القرآن وفضله وحرمة وما أعد الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والاجر الجسيم

قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكرفهـل من مـد كروسمى الله تعالى القرآن كريما فقال
تعالى انه اقرآن كريم وسماه حكيمًا فقال تعالى يس والقرآن الحكيم وسماه مجيدا فقال تعالى
ق والقرآن المجيد أنزل الله تعالى على سيد الانام وخاتم الانبياء الكرام عليه وعليهم أفضل
الصلاة والسلام فكان من أعظم معجزاته أن أعجز الله الفصحاء عن معارضته وعن الاتيان
بآية من مثله قال تعالى قل فأتوا بسورة من مثله وقال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن
على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فهو النور المبين
والحق المستبين لا شئ اسطع من اعلامه ولا أصدع من أحكامه ولا أفصح من بلاغته ولا
أرجح من فصاحته ولا أكثر من افادته ولا ألدن تلاوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
القرآن فيه خبر من قبلكم ونبا من بعدكم وحكم ما بينكم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أصغر
البيوت بيت صفر من كتاب الله تعالى وقال الشعبي الذي يقرأ القرآن انما يحدث عن ربه عز

وجلس ووفد غالب بن صعصعة على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعه ابنه الفرزدق فقال له من أنت قال غالب بن صعصعة قال ذوالابل الكثيرة قال نعم قال فما فعلت بابلك قال أذهبتها النوائب وزعزعتها الحقوق قال ذلك خير سبلها ثم قال لها يا أبا الاخطل من هذا الذي معك قال ابني وهو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى على نفسه أن لا يحمل قيده حتى يحفظ القرآن حفظه في سنة وفي ذلك قال

وما صب رجل في حديد مجاشع * مع القيد الحاجة لي أريدها

وقال أنس رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني لا تغفل عن قراءة القرآن إذا أصبحت وإذا أمسيت فان القرآن يحبي القلب الميت وينهي عن الفحشاء والمنكر (وحكى) الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار قال ومن حكايات الحشوية ما قيل ان ابراهيم الخواص مر بمصروع فأذن في أذنه فناداه الشيطان من جوفه دعني أقتله فإنه يقول القرآن مخلوق * وكان سفيان الثوري رحمه الله اذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن * وكان الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى اذا دخل شهر رمضان يقر من مذاكرة الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على القراءة في المصحف * وكان أبو حنيفة والشعبي رحمه الله تعالى يهتمان في رمضان ستين ختمة وقال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن نجات فدخل النار فهو من كان يتخذايات الله هزوا وقال الشعبي اللسان عدل على الاذن والقلب فاقرأ قراءة تسمعها اذنك ويفهمها قلبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوفى أفضل مما أوفى فقد استصغرا عظم الله وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلأؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت وقال عمر بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرأ مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع اهل الدنيا وقال علي كرم الله وجهه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء فخمسة وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما لأن أقرأ البقرة وال عمران ارتلتهما ما أتدبرهما أحب الي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا قباكوا وعن صالح المزني قال قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وكان عثمان رضي الله عنه يفتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بعريم الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتزويل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس * وعن علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا خير في قراءة لا تدبر فيها وكان عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه ولعن أباه اذا نشر المصحف أغمى

عليه ويقول هو كلام ربي وأبواب عائشة رضي الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال ما حدثك قالت قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتاً منه فقام فاستمع إليه طويلاً ثم قال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله وقال ابن عيينة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله قد اختلفت على القراءة أنت فعلى قراءة من تأمرني فقال على قراءة أبي عمرو * وعن أبي عمرو إن لم أزل أطلب أن أقرأه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما أنزل عليه فقدمت مكة فلقيت به أعدة من التابعين ممن قرأ على الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فقرأت عليهم فاشدد بهم أيديهم فينبغي للإنسان أن يحافظ على تلاوة القرآن ليلاً ونهاراً سراً وخصوا * وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في كتابه الأذكار قد كان للسلف رضي الله عنهم عادات مختلفة في القدر الذي يحتمون فيه فكانت جماعة منهم يحتمون في كل شهر ختمة وآخرون في كل عشر ليال ختمة وآخرون في كل ثلاث ليال ختمة وكان كثيرون في كل يوم وليلة ختمة وختمة جماعة في كل يوم وليلة ختمة وختمة بعضهم في اليوم والليلة ثمان ختمات أربعاً في الليل وأربعاً في النهار وروى أن مجاهداً رحمه الله كان يختم القرآن في شهر رمضان فيما بين المغرب والعشاء وأما الذين ختموا القرآن في ركعة فلا يحصون لكثرتهم فمنهم عثمان بن عفان وقيم الداري وسعيد بن جبيرة رضي الله تعالى عنهم وروينا في مسند الإمام المجمع على حفظه وجلالته واثقانه وبراعته أبي محمد الدارمي رحمه الله عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وإذا وافق أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي قال الدارمي هذا حديث حسن عن سعد وأفضل القراءة ما كان في الصلاة وأما في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل والنصف الأخير منه أفضل من الأول والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة وأما قراءة النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح ولا كراهة في وقت من الأوقات ولا في أوقات النهي عن الصلاة ويستحب الاجتماع عند الختم لحصول البركة وقيل إن الدعاء يستجاب عند ختم القرآن وإن الرجة تنزل عند ختمه ويستحب الدعاء عقب الختم استحباباً مأموراً كدائماً كعبداً شديداً ويجب على القارئ الإخلاص في قراءته وأن يريدهم أوجه الله تعالى وأن لا يقصد بها توصلاً إلى شيء سوى ذلك وأن يتأدب مع القرآن ويستحضر في ذهنه أنه يناجي ربه سبحانه وتعالى ويتلو كتابه فيقرأ على حالة من يرى الله تعالى فانه إن لم يكن يراه فإن الله يراه وينبغي للقارئ إذا أراد القراءة أن ينظف فيه بالسؤال وأن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا هو المقصود والمطلوب وبه تشرح الصدور ويسر المرغوب ودلائله أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وقد كان الواحد من السلف رضي الله عنهم يتلو آية واحدة ليلة كاملة يتدبرها ويستحب البكاء والتباكى لمن لا يلة در على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخرون للآذان يكون ويريدهم خشوعاً وقال السيد الجليل صاحب الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف إبراهيم الخواص رضي الله عنه دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلو البطن وقيام الليل

والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وقد جاءت آثار بفضيلة رفع الصوت بالقراءة وآثار بفضيلة الاسرار قال العلماء ان أراد القارئ بالاسرار بعد الرياء فهو أفضل في حق من يخاف ذلك فان لم يخف الرياء فالجهر أفضل بشرط أن لا يؤذى غيره من مصل أو نائم أو غيره مما والا حاديث في فضل القراءة وآداب حمله القرآن كثيرة غير محصورة ومن أراد الزيادة فليستظر في كتاب التبيان في آداب حمله القرآن لشيخ مشايخ الاسلام محي الدين النورى قدس الله روحه وتوثر ضريحه وقد جاء في فضل القرآن أحاديث كثيرة * وروى في فضل قراءة سور من القرآن في اليوم واليلة فضل كبير منها يس وتبارك الملك والواقعة والدخان فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ يس في يوم وليله ابتغاء وجه الله تعالى غفر له وفي رواية له من قرأ سورة الدخان في ليلة أصبح مغفورا له وفي رواية عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة وعن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام كل ليلة حتى يقرأ ألم تنزيل الكتاب وتبارك الملك وعن أبي هريرة رضى الله عنه انه قال من قرأ في ليلة اذا زلزلت الارض كانت له كعدل نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون كانت له كعدل ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد كانت له كعدل الثلث والا حاديث بنحو ما ذكرناه كثيرة وقد أشرنا الى المقاصد منها والله تعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع في العلم والادب وفضل العالم والمتعلم)

قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه الله حسنة ودراسة تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لاهله قرينة لانه معالم الحلال والحرام وبين سبيل الجنة والنار في الوحشة والمحدث في الخلوة والجليس في الوحدة والصاحب في الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء والزين عند الاخلاء والسلاح على الاعداء وبالعلم يبلغ العبد منازل الاخيار في الدرجات العلى ومجالسة الملوك في الدنيا ومرافقة الابرار في الآخرة والفكر في العلم يعدل الصيام وهذا كونه تعدل القيام وبالعلم توصل الابرار وتفصل الاحكام وبه يعرف الحلال والحرام وبالعلم يعرف الله ويوحد وبالعلم يطاع الله ويعبد (قيل) العلم درك حقائق الاشياء مسموعا ومعقولا وقال النبي صلى الله عليه وسلم خير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل وعنه عليه الصلاة والسلام يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة فلا يفضل أحدهما على الآخر ولغدوة في طلب العلم أحب الى الله من مائة غزوة ولا يخرج أحد في طلب العلم الا وملك موكب كل به يبشره بالجنة ومن مات وميراثه الحبار والاقلام دخل الجنة وقال علي كرم الله وجهه أقل الناس قيمة أقلهم علما وقال أيضا رضى الله عنه العلم نهر والحكمة بحر والعلماء حول النهر يطوفون والحكماء وسط البحر يغوصون والعارفون في سفن النجاة يسرون وقال موسى عليه السلام

في مناجاته الهى من أحب الناس إليك قال عالم يطلب علما وقال بعض السلف رضى الله
عنهم العلوم اربعة الفقه للاديان والطب للايدان والنجوم للازمان والتحول للسان وقيل
العالم طبيب هذه الامة والدياناد أوها فاذا كان الطبيب يطلب الداء ففى يبرى غيره (وسئل)
الشعبى عن مسئلة فقال لا علم لى بهما فقل له ألا تستحي فقال ولم استحي مما لم تسخى الملائكة
منه حين قالت لا علم لنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على
ادناكم وروى كفضل التمر ليله البرد على سائر الكواكب وقال على كرم الله وجهه
من نصب نفسه للناس اماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وإمكن تأديبه بسيرة قبل
تأديبه بلسانه وقيل مؤدب نفسه ومعلمها أحق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم
وأنشدوا

يا أيها الرجل — المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذى الضنا * كيما يصح به وأنت سقيم
وزالك تصلح بالرشاد عقولنا * أبدا وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهمها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويهتدى * بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال بعضهم

انى رأيت الناس فى عصرنا * لا يطلبون العلم للعلم
الا مباهاة لأصحابه * وعدة للغش والظلم

تقرر رجل الى امرأته وهى صاعدة فى السلم فقال لها أنت طالق ان سعدت وطالق ان نزلت
وطالق ان وقفت فرمت نفسها الى الارض فقال لها فداك أبى واخى ان مات الامام مالك
احتاج اليك أهل المدينة فى أحكامهم * وقال النبي صلى الله عليه وسلم هلاك اتقى فى شيئين
ترك العلم وجع المال وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الاعمال فقال العلم
بالله والفقه فى دينه وكررها عليه فقال يا رسول الله أسألك عن العمل فتخبرنى عن العلم
فقال ان العلم ينفعك معه قليل العمل وان الجهل لا ينفعك معه كثير العمل * وقال
عيسى عليه السلام من علم وعمل عتق فى الملك كوت الاعظم عظيما * وقال الخليل عليه
السلام العلوم أقفال والاسئلة مفاتيحها وعنه عليه السلام زلة العالم مضروب بها الطبل
وزلة الجاهل يخفيها الجهل وقال الحسن رأيت أقواما من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقولون من عمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه والعامل بغير علم كالسائر
على غير طريق فاطلبوا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا العبادة طلبا لا يضر بالعلم * وقال
يزيد بن ميسرة من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله بوجهه ووجهه العباد اليه ومن أراد
بعلمه غير وجه الله صرف الله وجهه ووجهه العباد عنه وعن أنس رضى الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ألا أخبركم بأجود الاجواد قالوا بلى يا رسول الله قال الله أجود
الاجواد وأنا أجود ولد آدم وأجود من بعدى رجل علم علما فنشره يبعث يوم القيامة امة

وحده ورجل جاد بنفسه في سبيل الله حتى قتل وقال الثوري **كان يقال العالم الفاجر فتنة لكل مفتون** وعن الفضيل رحمه الله تعالى انه قال لو أن أهل العلم اكرموا أنفسهم وأعزوا هذا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله إذا خضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعاً ولكنهم أذلوا أنفسهم وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا فهاؤوا وذلوا فانا لله وانا اليه راجعون فاعظم بهم مصيبة والله أعلم وللقاضي العلامة أبي الحسن علي بن عبد العزيز الطرجاني وقد أحسن **كل الاحسان** كأنما طرزت في خلع حسان شعر

ولم اقض حق العلم ان كنت كلما * بدا طمع صيرته لي سلبا
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي * لخدم من لا قيت لكن لا خدما
أشقي به غرسا وأجنيه ذلة * اذا فاتباع الجهل قد كان اسما
فان قلت زبد العلم كاب فانما * كما حين لم يخرس جاء وأظما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه في النفوس لعظموا
ولكن أهانوه فهاؤوا ودنسوا * محيما بالاطماع حتى تجهوا

وقيل من لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره وقال الفضيل شر العلماء من يجالس الامراء وخير الامراء من يجالس العلماء وقال لقمان جالس العلماء وزاجهم بركتلك فان الله يحب القلوب بنور الحكمة كما يحب الارض بماء السماء وقيل من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا رأى طالب العلم قال مرحبا بكم بناييع الحكمة ومصابيح النعمة خلقان الثياب جدد القلوب رباحين كل قبيلة وقال علي رضي الله عنه **كني بالعلم شرفا** أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكني بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب اذا نسب اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما آتى الله أحدا علما الا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتفه أحدا ودعا بعضهم لا تخرق قال جعلك الله ممن يطلب العلم رعاية لا رواية ومن يظهر حقيقة ما بعلمه بما يعلمه وعن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال علي باب الجنة شجرة تحمل ثمارا كثردي النساء يخرج من تحتها عين ماء يشرب منها العلماء والمتعلمون مثل اللبن الحليب والناس عطاش وعن ابن مسعود رضي الله عنه من تعلم بابا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيا وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لامتى من علماء السوء يتخذون العلم تجارة يبيعونها لأربح الله تجارتهم شعر

العلم أنفوس شئ أنت داخره * من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
أقبل على العلم واستقبل مقاصده * فأقول العلم اقبال وآخره

قال الشعبي دخلت على الجراح حين قدم العراق فسأني عن اسمي فأخبرته ثم قال يا شعبي **كيف علمك بكتاب الله** قلت عني يؤخذ قال كيف علمك بالفرائض قلت عني في المتاهي قال كيف علمك بأنساب الناس قلت أنا الفصيل فيها قال كيف علمك بالشعر قلت أنا ديوانه قال الله أبوك وفرض لي أم والاسودني على قومي فدخلت عليه وأنا معلوك من معاليك

همدان وخرجت وأما سيدهم قال البستي

إذا لم يزد علم الفقي قلبه هدى * وسيرته عدلا وأخلاقه حسنا

فبشره أن الله أولاه قنينة * تغشيه حرمانا ونوسعه حرنا

وقال الهيثم بن جميل شهدت مالك بن أنس رضي الله عنه سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في ثنتين وثلاثين منها لا أدري وقال الاوزاعي شككت النواويس الى الله تعالى ما تجدد من نثر ربح الكفار فأوحى الله اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتن فيه وقال على رضي الله عنه من أفتى الناس بغير علم لغته ملائكة السماء والارض ولصالح المغمى

شعر

تعلم إذا ما كنت لست بعالم * فما العلم الا عند أهل التعلم

تعلم فان العلم أزين للفتى * من الحلة الحسناء عند التكلم

ودخل عبد الله بن مسلم الهذلي على المهدي في القراء فأخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل في الرماة فأخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل في المغنين فأخذ كذلك ثم دخل في القصاص فأخذ كذلك فقال المهدي لم أركا اليوم أجمع لما يجمع الله في أحدهمك ومل جماعة من الحكماء بحالسة رجل فتواروا عنه في بيت فرقى السطح وجعل يستمع من كوة حتى وقع عليه الثلج فصبر فشكر الله له ذلك فجعله امام الحكماء لا يختلفون في شيء الا صدروا عن رأيه وشكا رجل الى وكيع بن الجراح وهو الحفظ فقال له استمعن على الحفظ بترك المعاصي فأنشأ يقول

شكوت الى وكيع سوء حفظي * فأرشدني الى ترك المعاصي

وذلك أن حفظ العلم فضيل * وفضل الله لا يؤتى المعاصي

ووجد في بعض الآثار عن بعضهم انه قال اذا أردت أن تكون أحفظ الناس فقل عند رفع الكتاب أو المصحف أو ابتداء القراءة في كل شيء أردت بسم الله وسبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عدد كل حرف كتب ويكتب ابد الابدين ودهر الداهرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قيل واذا أردت أن لا تنسى حرفا فقل قبل القراءة اللهم افتح علينا حكمةك وانشر علينا رحمتك يا ذا الجلال والإكرام واذا أردت أن ترزق الحفظ فقل خلف كل صلاة مكتوبة آمنت بالله الواحد الاحد الحق لا شريك له وكفرت بما سواه ومن فوائد سدي الشيخ الصالح شهاب الدين احمد بن موسى بن عجيل رحمه الله تعالى في الحفظ يقرأ في كل يوم عشر مرات ففهمناها سليمان وكلا آيتنا حكما وعلمنا الى قوله تعالى وكنا فاعلمين يا حي يا قيوم يا رب موسى وهرون ويارب ابراهيم ويارب محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ألزمني الفهم وارزقني العلم والحكمة والعقل برحمتك يا أرحم الراحمين وعن أبي يوسف قال مات لي ولد فأمرت من يتولى دفنه ولم أدرع مجلس أبي حنيفة خوفا ان يغوتني منه يوم وقال محمد بن اسحق بن خزيمة ما رأيت تحت اديم السماء اعلم بالحديث ولا أحفظ له من محمد بن اسمعيل البخاري حتى كان يقال ان حديثا لا يعرفه محمد بن اسمعيل ليس بحديث وقال

البحاري رحمه الله تعالى أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح وقال ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك واصلت ركعتين وقال أخرجه من ستمائة ألف حديث وصنفته في ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى وقال مجاهد أيقنا عمر بن عبد العزيز لنعلمه فابرحنا حتى تعلمنا منه وكان يقال الليث بن سعد رحمه الله تعالى ذهب علمه كله بموته ولهذا قال الشافعي لما قدم مصر بعد موته والله لانت أعلم من مالك وإنما أصحابك ضيعوك وقال الليث بن سعد ما هلك عالم قط الا ذهب ثلثا علمه ولو حرص الناس ويقال اذا سئل العالم فلا تجب أنت فان ذلك استخفاف بالسائل والمسؤل وقالوا من خدم المحابر خدمته المنابر شعر

لا تدخر غير العلو * م فأنم انهم الذخائر
فالمرء لو ربح البقا * مع الجهالة كان خاسر

وللشافعي رضي الله تعالى عنه شعر

أخترت نال العلم الابسمة * سأنيك عن تفصيلها بيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * وصحبة استاذ وطول زمان

وقال الزهري العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل عالم سراج زمانه يستضيء به أهل عصره وقيل لابراهيم بن عيينة اي الناس أطول ندامة قال أما في الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما في الآخرة فعالم مفترط شعر

كن عالما وارض بصف النعال * ولا تكن صدرا بغير النعال
فان تصد رت بلا آلة * صيرت ذاك الصدر صف النعال

وقيل لما اجتمع موسى بالخضر عليه السلام جاءه عصفور فأخذ بمنقاره من البحر قطرة ثم حط على ورق الخضر ثم طار فنظر الخضر الى موسى عليه السلام وقال يا بني الله ان هذا العصفور يقول يا موسى أنت على علم من علم الله عليه الله لا يعلمه الخضر والخضر على علم من علم الله علمه الله اياه لا تعلمه أنت وأنا على علم من علم الله علمه الله لا تعلمه أنت ولا الخضر وما على وعلمك وعلم الخضر في علم الله الا كهذه القطرة من هذا البحر قال الله تعالى ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله تعالى أربعين ألف عالم الانس والجن عالمان والبواقي لا يعلمها الا هو وقال موسى عليه السلام يا رب قد قلت للسموات والارض ان تباطوعا وكرها قلنا اتينا طائعين فلولم تطعك السموات والارض ماذا كنت فاعلا بهما قال يا موسى كنت أمر دابة من دوابي أن تبتلعهما قال موسى يا رب وأين تلك الدابة قال في مرج من مرجي قال موسى يا رب وأين ذلك المرج قال في علم من علمي لا يعلمه الا أنا وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في فمكة فقال فيم تفكرون تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فان الله خلق من جانب الغرب أرضا يقال لها البيضاء تقطعها الشمس في أربعين يوما فيبها خلق ما عصى الله طرفة عين فقال ابن عمر يا رسول الله

أين إبليس منهم قال ما علموا بإبليس خلق أم لا قال أمن بن آدم قال ما علموا بآدم خلق أم لا فهذه كلها مما أعدّها الله في علم غيبه انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون وقال قتادة لو كان أحد منا مكتفيا من العلم لا كنت في نبي الله موسى عليه السلام اذا قال هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا وقال الحكماء أفنزل العلم وقوف العالم عنده علمه وقال بعضهم ليس العلم ما خزنته الدفاتر وانما العلم ما خزنته الصدور وقيل العلم يؤدّي الى التصدير وقيل من تواضع للعلم ناله ومن لم يتواضع له لم ينله وقيل من برق علمه برق وجهه ومن لم يستفد بالعلم مالا اكتسب به جمالا العلم نور وهدى والجهل غي ووردي وقال بعضهم العالم يعرف الجاهل والجاهل لا يعرف العالم لان العالم كان جاهلا والجاهل لم يكن عالما وقيل أربعة يسودون العبد العلم والادب والصدق والامانة وقيل اهل العراق اطلب الناس للعلم وقال حماد ابن سلمة مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو كمثل الجمار عليه محلاة لا شعير فيها ولا ابراهيم بن خلف المهراني

النحو يصلح من لسان الالسن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم أجلها * فأجلها منها مقيم الالسن

وقال علي بن بشار

رأيت لسان المرء آية عقله * وعنوانه فانظر بما اذا تعنون
ولا تعد اصلاح اللسان فانه * يخبر عما عنده ويبين
ويعجبني زى الفتى وجماله * فيسقط من عيني ساعة يلحن
ودخل اهرابي السوق فوجدهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون وكم أبو موسى
بعض قواده فلحن فقال لم لا تنظر في العربية فقال بلغني أن من نظر فيها قل كلامه فقال
ويحك لا ينقل كلامك بالصواب خير لك من أن يكثر كلامك بالخطا وكان يقال مجالسة
الجاهل مرض للعاقل وقال أبو الأسود الدؤلي اذا أردت أن تهذب عالما فاقرن به جاهلا
وقال الشاعر

جهلات ولا تدري بأنك جاهل * ومن لي بان تدري بأنك لا تدري
وقال رجل للحسن أنا أفصح الناس قال لا تقل هذا قال فخذ على كلمة واحدة قال
هذه واحدة أبوجهل كناه المسلمون بذلك وكانت قريش تكنيه أبا الحكم فقال حسان رضى
الله عنه

الناس كنوء أبا حكم * والله كناه أبا جهل

(وأما ما جاء في الادب) فقد قال بعض الحكماء العقل يحتاج الى مادة من الادب كما يحتاج
الابدان الى قوتهم من الطعام وقال علي كرم الله وجهه الادب كنز عند الحاجة عون على
المرواة صاحب في المجلس انيس في الوحدة تعمر به القلوب الواهية وتحييه الالباب الميتة
وينال به الطالبون ما حاولوا وقيل عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح (وحكى) أن رجلا تكلم
بين يدي المأمون فأحسن فقال ابن من أنت قال ابن الادب يا أمير المؤمنين قال نعم النسب

انتسبت اليه ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لامن حيث ينبت ومن حيث يوجد لامن حيث
يولد قال الشاعر

كن ابن من شئت واكتب أدبا * بفنيك محمود عن النسب
ان الفتي من يقول ها أنا ذا * ليس الفتي من يقول كان أبي
وقال بعض الحكماء من كثرة أدبه كثرة شرفه وان كان وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وسادا
وان كان غريبا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا قال بعض الشعراء
لكل شيء زينة في الوري * وزينة المرأة تمام الادب
قد يشرف المرء بأدبه * فينا وان كان وضيع النسب
وقال بعض الاعاجم مفتخرا

مالي عقل وهمتي حسبي * ما أنا مولى وما أنا عربي
اذا انتهى منتم الى أحد * فاني منتم الى أدبي
وقيل الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والحسب وقيل المرء بفضيلته لا بفضيلته وبكأله
لا بجماله وبأدبه لا بشبابه وقيل لرجل من أدبك قال رأيت جهل الجهال قبيحا فاجتنبته
فتأدبت ومن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا من عرف الادب اكتسب به المال والجاه خير
الخلال الادب وشر المقال الكذب وقيل لبقراط ما الفرق بين من له ادب ومن لا ادب له
قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذي ليس بناطق ودخل ابو العالمة على ابن
عباس رضي الله عنهما فأقعد معه على السرير واقعد رجلا من قريش تحته فرأى سوء نظرهم
اليه وحوضه وجوههم فقال ما لكم تنظرون الى نظر الشحيح الى الغريم المفاس هكذا الادب
يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الاسرة وقال جالينوس
ان ابن الوضيع اذا كان ادبيا كان نقص ابيه زائدا في منزلته وابن الشريف اذا كان غير
اديب كان شرف ابيه زائدا في سقوطه وقيل أحسن الادب أن لا يفتخر المرء بأدبه وسمع
معاوية رجلا يقول أنا غريب فقال كذا الغريب من لا أدب له ويقال اذا فالتك الادب فالزم
الصمت فهو من أعظم الآداب واعبد الملك بن صالح

في الناس قوم أضاعوا مجد أولهم * ما في المكارم والتقوى لهم أرب
سواء انت أدب أرداهم وأرذلهم * وقد يزين صحيح المنصب الادب
وقيل أربعة تسود العبد الادب والعلم والصدق والامانة وقال بعض الحكماء خمسة لا تتم
الانجاسة لا يتم الحسب الا بالادب ولا يتم الجمال الا بالحلاوة ولا يتم الغنى الا بالجوود ولا يتم
البطش الا بالجرأة ولا يتم الجهاد الا بالتوفيق والله تعالى أعلم

(الباب الخامس في الآداب والحكم وما أشبه ذلك)

قال الحكماء اذا اراد الله بعبد خيرا الهمة الطاعة وألزمه القناعة وفقهه في الدين وعضده
باليقين فاكتمى بالكساف واكتسى بالعفاف واذا أراد به شر احبب اليه المال وبسط منه
الآمال وشغله بدينام ووكله الى هواه فركب الفساد وظلم العباد الثقة بالله أركى أمل
والتوكل عليه أوفى عمل من لم يكن له من دينه واعظم تنفعه المواعظ من سره الفساد ساء

لمعاد كل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع لا يفترنك صحة نفسك وسلامة امسك فذة العمر
قليلة وصحة النفس مستحيلة من أطاع هواه باع دينه بدينه ثمره العلوم العمل بالعلوم
من رضى بقضاء الله لم يخطئه أحد ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد أفضل الناس من لم تفسد
الشهوة دينه خير الناس من أخرج الحرس من قلبه وعصى هواه في طاعة ربه نصرة الحق
شرف ونصرة الباطل سرف البخل حارس نعمته وخازن لورثته من لزم الطمع عدم الورع
إذا ذهب الحياء حل البلاء علم لا يتنع كدواء لا ينجم من جهل المرء أن يعصى ربه في طاعة
هواه ويهين نفسه في أكرام دينه أيام الدهر ثلاثة يوم مضى لا يعود اليك ويوم أنت فيه
لا يدوم عليك ويوم مستقبل لا تدري ما حاله ولا تعرف من أهله من كثرا ابتهاجه بالمواهب
اشتد انزعاجه للمصائب لا تبت على غيروصية وان كنت من جسمك في صحة ومن عرك
في فسحة عظامي بحسن أفعالك ودل على الجميل بجميل خلائك أياك وفضول الكلام فانه
يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن لا يجيد العجول فرحوا ولا الغضوب سرورا
ولا الملول صديقا حسن النية من العبادة حسن الجلوس من السياسة من زاد في خلقه
نقص في حظه من اتى الزمان خانه أظهر الناس محبة أحسنهم لقاء لا يكمل للانسان دينه
حتى يكون فيه أربع خصال يقطع رجاءه مما في أيدي الناس ويسمع شتم نفسه ويصبر ويجب
للناس ما يحب لنفسه ويشق عوا عيده الله أياك والحسد فانه يفسد الدين ويضعف اليقين
ويذهب المروءة قبل لا فلاطون ما الشيء الذي لا يحسن أن يقال وان كان حقا قال مدح الانسان
نفسه أربعة تؤدى الى أربعة الصمت الى السلامة والبر الى الكرامة والجلود الى السيادة
والشكر الى الزيادة من ساء تدبيره أهلكه جسده العزة ثمرة الجهل آفة القوة استضعاف
الخصم آفة النعم قبح المن آفة الذنب حسن الظن الحزم أسد الآراء والغفلة اضرار الاعداء
من قعد عن حيلة أقامته الشدائد ومن نام عن عدوه ابقتهم المكاييد من قرب السفلة
واطرح ذوى الاحساب والمروءات استحق الخذلان من عفا تفضل من كظم غيظه فقد حلم
من حلم فقد صبر من صبر فقد ظفر من ملك نفسه عند أربع حرمه الله على النار حين يغضب
وحين يرغب وحين يرهب وحين يشتهى من طلب الدنيا بعمل الآخرة فقد خسرهما ومن طلب
الآخرة بعمل الدنيا فقد ربحهما ما كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل
واقصر منه على القليل كل امرئ يعرف بقوله ويوصف بفعله فقل سديدا وافعل جيذا
من عرف شأنه وحفظ لسانه وأعرض عما لا يعنيه وكف عن عرض أخيه دامت سلامته
وقلت ندامته كن صموتا وصدوقا فالصمت حرز والصدق عز من أكثر مقالهم ومن أكثر
سؤاله حرم من استخف بأخوانه خذل ومن اجتأ على سلطانه قتل ما عز من أذل جيرانه
ولا سعد من حرم أخوانه خير النوال ما وصل قبل السؤال أولى الناس بالنوال ازهدهم
في السؤال من حسن صفاته وجب اصطفاؤه من غاظك بقيع الشتم منه فغظه يحسن
الحلم عنه من يهزل بماله على نفسه جاد به على زوج عريته اذا اصطنعت المعروف فاستره
واذا اصطنع اليك فأنشره من جاور الكرام امن من الأعداء من طاب أصله زكافره

من انكر الصنعة استوجب القطيعة من من يعرفه سقط شكره ومن أعجب بعمله حبط
اجره من رضى من نفسه بالاساءة شهد على أصله بالرداءة من رجع في هبته بالغ في خسسته
من رقى في درجات الهمم عظم في عيون الامم من كبرت همته كثرت قيمته من ساء خلقه
ضاق رزقه من صدق في مقاله زاد في بجاله من هان عليه المال توجهت اليه الآمال
من جاد بماله جل ومن جاد بعرضه ذل خير المال ما اخذ من الحلال وصرف في التوال
وشر المال ما أخذ من الحرام وصرف في الآثام أفضل المعروف اغانة الملهوف من تمام
المرواة أن تنسى الحق لك وتذكر الحق عليك وتستكبر بالاساءة منك وتستصغرها من غيرك من
احسن المكارم عفو المقتدر جود الرجل يحببه الى اصدقائه ويخلفه يغضه الى اودائه لا تنسى
الى من احسن اليك ولا تن على من انعم عليك من كثرت ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه
من طال تعديبه كثرت اعداؤه شر الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم
من حفر خفيرا لآخيه كان حقه فيه من سل سيف العدو ان اغمد في رأسه من لم يرحم
العبرة سلب النعمة ومن لم يقل العثرة سلب القدرة لا تحتاج من يهلك خوفه ويملكك
سيفه صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه من قال ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي جرح
الكلام أصعب من جرح الحسام من سكت عن جاهل فقد اسعده جوابا وأوجهه عتابا
من أمارت شهوته أحيام رواه من كثرت عوارفه كثرت معارفه من لم تقبل توبته
عظمت خطيئته اياك والبغى فانه يصرع الرجال ويقطع الآجال الناس في الخير أربعة
أقسام منهم من يفعل ابتداء ومنهم من يفعل اقتداء ومنهم من يترك حراما ومنهم من يترك
استحسانا فمن فعله ابتداء فهو كريم ومن فعله اقتداء فهو حكيم ومن ترك حراما فهو شقي
ومن تركه استحسانا فهو دني من سالم سلم ومن قدم الخير فقم من لزم الرفاد عدم المراد
ومن دام كسله خاب أمله العجول مخطي وان ملك والمتأني مصيب وان هلك من امارات
الخدلان معاداة الاخوان استفساد الصديق من عدم التوفيق الرفق مفتاح الرزق
من نظري العواقب سالم من النوائب ومن أسرع في الجواب اخطأ في الصواب من
ركب العجل أدركه الزلل من ضعفت آراؤه قويت أعداؤه من قلت فضائله ضعفت
وسائله من فعل ما شاء لقي ما شاء من كثراعتباره قل عذاره من ركب جده غلب ضده
القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير ظن العاقل أصح من يقين الجاهل
قليل تحمد آخرته خير من كثير تدم عاقبته من خاف سطوتك تمى موتك اذا استشرت
الجاهل اختار لك الباطل من أعجبه آراؤه غلبته أعداؤه من قصر عن السياسة
صغر عن الرياسة لا تشكك ضعفك الى عدوك فانك تشمت بك وتطمع بك من لم يعمل
لنفسه عمل للناس ومن لم يصبر على كده صبر على الافلاس من أفشى سره أفسد أمره
الحازم من حفظ ما في يده ولم يؤخر شغل يومه افسده من طلب ما لا يكون طال تبعه لا تنفع
بابا يعيبك سده ولا ترمهم ما يعجزك رده سوء تدبير سبب التدمير اغمد سيفك ما ناب عنك
لسانك ليس العجب من جاهل يصحب جاهلا ولكن العجب من عاقل يصحبه لان كل شيء يفر

من ضده ويميل الى جنسه اذا نزل القدر بطل الحذر رب عطف تحت طلب ومية
تحت أمنية لا يخلو المرء من ودود يمدح وعدو يصدح الجوع خير من الخسوع الكذب
منهم وان صدقت لهجته ووضحت حجته من طاوعه طرفه اشتد حقه من لم تسر
حياته لم تنم وفاته من أعظم الذنوب تحسين العيوب الشرف بالهم العالية لا بالرم
البالية اذ امك الاراذل هلك الافاضل من ساءت أخلاقه طاب فراقه من حسنت
خصاله طاب وصاله بعد بورت الصفا خير من قرب يوجب الجفا اللسان سيف
فاطع لا يؤمن حده والكلام سم نافع لا يمكن رده من أطلع على جاره انهم تكتجب
أستاره أجهل الناس من قل صوابه وكثر عجايبه أظهر الناس نقا من أمر بالطاعة
ولم يأتمر بها ونهى عن المعصية ولم ينته عنها من سلا عن المسلوب كن لم يسلب ومن صبر
على النكبة كن لا ينكب الفضيلة بكثرة الآداب لا بغراهة الدواب من زادت شهوته
نقصت مروءته من عرف بشئ نسب اليه ومن اعتاد شيا حرص عليه عند الجدال
يظهر فضل الرجال من آخر الأكل انطعامه ومن آخر النوم طاب منامه موت في دولة
وعز خير من حياة في ذلة وعجز مقاساة الفقر هي الموت الاجر ومسئلة الناس هي
العار الا كبر حق يضر خير من باطل يسر ككم من مرغوب فيه يسوء ولا يسر
ومرغوب منه ينفع ولا يضر عثرة الرجل تزيل القدم وعثرة اللسان تزيل النعم المزاج
بورت الضغائن من حلم ساد ومن تنهم ازداد معاشرة ذوى الالباب عمارة القلوب
شر ما يصيب المرء الحسد ربما اصاب الاعى رشده وأخطأ البصير قصده الياس خير من
التضرع الى الناس لا تكن ضاحكا في غير عجب ولا ماشيا في غير أرب من سعى بالنسيمة
حذر القريب ومقته الغريب الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استبد برأيه
أشرف الغنى ترك المني من ضاق خلقه مله أهله الحسد للصديق من سقم المودة كل
الناس راض عن عقله دنياك كلها وقتك الذي أنت فيه استرسوأة أخيك لما يعلم
فيك خول الذكر أسنى من الذكر الذميمة العجالة أخت الندامة من كرم أصله لان
قلبه ومن قل قلبه زاد عجب به ربما أدرك بالظن الصواب ليس لمعجب رأى ولا للمعجب
صديق سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار لا تعادين أحدا فانك
لا تعلم من عداوة جاهل أو عاقل فالحذر من حكمة العاقل وجهل الجاهل ضاحك
معترف بذنبه خير من بالك مدل على ربه من قل سروره كان الموت راحته لا ترقن
على ذى خطأ خطاه فيستفيد منك علما ويتخذ عدوا استمى من ذم من لو كان حاضرا
لبالغت في مدحه ومدح من لو كان غائبا لساوت الى ذمه وقيل المنفعة توجب المحبة
والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب اللفة والعدل
يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق
يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب
المقت والتواضع يوجب الرفعة والجود يوجب المدح والجل يوجب الذم والتواني
يوجب التضييع والحزم يوجب السرور والحذر يوجب السلامة واصابة التدبير

توجب بقاء النعمة وبالثاني تسهيل المطالب وبحسن المعاشرة تدوم المحبة وبمقتض
الجانب تأنس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستقامة توجب التباعد
وبكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدل المنطق تجلب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة
وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال وباحتمال المؤمن يجب السودد
وبالحلم على السفه تكثر انصاره عليه وبالرفق والتودد تستحق اسم الكرامة ويترك
مالا يعينك يتم لك الفضل واعلم ان السياسة تكسواهلها المحبة ومن صغر الهمة
الحسد للصديق على النعمة والنظر في العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غم
ومن سكت سلم ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن اطاع هواه ضل
ومع العجلة الندامة ومع التأني السلامة وزارع البر يحصد السرور وصاحب العقل
مغبوط وصداقة الجاهل تعب اذا جهلت فاسأل واذا ذلت فارجع واذا اسأت
فاندم واذا ندمت فاقطع المروآت كلها تبع للعقل والرأي تبع للتجربة والعقل
اصله التثبت وغمرته السلامة والاعمال كلها تتبع القدر واختر العلماء أربع كلمات
من أربع كتب فن التوراة من قنع شبع ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن الزبور
من سكت سلم ومن القرآن ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واجتمعت
حكما العرب والعجم على أربع كلمات لا تحمل بطنك ما لا يطيق ولا تعمل عمل لا ينفعك
ولا تغتر بامرأة ولا تنق بمال ولو كثروا الله تعالى أعلم

(الباب السادس في الامثال السائرة وفيه فصول)

(الفصل الاول فيما جاء من ذلك في القرآن العظيم وأحاديث النبي الكريم) اعلم
أن الامثال من اشرف ما وصل به اللبيب خطابه وحلى بجواهره كتابه وقد نطق كتاب
الله تعالى وهو اشرف الكتب المنزلة بكثير منها ولم يخجل كلام سيدنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنها وهو أفصح العرب لسانا واكملهم بيانا فكلم في ايراده واصداره من مثل
يعجز عن مباراته في البلاغة كل بطل وسند ذكر ان شاء الله تعالى بعد ذلك
نبذة من أمثال العرب والمولدين والعامية * فن أمثال كتاب الله تعالى قوله تعالى
ان تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الا ان حصص الحق قضى الامر الذي فيه
تستقربان اليس الصبح بقريب ثم بد لنا مكان السيئة الحسنة ليس لها من دون الله
كاشفة اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وجعل بينهم وبين ما يشتهون
لكل نامة مستقر قل كل يعمل على شاكلته وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا
كثيرا وان تصبكم سيئة يفرحوا بها كل نفس بما كسبت رهينة حتى اذا فرحوا
بما أوتوا أخذناهم بغتة ما على الرسول الا البلاغ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن
الله ما على المحسنين من سبيل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى هل جزاء الاحسن
الا الاحسن ولا ينبئك مثل خبير ولو علم الله فيهم خيرا لاصعدهم كل حزب بما لديهم
فرحون لا يكلف الله نفسا الا وسعها لا يستوى الخبيث والطيب فسررت منهمكم

لما خفتكم وان كثر من الخلقاء ليس في بعضهم على بعض يا أيها الذين آمنوا لم تقولون
 ما لا تفعلون ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم لله عز وجل آمنوا ثم لا ينفون ما قالوا
 ولا يسألوا عنها شيئا ان تبدلكم تسوؤكم وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها
 معرضين ولوردوا العاد والمأثم وعاءه وانهم لكاذبون اعلموا ان الله شديد العقاب
 وأن الله غفور رحيم ولورجناهم وكشفنا ما بهم من ضمير للجوا في طغيانهم يعمهون فذكر
 انما انت مذكرة عليهم بسيطر انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون
 يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين فاجدنا فيها غيريت من المسلمين لا يجلبها
 لوقتها الا هو فلا تزكوا انفسكم هو أعلم بمن اتقى كل يوم هو في شان فبأى حديث
 بعده يؤمنون وما ربك بغافل عما تعملون واهجرهم هجرا جيلا من عمل صالحا فلنفسه
 ومن اساء فعليه ان هي الا فتنتك فاعتسبوا يا اولي الابصار وانه انقسم لوتعلمون عظيم
 ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ولتعلن نبأ بعد حين وكان بين ذلك قواما لمثل هذا
 فليعمل العاملون كل من عليها فان كل نفس ذائقة الموت افسهر هذا أم أنتم
 لا تبصرون * ومن الامثال من الحديث النبوي انما الاعمال بالنيات وانما لكل
 امرئ ما نوى نية المرء خير من عمله آفة العلم النسيان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
 اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه أنزلوا الناس منازلهم البدا العلياء خير من البدا السفلى من
 مات غريبا مات شهيدا مظل الغنى ظلم يدا الله مع الجماعة الجار قبل الدار والرفيق قبل
 الطريق من غشنا فليس منا سيد القوم خادمهم الحياء شعبة من الايمان تخبروا
 لنطفكم كم ابدانفسك ثم ينعول حدث عن البحر ولا حرج المجالس بالامانات
 كل ميسر لما خلق له اطلبوا الخير من حسان الوجوه اياك وما يعتذر منه الوحدة خير
 من الجليس السوء استعينوا على الحوائج بالكتمان الندم توبة لا يكون المؤمن
 طعانا ولا لعانا دع ما يرييك الى ما لا يرييك من كثير سواد قوم فهو منهم انصر أخاك
 ظالما أو مظلوما انتظار الفرج عبادة كذا الفقرا ان يكون كفرا نعم صوبعة الرجل بيته
 الاعمال بخواتمها

(الفصل الثاني في أمثال العرب) ان من البيان لسحرا ان الجواد قد يعثر ان البلاء
 موكل بالناطق ان أخا الهيجاء من يسعى معك ومن يضر نفسه ليقعك انك في السماء
 واست في الماء ان الذابل الذي ليست له عضد اي الرجال المهذب انما هو كبرق خلب
 اذا أدبر الدهر عن قوم كفى عدوهم امرهم اياك اعنى فامعنى يا جارة ان لم يكن وفاق
 ففراق انك لا تجنى من الشوك العنب اذا حان القضاء ضاق القضاء ان المناكح خيرها
 الابكار اذا كنت مناطا فطاح بذوات القرون أوى الى ركن بلا قواعد اياك أن تضرب
 بلسانك عنقك اكل وجد خير من اكل وذم آفة المرأة خلف الوعد اذا قلت له زن
 طأطأ رأسه وحزن اذا أأناك احد الخصمين وقد فقت عينه فلا تقض له حتى يأتيك خصمه
 فلعنه ففقت عيناه ترك الذنب أيسر من طلب التوبة اتق شر من تحسن اليه الناس
 اخوان وشقي في الشيم بلغ السيل الزبا أجمع كل بك يتبعك حافظ على الصديق

ولو في الحريق اشتد أزمته تنفر جي أتبع السيئة الحسنة تمحها الخيل أعرف بفرسانها
 رمتني بطرفها وانسلت رب رمية من غير رام الرياح مع السماح رب اكلة تمنع اكالات
 استراح من لاعقل له رب أخ لم تلده أمك رب طمع أدى الى عطب ربما كان السكوت
 جوابا رب ما لوم لا ذنب له رب عين انم من لسان رحم الله من هداني الى عيوبي ركوب
 الخنافس ولا المشي على الطنافس سبق السيف العذل زوج من عود خير من قعود
 سبك من بلغك السب محابة صيف عن قليل تقشع شر أيام الديك يوم تغسل رجلاه
 طاعة النساء دامة اطلب تقطر طرف الفتى يخبر عن لسانه ظاهر العتاب خير من باطن
 الحق عند الصباح يحمد القوم السرى الظلم مرقة وخيم عند الطاح يغلب الكباش
 الاجم العبد يقرع بالعصا والحر تركفيه الملامة اعقل وتوكل العتاب قبل
 العقاب عند الرهان تعرف السوابق عند الامتحان يكرم المرء أو يهان عند المنازلة
 تعرف أخاك في القمر ضياء والشمس أضواء منه القول ما قالت حذام لقد اسمعت لونا ديت
 حيا أقلل طعامك محمد منامك ككل فتاة بأبيها معجبة كل كلب بيباه نباح
 كاد العروس أن يكون ملكا كثرة العتاب توجب البغضاء كثر مصارع الرجال تحت
 بروق المطامع الكلام اتى والجواب ذكر كل اناير شمع بما فيه كما تزرع تحصد كل امرئ
 في بيته صبي كلب جوال خير من أسد رايض لقد نزلت من بالث عليه الثعالب ليس الخبر
 كالبيان لكل صارم نبوة ولكل جواد كعبوة لكل قادم دهشة اهل لها عذرا وأنت
 تلوم لكل ساقطة لاقطة لكل مقام مقال لللسان من رطب ويدان من خشب للباطل
 جولة ثم يضمحل ليست النائمة الشكلى مثل المستأجرة لكل غدا طعام لكل دهر دولة
 ورجال لا عطر بعد عروس لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يضر صاحب نباح المكاب
 لا تقتن من كلب سوء جروا مقتل الرجل بين فكليه ماحك جلدك مثل ظفرك من عتب
 على الدهر طال عتبه معاتبة الاخوان خير من فقدهم النفس مولاة بحب العاجل هذه
 بتلك والبادي أنظلم يا حبيذا الامارة ولوعلى الجبارة يكسو النام واسته عارية يدك منك
 وان كانت سلاء

(الفصل الثالث في أمثال العادة والمولدين) التسلط على الممالك دناءة اجلس حيث
 يؤخذ بيدك وتبر ولا تجلس حيث يؤخذ برجلك وتجزأجراً الناس على الاسد أكثرهم له
 رؤية الحاجة تفتق الحيلة الحماوى لا ينجم من الحيات الحبة تدور والى الرحي ترجع
 المؤذى ردى كلما جلوته صدى الاسواق موأث الله فى أرضه السلامة احدى الغنمين
 الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ الطير بالطير يصاد اطلع القرد فى الكنيف فقال هذه المرأة
 لهذا الوجه الطريف العادة طبيعة خامسة الغائب حجتة معه الخضرع عند الحاجة
 رجولية الناس أتباع لمن غلب النكاح يفسد الحب النصيح بين الملا تقربيع الحر حرز
 وان مسه الضر والعبد عبد وان ملك الدر الثقل اذا تحققت صار طاعونا اضيع من
 حلى على زنجية العمل للزونيخ والاسم للثورة انشط من ايرد غل نصفه البغل الهرم

لا يفرعه صوت الجبل بدن وافر وقلب كافر تزاوروا ولا تجاوروا تعاشروا كالأخوان
وتعاملوا كالأجانب ثمرة العجالة الندامة جواهر الاخلاق تفضيها المعاشرة حينما
سقط لقط خذ اللص قبل أن يأخذك خذ القليل من النسيم وذمه ذل من لا سقيه له ريق
العدو سم قاتل رب ساع ككناعد زكاة البدن العلل زلق الحمار وكان من سهوة
المكارى زلة الرجل عظيم يجبر وزلة اللسان لا تبقى ولا تذر سلطان غشوم خير من قسنة تدوم
سواء قوله وبوله سفير السوء يفسد ذات البين شهر ليس لك فيه وزق لا تعد أيامه صديق
الوالد عم الولد ضرب الطبل تحت الكسا طاعة الولاة بقاء العز طفيلي ويقترح عناية
القاضي خير من شاهدي عدل دلت على أهلها براقش (وهو اسم كبة نجت فدلّت على الجيش
فقتلوههم) غش القلوب يظهر في فلمات اللسان وصفحات الوجوه غنى المرأة في الغربة وطن
فر من الموت وفي الموت وقع فم يسبح وقلب يذبح فلان كالكعبة يزار ولا يزور قبل للزمار
تهم بالزمر قال المزمار في كى والريح في فى كل قليل نعيش كثير كلامه ربح في قفص كالابرة
تكسو الناس وهى عريانه كلمة حكمة من جوف خرب كاد المريب يقول خذونى كنت
سندانا فصرّت مطرقة كل ما فأنك من الدنيا فهو غنية كلما طار قصوا جناحه لو كان
المزاج فلا لم ينتج الاثرا لسان الجاهل مفتاح حقه لكل جديد لذة لوضاعت صفعة
ما وجدت الا فى قفاه لو كان فى اليوم خير ما فات الصياد من اعدة على شرف آياته فقد
عقهم من سعادة المرأة أن يكون خصمه عاقلا وبالله التوفيق

(الفصل الرابع فى الامثال من الشعر المنظوم مرتبة على حروف المعجم)*

(حرف الالف)

ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
إذا جاء موسى وألقى العصا * فقد بطل السحر والساحر
إذا لم يكن فيكن ظل ولا خبا * فأبعد كن الله من شجرات
إذا كنت فى فكرى وقلبي ومقلتي * فأى مكان من مكانك أطف
إذا أراد كريم منع صاحبه * فليس يخفى عليه كيف ينقه
إذا ما أتيت الامر من غير باب * ضللت وان تقصد الى الباب ثم تدى
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
إذا لم يكن عندى نوال هجرتنى * وان كان لى مال فأنت صديقى
الناس فى طلب المعاش وانما * بالجد يرزق منهم من يرزق
أيها السائل عما قد مضى * هل جديد مثل ملبوس خلق
انما أنفسنا عارية * والعوارى حكمها أن تسترد
ان العدو وان أبدى مسالمة * إذا رأى منك يوما غرة وثبا
أتمنى على الزمان محالا * أن ترى مقلتي طلعة حرة
إذا ملك لم يكن ذاهبه * فدعه فدولته ذاهبه

* اذا ثارت خطوب الدهر يوما * عليك فيمكن لها نبت الخزان *
 * اذا كنت لا ترضى بما قدرتي * قد وثق الجبل به فاختنق *
 * ان الامور اذا بدت لزوالها * فعلامة الادبار فيها تظهر *
 * اذا ضاع شيء بين أم و بنتها * فاحداهما لاشك ذلك آخذه *
 * اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا * فلا تلم الصبيان فيه على الرقص *
 * اذا ما أراد الله اهلاك قومه * سميت بجمناحيها الى الجوق تصعد *
 * اذا أنت لم تعرض عن الجهل والحق * أصبت حليما أو أصابك جاهل *
 * اذا لم تستطع أمر افدعه * وجاوزه الى ما تستطيع *
 * اذا صوتت العصفور طار فواده * ولكن حديد الناب عند الثرائد *
 * اهن عامرا تكرم عليه فانما * أخوعا من مسه بهوان *
 * اذا محاسن الثلاثى اتيت بها * عدت ذنوبها فقل لي كيف اعتذر *
 * اخوان صدق ما رأوك بغبطة * فاذا افتقرت فقد هوى بك من هوى *
 * اذا اعتاد النسي خسوس المنايا * فأيسر ما يمر به الودحول *
 * ألم تر أن المرء تدوى بعينه * فيقطعها عمدا ليسلم سائر *
 * اذا أنت لم تعلم طبيبك كل ما * يسوءك أبعدت الدواء عن السقم *
 * اذا أنت جلت الخون أمانة * فإني قد أسندتها شر مسند *
 * أكل خليل هكذا غير منصف * وكل زمان بالكرام بخيل *
 * اذا أنت عبت المرء ثم أنته * فأنت ومن ترزى عليه سواء *
 * أسأت اذا حسنت ظني بكم * والحزم سوء الظن بالناس *
 * الحادثات اذا ألم خطوبها * فلهامسا ومرة ومحاسن *
 * الخير لا يأتيك متصلا * والشر يسبق سبيله مطره *
 * العلم ينهض بالخسيس الى العلا * والجهل يهبط بالنسي المنسوب *
 * الكفر بالنعمة يدعو الى * زوالها والشكر أبقى لها *
 * ابادارهم ما كنت أنت بدارهم * ولا أنا مذسار الركب بهم أنا *
 * اقلب طرفي لا أرى غير صاحب * يميل مع النعماء حيث تميل *
 * اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذلك غرم على غرم *
 * (حرف الباء الموحدة) *

بنا فوق ما تشكوفصبرا لعلنا * نرى فرجا يشفي السقام قريبا
 بالملح تصلح ما نخشى تغيره * فكيت بالملح ان حلت به الغير
 بني عمنا ان العداوة شأنها * صفائن تبقى في نفوس الاقارب
 * (حرف التاء المثناة الفوقية) *

نحن اليه أفندة البرايا * وتهواه الخلائق للسمع
 تلوم على القطيعة من أئانها * وأنت ستنتها للناس قبلي

تلجى الضرورات في الامور الى * سألوك ما لا يليق بالادب
تشرقت الطباء على حراش * وما يدري حراش ما يصيد
تجلى الاذن منه أحسن مما * تجلى العين من وجوه البدور
* (حرف الجيم) *

جن له الدهر فنال الغنى * آملن أغفله الدهر
جرت أهلى وأهليه فارتكت * لى التجارب فى وداهري غرضا
* (حرف الحاء المهملة) *

حيالك من لم تكن ترجو تحيته * لولا الدراهم ما حيالك انسان
* (حرف الخاء المعجمة) *

خفض الجأش واصبرن رويدا * فالرزايا اذا نالت تولت
خليلي ان الحب صعب مراسه * وان عزيز القوم فيه يهان
خاطر بنفسك كى تصيب غنمة * ان الجلوس مع العيال قبيح
خيالك فى عيىنى وذكرى فى فنى * ومثوالى فى قلبى فأين تغيب
خن من أمنت ولا تركن الى أحد * فما نصحتك الا بعد تجربى
* (حرف الدال المهملة) *

داود محمود وأنت مذموم * عجب الذالك وانتم من عود
دعيتى أنهم بالاموال حتى * أعف الاكرميين عن اللثام
* (حرف الذال المعجمة) *

ذوالعقل يشقى فى النعيم بعقله * وأخوال الجهالة فى الشقاء منهم
* (حرف الراء) *

* رب مهزول سمين عرضه * وسمين الجسم مهزول الحسب
ردوا على صماتنا سودتها * فيكم بلاحق ولا استحقاق
رضيت ولا أَرْضى اذا كان مسخطى * من الامر ما فيه رضا صاحب الامر
* رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيرة بكيت عليه
* (حرف الزاي) *

زقيم ليس يعرف من أبوه * بغنى الام ذو حسب لقيم
* (حرف السين المهملة) *

سرورى أن تبقى بخير ونعمة * وانى من الدنيا بذلك قانع
سوء حظى أنا لى منك هجرا * فعلى الخط لا عليك العتاب
سبكناه ونحسبه لجينا * فأبدى الكبر عن خبت الحديد
ستذكرنى اذا جرت غبرى * وتعلم اننى نعم الصديق
* (حرف الشين المعجمة) *

شفيعى اليك الله لا بد غيرة * وليس الى رد الشفيع سبيل

شكرتك قبل الخير ان كنت واثقا * بأنى بعد الخير لا شك شاكر
(حرف الصاد المهملة)

صحح لنا والده أولا * وأنت في حل من والده

(حرف الضاد المعجمة)

ضاقت ولولم تضق لما انفرجت * والعسر مفتاح كل عسر

(حرف الطاء المهملة)

طويل عمر المعالي والندى أبدا * قصير عمر الأعداء والمواعيد

طوبى لأعين قوم أنت بينهم * القوم في نزهة من وجهك الحسن

(حرف الظاء المشالة)

ظهرت خيانات النقات وغيرهم * حتى اتهم منار رؤية الأبصار

ظلمت امرأ كافتته غير خلقه * وهل كانت الأخلاق الاغرائزا

(حرف العين المهملة)

علم الله كيف أنت فأعطا * لك المحل الجليل من سلطانه

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

عسى فرج يأتي به الله انه * له كل يوم في خلقته امر

عتبت على عمرو فلما تركته * وجرت أقدامها بكيت على عمرو

(حرف الغين المعجمة)

غنى بلادين عن الخلق كلهن * وان الغنى الا عن الشيء لا به

غلام أتاه اللوم من شطر نفسه * ولم يأت منه من شطر أم ولا أب

(حرف الفاء)

فلم أركا لايام للمرء واعظا * ولا كصروف الدهر للمرء هاديا

فنفست أكرمها فانك ان تهين * عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

فصبر جميل ان في البأس راحة * اذا الغيث لم يطر بلادك ما طره

فما أكثر الاصحاب حين نعتهم * ولكنهم في النسيبات قليل

فان كانت الاجسام منابعدت * فان المدى بين القلوب قريب

فلو كان جدا يخلد المرء لم يمت * ولكن حمد المرء غير مخلد

فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بهض دم الغزال

(حرف القاف)

قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه

قد زال ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط في البحر وترتفع

قد يدرك المتأني نبح حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزل

قد يدرك الشرف الفقى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

(حرف الكاف)

كأول اليوم من رزق الاله وأبشروا * فان على الخلاق رزقكم غدا
 * كفى زاجر للمرء أيام دهره * تروح له بالواغظات وتغمدى
 * كنت من كربى افترا اليهم * فهم كربى فأين الفرار *
 * كانوا بنى أم ففرق شملهم * عدم العقول وخفة الاحلام
 * كل المصائب قد غتر على النقى * فتمون غير شماتة الاعداء
 * كأنك من كل النفوس مركب * فأنت الى كل الانام حبيب
 * كالكلاب ان جاع لم يذعنك بصبصة * وان يبل شبعاً ينبج من الاشر

(حرف اللام)

لعمرك ما يدري النقى كيف يتقى * اذا هو لم يجعـل له الله واقيا
 لعمري ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق
 للموت فيناسهم وهي صائبة * من فاته اليوم سهم لم يفقه غدا
 * لو أن خفة عقله في رجله * سبق الغزال ولم يفقه الارنب
 لو كان ما بى في صخر لا تحمله * فكيف يحمله خلق من الطين
 لعمرك ما الايام الامعارة * فما سطعت من معروفها فتزود
 لكل امرئ حالان بؤس ونعمة * وأعطفهم في النسابات أقاربه

(حرف الميم)

من يحمد الناس يحمده * والناس من عابهم يعاب *
 * من لم يعدنا اذا مرضنا * ان مات لم نشهد الجنازة *
 متى يبلغ البنيان يوم اتمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
 من كان فوق محل الشمس رتبته * فليس يرفعه شئ ولا يضع *
 من الناس من يغشى الابعاد نفعه * ويشقى به حتى الممات أقاربه
 ما كان في الخدع من أمركم * فانه في المسجد الجامع
 * ما قام عمرو في الولا * به قائما حتى قعد *

(حرف النون)

تسود أعلاها وتأبى اصولها * وليس الى رد الشباب سبيل
 * نحن بنو الموتى فما بالنا * نعاف ما لا بد من شربه
 ندمت نداسة الكسبي لما * رأت عيناه ما صنعت يداه

(حرف الهاء)

هناكم الله بالدينا ومتممكم * بما نحب لكم منها ونرضاه *
 هل بالحوادث والايام من عجب * أم هل الى رد ما قد فات من طلب
 هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصيرنا الى الزوال
 * هنيئاً لمن لا ذاق للدهر لوعة * ولم تأخذ الايام منه نصيبا
 هم يحسدوني على مروتى الحزنى * حتى على الموت لا أخلو من الحسد

(حرف الواو)

ولم ار كالمعروف أمام مذاقه * فخلو وأما وجهه فجميل *
 وإذا خشيت من الأمور مقدرا * وهربت منه فنجوه فتوجه *
 والرزق يخطئ باب عاقل قومه * ويبت بوابا يباب الاحق *
 ولا يغررك طول الحلم منى * فما ابد ان تصادفني حلما *
 ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على ثابتات الدهر حين تنوب *
 وإذا اتتكم مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي باني كامل *
 وما للمرء خير في حياة * اذا ما عذمت من سقط المتاع *
 وما المرء الا كالهلل وضوئه * يوافي تمام الشهر ثم يغيب *
 وقد تسلب الايام حالات اهلها * وتعدو على اسد الرجال الثعالب *
 ومن يأمن الدهر الخوون فاني * برأى الذي لا يأمن الدهر اقتدى *
 وإذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال *
 ومن يكن الغراب له دليلا * يمر به على جيف الكلاب *
 ومن يك مثلي ذاعبال ومقترا * من الراد يطرح نفسه أي مطرح *
 ولربما منع الكريم وما به * بخيل ولكن سوء حظ الطالب *
 ولا بات يسقينا سوى الماء وحده * وهذا جزا من بات ضيف الضفادع *
 ومن عاش في الدنيا فلا بد أن يرى * من العيش ما يصفو وما يتكدر *
 ولو دامت الدولات دامت لغربنا * رعايا ولا تكن ماله من دوام *
 وأحسن فان المرء لا بد ميت * وانك مجزى بما كنت ساعيا *
 ولا ترين الناس الا نجمة لا * وان كنت صفر الكف والبطن طاويا *
 وما لأمري طول الخلد وانما * يخلده طول الشقاء فيخلد *
 ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج *
 وكان رجائي أن أعود ممتعا * فصار رجائي أن أعود مسلما *
 وتجلدى للشامتين اريهم * أنى لرب الدهر لا تضعضع *
 ولا بد من شكوى الى ذى مرواة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع *
 وهون حزني عن خليلي أنى * اذا شئت لاقيت الذي مات صاحبه *
 * ويوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر *

(حرف اللام ألف)

لا تنظرن الى الجهالة والخبى * وانظرن الى الاقبال والادبار *
 لا تسأل المرء عن خلائقه * في وجهه شاهد من الخبر *
 لا يصبر الحر تحت ضيم * وانما يصبر الجار *
 * لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم *
 * لا يبالي الشتم عرض * كله شتم وذم *

لا تنظرون الى امرئ ما وصله * وانظروا الى أفعاله ثم احكم
لا يسكن المرء في ارض يهان بها * الا من العجز أو من قللة الحيل
لا يقبلون الشكر ما لم ينعموا * نعم ما يكون لها الثناء تبسعا
لا أسأل الناس عما في ضمائرهم * ما في ضميري لهم من ذلك يكفيني
* (حرف الباء المثناة التحتية) *

* يفتر من المنية كل حي * ولا ينجي من القدر الخدار *
يريك الرضا والغل حشوجنونه * وقد تنطق العينان والغم ساكت
* بهمهم للشعير اذا رآه * ويعبس ان رأى وجه اللجام *
* يفارقني من لا أطيق فراقه * ويصحبني في الناس من لا أريده *
* يزيد تفضلا وأزيد شكرا * وذلك دأبه أبدا ودأبى *
يراسي الغراب الذئب في كل صيده * وما صادت الغربان في سعف النخل
* بهمون علينا أن تصاب جسومنا * ونسلم أعراض لنا وعقول *
* يفتر التقي من اليبالي سليمة * وهن به عما قليل غوائر *
* يغطيني وهو على رسله * والمرء في غيظ سواء حليم *
* يرينك البشاشة عند اللقاء * ويبريك في السر تبرى القلم *
(الفصل الخامس في الامثال السائرة بين الرجال والنساء مرتبة على حروف المعجم)

* (حرف الالف) *

ان كنت ما تعمل جميل اعمل كما يعمل معك * اذا بغضك جارك حول باب دارك * اذا كان
صاحبك عدل لا تلجسه كاه * المستعجل والبطي عند المعذبة يلتقي * ألف ذقن ولا سلام
عليكم * ألف ذقن ولا ذقني * اذا غاب عنك اصله كانت دلائل نسبته فعلة * اذا وصلت وسلم
اللهبع بما قسم الله * اذا كنت أعشى واطروش شم رائحة النقوش * اذا كان النبيذ
دردي والعشيق كودي والنقل قول حار والعشاء يسار ايش يكون الحال * اذا كان
القطن احمر * والمغسل اعور * والدكه مخلعه * والنهش مكسر * اعلم أن الميت من اهل سقر
والوادي الاحمر * ايش يتقع الضراط عند طلوع الروح * قال تقريف للحاضرين وتقرير
للملائكة * الفشر والنشر والعشاء خبيزه * اكل الدقه والنوم في الازقه ولا دجاجة محجرة
بعقبها مشقه * ايش انت في الحارة يا منخل بلاطاره * الرجم بالطوب ولا الهروب *
اذا وقعت يا فصيح لا تصيح * أقرع يقول لا قرع امشي بنا زرع في بركة القرعان ايش
ما طلع يطلع النصف لي والربع لي والثلث لي والثلث الاخر لي * العدو ما يبق حبيب
حتى يصير الحمار طيب اعد يا حمار حتى يبت لك الشعير * أي موضع راح الخزين يلقى
جنازة * قال الشاعر

* ان دام هذا السير يا مسعود * لا جعل يسقي ولا قعود

غيره

اذا لم تكن لي والزمان شرم برم * فلا خير فيك والزمان ترلى

غيره

إذا أقبلت كادت تقاد بشجرة * وإن أدبرت كادت تقذ السلاسل

(حرف الباء الموحدة)

بينما يترقى البجيل قضى الكريم حاجته * بينما يسعد المعترف فرغ عمره * بينما أصل قبره
نسبت همه * بينما يعدل المعتر حاله جال الموت شاله * بينما يخص ربنا حتى اتفرقت
جوزة حلقى * بينما يقطع الجريد * يفعل الله ما يريد * بينما يحيى الدرياق من العراق يكون
المسوع مات * بين حانه وبانه حلت لحانه * بدوى مقروح لقي الترمطروح ابن مخلى وروح
* بدال الحنك وقلقاسك هات لك شدة على راسك * بدال اللحم والباذنجان هات لك
قيص يا عريان * بدال الحنك الثلاثة هات لك شديا شماته * بنى للكاب سرج وعاشيه
وعلمان وحاشيه * بقى للخرامر او يحلف بالطلاق * بعد الجوع والقهله بقى لك حمار وبغله
(حرف التاء المثناة فوق)

تموت الحدادى وعينها فى الصيد * تعالوا بنا نقتج ونرجع غدا نصلح * تدحرج الخرا لعند
البحر قال له ايش انت قال له بزم قردش * ترك الفضول من حزم العقول * تراب العمل
ولا زعفران البطالة * تسكرو وتخانق ما هو شئ موافق * تجارة الاحق على أهل بيته
* تضارب الريح مع الموج جالهم على النواتيه * تراوروا ولا تجاوروا * تبات نار تصبح
رماد لها رب يدبرها

(حرف الشاء المثناة)

ثوب العبرة ما يدفى * ثقل واسمه صخر بن جبل * ثور علقوه اغمى عليه قال حتى يطلع شئ
يرشوه عليه * ثور عاجز ما يدق رساقيه * ثقل من اولاد الزنا مر العنا * ثوب عليه ونوب
على الوتد قال انا اليوم احسن من كل من فى البلد

(حرف الجيم)

جور القبط ولا عدل الفار * جل موضع جل يبرك * جهد المقل دموعه * جل بحبه قال
واين المحبه * جيت اصطاد صادونى * جاره حق وجار ماله حق وجار لا صعبته عافيه * جارك
مرآك ان لم ينظر وجهك نظر قنالك * جا كتاب من عند خاله قال كل من هو فى حاله *
جا كتاب من عنده قال كل من هو لهى بهمه * جا زابغوا خيل الباشا سدت ام قويق
رجلها * جوزوها له ماله الا له * جوزوا مشكاح لرعيه ما على الاثنين قيمه

(حرف الحاء المهملة)

حاجة لانهم من وصى عليهم ازوج أمك * حول حبيبي ماعونه * وقدرته مع كائونه * حمار
حنكوه بالتوت على باب الغيط يموت * حطينا القلوع وارسينا واصبحنا على ما أمسينا *
حب ووارى واكره ودارى * حدتنى ونصحتنى عايرتنى وفرحتنى * حط فليساك فى كلك
واشترى ابوك وامك * حبة قرض تخرى أرض

(حرف الخاء المعجمة)

خدينى وارغبى فيه انا حصاد ملوخي وعند الخبز اكلميه وعند الشغل مالى فيه

* خذت لي وصلت لك * خذذا الصبي فوق صبيانك * تمام لاحتراك * خزينة في جره
وملحه في صره * خبزه بلا ادم ويعزم على الجيران

(حرف الدال المهملة)

دارا تظالم خراب ولو بعد حين * درهم لك ودرهم عليك لالك ولا عليك * دواء ما لا تشتهي
النفوس تهجىل الفراق

(حرف الذا الموحمة)

ذا درب ما يستريح * ذى ما هي رمانه الا قلوب ملانه * ذالى وذا ايدى عليه * ذى ما يده
ما يقعد عليها طفلى * ذا الله بزمها ومن ذا العجين * الولد خرا من طرفه كل من
شال رجله حكا نقه * ذكر واما مصر القاهره قامت باب اللوق بحشايشها * ذكر واما المدن
جاءت القرى تهجىل

(حرف الراء المهملة)

راح ذاك الزمان بناسه وجاهذا الزمان بناسه وكل من تكلم بالحق كسر وارا سه * رأوا حجار
راكب حيط قالوا الى أين يا حجار قال مسافر قالوا من كانت هذه المطية مطيته لا يشترق
ولا يغرب * رأوا سكران يقرأ قالوا غن تشاك كل روحك * رأوا شيخا يتعجبى قالوا يا شيخ
على الصراط * رأوا وردانه على سنداس قالوا ما الذى الفستيقه الاذى البلطيه * رأوا على
قبر مكتوب يا سعادة ساكنه قالوا ابصر من يراجه * راكب بلاش ويناعش مرارة الرئيس
* ركبك وراى حطيت يدك فى الخرج * راح البهذى * وخلي خلقه عندي * رزق
الكلاب على الجمانين راسين فى عمامه ما يكون * راحت على جبل وجات على قطه قال ما الذى
السبله الاذى الخطه قال الشاعر

راح الذى كان عيب * شرفه بين الورى

وبقى الذين حياتهم * ووجودهم مثل الخرا

(حرف الزاى الموحمة)

زقزوق على بركه يضحك وهو ضحكه * زاوية بلا عيش بنيت ايش * زوج القصيره يحسبها صغيره
* زوجت بنتى اقعد فى دراها جاتنى وأربعة وراها قال الشاعر

زوجت بنتى تنستر * ويمتلى بنتى قماش

جاغز لها فى اكلها * وينكها اطلع بلاش

زنبور زن على حجر مسن قال له ايش تريد. قال الحسك قال انا الحس البولاد * زنبور زن على فلس
بحش قال له ايش تطلب قال له عسل قال له قصدت معدن يادندن

(حرف السين المهملة)

سل المجرب ولا تنس الطيب * سمول مسحر قال فرغ رمضان * سمول حبل قال وطولت * سمول
راجح قال ان شاء الله تجي الحق سبع وزر ولا استتر قال الشاعر

سيفنى الله عن بقر اطن * وبأنى الله بالبن الحليب

وقال آخر

سيعنى الله عن زيد وعمرو * ويأتى الله بالذرج القرب

(حرف الشين المعجمة)

شربه ووضع وبغضب سريع * شئ ما نابه وتقطعت ثيابه * شعري يخلق وشعر ما يخلق *
شرب السموم القتالة ولا الحاجة الى السفل * شئى ولا تدعكنى * شئ ما يجي على القلب
عنايته صعبه * شرا العبد ولا تربيته * شئت بخله عامت زبله * ركبت خنفسه زمر
زبور قال ماذا الجوق الجليل الالمقطعات النيل

(حرف الصاد المهملة)

صام سنه وفطر على بصله * صبرى على الحبيب ولا فقدته * صاحب بضر عدومين *
صباح الفوال ولا صباح العطار * صباحك يا أعور قال ذى خناقه بايته * صباح الخير
يا جارى انت فى دارك وانا فى دارى

(حرف الضاد المعجمة)

ضرب الحبيب ككأ كل الزيب * ضربتين فى الراس تعمى * ضرب وبكى وسبق يشتكى
* شربة على كيس غيرى كأنها فى عدل حنا * ذمنا واحدا به لغراب قال الكل يطبروا * ضربوا
بياع الكسبره خرى يباع التوم قال ذى داهيه جات على الخضرية

(حرف الطاء المهملة)

طارت الطيور بأرزاقها * طفيلي ويجلس فى الصدر * طفيلي ويقترح * طويل الكم خطار
قليل الفرح فى الدار * طبق وجاريه على صحن بساريه * طبلوا جاككم عثمان يد من ورا
ويد من قدام * طعمك ما جاني ودخا لك اعمانى * طار طيرك وأخذ غيرك * طول ما أعيش
يكفينى رعى الحشيش * طول الغيبه وجانا بالحبه

(حرف الظاء المعجمة)

ظهورك عندي نصف الليل

(حرف العين المهملة)

عنفود مدلى فى الهوا من لا يصل اليه يقول حامض ولا استوى عشق بداله لا اباله *
عاشق ما يسمع بكاء صغير * عاشق ما يسمع كلام مفارق * عاشق مقل شئ ما زرع ايش جا يستغل
* عزومه حسبت عليك كل وبجناق عينيك * عند الخماضه بيان القليلط * عند الطعان
بيان الفارس من الجبان * عريان التينه وفى حرامه سكينه * عريان وفى كه ميزان

(حرف الغين المعجمة)

غابت السباع واعبت الضباع * غربه وكر به ما يحمل الحال * غطاس وقلقاس نحسين
فى قدره * غالى السوق ولا رخيص البيت

(حرف الفاء)

فرجه بلا كسر تعمى البصر * فقير ونفير وكلامه كثير ويقول ها نواعشا ن يخنق *
فوق الشراطه ملح اودانه * فارس خراو بسوق فى الوحل * فارس خرا واسمه عنتر * فارس
خراو بسابق الخيل * فرد ضربه فى الراس تنسى * فصدوا قرد خسر طقالوا بدم زايد *

فرغت الرعانة يا جانم

(حرف القاف)*

قالوا للاعمى زوق عصاتك قال هو اما يحب فيها * قالوا للحمارة اجتر قال مضغ المحال ما ينطلي
قالوا للقرشب قال اياي ملاح وتسد الماصول * قالوا للقرد اطلب من ربك قال هو
انا عنده بوجه بسيط * قالوا للجمل زمر قال لا شنف ملومه ولا اياي مفروده قالوا للذئب
طرزى قالت ذى خفة اياي * قالوا للكلاب احزنوا قالوا ما جرت به ذاعاده * قالوا
للغراب مالك تسرق الصانين قال الاذى طبعي * قالوا للبقرة الديوان اذامتم بكفوكم في حرير
قالوا لاسنينة انروح بجلودنا * قالوا للغزاله ارحلى حركت ذنبها * قالوا للعرب ارحلوا
جلوا المناسف

(حرف الكاف)*

كل من هو دته باكل كذا انظر كذا جاع * كشكار دائم ولا علامة مقطوعه * كل كره واشرب
كره ولا تعاشر كره * كل هم كاوى عندهمى ياوى * كل شئ لا يشبهه فانيه حرام * كل
مائة عصفور ما يجوا احدايه * كل ألف مصه ما يوايفه * كل ألف بوسه ما يجوا بعبوسه *
كلت يا لحمان بالشعره والسنان * كل حببي كل المعاني * اعرج وقيليط ومعجبانى * كل
حببي واكل اعرج وقيليط واحول * وفيه عاده اخرى لمن يواصل يخرا * كانه خان للفجر
لا يوحشه من غاب ولا يوانسه من حضر * كانه من طواحين الكشكار دابر على رجل الفار
* كانه عصفور ينك بلاش وياوى فى الاعشاش

(حرف اللام)*

* لولاك يا كى ما اكلت يا فنى * لولاك يا لسانى ما انسكت يا قفاى * لولا الغيرة والحسد كانت
عجوزه كفت بلاد * لولا اختك ما صرت ابن عمك * لوقليناها بلبه ما جات هكذا * لو كان فيها
خير ما رماها طير * لك وعليك ما يصعب عليك * لك اسوة بغيرك * اقمه بدقه ولا خروف
برقه * اقمه تحت حيطه ولا خروف بعيطه * لوسلم الكرم من حارسه طابت مغارسه *
لو تقطع يده وتدلها من فيه صناعه ما يخلها * لو عمل لى من الذهب ولبه هو عتدى بتلك
العين القديعه * لو شال راسه الى السما كانه عصيده بها * لو نظر الجمل لصنمه كان كدمه *
لولا الكشط والبرايه ما كانت اولاد النحرا كتاب *

(حرف الميم)*

محبه بلا حبه ما تساوى حبه * ما شلتك يا دمعتى الا لشدتى * من عاشر غير جنسه دق الهم
صدره * من قدم النحر تعب فى تأخيره * من عاشر الحداد احترق بناره * من عاشر الزبدانى
فاحت عليه روايحه * من ركب فى غير سرجه وغرزه دخل الهوا اسنمه وهزه من لا يحط
يده لزنده ما يعرف حظه من برده * ما رأيتك يا نور حتى ابيضت العيون * ما لى على فراقكم
جلد الا هجاجى من البلد * ما كفناهم ابونا قام ابونا جاب أبوه قال خذوا جدكم ربوه * من
عدم نابه ونصابه وشبابه كان الموت أولى به * من يكلم القبح يروح عرضه وينفضح
* ما تنقدوهم كلهم زغليه ما فيهم من يعجب النقاد

(حرف)

(حرف النون)

نوابه تسند البحر قال وتسند الزير الكبير * نفسك اتلفت أي شئ اخلفت * نصف البلا
ولا البلا كله * ناقص ونحاس * ناموسه باتت على شجرة أصبحت تقول خاطرك قالت لها
وأنت كنت على أي ورقه * نيتك مطيتك * نسيت يا فلاح ما كنت فيه كعبك المشفق
والوحد فيه نيك حتى تبقى ديك

(حرف الهاء)

هانت الزلايه حتى أكلها بنو وائل * هان المسك وانتثر * هدية تعرقومها تخلبها ولا لومها
هدية الاحباب على ورق السداب قال هو أمهي عن ورق الموز * هو عرس تا كل وتنسل اهدوا
هدية وأعينهم فيها يقولوا الله يردها * هاتوا ذا الغزل الخيل لذا القلب المدبل

(حرف الواو)

واحد تنفه وآخر لقفه وقال آخر يا قريب الفرج * واحد يخطبوا الدوه وقائم عليه قال أنا
في حاجتك * واحد جائز رأي قردي جرش ترمس قال مالذي القاكه البدرية الاذي الصورة
القمرية * واحد سموه عنبر وصنعتة سرباتي قال الذي كسبه في الاسم خسره في الصنعه *
وحش ويكش ويقعد في الوش ويغني بياضكم * وقت أكل الدجاج ما يفتكروني وفي وقت
شيل التراب هات يدك * وايش قام على تومه بفصل الحكومه * وقت الشوا والبخني
ما قلت يا أنخي الحقني * ورقه ضرب الدرر قلت اصفعوا واصفعني

(حرف اللام الف)

لا تعبرني ولا أعيرك الدهر حيرني وحيرك * لأصل شريف ولا وجه ظريف * لأخولك ولا ابن
عمك تشق ثوبك على ايش * لاعاش يليق لاحراس ولا دراس * لاعاش العار ولا بني له
دار * لاربح ثوابه ولا خلاه لاصحابه * لافي القراق فجد راحه ولا في الوصل * لا تشكرن فتى
حتى تجزبه * لا تفرح لمن يروح حتى تنظر من يجي * لا يضرب السحاب نبح الكلاب * لا يغرك
تظريني الاصل في ريني

(حرف الباء)

يا شب مليح ما أحسن وصفك لافي يدك ولا في طرفك * يا ويل من ذاق الغنى بعد جوعه * يعوت
وفي قلبه من الهم واجس * يطارق الباب بعد العشى لا تطرق الباب ما تم شئ * يا من ملنا
ما كان حلنا لساما لما في العشره سنه * يهنيكم قدومه قد جاكم بشومه باليتنا انكسرنا
ولا بك اتصرنا * يا ويل من كان عشيه من بيت خيه ياطالب الشر بلا أصل تعال للصائم بعد
العصر

(أمثال النساء حرف الالف)

أحبك يا سوارى مثل معصمى * الذي في قلب أم حنين يحلم به في الليل * ان كنتي حرة لا تضيعي
نقابك بره * ان لم تعمل وتفتخرى والا قعدى وانعقرى * ان كانت الدايه أحسن من الوالد
قال ذي داهيه عباره * الكلام لك يا جاره الا انق جاره * ايش تعمل الماشطه في الوجهه
المشوم * ايش قام على الحزينه بالنقش والزينه * ايش ينقع النفخ في الوجه الاصم * ارمه

عدس ومتزوج عدس اقم - دي به - دسكى * اسم الزوج ولاطم الترميل * العاقله فينا ترني
يقطينا * اذا كان زوجي راضى ايش فضول القاضى * استعارت الرعنه شئ حسبته لها
اخذت المقص ودارته لها * اقمدي في عشك حتى ينجي حدي نيك
*(حرف الباء الموحدة) *

بعدان ككني لي وحدى بقيت اسمع اخبارك * بعدسنه وشهرين جابت بنت بشفرين
* بعدان كان زوجها ببق طباح في عرسها * بعدمشيك في الحلقه ببق لك سلام وغرفه
واسمك ستيته * بعدامى وأختي الكل جيرانى * بينما تنقب الحوله انصرف القاضى * بنت
الخراترف لابن الخرابد فبات ناموسه على جيزه قالت صبحك الله بالخير قال مين درى بك
قبله * بدال ماتمنى وتهنى كنهك وقعى فردة خفك * بخر او تراحم بالبوس * بى لام سيسى
برقع والضفدعة زماره * بعدمشيك في الحلافى لبسى الصافى * بعد على الحزينه تستعمل
الزينه

*(حرف التاء) *

تابت القعبه يوم وليله قالت ما بقى في البلد حكام * تضاربت المجنونه والحقا حسبها الرعنه
من حقا * تضارب وتعرى وتصيح يا قله رجالى * تأخذوا أبونا وتكايروننا ترتاناه ويساناه
ومفاتيح الخزانه * تباغت الرعنه بشعر بنت اختها تخلونى والا استحل بجارنا قالت اذا كان
ذافى قلبك خذيه بلا استحلال * تنغمى بالخرج ولا تخلى الفج * تقعد عيوشه في ديارتها
ملاحد حاجه في زيارتها

*(حرف الناء) *

نوب سیدی نوب حبیبي * نوب ستي نوب خبه

*(حرف الجيم) *

جاره بجاره والعداوه خساره * جاني عذولي ورنالي ماهي محبه الاثمانه لي * جاريه وزبديه
على باذنجان مقلبه * جاتنا العدو مكحل قطران لاغيره وقلها فرحان * جاب ثيابه يغسلهم
بلا صابونه معهم

*(حرف الحاء المهملة) *

حوله وتنقب بنخ * حزاننا ما عندهم دقيق اشتروا لهم منخل رقيق * حزاننا ما عندهم خبز
اشتروا لهم بعشره ملوخيه * حزينه وواعبه * حبله ومرضعه وعلى كتفها اربعة وطلعت
الجبل تجيب دوا للجبل * حوله ونصرانيه لا مليحه ولا اصل طيب * حزينه مالها عملوك
سمت زنبورها خوشكدهم * حزينه مالها ملكا كترت لها ابواب * حزينه مالها كامله
طلبت لها خف وشعريه

*(حرف الخاء المعجمة) *

خطبوها تعزرت وكان زمان البوار * خلت زوجها مكروب وراحت تشوف المصابوب *
خنى قطيفه واكنى سرى قالت ما يطاوعنى قلبي * خلت ما يعنيهها واتبع حاك رجلها
*(حرف الدال المهملة) *

دری زو جگ یکتبتک نمی نهارد مع لبتک * دق من أسفل ولا تطلع ما انت على القلب
(حرف الذال المهملة)

ذکرت العجوز اطلالها

(حرف الراء)

رقصتی ما احسنتی کان قعادلا اجل * رعنا یضکوا بها وهی تفعلک تساعدهم * رأوا جاموسه
منقبه بحمصیر قالوا مالذا الشكل الوضیع الاذالقه ماش الرفیع * راحت تبیع ربعه
غابت جمعه * راحت رجال الهیبه وبعیت رجال الخیبه * راحت رجال اللحم والقاقاس
وبعیت رجال الخبز بالقفساس * رأوا خنفسه على مکده قالوا مالذی الصیفه الاذالجار
الازعر

(حرف الزای)

زمر بالرمیمیرة تبان لك العاقله من المجینینه * زوبجی ما حکم على قام لی عشیق بشمه * زوجوا
بنت نشادری لسرباتی قالوا قلبلات الخرات تدحرج لبعضها

(حرف السين المهملة)

سوداوتنقش بسباخ * سودا منقبه قفل على خزانه * سألوها عن أیها قالت جدی شعيب

(حرف الشین المهملة)

شدی قرطاسک من عند موسه قالوا داشی ما فرحتی به وانی عروسه * شامته ومعزبه

(حرف الصاد المهملة)

صارت القعبه واعظه * صارت القویقه شاعره

(حرف الضاد المهملة)

ضعلک ابن سنه غمی على امه قالت ما اخفدمه

(حرف الطاء المهملة)

طلعت ترحم نزلت تتوحم

(حرف الظاء المهملة)

ظریفه وعصفه ولها نقص شریفه

(حرف العين المهملة)

عیا تخفف مجنونه وتقول حواجک سود مقرونه * عاقله وجابت طفله وجاتها خطار واشتروا

لها قلاس ذکر وحطب اخضر فی نهارد مطر وقالوا لها الطیعی على قدر لمحبه تقع الصلحه *

عجوزه وجابت غلام اذا جنت لا تلام * عجوزه وخرقانه دی داهیه کاته

(حرف الفین المهملة)

عبرک يقوم مقامک علیش قلبی أعذبه

(حرف القاء)

فرحت حزینه خربت مدینه

(حرف القاف)

قالوا للمغاني اترقوا قلوبوا عصايهم * فقبه ما كنت بيتها كنت المسجد * قالوا دى فقبه
تطلب الثواب

(حرف الكاف)

كل من تبع هواها صارت سراويلها رداها * كبرت يابرقوقه وبقى لك دوقه * كانوا
مغاني صاروا ملاهي لاراحت ولاجات كاهي * كلى قلبه وبقى هنيه * كانوا من البساطيه
فماش على جريده * كانوا حزمه بخل أصفر وعرقها أخضر * كانوا من عمام اليهود صفرا
طويله رقيه * كانوا من بيت الوالى ما يتحدث فيها سوى الحاشيه * كانوا مضجبه جهدي
مخلوعه ولا تاخذنى

(حرف اللام)

لو كان ما ينقش الا السمان يارت المواشط من زمان * للساعة ما حبلت جابت المرسين *
* لولا المعاري ما كانت الحرار

(حرف الميم)

ماشطه وتمشط بنها * من اقتكرنا يا سميننا مانسينا

(حرف النون)

نوايه تسند الجره قال وتسند الزبر الكبير

(حرف الهاء)

هش يادبانه أنا حبل من مولانا

(حرف الواو)

وجه لا يرى بالذهب يشتري

(حرف اللام الف)

لانا مليمه ولا تنفى بايش تدلى

(حرف الياء)

يعيش المدال بلامكل * باغزاة الاقار اين كنتى بالنهار * ياما تحت النقاب والشعريه من كل
بليه * يامن ملنا ما كان حلتنا * للساعة ما لنا فى العشره سنه

(الباب السابع فى البيان والبلاغة والقصاحه وذكر القصصاء من الرجال والنساء وفيه فصول)

(الفصل الاول فى البيان والبلاغة) اما البيان فقد قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق
الانسان علمه البيان وقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال ابن المعتز البيان
ترجمان القلوب وصيقل العقول * وأما حده فقد قال الجاحظ البيان اسم جامع لكل
ما كشف لك عن المعنى * وأما البلاغة فانها من حيث اللغة هي أن يقال بلغت المكان اذا
اشرفت عليه وان لم تدخله قال الله تعالى فاذا بلغت اجهلن فامسكوهن بعروف وقال
بعض المفسرين فى قوله تعالى أم لكم ايمان علينا بالغة أى وثيقه كانوا قد بلغت النهايه وقال
البونانى البلاغة وضوح الدلالة وانتهاء الفرصه وحسن الاشارة وقال الهندي البلاغة
تصحيح الاقسام واختيار الكلام وقال الكندي يجب للبليغ أن يكون قليل اللفظ

كثير المعاني * وقيل ان معاوية سأل عمرو بن العاص من أبلغ الناس فقال أقلهم لفظا
وأسهلهم معنى واحسنهم بديهة ولولم يكن في ذلك الفخر الكامل لما خص به سيد العرب والعجم
صلى الله عليه وسلم واقتضيه حيث يقول نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وذلك انه كان
عليه الصلاة والسلام يتلفظ باللفظ اليسير الدال على المعاني الكثيرة * وقيل ثلاثة تدل على
عقول أصحابها الرسول على عقل المرسل والهدية على عقل المهدي والكتاب على عقل
الكاتب * وقال أبو عبد الله وزير المهدي البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة *
وقال الجعفي خير الكلام ما قل ودل ولم يقل * وقالوا البلاغة مبدان لا يقطع
الابواب الاذهان ولا يملك الا بصائر اليمان قال الشاعر

لك البلاغة مبدان نشأت به * وهككتنا بقصور عنك نعرف

مهدي العذر في نظم بعثت به * من عنده الدر لا يهدي له الصدف

(وروي) أن ليلى الاخيلية مدحت الجحاج فقال يا غلام اذهب الى فلان فقل له يقطع لسانها
قال فطلب حجابا ففعلت ذلك ثم اتمت امره أن تقطع لسانه بالصلاة فلولوا تبصرها بأفهام
الكلام ومذاهب العرب والتوسعة في اللفظ ومعاني الخطاب لم عليها جهل هذا الرجل * وقال
الثعالبي البليغ من يحول الكلام على حسب الامالي ويخيط الالفاظ على قدر المعاني
والكلام البليغ ما كان لفظه فخلا ومعناه بكرة * وقال الامام فخر الدين الرازي رجة الله تعالى
عليه في حد البلاغة انها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن اليجاز المخل
والتطويل الممل ولهذه الاصول شعب وفصول لا يحتمل كشفها هذا المجموع ويحصل الغرض
بهذا القدر وبالله التوفيق الى أقوم طريق

(الفصل الثاني في الفصاحة) قال الامام فخر الدين الرازي رجة الله تعالى عليه اعلم أن
الفصاحة خلوص الكلام من التعميد وأصلها من قولهم أفصح اللبن اذا أخذت عنه الرغوة
وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملون ما استعمله مال الشينين
الترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهم ما ويرغم بعضهم أن البلاغة في المعاني
والفصاحة في الالفاظ ويستدل بقولهم معنى بليغ ولفظ فصيح * وقال يحيى بن خالد ما رأيت
رجلا قط الاهته حتى يتكلم فان كان فصيحاً عظم في صدرى وان قصر سقط من عيني * وقد
اختلف الناس في الفصاحة فمنهم من قال انها راجعة الى الالفاظ دون المعاني ومنهم من قال
انها لا تخص الالفاظ وحدها واحتج من خص الفصاحة بالالفاظ بان قال نرى الناس يقولون
هذا لفظ فصيح وهذه الالفاظ فصيحة ولا نرى قائل يقول هذا معنى فصيح فدل على أن الفصاحة
من صفات الالفاظ دون المعاني وان قلنا انها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى
بالفصيح وذلك غير مألوف في كلام الناس والذي أراه في ذلك أن الفصيح هو اللفظ الحسن
المألوف في الاستعمال بشرط أن يكون معناه المقهور منه صحيحاً حسناً * ومن المستحسن
في الالفاظ تباعد مخارج الحروف فاذا كانت بعيدة الخارج جاءت الحروف متمكنة
في مواضعها غير قلقة ولا مكدودة والمعيب من ذلك كقول القائل

لو كنت كنت كنت الحب كنت كما * كما وكنت ولكن ذاك لم يكن

وكقول بعضهم أيضا

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه * ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وكقول الآخر

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

قيل ان هذا البيت لا يمكن انشاده في الغالب عشر مرات متوالية الا ويغلط المتشدد فيه لان
القرب في الخارج يحدث ثقلا في النطق به وقيل من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون
بالوقار وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه السلام على مصر وملك فمام
الامور وأطلعه ملكها على الخفي من أمره والمستور قال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فواده * ولم يبق الا صورة اللحم والدم

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم من عمه العباس كلاما فصحا فقال بارك الله لك يا عم في جالك أي
فصاحتك * وعرضت على المتوكل جارية شاعرة فقال أبو العباس يستحيزها أجد الله كثيرا *
فقلت * حيث أنشأه ضريرا * فقال يا أمير المؤمنين قد أحسنت في أساءتها فاستترها *
وقال فيلسوف كما أن الآنية تمهّن باطنها فيعرف صحبها من مكسورها فكذلك الانسان
يعرف حاله من منطته * وقال المبرد قلت للمجنون أبحر في هذا البيت

أرى اليوم يوما قد تكاثف غيمه * وأبراقه فالיום لاشك ما طر

فقال

وقد تجبت فيه الصحائب شمس * كما تجبت ورد الخدود والمجاير

وقال عبد الملك لرجل حدثي فقال يا أمير المؤمنين افتح فان الحديث يفتح بهضه بعضا *
وقال الهيثم بن صالح لابنه يابني اذا أقلت من الكلام كثرت من الصواب قال يا أبت
فان أنا كثرت واكثرت يعني كلاما وصوابا قال يابني ما رأيت * وعوذا أحق بأن يكون
واعظا منك * وقال الشعبي كنت أحدث عبد الملك بن مروان وهو يأكل فيجيب اللقمة
فأقول أجزها أصلحك الله فان الحديث من وراء ذلك فيقول والله لحديثك أحب الي منها *
وقال ابن عيينة الصمت منام العلم والنطق يقطه ولا منام الا يتقظ ولا يقظة الا ينم * قال
ابن المبارك

وهذا اللسان يريد القواد * يدل الرجال على عقله

ومر رجل بابي بكر الصديق رضي الله عنه ومعه ثوب فقال له أبو بكر أتبعه فقال لا رجلك الله
فقال أبو بكر لو تستقيمون لقومت السنة لكم هلاقت لا رجلك الله * ومنه ما حكى أن المأمون
سأل يحيى بن أكنم عن شيء فقال لا وايد الله أمير المؤمنين فقال المأمون ما أطرف هذه الواو
وأحسن موقعها وكان صاحب يقول هذه الواو أحسن من واوات الاصداع ويقال
اللسان سبع صغير الحرم عظيم الحرم وقال بعضهم شعرا

سبحان يقصر عن مجوريانه * عجزا ويفرق منه تحت عباب

وكذلك قس ناطق بعكاظه * يعالديه بحجة وجواب

وقيل انه جمع ابن المنكدر شابان فكانا اذا رأيا امرأتا تجلسه قال قد أبرقنا وهما يظنان

أن ابن المنكدر لا يظن فرأى بقية فيها امرأة فقالا بارقة وكانت قبضة فقال ابن المنكدر بل
صاعقة * وكان أصحاب أبي علي النقي إذا رأوا امرأة جميلة يقولون حجة فعرضت لهم
قبضة فقالوا داحضة * وكتب إبراهيم بن المهدي أياها والتابع لوحدي الكلام طمعا
في نيل البلاغة فان ذلك العناء الاكبر وعليك بما سهل مع تجنبك لالفاظ السفلى * ويقال
القول على حسب همة القائل يقع والسيف بقدر عرض الضارب يقطع * وقال الاحنف
سمعت كلام أبي بكر حتى مضى وكلام عمر حتى مضى وكلام عثمان حتى مضى وكلام علي حتى
مضى رضي الله تعالى عنهم ولا والله ما رأيت فيهم أبلغ من عائشة * وقال معاوية رضي الله عنه
ما رأيت أبلغ من عائشة رضي الله تعالى عنها ما أغلقت بابا فأراد ان فتحه إلا فتمته ولا فتحت
بابا فأرادت اغلاقه إلا أغلقته * ومن غريب الكليات الواردة على سبيل الرمز وهو من
الذكاء والفصاحة ما حكى أن رجلا كان أسيرا في بني بكر بن وائل وعزموا على غزو قومه
فسألهم في رسول يرسله الى قومه فقالوا لا ترسله الا بحضرتنا لا تنذرهم وتحذرهم
فجاوبوا بعبد أسود فقال له أنه قل ما أقوله لك قال نعم اني اعقل فأشار بيده الى الليل فقال
ما هذا قال الليل قال ما أراك الا عاقلا ثم ملاك كفيه من الرمل وقال كم هذا قال
لا أدري وانه لكثير فقال أيا كثر النجوم أم النيران قال كل كثير فقال أبلغ قومي النصيحة
وقل لهم يكرموا فلا يابغى أسيرا كان في أيديهم من بني بكر بن وائل فان قومه الى مكرمون
وقل لهم ان العرفج قد دنا وشكت النساء وأمرهم أن يعروا ناقتي الجراء فقد أطاوار كويها
وأن يركبوا جلي الا صهب بأماره ما كنت معكم حبا واسألوا عن خبري أني الحرث
فما أتى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة جراء ولا جلا
أصهب ثم دعوا بأخيه الحرث فقصوا عليه القصة فقال قد أتدركم أما قوله قد دنا العرفج يريد
أن الرجال قد استلوا ما واسبوا السلاح وأما قوله شكت النساء أي أخذت الشكا للفساد
وأما قوله أعروا ناقتي الجراء أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الجمل الا صهب أي الجبل
وأما قوله أركبوا جلي الا صهب أي اركبوا الجمل الا صهب أي الجبل
وأما قوله أركبوا جلي الا صهب أي اركبوا الجمل الا صهب أي الجبل
يجمع التمر والسمن والاقط فامتلأوا أمره وعرفوا لمن الكلام وعملوا به فنجوا * وأسرت
طبي غلاما من العرب فقدم أبوه ليفديه فاشتتوا عليه فقال أبوه والذي جعل الفرقدين
بمسبان ويصحبان على جبل طبي ما عندي غير ما بذلته ثم انصرف وقال لقد أعطيت
كلاما ان كان فيه خبر فهمه فكأنه قال له الزم الفرقدين يعني في هرو بك على جبل طبي
ففهم الابن ما أراد أبوه وفعل ذلك فنجوا * وكانت عليه بنت المهدي تهوى غلاما خادما
اسمه طلق فحلف الرشيد أن لا تكلمه ولا تذكره في شهرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهي تقرأ
في آخر سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذي نهى عنه أمير المؤمنين * ومن ذلك قولهم
تركت فلانا بأمر وينهى وهو على شرف الموت أي يأمر بالوصية وينهى عن النوح * ويقال
ما رأيت فلانا أي ما ضربته في رثته ولا كلمته أي ما جرحته فان الكوم الجراح وما رأيت
ربيعا فالربيع حظ الارض من الماء والريبع النهر وما رأيت كافرا ولا فاسقا ولا كافرا
السحاب والفاسق الذي تجرد من ثيابه وما رأيت فلانا كافرا ولا ساجدا ولا مصليا فالرا كع

العائر الذي كالوجهه والساجد المدم من النظر والمصلى الذي يحيى بعد السابق وما أخذت
 لفلان دجاجة ولا فتر وجافا لدجاجة الكبة من الغزل والفز وجدة الدراعة وما أخذت لفلان
 بقرة ولا ثورا فالبقرة العيال الكثيرة يقال جاف فلان بسوق بقرة أى عياله والثور القطعة
 الكبيرة من الاقط (وحكى) أن معاوية رضى الله عنه بينما هو جالس في بعض مجالسه وعنده
 وجوه الناس فيهم الاحنف بن قيس اذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا وكان آخر
 كلامه أن لعن عليا رضى الله عنه ولعن لاعنه فقال الاحنف يا أمير المؤمنين إن هذا القائل
 لو يعلم أن رضاه في لعن المرسلين لا عنهم فأتى الله يا أمير المؤمنين ودع عنك عليا رضى الله عنه
 فلقد أتى ربه وأفرد في قبره وخلا بعمله وكان والله المبرور سيقه الطاهر ثوبه العظيمة مصبيته
 فقال معاوية يا أحنف لقد تكلمت بماتك مات وايم الله لتصعدن على المنبر فتلعن طوعا أو كرها
 فقال له الاحنف يا أمير المؤمنين إن تعفني فهو خير لك وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجبري
 شفتاي به أبدا فقال قم فاصعد قد قال أما والله لا نصفتك في القول والفعل قال وما أنت قائل
 ان أنصفتني قال أصعد المنبر فأجد الله وأثنى عليه وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
 ثم أقول أيها الناس إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليا ألا وإن معاوية وعليما اقتتلا
 فاختلعا فاذعى كل واحد منهما أنه مبعي عليه وعلى فثنته فاذا دعوت فأتنوا رجلكم الله
 ثم أقول اللهم العن أنت وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه والعن
 الفئة الباغية اللهم العنهم لعنا كثيرا أمتنوا رجلكم الله يا معاوية لا أزيد على هذا ولا أنقص
 حرفا ولو كان فيه ذهاب روحى فقال معاوية إذا نعتك يا أبا بجر * وقال معاوية لعقيل
 ابن أبي طالب إن عليا قد قطعك وأنا وصلتك ولا يرضيني منك إلا أن تلعن على المنبر قال أفعل
 فصعد المنبر ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم أيها الناس إن
 معاوية بن أبي سفيان قد أمرني أن ألعن على بن أبي طالب فالعنوه فعليه لعنة الله ثم نزل فقال
 له معاوية أنك لم تبين من لعنت منهما ينفه فقال والله لا زدت حرفا ولا نقصت حرفا والكلام إلى
 نية المتكلم * ودخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت
 يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وفرحك بما آتاك وأتم سعدك لقد حكمت فقصت فقال لها من
 تكونين أيتها المرأة فقالت من آل برمك من قتات رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم
 فقال أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فردد إليك ثم التفت إلى
 الحاضرين من أصحابه فقال أنذرون ما قالت هذه المرأة فقالوا ما تراها قالت لا أخيرا قال
 ما أظنكم فهمتم ذلك أما قولها أقر الله عينك أى أسكنها عن الحركة وإذا سكنت العين عن
 الحركة عميت وأما قولها وفرحك بما آتاك فأخذته من قوله تعالى حتى إذا فرحو بما آتوا
 أخذناهم بغتة وأما قولها وأتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر
 إذا تم أمر يدانقصه * ترقب زوالا إذا قيل تم
 وأما قولها لقد حكمت فقصت فأخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا
 فتعجبوا من ذلك (وحكى) أن بعضهم دخل على عدوة من النصارى فقال له أطل الله
 بقاءك وأقر عينك وجعل يومى قبل يومك والله أنه ليسرني ما يسرك فاحسن اليه وأجازه

على دعائه وأمره بصلته وكان ذلك دهاء عليه لأن معنى قوله أطال الله بقاءك حصول منفعة
 المسلمين به في أداء الجزية وأما قوله وأقر عينك فعناء سكن الله حرصكها أي أعماها وأما قوله
 وجعل يومى قبل يومك أي جعل الله يومى الذى أدخل فيه الجنة قبل يومك الذى تدخل فيه
 النار وأما قوله أنه ليسرتنى مايسرتك فإن العافية تسرته كما تسر الآخر فانظر الى الاشتراك
 وقامته ولولا الاشتراك ما تم بالمستمر مراد ولا سلم له فى التخلص قياد * وكان حماد الراوية
 لا يقرأ القرآن فكلفه بعض الخلفاء القراءة فى المصحف فصف فى ينف وعشرين موضعا من
 جملتها قوله تعالى واوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما
 يعرشون بالغين المعجمة والسين المهملة وقوله وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن
 موعدة وعدها لآيه بالبلاء الموحدة ليهكون لهم عدوا وحزنا بالبلاء الموحدة وما يجعد
 يا آياتنا الا كل ختار بالجيم والباء الموحدة هم أحسن أثنا وورثيا بالزاي وترك الهـ مزه
 عذابى أصيب به من أشاء بالسين المهملة صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة بالنون والعين
 المهملة سلام عليكم لآية نبي باسقاط التاء بل الذين كفروا فى عزة وشقاق بالغين المعجمة والراء
 المهملة قرن الشقاق بالغزة وهذا لا يقع الا من الأذكياء (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على
 بلاد وكان يعرف منه الجور فى حكمه فأرسل اليه رجلا من أرباب دولته ليتمهنه فلما قدم عليه
 أظهر له أنه قدم فى تجارة لنفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فأكرم نزله وأحسن
 اليه وسأله أن يكتب كتابا الى أمير المؤمنين المأمون يشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين
 رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قد مناعلى فلان فوجدناه آخذا
 بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وسأوى فى أفضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد
 وأرزلهم منه منازل الاولاد وأذهب ما بينهم من الضغائن والاحقاد وهم منهم المساجد
 الدائرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة وهم مع ذلك داعون لأمير المؤمنين
 يريدون النظر الى وجهه والسلام فكان معنى قوله آخذا بالعزم أى اذا عزم على ظلم أو جور
 فعلة فى الحال وقوله قد عدل بين رعيته وسأوى فى أفضيته أى أخذ كل مالههم حتى سأوى
 بين الغنى والفقر وقوله عزمهم المساجد الدائرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل
 الآخرة يعنى أن السكل صاروا فقراء لا يملكون شيئا من الدنيا ومعنى قوله يريدون النظر الى
 وجه أمير المؤمنين أى يشكوا حالهم وما نزل بهم فلما جاء الكتاب الى المأمون عزله عنهم لوقت
 وولى عليهم غيره (ومن ذلك ما حكى) أن القاضى الفاضل كان له صديق خصيص به وكان
 صديقه هذا قرييا من الملك الناصر صلاح الدين وكان فيه فضيلة تامة فوقع بينه وبين الملك أمر
 فغضب عليه وهم بقتله فتسهب الى بلاد التتر وتوصل الى أن صار وزيراً عندهم وصار يعرف
 التتر كيف يتوصل الى الملك الناصر بما يؤذيه فلما بلغه ذلك نفر منه وقال للفاضل اكتب اليه
 كتابا عرفه فيه اننى أرى على عليه واستعطفه غاية الاستعطاف الى ان يحضر فاذا حضر فقلته
 واسترحته منه فتخير الفاضل بين الاثنين صديقه يعز عليه والملك لا يمكنه مخالفته فكتب اليه
 كتابا واستعطفه غاية الاستعطاف ووعد بكل خير من الملك فلما انتهى الكتاب ختمه بالجدلة
 والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وكتب ان شاء الله تعالى كما برت به العادة

في الكتب فشددان ثم اوقف الملك على الكتاب قبل ختمه فقرأه في غاية الكمال وما فهم ان وكان
قصد الفاضل ان الملا يا تمرون بك ليقتولوا فلما وصل الكتاب الى الرجل فهمه وكتب جوابه
بانه سيحضر عاجلا فلما اراد ان ينهي الكتاب ويكتب ان شاء الله تعالى مد النون وجعل
في آخرها ألفا و اراد بذلك ان ان ندخلها أبدا ما داموا فيها فلما وصل الكتاب الى الفاضل فهم
الاشارة ثم اوقف الملك على الجواب بخطه ففرح بذلك (وحكى) أن بعض الملوك طلع يوما
الى أعلى قصره يتفرج فلاح من التفاتة فرأى امرأة على سطح دار الى جانب قصره لم ير
الرائون أحسن منها فالتفت الى بعض جواره فقال لها لمن هذه فقالت يا مولاي هذه
زوجة غلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامر وجهها وشففها فاستدعى فيروز وقال له
يا فيروز قال لبيك يا مولاي قال خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد القلانية واقمني بالجواب
فاخذ فيروز الكتاب وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهز امره وبات ليلة فلما أصبح
ودع أهله وسار طالبا الحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك وأما الملك فانه لما توجه فيروز قام
مسرعاً وتوجه محتفيا الى دار فيروز ففرع الباب قرعاً خفيفاً فقالت امرأة فيروز من الباب
قال أنا الملك سيد زوجك فقالت له قد دخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال زائراً
فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما اظن فيها خيراً فقال لها ويحك اني أنا الملك سيد زوجك
وما اظنك عرفتني فقالت بل عرفتك يا مولاي ولقد علمت انك الملك ولكن سبقتك الاوائل
في قولهم

سائر ماءكم من غير ورد * وذالك لكثرة الوراد فيه

اذا سقط الذباب على طعام * رفعت يدي ونفسي تشنه

وتجتنب الاسود وروءاء * اذا كان الكلاب ولعن فيه

ويرتجع الكريم خيصر بطن * ولا يرضى مساهمة السفه

وما احسن يا مولاي قول الشاعر

قل للذي شفه الغرام بنا * وصاحب الغدر غير مصوب

والله لا قال قائل أبدا * قدأ كل الليث فضله الذيب

ثم قالت أيها الملك تأني الى موضع شرب كبسك تشرب منه قال فاستنحيا الملك من كلامها
وخرج وترى كها فتسنى نعله في الدار هذا ما كان من الملك واما ما كان من فيروز فانه
لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجد معه في راسه فتذكر أنه نسبه تحت فراشه فرجع الى
داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك في الدار فطاش عقله وعلم أن
الملك لم يرسله في هذه السفرة الا لامر يقوله فسكت ولم يبد كلاماً وأخذ الكتاب وسار الى
حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه بمائة دينار فضى فيروز الى السوق واشترى
ما يليق بالنساء وهياهدية حسنة واتى الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومي الى زيارة
بيت أبيك قالت وما ذالك قال ان الملك أنعم علينا واريد ان تظهرى لاهلك ذلك قالت حبا
وكرامة ثم قامت من ساعتها وتوجهت الى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فأقامت
عند أهلها مدة شهر فلم يذكرها زوجها ولا ألقاها فاني اليه أخوها وقال له يا فيروز اما

أن تخبرنا بسبب غضبك وأما أن تحاكمنا إلى الملك فقال إن شئتم المصالحكم فافعلوا فما
تركت لها على حق فطلبوه إلى الحكم فأتى معهم وكان القاضي إذ ذاك عند الملك جالسا
إلى جانبه فقال أخو الصبية أيد الله مولانا قاضي القضاة أتى اجرت هذا الغلام بستانا
سالم الحيطان بيثرا مع بين عامرة وأشجار مثمرة فأكل ثمره وهضم حيطانه وأخرب بئر
فالتفت القاضي إلى فيروز وقال له ما تقول يا غلام فقال فيروز أيها القاضي قد تسلمت هذا
الستان وسلمته إليه أحسن ما كان فقال القاضي هل سلم إليك البستان كما كان قال
نعم ولكن أريد منه السبب لردّه قال القاضي ما قولك قال والله يا مولاي ما رددت البستان
كراهة فيه وإنما جئت يوم من الأيام فوجدت فيه أثرا للأسد فخفت أن يغتالي فخزمت
دخول البستان أكراما للأسد قال وكان الملك متمكنا فاستوى جالسا وقال يا فيروز ارجع
إلى بستانك آمننا طمنا فوالله إن الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا التمس منه
ورقا ولا غرا ولا شيا ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس والله ما رأيت مثل
بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجرة قال فرجع فيروز إلى داره وردّ وجهه ولم يعلم
القاضي ولا غيره بشيء من ذلك والله أعلم وهذا كله مما يأتي به الإنسان من غرائب
الكليات الواردة على سبيل الرمز * ومنه ما يجده المتستر في أمره من الراحة في كتمان
حاله مع لزوم الصدق ورضا الخصم بما وافق مراده لأن في المعارض مندوحة عن
الكذب كما روى في غزوة بدر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان سائرا بأصحابه يقصد بدر
فلقيهم رجل من العرب فقال من القوم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من ماء فأخذ
ذلك الرجل يفر ويقول من ماء من ماء يردّها أينظر أي العرب يقال لهم ماء فدار
النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه لوجهته وكان قصده أن يكتم أمره وقد صدق رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قوله فإن الله عز وجل قال فلينظر الإنسان مم خلق خالق من ماء
دافق وكما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال للكافر الذي سأله عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقت ذهابهم إلى الغار هو رجل يهدي السبيل وقد صدق فيما
قال رضي الله عنه فقد هداه وهدانا السبيل ولا سبيل أوضح ولا أقوم من الإسلام وكما
حكى عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه لما سأله بعض المعترلة بحضرة الرشيد ما تقول
في القرآن فقال الشافعي آيائي قال نعم قال مخلوق فرضي خصمه منه بذلك ولم يرد الشافعي
الأنفसे وكما حكى عن ابن الجوزي رحمه الله تعالى أنه سئل وهو على المنبر وتحت جماعة من
ممالك الخليفة وخاصته وهم فريقان قوم سنية وقوم شيعية فقيل له من أفضل الخلق بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر أم علي رضي الله عنهما فقال أفضاهما بعده من كانت ابنته تحته
فأرضي الفريقين ولم يرد إلا بأب بكر رضي الله عنه لأن الضمير في ابنته يعود إلى أبي بكر رضي الله
عنه وهي عائشة رضي الله عنها وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيعية ظنوا
أن الضمير في ابنته يعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي فاطمة رضي الله عنها وكانت
تحت علي رضي الله عنه فهداه منه جيدة حسنة وكلمة باتت بحفون الفريقين منها وسنة
والله أعلم

(الفصل الثالث في ذكر الفصحاء من الرجال) * دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحب الحسن أن يتكلم فزجره وقال يا مبي تتكلم في هذا المقام فقال يا أمير المؤمنين ان كنت صديقا فست بأمر من هدهد سليمان ولا أنت يا كبر من سليمان عليه السلام حين قال أخطت بما لم تحط به ثم قال ألم تر أن الله فهمهم الحسن بن الحسن بن علي بن عثمان وكان الأمر بالكبر كان داود أولى * ولما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز أتته الوفود فاذا فيهم وفد الجزار فنظر إلى صغير السن وقد أراد أن يتكلم فقال ليتكلم من هو أسن منك فانه أحق بالكلام منك فقال الصبي يا أمير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا من هو أحق به منك قال صدقت فتكلم فقال يا أمير المؤمنين أنا قد مننا عليك من بلاد نجد مد الله الذي من علينا بك ما قد مننا عليك رغبة منا ولا رهبة منك أما عدم الرغبة فقد أماننا بك في منازلنا وأما عدم الرهبة فقد أمننا جورك بعد ذلك فحن وفدا الشكر والسلام فقال له عمر رضي الله عنه عظمي يا غلام فقال يا أمير المؤمنين ان أناسا غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم سم فلا تسكن ممن يغتره حلم الله وثناء الناس عليه فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون فنظر عمر في سن الغلام فاذا له اثنتا عشرة سنة فأثبدهم عمر رضي الله تعالى عنه

نعم فلم فليس المرء يولد عالما * وإيس أخوع لم يكن هو جاهل

فان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه الهافل

(وحكى) أن البادية نطقت في أيام هشام فقدمت عليه العرب فهابوا أن يكلموه وكان فيهم درواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه ما شاء أحد أن يدخل على الادمي حتى الصبيان فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقا فقال يا أمير المؤمنين ان لكلاما نشرنا وطبنا وانه لا يعرف ما في طبعه الا بنشره فان أذن لي أمير المؤمنين أن أنشره نشرته فأعجبه كلامه وقال انشره لله ذلك فقال يا أمير المؤمنين انه أما يتناسنون ثلاث سنة اذا ابت الشحم وسنة أكل اللحم وسنة دقت العظم وفي أيديكم فضول مال فان كانت لله فغرت قوها على عباده وان كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزي المتصدقين فقال هشام ما ترك الغلام لنا في واحدة من الثلاث عذرا فامر للبوادي بمائة ألف دينار وله بمائة ألف درهم ثم قال له ألك حاجة قال مالي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين فخرج من عنده وهو من أجل القوم * وقيل ان سعد بن ضمرة الاسدي لم يزل يغير على النعمان بن المنذر يستلب أمواله حتى عذب له مائة فبعث إليه يقول ان لك عندى ألف ناقة على انك تدخل في طاعتى فوفد إليه وكان صغيرا بلغة فاقبحته عينه وتنقصه فقال له لا أيها الملك ان الرجال ليسوا بعظم أجسامهم وانما المرء بأمره فغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان صال صال بجنان ثم أنشأ يقول

يا أيها الملك المرجو نائله * اني لمن معشر شتم الذرى زهر
فلا تغترنك الاجسام ان لنا * أحلام عاد وان كنا الى قصر
فكم طويل اذا أبصرت جثته * نقول هذا غداة الروح وذو ظفر
فان ألم به أمر فأقطعه * رأيت خاذلا للأغل والزمر

فقال صدقت فهل لك علم بالأمور قال اني لا انقض منها المقتول وأبرم منها المهلول
وأجباها حتى تجول ثم أنظر فيها الى ماتول وليس للدهر بصاحب من لا ينظر في العواقب
قال فتعجب النعمان من فصاحته وعقله ثم أمر له بألف ناقة وقال له يا سعد ان أقت
واسينالك وان رحلت وصلناك فقال قرب الملك أحب الى من الدنيا وما فيها فانم عليه
وأدناه وجعله من أخص ندمائه * (وحكى) أن هرقل ملك الروم كتب الى معاوية
ابن أبي سفيان رضى الله عنه يسأله عن الشئ ولا شئ وعن دين لا يقبل الله غيره وعن
مفتاح الصلاة وعن غرس الجنة وعن صلاة كل شئ وعن اربعة فيهم الروح ولم
يركضوا في أصلاب الرجال وأرحام النساء وعن رجل لأب له وعن رجل لأمه وعن
قبر جرى بصاحبه وعن قوس قزح ماهو وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة
ولم تطلع عليها قبلها ولا بعدها وعن طاعن ظعن مرة واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها
وعن شجرة نبتت من غير ماء وعن شئ تنفس ولا روح له وعن اليوم وأمس وغد وبعد
غد وعن البرق والرعد وصوته وعن الموالذى في القمر رفيع لمعاوية است هناك
ومتى أخطأت في شئ من ذلك سقطت من عينه فاه كتب الى ابن عباس يخبرك عن
هذه المسائل فكتب اليه فأجابه أما الشئ فالما قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ
حي وأما لا شئ فانها الدنيا تبيد وتفتنى وأما دين لا يقبل الله غيره فلا اله الا الله وأما
مفتاح الصلاة فالله أكبر وأما غرس الجنة فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وأما
صلاة كل شئ فسيحان الله وبحمده وأما الاربعة الذين فيهم الروح ولم يركضوا في أصلاب
الرجال وأرحام النساء فآدم وحواء وناقصة صالح وكبش اسمعيل وأما الرجل الذى لأب
له فالمسيح وأما الرجل الذى لأمه فآدم عليه السلام وأما القبر الذى جرى بصاحبه
فخون يونس عليه السلام ساربه في البحر وأما قوس قزح فأمان من الله لعباده من
الفرق وأما البقعة التى طلعت عليها الشمس مرة واحدة فبطان البحر حين انشق ابني
اسرائيل وأما الطاعن الذى ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها فجبل طور سيناء كان بينه
وبين الارض المقدسة أربع ليال فلما عصت بنو اسرائيل أطاره الله تعالى بجناحين فنادى
منادان قبلتم التوراة كشفتم عنكم والالقيتم عليكم فأخذوا التوراة معذرين فرداه الله
تعالى الى موضعه فذلك قوله تعالى واذتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم
الآية وأما الشجرة التى نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التى أنبتها الله تعالى على يونس عليه
السلام وأما الشئ الذى تنفس بالروح فالصبح قال الله تعالى والصبح اذا تنفس وأما اليوم
فعمل وأمس فذل وغد فأجل وبعد غد فأمل وأما البرق فبخاريق بأيدي الملائكة تضرب بها
السحاب وأما الرعد فاسم الملك الذى يسوق السحاب وصوته زجره وأما الموالذى في القمر

فقول الله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار بصيرة ولولا ذلك
 المحول يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل * ودعا بعض البلغاء صديق له فقال نعم الله
 عليك ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترجوه وتفضل عليك بما لم تحتسبه (وحكى) أن الججاج سأل
 يوما الغضبان بن القبة عن مسائل يتحنن فيها من جملتها أن قال له من أكرم الناس قال
 أفقههم في الدين وأصدقهم للبين وأبذلهم للمسلمين وأكرمهم للمهمانين وأطعمهم للمساكين قال
 فن ألام الناس قال المعطى على الهوان المقتر على الإخوان الكثرة الألوان قال فن شر الناس
 قال أطواهم بجنوة وأدومهم صبوة وأكثرهم خلوة وأشدهم قسوة قال فن أشجع الناس
 قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للضيف قال فن أجبن الناس قال المتأخر عن
 الصفوف المنقبض عن الزخوف المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره
 لضرب السيوف قال فن أثقل الناس قال المتفنن في الملام الضنين بالسلام المهذار في الكلام
 المقبب على الطعام قال فن خير الناس قال أكثرهم إحسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم
 عقرانا وأوسعهم ميدانا قال الله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب أحسب هو أم غير
 حسب قال أصلح الله الأمير أن الرجل الحسب بذلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة
 احتماله وبشاشته وحسن مداوانه على أصله فالعاقل البصير بالأحساب يعرف شمائله والنذل
 الجاهل بجهله غشله كمثل الدرة إذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها وإذا نظر إليها العفلاء
 عرفوها وأكرموها فهي عندهم لمعرفتهم بها أحسنه نفيسة فقال الججاج لله أبوك فما العاقل
 والجاهل قال أصلح الله الأمير العاقل الذي لا يتكلم هذرا ولا ينظر شررا ولا يضر غسدا
 ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهذار في كلامه الممان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على
 إمامه الفاحش على غلامه قال الله أبوك فما الحازم الكيس قال المقبل على شأنه التارك لما
 لا يهنيه قال فما العاجز قال المحجب بأرائه الملتفت إلى ورائه قال هل عندك من النساء خير
 قال أصلح الله الأمير أني بشأنهن خير أن شاء الله تعالى أن النساء من أهبات الأولاد بمنزلة
 الأسلاع إن عدلتهن أنكسرن ولهن جواهر لا يصلح الأعلى المداراة فن داراهن اتقعبن
 وقرت عينه ومن شاورهن كثرن عيشه وتكثرت عليه حياته وتنغص لذاته فأكرمهن
 أعقهن وأخف أحسابهن العفة فاذا ران عنها فهن أتن من الجيفة فقال له الججاج يا غضبان أني
 موجهك إلى ابن الأشعث وأذا فاذا أنت قائل له قال أصلح الله الأمير أقول ما يرد به ويؤذيه
 ويضنيه فقال أني أظنك لا تقول له ما قلت وكأني بصوت جلالك تجبل في قصرى هذا قال كلا
 أصلح الله الأمير سأحدثه له إني وأجربه في ميداني قال فعند ذلك أمره بالمسير إلى كرمان فلما
 توجه إلى ابن الأشعث وهو على كرمان بعث الججاج عيناء عليه أي جاسوسا وكان يفعل ذلك مع
 جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الأشعث قال له إن الججاج قد هم بجعلك وعزلك فخذ
 حذرک وتغذبه قبل أن يتعشى بك فأخذ حذره عند ذلك ثم أمر الغضبان بجائزة سنينة وخلق
 فائرة فأخذها وانصرف راجعا فأتى إلى رمله كرمان في شدة الحر والقيظ وهي رمل شديدة
 الرضاء فضرب قبته فيها وحط عن راحله فبينما هو كذلك إذا بأعرابي من بني بكر بن وائل
 قد أقبل على بعير فاصدا نحوهم وقد أشد الحر وحيث الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمى ظمأ

شديداً فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردّها فريضة قد فازت لها وخسر تاركها ما حاجتك يا أعرابي قال اصابتني الرضاء وشدة الحر والظما فتيممت قبيلتك أرجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبلة أكبر من هذه وأعظم قال ايتن تعني قال قبلة الامير ابن الاشعث قال تلك لا يوصل اليها قال ان هذه أمتع منها فقال الاعرابي ما اسمك يا عبد الله قال آخذ فقال وماتعطي قال أكره أن يكون لي اسمان قال بالله من اين أنت قال من الارض قال فأين تريد قال امشي في مناكبها فقال الاعرابي وهو يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة الحر أتقرض الشعر قال انما يقرض الفأرة فقال اقتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال يا هذا ائذن لي أن ادخل قبيلتك قال خلفك اوسع لك فقال قد أحرقتني حر الشمس قال مالي عليهم امن سلطان فقال الرضاء احرقني قد حرقني قال بل عليهم اتبرد فقال اني لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو تلفت روحك فقال الاعرابي سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع اضراسك فقال الاعرابي ما عندك غير هذا قال بلي هراوة أضرب بها رأسك فاستغاث الاعرابي يا جارني كعب قال الغضبان بنس الشيخ انت فوالله ما ظلمك أحد فتستغيث فقال الاعرابي ما رأيت رجلاً أقسى منك اتيتك مستغيثاً فحجبتني وطردتني هلا أدخلتني قبيلتك وطارحتني القريض قال مالي بمعادتتك من حاجة فقال الاعرابي بالله ما اسمك ومن انت فقال أنا الغضبان ابن القبيعي فقال اسمان منك ~~منكر~~ ان خلقا من غضب قال قف متوكئا على باب قبلي برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيراً من رجلك هذه السنعاة قال الغضبان لو كنت حاكماً لحرت في حكموتك لان رجلي في الظل قاعدة ورجلك في الرضاء فائمة فقال الاعرابي اني لا ظنك حروياً قال اللهم اجعلني ممن يتصرى الخير ويريد فقال اني لا ظن عنصرك فاسد فقال ما اقدرني على اصلاحه فقال الاعرابي لا ارضاك الله ولا حبالك ثم ولى وهو يقول

لا بارك الله في قوم تسودهم * اني اظنك والرحن شيطاناً

انبت قبيله أرجو ضيافته * فأظهر الشيخ ذوالقرنين حرماناً

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن الاشعث وبين الاعرابي قال له الحجاج يا غضبان كيف وجدت أرض كرمان قال اصلى الله الامير أرض يابسة الجيش بهما ضعاف هزلاء ان كثروا جاعوا وان قتلوا ضاعوا فقال له الحجاج أأنت صاحب الكلمة التي بلغتني انك قلت لابن الاشعث تغتد بالحجاج قبيل أن يتعشى بك فوالله لا حبسك عن الوساد ولا نزلتك عن الجياد ولا شهرتك في البلاد قال الامان ايها الامير فوالله ما ضرت من قبلت فيه ولا نفع من قبلت له فقال له ألم اقل لك كأنني بصوت جلاجل تجلجل في قصري هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فكث ما شاء الله ثم ان الحجاج ابني الخضر ابواسطفاً حجب به فقال لمن حوله كيف ترون قبلي هذه وبناءها فقالوا ايها الامير انما حصينة مباركة منبعثة نضرة بهجة قليل عيها كثير خيرها قال لم تخبروني بمصع قالوا لا يصقها لك الا الغضبان فبعث الى الغضبان فأحضره وقال له كيف ترى قبلي هذه وبناءها قال اصلى الله الامير بنيت في غير بلدك لالك ولا لولدك لا تدوم لك ولا يسكنها وارثك

ولا تبقي لك وما أنت لها يياق فقال الجحاج قد صدق الغضبان رده الى السجن فلما حلوه قال
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلني منزلا
مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضرب بوابه الارض فلما ضرب بوابه الارض قال منها خلقناكم
وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فقال جزوه فأقبلوا بجزونه وهو يقول بسم الله
محجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم فقال الجحاج ويلكم اتركوه فقد غلبني دهاؤه وخبثا
ثم عقاعنه وأنتم عليه وخلى سبيله (وحدث الزبير) قال دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على
المامون وقد كانت ضياعهم أخذت فقال السلام عليك يا امير المؤمنين محمد بن عبد
الملك بين يديك سبيل نعمتك وغصن من أغصان دوحته اتأذن له في الكلام فقال تكلم
فقال الحمد لله رب العالمين ولا اله الا الله رب العرش العظيم وصلى الله والملائكة على محمد
خاتم النبيين ونستمع الله لحباطة ديننا وديننا ورعاية أدياننا وأقصادنا ببقائك يا امير المؤمنين
ونسأل الله أن يمد في عمرك من أعمارنا وأن يقيك الاذى بأسماعنا وأبصارنا فإن الحق
لا تغفوا آثاره ولا ينهدم مناره ولا يثبت جبله ولا يزول مادمت بين الله وبين عباده والامين
على بلاده يا امير المؤمنين هذا المقام مقام العائذ بظلال الهارب الى كنفك الفقير الى رحمتك
وعذلك من تعاود النوائب وسهام المصائب وكاب الدهر وذهاب النعمة وفي نظر امير المؤمنين
ما يفرج كربه المكروب ويبرد غليل القلوب وقد نفذ امر امير المؤمنين في الضياع التي
افادناهم آباءه الطيبين ونوافل اسلافه الطاهرين الراشدين وقدقت مقامى هذا متوسلا
اليك يا بآئك الطيبين وبالرشيده خير الهداة الراشدين والمهدي ناصر المسلمين والمنصور
منكل الظالمين ومحمد خير المحمدين بعد خاتم النبيين من دافعا اليك بالطاعة التي أفرع عليها
غصنى واحتشكت به اسنى ورش بها جفاحى متعوذا من شمانية الأعداء وحلول البلاء
ومقارفة الشدة بعد الرخاء يا امير المؤمنين قدمضى جتلك المنصور وعمك صالح بن علي
جندى وبينهما من الرضاع والنسب ما علمه امير المؤمنين وعرفه وقد أثبت الله الحق
في نصابه وأقره في داره وأربابه يا امير المؤمنين ان الدهر ذو اعتيال وقد يقلب حالا بعد حال
فارحم يا امير المؤمنين الصبيحة الصغار والعجائز الكبار الذين سقاهاهم الدهر كدر بعد صفو
ومر بعد حلو وهبناهم آباءك اللاتي غدتنا صغارا وبكارا وشبابا وأشياخا وأمشاجا
في الاصلاب ونطفنا في الارحام وقد تمنا في القرابة حيث قد تمنا الله منك في الرحم فان
رقابنا قد ذلت لسخطك ووجوهنا قد عنت لطاعتك فأقلنا عثرتنا يا امير المؤمنين ان الله قد
سهل بك الوعور وجلابك الديجور وملأ من خوفك القلوب والصدور بك يردع الفاسق
ويقمع بك المنافق فارتبط نعم الله عندك بالعفو والاحسان فان كل راع مسؤول عن رعيتيه
وان النعم لا ينقطع المزيديها حتى ينقطع الشكر عليها يا امير المؤمنين انه لا عفو أعظم من
عفو امام قادر عن مذنب عاثر وقد قال الله جل ثناؤه وتعالى قدرته وليعفووا وليصفحوا ألا
تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم أحاط الله امير المؤمنين بستره الوافي ومنعه الكافي
ثم أنشد يقول

امير المؤمنين اتاك ركب * لهم قربي وليس لهم تسلاد

هم الصدر المقدم من قريش * وأنت الرأس تتبعك العباد
لقد طابت بك الدنيا ولدت * وأرجو أن يطيب بك المعاد
فكيف تنالكم لحظات عين * وكيف يقل سود ذلك البلاد
قال فاستحسن المؤمن كلامه وأمر له بالخليل الفاخرة والجواهر السنية وأمر برتضياعه
وقرب منزلته وأدناه ودفع إليه من المال ما أغناه * ومن حكايات الفصحاء ونوادير البلغاء
ما حكى أن عبد الملك بن مروان جلس يوما وعنده جماعة من خواصه وأهل مسامحته
فقال أيكم ياتيني بحروف المعجم في بدنه وله على ما يتمناه فقام إليه سويد بن غفلة فقال أنا
لها يا أمير المؤمنين قال هات فقال نعم يا أمير المؤمنين أنف بطن ترقوة ثغر جبهة
حلق خذ دماغ ~~ذكر~~ رقبة زند ساق شفة صدر ضلع طحال ظهر عين غيب
فم قفا كف لسان منخر نغوغ هامة وجه يد وهذه آخر حروف المعجم والسلام
على أمير المؤمنين فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين أنا أقولها من جسد
الإنسان مرتين فضحك عبد الملك وقال لسويد أسمع ما قال قال أصلح الله الأمير أنا أقولها
ثلاثا فقال هات أولك ما يتمناه فبدأ يقول أنف أسنان اذن بطن نصرة ترقوة مرة تنبة
ثغر ثيابا ندى جبهة جنب جبهة حلق خنك حاجب خذ خنصر خاصرة دبر دماغ درادير
ذقن ذكر ذراع رقبة رأس ركة زند زر دمة زب فهناك ضحك عبد الملك حتى استلقى
على قفاه ساق مرة سبابة شفة شفر شارب صدر صدغ صلالة ضلع ضفيرة ضرس
طحال طرة طرف ظهر ظفر ظلم عين عنق عاتق غيب غلصمة غمة فم فك فواد قلب قفا قدم
كف كتف كعب لسان لحية لوح منخر مرفق منكب نغوغ ناب ن ن هامة هيثة هيف
وجه وجنة ورك عين يسار يافوخ ثم نهض مسرعا فقبل الأرض بين يدي أمير المؤمنين
قال فعندها ضحك عبد الملك وقال والله ما تريدنا عليها شيئا أعطوه ما يتمناه ثم أجازوه وأنعم عليه
وبالغ في الاحسان إليه * وكان الحجاج بن يوسف الثقفي من الفصحاء وكان على عتوه واسرافه
جوادا وكان اذا ضحك واستغرق في الضحك اتبع ذلك بالاستغفار مرات وكان يطم على ألف
خوان وكان يطوف على الموائد ويقول يا أهل الشام مزقوا الخبز لا يعود اليكم ثيابا وكان
يجلس على كل مائدة عشرة رجال وذلك في كل يوم وكان يقول ارى الناس يتخلفون عن طعامي
فقبل له انهم يكرهون الحضور قبل أن يدعوا فقال قد جعلت رسولي إليهم كل يوم الشمس اذا
طلعت وعند المساء اذا غربت * (حكى) عن عبد الملك بن عمر أنه قال لما بلغ أمير المؤمنين
عبد الملك بن مروان اضطراب أهل العراق جمع أهل بيته وأولى النجدة من جنده وقال ايها
الناس ان العراق كدر ماؤها وكثر غوغاؤها واملو لحن عذبتها وعظم خطيئها وظهر نسر امها
وعسر اخياد نيرانها هل من مهادهم بسيف قاطع وذهن جامع وقلب ذكي وأنف حسي
فيخمد نيرانها ويردع غيلاتها وينصف مظلومها ويذاوي الجرح حتى يندمل فتصنعوا البلاد
وتأمن العباد فسكت القوم ولم يتكلم أحد فقام الحجاج وقال يا أمير المؤمنين انا للعراق قال
ومن أنت لله ابوك قال انا لبيت الضمضام والهزبر الهشام انا الحجاج بن يوسف قال ومن اين
قال من ثقيف كهوف الضيوف ومستمع على السيوف قال اجلس لأأم لك فلسا هناك

ثم قال مالي اري الرؤس مطرقة والاسن معتقلة فلم يجبه أحد فقام اليه الججاج وقال أنا
 مجندل الفساق ومطفي نار النفاق قال ومن أنت قال أنا قاصم الظلمة ومعدن الحكمة
 الججاج بن يوسف معدن العفو والعقوبة وآفة الكفر والزينة قال اليك عنى وذلك فليست
 هناك ثم قال من للعراق فسكت القوم وقام الججاج وقال أنا للعراق فقال اذن أظنك
 صاحبها والظافر بغنائها وان لكل شئ يا ابن يوسف آية وعلامة فما آيةك وما علامتك قال
 العقوبة والعفو والاقدة دار والبسط والازورار والادناء والابعاد والحفاء والبر والتأهب
 والحزم وخوض غمرات الحروب بجنان غير هوب فن جادلى قطعة ومن نازعنى قصمته ومن
 خافنى نزعتة ومن دنأمنى اكرمتة ومن طلب الامان أعطينة ومن سارع الى الطاعة بجملته
 فهذه آيتى وعلامتى وما عليك يا أمير المؤمنين أن تبلونى فان كنت للعراق قطاعا
 وللاموال جماعا وللارواح نزاعا ولك فى الاشياء نفاعا والافليس تبدل بي أمير المؤمنين فان
 الناس كثير ولكن من يقوم بهذا الامر قليل فقال عبد الملك أنت اها غيا الذى تحتاج اليه
 قال قليل من الجنيد والمال فدعا عبد الملك صاحب جنده فقال هي له من الجنيد ثم وثه
 وألزمهم طاعته وحذرهم مخالفته ثم دعا الخازن فأمره بمثل ذلك فخرج الججاج قاصدا
 نحو العراق قال عبد الملك بن عمير فيمن نحن فى المسجد الجامع بالكوفة اذا أتانا فقال
 هذا الججاج قدم امير اعلى العراق قطاعاوات الاعناق نحو وأفرجوا له عن صحن المسجد
 فاذا نحن به يمشى وعليه عمامة حراء مثلثا بها ثم صعد المنبر فلم يتكلم كلمة واحدة ولا نطق بحرف
 حتى غص المسجد بأهله وأهل الكوفة يومئذ وحواله حسنة وهيئة جميلة فكان
 الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من أهل بيته ومواليه واتباعه عليهم
 الخبز والديباج قال وكان فى المسجد يومئذ عمر بن صابى التميمي فلما رأى الججاج على المنبر قال
 لصاحب له اسبه لكم قال اكفف حتى نسمع ما يقول فأبى ابن صابى وقال لعن الله بنى امية
 حيث يولون ويستعملون مثل هذا على العراق وضبح الله العراق حيث يكون هذا أميرها
 فوالله لو دام هذا اميرا كما هو ما كان بنى الججاج ساكت ينظر عينا وشمالا فلما رأى المسجد
 قد غص بأهله قال هل اجتمعتم فلم يرد عليه أحد شيئا فقال انى لأعرف قدرا اجتماعكم فهل
 اجتمعتم فقال رجل من القوم قد اجتمعنا اصلح الله الامير فكشف عن اثنائه ونمض قائما فكان
 اول شئ نطق به أن قال والله انى لارى رؤسا ينعى وقد حان قطافها وانى لصاحبها وانى لارى
 الدماء ترقى بين العامة ثم واللى والله يا أهل العراق ان أمير المؤمنين نثر كنانة بين يديه فمجسم
 عبيد انهم افوجدنى أمرا عودا وأصلها مكسرا فرماكم بى لانكم طالمما أنتم القننة
 واضطجعتم فى مراقد الضلال والله لانكن بكم فى البلاد ولا جعلنكم مثلا فى كل واد
 ولا ضرب بكم ضرب عرائب الابل وانى يا أهل العراق لا أعد الاوفيت ولا اعزم الا مضيت
 فايأى وهذه الزرافات والجماعات وقيل وقال وكان ويكون يا أهل العراق انما أنتم أهل قرية
 كانت آمنة مطمئنة يأتيهم رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأناها وعبد القرى
 من ربهم فاستوثقوا واستقيموا واعملوا ولا تملوا وتابعوا وباعوا واجتمعوا واستمعوا

فليس مني الاهدار والا كثر انما هو هذا السيف ثم لا يفسخ الشتا من الصيف حتى يذل الله
لامير المؤمنين معكم وبقية له اودكم ثم اني وجدت الصدق مع البر ووجدت البر في الجنة
ووجدت الكذب مع النجور ووجدت النجور في النار وقد وجهني أمير المؤمنين اليكم
وأمرني أن اتفق فيكم وأوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة واني أقسم بالله
لا أجد رجلا يتخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه يا غلام اقرأ كتاب أمير
المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبداً الملك بن مروان الى من بالكوفة من
المسلمين سلام عليكم فلم يرد أحد شيئا فقال الحجاج اكف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال
أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون شيئا عليه هذا أدبكم الذي تأدبتم به أما والله لاؤدبتكم
أدبا غير هذا الادب اقرأ يا غلام فقرأ حتى بلغ قوله سلام عليكم فلم يبق أحد الا قال وعلى
أمير المؤمنين السلام ثم نزل بعد ما فرغ من خطبته وقرأته ووضع للناس عطاياهم فجعلوا
ياخذونها حتى أتاه شيخ يرعش فقال أيها الأمير اني على الضعف كما ترى ولي ابن هو أقوى مني
على الاسفار أتقبله يد يلا مني فقال تقبله أيها الشيخ فلما ولي قال له قاتل أنت دى من هذا
أيها الأمير قال لا قال هذا عمير بن صابى الذي يقول

هممت ولم أفعل وكدت وايتنى • تركت على عثمان نبيك حلاله

ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله عنه وهو مقتول فوطئ في بطنه فكسر
ضلعين من أضلعه فقال الحجاج ردوه فلما ردوه قال له الحجاج أنت الفاعل بأمر المؤمنين
عثمان ما فعلت يوم قتل الدار ان في ذلك أيها الشيخ اصلا حال المسلمين يا سيف اضرب عنقه
فضرب عنقه وكان من أمره بعد ذلك ما عرف وستر • ومن حكايات الحجاج ما حكى أنه لما
أسرف في قتل اسرى دير الجاجم وأعطى الاموال بلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن
مروان فشق عليه وكتب اليه أما بعد فقد بلغنى عنك اسراف في الدماء وتبذير في العطاء
وقد حكت عليك في الدماء في الخطايا البدية وفي العمد بالقود وفي الاموال أن تردّها الى
مواضعها ثم تعمل فيها برأي فانما هو مال الله تعالى ونحن أمناءؤه فان كنت أردت الناس لي
فما أغناني عنهم وان كنت أردتهم انفسك فما أغناك عنهم وسيأتيك عنى أمران لين وشدة
فلا يؤمننك الا الطاعة ولا يوحسنك الا المعصية واذا أعطاك الله عز وجل الطفرة فلا تقتل
جانحها ولا أسيرا وكتب في أسفل الكتاب

اذا أنت لم تترك أمورا كرهتها • وتطلب رضائي بالذى أنا طالبه
فان ترمي غفلة قرشية • فبار بما قد غص بالماء شاربه
وان ترمي وثبة أموية • فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تأمننى والحوادث جنة • فانك تجزى بالذى أنت كاسبه
فلا تعد ما يأتيك منى وان تعد • يقمن به يوما عليك نواديه
فلا تمنن الناس حقائمه • ولا تعطين ما ليس للناس واجبه
فانك ان تعطي الحقوق فانما التوافل شئ لا يشيك واهبه

فلما ورد الكتاب على الحجاج كتب الى أمير المؤمنين أما بعد فقد ورد كتاب أمير المؤمنين بذكر

اسرافى في الدماء وتبذرى في الاموال ولعمري ما بالغت في عقوبة أهل المعصية ولا قضيت
حقوق أهل الطاعة فان كان قتلى العصاة اسرافا واعطائي المطيعين تبذيرا فليض لي
أمير المؤمنين ما سلف ووالله ما أصبت القوم خطأ فأوديتهم ولا ظلمتهم عمدا فأقاد بهم ولا قتلت
الآل ولا أعطيت الأفيك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته **وكتب في أسفل**
الكتاب

إذا أنا لا أبغى رضاك وأتقى * إذا لم أظلم لا توارى كواكبـه
وما لأمرئ بعد الخليفة جنة * تقيه من الأمر الذي هو راكبـه
إذا فارف الخجاج فيك خطيئة * لقامت عليه بالصباح نواديه
إذا أنا لم أدن الشفيق لعميمه * وأقص الذي تسرى إلى عقاربـه
وأعط المواسي في البلاء عطية * لرد الذي ضاقت على مذاهبـه
فمن يتقى بؤسى ويرجو موتى * ويخشى غدا والدهر حرم نوابـه
وأمرى اليك اليوم ما قلت قلته * وما لم تقل له لم أقبل ما يقاربـه
ومهما أردت اليوم منى أردته * وما لم ترده اليوم أنى مجانبـه
وقب لي على حد الرضا لأجوزه * مدى الدهر حتى يرجع الدراحابـه
والأفـدعنى والامور فاني * شفيق رفيق أحكمته تجاربـه

فلما انتهى الكتاب إلى عبد الملك قال خاف أبو محمد مصولتي ولم يعاود لا مر **كرهته** ان شاء
الله تعالى فمن يلومني على محبته يا غلام اكتب اليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وأنت أعلى
عينا عما هنالك * وفي مروج الذهب للمسعودي أن أتم الخجاج وهي الفارعة بنت همام ولدته
مشوها لا دبر له فتقب له دبر وأبي أن يقبل الثدي وأعيانهم أمره فيقال ان الشيطان تصور
لهم في صورة الحرث بن كادة حكيم العرب فسألهم عن ذلك فأخبره مخبر من أهلهم فقال لهم
اذبحوا له تيسا وألعه قومه من دمه وأولغوه فيه ثم اطلوا به وجهه ففعلوا ذلك فقبل الثدي
فلاجل ذلك كان لا يصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه أن اكبر لذاته سفك الدماء
وارتكاب أمور لا يقدر عليها وكانت أمه متزوجة قبل أبيه الحرث بن كادة فدخل
عليها يوما في السحرة فوجدها تحتل أسنانها فاطلقها فسألته لم فعل فقال لها ان **كنت**
بأكرت الغدا فأنت شرهية وان كان بقايا طعام بغيرك فأنت قدرة فقالت كل ذلك لم يكن
وانما تحتلت من شطايا السواك فقال قضى الأمر فترجها بعدده يوسف بن عقيل الشقي
فاولدها الخجاج * وقيل ان الخجاج تقلد الامارة وهو ابن عشرين سنة ومات وله ثلاث
وخسون سنة وكان من عنف السياسة وثقل الوطأة وظلم الرعية والاسراف في القتل
على ما لا يبلغه وصف أحصى من قتله الخجاج بأمره سوى من قتله في حروبه فكانوا مائة ألف
وعشرين ألفا ووجد في سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة لم يجب على
أحد منهم قطع ولا قتل وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد ولم يكن لحبسهم سقف
يستر الناس من الحر والبرد * وقيل للشعبى **أمكن** الخجاج مؤمنا قال نعم يا طاغوت وقال
لوجأت كل أمة بجنيئها وفاسقها وجنابا للخجاج وحده لزدنا عليهم والله أعلم وقدمضى القول

في ذكر الفصحاء من الرجال وحكاياتهم وما أعان الله تعالى عليه واستحضرت من أخبارهم وأنا قائل ان شاء الله تعالى ما استحضرت من ذكر فصحاء النساء وأخبارهن وحكاياتهن والله المستعان

(ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن)*

* (حكى) عن أبي عبد الله النخعي انه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر إذ لاح له طريدة فأطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل فأشرف على نهر ماء من القرى فإذ هو بجارية عريسة خاسية القد قاعدة الهند كأنها السمراء لينة تمامه ويدها قريبة قد ملأته ماء وحملتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فأنحلت وكأثرها فصاحت برقيق صوتها يا أبت أدرك فإها قد غلبني فوها لا طاقة لي بغيرها قال ففجأ المأمون من فصاحتها ورمت الجارية القسرية من يدها فقال لها المأمون يا جارية من أي العرب أنت قالت أنا من بني كلاب قال وما الذي حملك أن تكوني من الكلاب فقالت والله لست من الكلاب وإنما أنا من قوم كرام غير لئام بقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من أي الناس أنت فقال أو عندي علم بالانساب قالت نعم قال لها أنا من مضر الجراء قالت من أي مضر قال من أكرمها نسباً وأعظمها حساباً وخيرها أمماً وأبا من تها به مضر كلها قالت أظنك من كنانة قال أنا من كنانة قالت فمن أي كنانة قال من أكرمها مولداً وأشرفها محتداً وأطولها في المكرمات يداً من تها به كنانة وتخافه فقالت اذن أنت من قريش قال أنا من قريش قالت من أي قريش قال من أجملها ذكراً وأعظمها فخراً من تها به قريش كلها وتخشاها قالت أنت والله من بني هاشم قال أنا من بني هاشم قالت من أي هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة ممن تها به هاشم وتخافه قال فعند ذلك قبلت الأرض وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين قال ففجأ المأمون وطرب طرباً عظيماً وقال والله لا تزوجن به هذه الجارية لأنها من أكبر الغنائم ووقف حتى تلاحقته العساكر فنزل هناك وأنفذ خلف أبيها وخطبها منه فزوج به بها وأخذها وعاود مسروراً وهي والدة ولده العباس والله أعلم (وحكى) أن هند ابنة النعمان كانت أحسن أهل زمانها فوصف للعجاج حسن ما أنفذ إليها يخطبها وبذل لها مالاً جزيلاً وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم ودخل بها ثم أنها انحدرت معه إلى بلاد أبيها المعرة وكانت هند فصيحة أديبة فأقام بها العجاج بالمعرة مدة طويلة ثم إن العجاج رحل بها إلى العراق فأقامت معه ما شاء الله ثم دخل عليها في بعض الأيام وهي تنظر في المرأة وتقول

وما هند إلا ماهرة عربية • سليمة أفراس تحللها بغل

فإن ولدت فخلافته درهما • وإن ولدت بغلاً جاء به البغل

فأنصرف العجاج راجعاً ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فأراد العجاج طلاقها فأنفذ إليها عبد الله بن طاهر وأنفذ لها معه مائتي ألف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا ترد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك أبو محمد العجاج

كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر انا والله كما
فما جدنا وبنانا من هذه المائتا ألف درهم التي جئت بها بشارتك بخلاص من كلب
بن ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فأرسل
اليها بخطها فأرسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين أن الاناء ولغ فيه
الكلب فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب في اناء
أحدكم فليغسله سبعاء احدا من القرباء فاعلى الاناء بمحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير
المؤمنين لم يتمكنوا المخالفة فكتبت اليه بعد الثناء عليه يا أمير المؤمنين والله لا أحل العقد الا
بشرط فان قلت ما هو الشرط قلت أن يقود الحجاج محملى من المعزة الى بلدك التي أنت فيها
ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها أولا فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديدا
وأنفذ الى الحجاج وأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتنحل الامر ولم
يخالف وأنفذ الى هند يا امرها يا اتجوز فقهرت وسارا الحجاج في موكبه حتى وصل المعزة
بلد هند فركبت هند في محمل الزفاف وركب حواها جواريمها وخدمها وأخذ الحجاج بزمام
البعير يقوده ويسير بها فجعلت هند تتواغد عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت
للهم فادابا ككشني الى سيف المحمل فكشفته فوقع وجهها في وجه الحجاج فضحكت
عليه فأنشأ يقول

فان تضحكى منى فباطول لبلة * تركتك فيها كالقباء المفترج

فأجابته هند تقول

وما ليالى اذا أرواحنا سلت * بما فقدناه من مال ومن نسب

فالمال مكتسب والعز مرتجع * اذا النفوس وقاه الله من عطب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب الى أن قربت من بلد الخليفة فرمت بدينا على الارض
ونادت يا جمال انه قد سقط منادىهم فارفعه اليسا فنظر الحجاج الى الارض فلم يجد الا دينا را
فقال انما هو دينار فالت بل هو درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منادىهم فعوضنا
الله دينارا فجعل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج
بها وكان من امرها ما كان وقد وجدت في بعض النسخ ما هو أوسع من هذا ولكن اقتصرنا
على القليل منه اذ فيه الغرض والله أعلم * وقيل ان جارية عرضت على الرشيد ليشترىها
فأماها وقال لمولاها خذ جاريته قلولا كلف بوجهها وخمس بأنفها لاشتريتها فلما سمعت
الجارية مقالة أمير المؤمنين قالت مبادرة يا أمير المؤمنين اسمع منى ما أقول فقال قولى فأنشدت
تقول

ماسم الظبي على حسنة * كلا ولا البدر الذي يوصف

الظبي فيه خفس بين * والبدر فيه كلف يعرف

قال فحجب من فصاحتها وأمر بشرائها وقيل عرضت على المأمون جارية بارعة في الجمال
فأنقصة في الكمال غير أنها كانت تعرج برجلها فقال لمولاها خذيه دها وارجع فلولا عرجها
لاشتريتها فقالت الجارية يا أمير المؤمنين انه في وقت حاجتك لا يكون بحيث تراه فأعجب به

سرعة جوابها وأمر بشرائها ومن ذلك ما حكى أن كريم الملك كان من ظرفاء الكتاب فمسير
يوما تحت جوسق بستان فرأى جارية ذات وجه زاهر وكمال باهر لا يستطيع أحد وصفها
فلما نظر إليها ذهل عقله وطار قلبه فعاد إلى منزله وأرسل إليها هدية نفيسة مع عجوز كانت
تخدمه وكانت الجارية عزيا وكتب إليها رقعة بعرض إليها بالزيارة في جوسقها فلما
قرأت الرقعة قبلت الهدية ثم أرسلت إليه مع العجوز عنبراً ووجهت فيه زرد ذهب وربطت ذلك
على منديل وقالت للعجوز هذاجواب رقعته فلما رأى كريم الملك ذلك لم يفهم معناه وتحير في
أمره وكانت له ابنة صغيرة السن فلما رأته أباهما مضيراً في ذلك قالت له يا أبت أنا علمت معناه قال
وما هو لله درك قالت

أهدت لك العنبر في جوفه • زرت من التبرخني اللعاب

قال زروا العنبر معناه • زرهكذا مختصاً في الظلام

قال فحجب من فطنها وفصاحتها واستحسن ذلك منها (وحكى) أن طائفة من بني غنم كانوا
يكسرون أول الفحل فترت فتاة منهم جميلة الصورة على جماعة فنادوا لها انضص منهم وأراد أن
يوقعها فيما ينسب إليهم من كسر الفحل فقال لا شيء يا بني غنم ما نكسرون فقالت ولم لانكسني
وكسرت الفحل فضحك عليها وقال أفعلى ان شاء الله نكسرت من قوله وتغير وجهها وأرادت أن
توقعه كما أوقعها فقالت له هل تحسن شيئاً من العروض قال نعم قالت قطع لي
حولاً وعنا كنيسة لكم • يا بني جمالة الخطب

فقطعه فوقف على عن ثم ابتدأ بالنون والالف مع بقية الحروف فضحكت عليه وأضحكت
أصحابه فقال ويحك لم تبرخي حتى أخذت بشارك (وحكى) أن شاعراً كان له عدو فبينما هو سائر
ذات يوم في بعض الطرق إذا هو بعدوه فعلم الشاعر أن عدوه فأناله لا محالة فقال له يا هذا أنا
أعلم أن المنية قد حضرت ولكن سألتك الله إذا أنت قتلتني امض إلى دارى وقف بالباب
وقل • ألا أيها البنات ان أبا كذا فقال معها وطاعة ثم انه قتله فلما فرغ من قتله أتى إلى داره
ووقف بالباب وقال • ألا أيها البنات ان أبا كذا • وكان للشاعر ابنتان فلما سمعا قول الرجل
ألا أيها البنات ان أبا كذا أجابتا بضم واحد • قتل خذ ابناك عن أتنا كذا • ثم تعاقتا بالرجل
ورفعته إلى الحماكم فاستقرره فأقر بقتله فقتله والله أعلم • وقيل بينما كثير عزة مارة بالطريق
يوما إذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق غشى فقال لها تنصني عن الطريق فقالت له ويحك
ومن تكون قال أنا كثير عزة قالت فبحك الله وهل مثلك يتنصني له عن الطريق قال ولم قالت
أنت القاتل

وماروضة بالحسن طيبة الثرى • عجم التمدى جحجها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا • إذا لعلت بالبحر اللدن نارها

ويحك يا هذا لو تبخر بالبحر اللدن مثلي ومثل أمك لطاب ريحها لم لا قلت مثل سبيلك امرئ
القيس

وكتت إذا ما جئت بالليل طارفا • وجدت بهما طيباً وان لم تطيب

فقطعته ولم يرد جواباً • وقيل أتى الخوارج فقال لأصحابه ما تقولون فيها

قالوا عاجلها بالقتل أيها الأمير فقالت الخارجية لقد كان وزراء صاحبك خيرا من وزراءك
يا حجاج قال ومن هو صاحبى قالت فرعون استشارهم في موسى عليه السلام فقالوا
أرجئناه وأخاه * وأتى بأخري من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه فقيل لها الأمير
يكلمك وأنت لا تنظرين إليه فقالت انى لاستحيى أن أنظر الى من لا ينظر الله اليه (وحكى)
ابن الجوزى في كتابه المنتظم في مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما ولى عمر رضى
الله عنه الخلافة بلغه أن أصدقة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة درهم وأن فاطمة
رضى الله عنها كان صدقها على بن أبى طالب كرم الله وجهه أربع مائة درهم فأدى
اجتهاد أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه أن لا يزيد أحد على صدق البضعة النبوية فاطمة
رضى الله عنها فصعد المنبر وجد الله تعالى وأثنى عليه وقال أيها الناس لا تزيدوا في مهور
النساء على أربع مائة درهم فن زاد ألقى زيادته في بيت مال المسلمين فهاب الناس أن يكلموه
فقامت امرأة في يدها طول فقالت له كيف يحل لك هذا والله تعالى يقول وآتيتم أحدا منكم
قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا فقال عمر رضى الله عنه امرأة أصابت ورجل أخطأ * وقيل
جاءت امرأة الى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فقالت يا أمير المؤمنين ان زوجي بصوم النهار
ويقوم الليل فقال لها نعم الرجل زوجك وكان في مجلسه رجل يسمى كعبا فقال يا أمير المؤمنين
ان هذه المرأة تشبه زوجي في أمر مباحة اياها عن فراشه فقال له كما فهمت كلامها
احكم بينهما فقال كعب على بزوجها فاحضر فقال له ان هذه المرأة تشكوك قال أفى أمر طعام
أم شراب قال بل فى أمر مباحة تلك اياها عن فراشك فأنشأت المرأة تقول

يا أيها القاضي الحكيم أنشد * ألهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليس له لا يرقده * فليست فى أمر النساء أجده

فأنشأ الزوج يقول

زهدنى فى فرشها وفى الحلل * أنى امرؤ أذهلنى ما قد نزل
فى سورة النمل وفى السبع الطول * وفى كتاب الله تخويف يحل

فقال له القاضي

ان لها عليك حقال يرل * فى أربع نصيبها من عقل
فعاطها ذاك ودع عنك العمل

ثم قال ان الله تعالى أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام بلياليهن ولها يوم
وليلا فقال عمر رضى الله عنه لا أدري من أيكم أعجب أم من كلامها أم من حكمك بينهما
اذهب فقد ولينك البصرة * (حكاية المتكلمة بالقرآن) قال عبد الله بن المبارك رحمه الله
تعالى خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فزار قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا فى بعض
الطريق اذا أنا بسواد على الطريق فتميزت ذلك فاذا هى عجوز عليها درع من صوف وخمار
من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال فقلت
لها يرحمك الله ما تصنعين فى هذا المكان قالت ومن يضل الله فلا هادى له فعلت أنها ضالة
عن الطريق فقلت لها أين تريدن قالت سبجان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام

الى المسجد الاقصى فقلت انما قد قضت حجهما وهي تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ
 كم في هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويافقلت ما أرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمني
 ويسقين فقلت فباي شيء تتوضئين قالت فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فماتوا بها
 ان معي طعاما فهل لك في الاكل قالت ثم أتوا الصيام الى الليل فقلت ليس هذا شهر
 رمضان قالت ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم فقلت قد أبيع لنا الافطار في السفر
 قالت وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعملون فقلت لم لا تكلميني مثل ما تكلمت قالت
 ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقلت فن أي الناس أنت قالت ولا تقف ما ليس لك
 به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا فقلت قد أخطأت فاجعليني
 في حل قالت لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أجلك على ناقتي هذه
 فتدركي القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فأنضت ناقتي قالت قل لاهلها
 يغضوا من أبصارهم ففضضت بصري عنها وقلت لها اركبي فلما أرادت أن تركب انفرت
 الناقة فزقت ثيابها فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها
 اصبري حتى أعقلها قالت ففهمناها سليمان فعقلت الناقة وقات لها اركبي فلما ركبت
 قالت سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانما الى ربنا المنتقلون قال فأخذت بزمام
 الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت واقصدي في مشييك واغضضي من صوتك فجعلت أمشي
 رويدا رويدا وترنم بالشعر فقالت فاقروا ما تيسر من القرآن فقلت لها لقد أوتيت خيرا
 كثيرا قالت وما يذكر الا أولوالباب فلما مشيت بها قليلا قلت ألك زوج قالت
 يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤلكم فسكت ولم أكلها حتى ادركت
 بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا
 فقلت أن لها أولادا فقلت وما شأنهم في الحج قالت وعلامات وبالجمهم بهم يتهدون فقلت
 أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت
 واتخذ الله ابراهيم خذلا وكم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فنادت يا ابراهيم
 يا موسى يا يحيى فاذا أنا بشبان كأنهم الاقار قد أقبلوا فلما استقروا بهم الجلوس قالت فابعثوا
 أحداكم بورقكم هذه الى المدينة فليتنظروا بها أركي طعاما فليأتكم برزق منه فغضى أحدهم
 فاشترى طعاما فقدموه بين يدي فقالت كما وواشربوا هنيا بما أسلفتم في الايام الخالية
 فقلت الان طعامكم على حرام حتى تجربوني بأمرها فقالوا هذه أمنالها منذ أربعين سنة
 لم تتكلم الا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت
 ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا
 محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الثامن في الاجوبة المسكنة والمستحسنة ورشقات اللسان وما جرى مجرى ذلك) *
 (قبيل) ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيب يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة
 مائة ألف على قوله

معن بن زائدة الذي زادت به * شرفا على شرف بنوشيبان

فقال كلاب يا أمير المؤمنين انما أعطيت على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن

ففتحت حوزته وكنت وقاه * من وقع كل مهندوسستان

فقال أحسنت والله يا معن وأمره بالجوائز والخلع * ووفد ابن أبي مخجن على معاوية
فقام خطيبا فأحسن فحسده معاوية وأراد أن يوقعه فقال له أنت الذي أوصاك أبوك
بقوله

إذا مت فادفني إلى جنب كرمه * ترقى عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفني في القلعة فاني * أخاف إذا ماتت أن لا أذوقها

قال بل أنا الذي يقول أبي

لاتسأل الناس مالم يكثره * وسائل الناس ما جودي وما خلقي

أعطى الحسام غداة الروح حصته * وعامل الرمح أرويه من العلق

وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض * وأكتم السر فيه ضربة العنق

ويعلم الناس أني من سراهم * إذا سبما بصير الرعد يد بالفرق

فقال له معاوية أحسنت والله يا ابن أبي مخجن وأمره بصلته وجائزة * (وقيل) أخذ عبد الملك

ابن مروان بعض أصحاب شبيب الحارثي فقال له ألسنت القاتل

ومنا شريد والبطين وقعب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال يا أمير المؤمنين انما قلت ومنا أمير المؤمنين شبيب وأردت بذلك مضادة لك فكان ذلك

سببا لنجاته * ودخل شريك بن الأعور على معاوية وكان دميما فقال له معاوية انك للميم

والجمل خير من الدميم وانك لشريك ومالله من شريك وان أباك لأعور والصحيح خير من

الأعور فكيف سدت قومك فقال له انك معاوية ومامعاوية الأكلبة عوت فاستعوت الكلاب

وانك لابن صخر والسهل خير من الصخر وانك لابن حرب والسلم خير من الحرب وانك لابن أمية

وما أمية إلا أمة صفرت فكيف صرت أمير المؤمنين ثم خرج وهو يقول

أيشتمني معاوية بن حرب * وسيفي صارم ومعى لساني

وحولي من ذوى بن ليوث * ضراغمة تهش إلى الطعان

يعير بالدمامة من سفاه * وربات الجبال من الغواني

ودخل يزيد بن أبي مسلم صاحب شرطة الحجاج على سليمان بن عبد الملك بعد موت الحجاج

فقال له سليمان قم الله رجلا أجر لك رسنه وأولك أمانته فقال يا أمير المؤمنين رأيتني

والامر لك وهو عنى مدبر فلورايتني وهو على مقبل لاستكبرت منى ما استصغرت

واستهظمت منى ما استحققت فقال سليمان أترى الحجاج استقر في جهنم فقال يا أمير المؤمنين

لا تقل ذلك فان الحجاج وطأكم المنابر وأذل لكم الجبابرة وهو يحيى يوم القيامة عن عيني أهلك

وشمال أخيك فحينما كانا كان * وقال يهودى لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه مالكم

لم تلبثوا بعد نبيكم الا خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم فقال علي كرم الله وجهه ولم أنتم لم تفجف

أقدامكم من البلال حتى قلتم يا موسى اجعل لنا الها كالهة * ووجد الحجاج على منبره

مكتوباً قل تمتع بكفرك قليلاً انك من أصحاب النار فكذب تحتته فل موتوا بغيظكم ان الله عليم
 بذات الصدور * ودخل عقيل على معاوية وقد كسف بصره فأجلسه معه على سريره ثم
 قال له انتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال له عقيل وانتم معشر بني أمية تصابون
 في بصائركم * وقيل اجتمعت بنو هاشم يوماً عند معاوية فأقبل عليهم وقال يا بني هاشم ان خيري
 لكم لمنوح وان بابي لكم مفتوح فلا يقطع خيري عنكم ولا يرد يابي دونكم ولما نظرت
 في أمري وأمركم رأيت أمراً مختلفاً انكم ترون انكم أحق بما في يدي مني واذا اعطيتكم
 عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم أعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا فصرت كالسلوب
 والمسلوب لا حيلة له - ذامع انصاف فائلكم واسعاف سائلكم قال فأقبل عليه ابن عباس
 رضى الله عنه - ما فقال والله ما منحتنا شيئاً حتى سألناه ولا فقت لنا باباً حتى قرعناه ولئن
 قطعت عنا خيرك لخبر الله أوسع منك ولئن أغلقت دوننا باباً لكفن انفسنا عنك وأما هذا
 المال فليس لك منه الا مال الرجل من المسلمين ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منازاة يحمي
 خف ولا حافر أكفالك ام أزيدك قال كفاني يا ابن عباس * وقال معاوية يوماً أيها الناس
 ان الله حبا قريب ثابث ثلاث فقال لبيته صلى الله عليه وسلم وأندرعش - برنك الاقربين ونحن
 عشيرته الاقربون وقال تعالى وانه لذكركم واقومك ونحن قومه وقال تعالى
 لا يلاف قريش ايلافهم ونحن قريش فأجابه رجل من الانصار فقال على رسلك يا معاوية
 فان الله تعالى يقول وكذب به قومك وهو الحق وانتم قومه وقال تعالى ولما ضرب
 ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون وانتم قومه وقال تعالى وقال الرسول يا رب ان قومي
 اتخذوا هذا القرآن مهجوراً وانتم قومه ثلاثة بثلاثة ولوردتنا زديناك * وقال معاوية أيضاً
 لرجل من اليمن ما كان اجهل قومك حين ملاكوا عليهم امرأة فقال اجهل من قومي
 قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان كان هذا هو الحق
 من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ولم يقولوا اللهم ان كان هذا
 هو الحق من عندك فاهدنا اليه * وقال يوماً بالجارية بن قدامة ما كان اهونك على قومك
 اذ سموك جارية فقال ما كان اهونك على قومك اذ سموك معاوية وهي الانثى من الكلاب
 قال اسكت لا أم لك قال أم لي ولدتني أما والله ان القلوب التي أبغضت لك بها البين جوا ونحننا
 والسيوف التي قاتلناك بها التي أيدينا وانك لم تهلكنا قسوة ولم تملكنا عنوة ولكنك اعطيتنا هذا
 وميثاقاً واعطيناك سمعاً وطاعة فان وفيت لنا وفيينا لك وان نزعنا الى غير ذلك فاننا تركنا وراءنا
 رجالاً شداداً واسنة حداداً فقال معاوية لا اكثر الله في الناس مثلك يا جارية فقال له قل
 معروفان شر الدعاء محبط بأهله * وخطب معاوية يوماً فقال ان الله تعالى يقول وان
 من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فلام تلوموني اذا قصرت في عطاياكم
 فقال له الا حنف وانا والله لا تلومك على ما في خزائن الله ولكن على ما أنزل الله لنا من خزائنه
 فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه * وقيل دخل مجنون الطاق يوماً الى الحمام وكان
 بغير متر وفرآه ابو حنيفة رضى الله عنه وكان في الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى اعمالك
 الله قال حين هتك سترك * ومن ذلك ما حكى أن الججاج خرج يوماً من منزله فلما فرغ من نزله

صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بني عجل فقال له من اين ايها الشيخ قال
من هذه القرية قال كيف ترون عمالك قال شرا عمالك يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال
فكيف قولك في الجحاح قال ذلك ما ولي العراق شر منه قصه الله وقبح من استعمله قال
أتعرف من أنا قال لا قال أنا الجحاح قال جعلت فداك أوتعرف من أنا قال لا قال أنا فلان بن
فلان مجنون بني عجل أصرع في كل يوم مرتين قال فضحك الجحاح منه وأمر له بصلة
وقال رجل لصاحب منزل أصلح خشب هذا السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح قال
اني أخاف أن تدركه رقة فيمجد وقالت عجوز لزوجها أما تستحي أن تزني ولك حلال طيب
قال أما حلال ف نعم وأما طيب فلا وقال ملك لوزير ما خير ما يرزقه العبد قال عقل يعيش به
قال فان عدمه قال ادب يتحلى به قال فان عدمه قال مال يسترة قال فان عدمه قال فصاعة
تخرقه وتريح منه العباد والبلاد وتبدأ رجل في زمن المنصور فقال له المنصور أنت نبي
سفة فقال جعلت فداك كل نبي يبعث الى شكاه ومن الاجوبة المسكتة المستحسنة ما ذكر
أن ابراهيم مغني الرشيد غني يوما بين يديه فقال له احسنت احسن الله اليك فقال له
يا امير المؤمنين انما يحسن الله الي بك فأمر له بمائة ألف درهم وقال رجل لبعض العلوية
انت بستان فقال العلوي وأنت النهر الذي يسقي منه البستان وزججت عائشة رضي الله
تعالى عنها شاة وتصدق بها وأفضلت منها كتفا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما عندك
منها فقالت ما بقي منها الا كتف فقال كلها بقي الا كتفا وقال عبد الله بن يحيى لابي العينية
كيف الحال قال أنت الحال فانظر كيف انت انما فأمر له بمال جزيل وأحسن صلته وكان عمرو
ابن سعد بن سالم في حرم المأمون ليلة فخرج المأمون يتفقد الحرم فقال لعمرو من أنت قال
عمرو عمرك الله ابن سعد اسعدك الله ابن سالم مالك الله قال أنت تكاونا اللبلة قال الله يكلوك
يا امير المؤمنين وهو خير حفظا وهو أرحم الراحمين فقال المأمون

ان أخا الهيجاء من يسعي معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب زمان صدعك * شئت فمك شئت له ليجمعك

ادفعوا اليه أربعة آلاف دينار قال عمرو ووددت لو أن الآيات طالت وقال المعتصم للفتح
ابن خاقان وهو صبي صغير رأيت يا فتح أحسن من هذا الفص الفص كان في يده قال
نعم يا امير المؤمنين البدا التي هو فيها احسن منه فأعجبه جوا به وأمر له بصلة وكسوة وقيل
ان رجلا سأل العباس رضي الله عنه أنت اكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر وأنا ولدت قبله وقال معاوية لسعيد بن مرة الكندي
أأنت سعيد قال امير المؤمنين سعيد وأنا ابن مرة وقال المأمون للسعيد بن أنس أنت
السيد قال امير المؤمنين السيد وأنا ابن أنس وقال الجحاح لامهلب وهو عايش به أنا أطول
أم أنت قال الامير أطول وأنا بسط قامة أراد الطول وهو الفضل والاجوبة به هذا المعنى
كثيرة لو تتبعتم الهجرت عنها ولكي اقتصرت على هذا وأوجزت وفيما ذكرته من ذلك كفاية
واسأل الله تعالى العون والعناية

الباب التاسع في ذكر الخطب والخطباء والشعر والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد

وهفوات الامجاد

قبل خطب المأمون فقال اتقوا الله عباد الله وأنتم في مهل بادروا الاجل ولا يغترنكم
الامل فكأنني بالموت قد نزل فشققت المرء شواغله وتولت عنه فواصل له وهيت كفانه
وبكاه جزائه وصار الى التراب الخالي بجسده البالي فهو في التراب عفير والى ما قدم
فقير وقال الشعبي ما سمعت أحدا يخطب الا غشيت أن يسكت مخافة أن يخطئ ما خلا زيادا
فانه لا يزداد اذا كثارا الا ازداد احسانا وخطب على رضى الله عنه فقال في خطبته عباد
الله الموت الموت ليس منه فوت ان أقيم أخذكم وان فررتم منه ادرككم الموت
معقود بنواصيركم فالجبال النجا والوحا الوحى فان وراءكم طالبا حثيثا وهو القبر ألا وان القبر
روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ألا وانه يتكلم في كل يوم ثلاث كلمات فيقول
أنايت الظلمة أنايت الوحشة أنايت الدبدان ألا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه يوما
يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات
حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ألا وان وراء
ذلك اليوم يوما أشد منه فيه نار تنسجرح حرها شديد وقهرها بعيد وحلمها حديد وماؤها صديد
ليس لله فيها رحمة قال فيسكى المسلمون بكاء شديدا ثم قال ألا وان وراء ذلك اليوم جنة
عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ادخلنا الله وأياكم دار النعيم وأجارنا وأياكم من
العذاب الاليم (وخطب) الحجاج بن يوسف فقال في بعض خطبه ان ابراهيم بن عبد الله بن
الحسن رضى الله عنه خطب بالبصرة فقال ايها الناس كل كلام في غير ذكر فهو لغو وكل
صمت في غير ذكر فهو سيم والدينا حلم والآخرة بقطة والموت متوسط بينهم ونحن في أضغاث
أحلام قيل اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة
فقام رجل من الخطباء من عذرة يقال له يزيد بن المقفع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال أمير
المؤمنين هذا وأشار الى معاوية ثم قال فان يهلك فهو هذا وأشار الى يزيد ثم قال فمن أبي فهذا
وأشار الى سيفه فقال له معاوية انت سيد الخطباء

(فصل في ذكر الشعر والشعراء ومرفاتهم قيل ما استدعى شاردا الشعر بمثل الماء
الجارى والشرف العالى والمكان الخضر الخالى وقيل امسك على النابغة الجعدي
أربعين يوما فلم ينطق بالشعر ثم ان بنى جعدة غزا فافظروا فاستخفه الطرب والفرح فرام الشعر
فذل له ما استصعب عليه فقال له قومه والله لئن باط الاق لسان شاعرنا سر منا بالظفر
بعدونا وقال أبو نواس ما قلت الشعر حتى رويت استين امرأته من الخنساء وابلى فماتت
بالرجال وقال الخليل الشعراء امراء الكلام يتصرفون فيه كيف شاؤوا جائز لهم فيه ما لا يجوز
لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن نسبى الى اللفظ وتعقيد وقيل وقد زياد بن عبد الله
على معاوية فقال له أقرا القرآن قال نعم قال اقرا رضى القريض قال نعم قال اروي
الشعر قال لا فكتب الى عبد الله أبا يزيد بارك الله لك في ابنك فأرؤم الشعر فقد وجدته
كما لا وانى سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اروا الشعر فانه يدل على محاسن
الاخلاق وبقي مساوئها وتعلموا الانساب فرب رحيم مجهولة قد وصلت بعرفان النسب

وتعلموا من النجوم ما يدل لكم على سبلكم في البر والبحر ولقد هممت بالهرب يوم صفين فما ثبتني الا قول القائل

اقول لها اذا جشأت وجاشت * مكانك تحمدي او تستريحي

وقيل لم يرقط اعلم بالشعر والشعراء من خلف الاحمر كان يعمل الشعر على السنة الفحول من الله ما فلا يميز عن مقولهم ثم تنسك فكان يختم القرآن كل يوم وليلة وبذل له بعض الملوك ما لا جز بلا على أن يتكلم في بيت من الشعر شكوا فيه فأبى وكان الحسن بن علي رضي الله عنه يعطى الشعر هراة فقبل له في ذلك فقال خير مالك ما وقيت به عرضك وقال أبو الزناد ما رأيت اروي للشعر من عروة قات له ما أروا الذي ابا عبد الله فقال وما روايتي مع رواية عائشة رضي الله عنها ما كان ينزل به شيء الا أنشدت فيه شعرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بقول القائل * كفى الاسلام والشيب للمرء ناهيا * ولم ينطق به موزونا فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه اشهد انك رسول الله حقا وتلاقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له * ولذا كرنبذة من سرقات الشعراء وسقطاتهم فمن ذلك قول قيس بن الخطيم وهو شاعر الاوس وشجاعها

وما المال والاخلاق الامارة * فما سطعت من معروفها افتزود
وكيف يخفى ما أخذ مع اشتهار قصيدة طرفة بن العبد وهي معلقة على الكعبة يقول فيها
لعمرك ما الايام الامارة * فما سطعت من معروفها افتزود
ومن ذلك قول عبدة بن الطبيب

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهما
أخذه من قول امرئ القيس

فلو أنم انفس توت شريتها * ولكنهم انفس نساقط انفسا
ويقال سرق شيئا واسترقه فقد استحقه وهو أن يسرق الشاعر المعنى دون اللفظ فن السرقه
الفاحشة قول كثير بن عبد الملك بن مروان
اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليه اعقد دريزينها
أخذه من قول الخطيبه ولم يغير سوى الروي

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها الولو وشنوف
وبحرير على سعة تبحره وقد رنه على غر الشعر وابشكار الكلام نقل قوله
فلو كان الخلود بفضل قوم * على قوم لكان لنا الخلود
من قول زهير وهو شعر مشهور يحفظه الصبيان وترويه النسوان وهو
فلو كان جد يخلد المرء لم يمت * ولكن جد المرء غير مخلد
وقد قال الشماخ

وامرئ يرحى النفس ليس بسافع * وآخر تخشى ضيره لا يضيرها
وهو مأخوذ من قول الآخر

ترحى النفوس الشيء لان استطيعه * وتخشى من الاشياء ما لا يضيرها

وأبو تمام مع قوته وقدرته على الكلام يقول
وأحسن من نور تفتح الصبا * بياض العطايا في سواد المطالب
أخذ من قول الاخطل

رأيت بياضا في سواد كأنه * بياض العطايا في سواد المطالب
(ومن سقطات الشعراء) ما قيل ان أبا العتاهية كان مع تقدمه في الشعر كثيرا سقط روى انه
لحق محمد بن مبادر بمكة فزاره وضاحه ثم انه دخل على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين هذا شاعر
البصرة يقول قصيدة في كل سنة وأنا أقول في كل سنة مائتي قصيدة فأدخله الرشيد اليه وقال
ما هذا الذي يقول أبو العتاهية فقال يا أمير المؤمنين لو كنت أقول كما يقول
ألا يا عتبة الساعة * أموت الساعة الساعة
أقلت كثيرا ولكني أقول

ابن عبد الحميد يوم توفي * هتركنا ما كان بالمهدود
مادري نعشه ولا حملوه * ما على النعش من عناق وجود
فأعجب الرشيد قوله وأمر له بعشرة آلاف درهم فكاد أبو العتاهية يموت غما وأسفا * وكان يشار به
برديسمونه أبا المحدثين ويسلمون اليه في الفضيلة والسبق وبعض أهل اللغة يستشهد بشعره ومع
ذلك قال

انما عظم سليمي حبي * قصب السكر لا عظم الجمل
واذا أدنيت منها بصلا * غلب المسك على ريح البصل

هذا مع قوله

اذا قامت المشيمة انتنت * كأن عظامها من خيزران

ومع قوله في الفخر

كأن منار النقع فوق رؤسنا * وأسافنا ليل تهاوى كواكبها

ومع قوله أيضا

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربها

وأبو الطيب المتنبي في فضله المشهور وأخذ به بزماء الكلام وقوته على رفائق المعاني وعلى ما في
شعره من الحكم والأمثال السائرة يقول

وضاقت الأرض حتى صارها ربه * اذا رأى غيري ظنه رجلا

وغيري معناه المعلوم والمعلوم لا يرى فهذا سقط فاحش

ومما يستهجن من قوله وتكاد أن تجده الأسماع قوله

تقلقات بالهم الذي قلقل الحشا * قلاقل عيش كاهن قلاقل

وقوله وقد جمع بين قبح اللفظ وبرودة المعنى

ان كان مثلك كان أو هو كائن * فبرئت خيئت من الاسلام

ومن معانيه المسروقة قوله

ونهب نفوس أهل النهب أولى * بأهل الجهد من نهب القماش

أخذه من قول أبي تمام

إن الأسود أسود الغاب همها * يوم الكريهة في الملوب لا السلب
قال أبو عبد الله الزبيري اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جيل وراوية الاحوص وراوية
نصيب فاقتصر كل منهم وقال صاحب أشعر فحكموا السيدة سكينة بنت الحسين بينهم لعقلها
وتبصرها بالشعر فخرجوا حتى استأذنوا عليها وذكر والدها أمرهم فقالت لراوية جرير أليس
صاحبك الذي يقول

طرقك صائدة القلوب وإيس ذا * وقت الزيارة فارحني بسلام
وأى ساعة أحلى من الزيارة بالطروق فبح الله صاحبك وقبح شعره فإلا قال فادخلي بسلام ثم
قالت لراوية كثير أليس صاحبك الذي يقول

يقتر بعيني ما يقتر بعينها * وأحسن شيء ما به العين قرت
وليس شيء أقتر بعينها من النكاح أيحب صاحبك أن ينكح فبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت
لراوية جيل أليس صاحبك الذي يقول

فلوتركت عقلي معي ما طلبتها * ولكن طلائيه المافات من عقلي
فأأراه هوى وأنا طلب عقله فبح الله صاحبك وقبح شعره * ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك
الذي يقول

أهيم بدعد ما حبيت فإن أمت * فواحرني من ذاهبهم بهابعدى
فقال لهمة الامن تعشقها ببعده فبحه الله وقبح شعره * لا قال
أهيم بدعد ما حبيت فإن أمت * فلاصلحت دعد الذي خلته بعدى
ثم قالت لراوية الاحوص أليس صاحبك الذي يقول

من عاشقين تواعدوا ترأسلا * ليل إذا نجم الثريا حلقا
باتا بأنهم ليل وألدها * حتى إذا وضع الصباح نفرقا
فبحه الله وقبح شعره * لا قال تعانقا فلم تن على واحد منهم وأجم روايتهم عن جوابه رضى الله
عنها * (وروى) ابن الكلبي قال لما أفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز وفدت اليه الشعراء
كما كانت تغد على الخلافة من قبله فأقاموا يساهة أياما لا يؤذن لهم في الدخول حتى قدم عدى بن
ارطاة عليه وكان منه بمكانة فتعرض له جرير وقال

يا أيها الرجل المزجي مطيته * هذا زمانك انى قد خلازمنى
أبلغ خليفتنا ان كنت لاقبه * أنى لدى الباب كالمشدود فى قرن
لأنس حاجتنا لا قيت مفقرة * قد طال مكثى عن أهلى وعن وطنى

فقال نعم يا أبا عبد الله فلما دخل على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال يا أمير المؤمنين
الشعراء يسألوك وأسئلتهم مسعومة ومهامهم صائبة فقال عمر رضى الله عنه ما لى وللشعراء فقال
يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدح فأعطى وفيه اسوة لكل مسلم قال صدقت
فمن الباب منهم * قال ابن عمك عمر بن أبى ربيعة القرشى قال لا قرب الله قرابته ولا حيا وجهه
أليس هو القائل

ألا ليتني في يوم تدنوني * شممت الذي ما بين عينيك والقم
وليت طهوري كان ريقك كله * وليت حنوطي من مشاشك والدم
ويا ليت سلى في القبور ضجيعتي * هنالك أوفى الجنة أوجهي
فليت عدو الله غنى لقاءها في الدنيا ثم يعمل عملا صالحا والله لا يدخل على أبا فخر بالبواب غيره من
ذكرت قال جميل بن معمر العذري قال أليس هو القاتل

الاليتنا جميعا فان غت * يوافي لدى الموقى ضربى ضربى
فأنا في طول الحياة براغب * أذا قيل قد سوى عليها صفيها
أطل تنهاري لأراها وتلتقي * مع التبل روي في المنام وروحها
والله لا يدخل على أبا فخر بالبواب غيره من ذكرت قال كثير عزة قال أليس هو القاتل
رهبان مدين والذين عهدتهم * سيكون من حذر الفراق قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * نخر والعزة ركة ما وجدوا
أبعد الله فوالله لا يدخل على أبا فخر بالبواب غيره من ذكرت قال الاحوص الانصاري قال
أبعد الله والله لا يدخل على أبا فخر بالبواب غيره من ذكرت قال الاحوص الانصاري قال
حتى هرب بهامته

الله بيني وبين سيدها * يفرمني بها وأتبعه

فخر بالبواب غيره من ذكرت قال همام بن غالب الفرزدق قال أليس هو القاتل يفتخر بالزنا
في قوله

هما دلياني من ثمانين قامة * كما انقض بازلين الزيش كثره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا * أحى فبري أم قيل فمخاذه
فقلت ارفعوا الحراس لا يظنونا بنا * ووليت في أعقاب ليل أبادره
والله لا يدخل على أبا فخر بالبواب غيره من ذكرت قال الاخطل التغلبي قال أليس هو
القاتل

ولست بصائم رمضان عمري * ولست بأكل لحم الاضاحي
ولست بزاجر عيسا بكورا * الى اطلال مكة بالنجاح
ولست بقائم كالعبد يدعو * قبيل الصبح حتى على الفلاح
ولكنني سأشربها شمولا * وأسجد عند منبج الصباح
أبعد الله عنى فوالله لا يدخل على أبا فخر بالبواب غيره من الشمره
من ذكرت قال جرير قال أليس هو القاتل

طرقك صائفة القلوب وايس ذا * وقت الزياره فارجمي بسلام
فان كان ولا بد فهذا فأذن له قال عدى بن ارمطة فخرجت فقات ادخل باجرير فدخل
وهو يقول

ان الذي بعث النبي محمدا * جعل الخلافة في الامام الامد
وسمع الخلائق عدله ووفاره * حتى ارفعوا وأقام ميل المائل

اني لاجومنه نفعا عاجلا * والنفس مواعة بحجب العاجل

والله أنزل في الكتاب فريضة * لابن السبيل وللفقير العائل

فلما مثل بين يديه قال يا جبري اتق الله ولا تنقل الاحقاد أنشأ يقول

كم باليامة من شعناء أرملته * ومن يقيم ضعيف الصوت والنظر

من بعد ذلك يـكفي فقد والده * كالفرخ في العش لم يدرج ولم يطر

أذكر الجهد والبلوى التي نزلت * أم قد كفاني ما بلغت من خبري

انا نرجوا اذا ما الغيث أخلقنا * من الخليفة ما نرجو من المطر

ان الخلافة جاءت على قدر * كما أتى ربه موسى على قدر

هذي الارامل قد قضيت حاجتها * فن لحاجة هذا الارمل الذكر

الخبر ما دمت حيا لا يفارقنا * بورك يا عمر الخيرات من عمر

فقال والله يا جبري لقد وافيت الامر ولا أملاك الا ثلاثين دينارا ف عشرة أخذها عبد الله ابني

وعشرة أخذتها أم عبد الله ثم قال لخادمه ادفع اليه العشرة الثالثة فقال والله يا أمير المؤمنين

انما الاحب مال اكتسبته ثم خرج فقال له الشعراء ما وراءك يا جبري فقال ورائي ما يسوءكم

خرجت من عند امير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء واتى عنه لراض ثم أنشأ يقول

رأيت رقي الجن لا يستغفزه * وقد كان شيطانى من الجن راقيا

(ومما جاء في كبريات الجياد وعفوات الامجاد)

قال الاحنف الشريف من عدت سقطاته وقلت عشراته وقالوا كل صارم ينبو وكل

جواد يكبو * وكان الاحنف بن قيس حليما سيدا يضرب به المثل وقد عدت له سقطه وهو أن

عمرو بن الاهتم دس اليه رجلا يسفهمه فقال يا أباهم ما كان أبوك في قومه قال كان أوسطهم

وسيدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانيا ففطن انه من قبل عمرو بن الاهتم فقال ما كان أبوك

قال كانت له فتوة وعروة ومكارم أخلاق ولم يكن أهتم سلاجا * وقال سعيد بن المسيب ما فاتني

الاذان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعين سنة ثم قام يريد الصلاة فوجد الناس

قد خرجوا من المسجد * (وقال) قتادة ما نسيت شيئا قط ثم قال يا غلام ناواني نعلي قال النعل

في رجلك وكان هشام بن عبد الملك من رجال بني أمية ودهاتهم وقد عدت له سقطات منها أن

الحادي حذابه يوما فقال

اني عليك أيها النجي * أكرم من يشى به المطى

فقال هشام صدقت * وذكر عنه سليمان وأخوه فقال والله لا يكون يوم القيامة الى أمير

المؤمنين عبد الملك ولما ولي الخلافة قال الحمد لله الذي أنقذني من النار بهذا المقام * قال النابغة

أي الرجال المهذب * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب العاشر في التوكل على الله تعالى والرضا بالقسم والقناعة وذم الحرص والطمع

وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول في التوكل على الله تعالى) قال الله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت

وقال تعالى وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه * وعن أبي

هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل
أفئدة الطير رواه مسلم قبل معناه متوكلون وقيل قلوبهم رقيقة وعن البراء بن عازب رضي
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تفد وخامسا وتعود بطائنا وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود من دعائي
أجبتك ومن استغاثني أغنته ومن استنصرني نصرته ومن توكل على كفيته فأنا كافي المتوكلين
وناصر المستنصرين وغياث المستغيثين ومجيب الداعين * (حكى) أنه كان في زمن هرون
الرشيد قد حصل للناس غلاء عر وضيق حال حتى اشتد الكرب على الناس اشتدادا عظيما
فامر الخليفة هرون الرشيد الناس بكثرة الدعاء والبكاء وأمر بكسر آلات الطرب ففي
بعض الأيام روى عبد الله بن عيسى عن يرقص ويغنى فحمل إلى الخليفة هرون الرشيد فسأله عن فعله
ذلك من دون الناس فقال ان سيدي عنده خزانة بروت وأنا متوكل عليه أن يطعمني منها فلما
أنا إذا أبالي فانا أرقص وأفرح فعند ذلك قال الخليفة إذا كان هذا قد توكل على مخلوق مثله
فالتوكل على الله أولى فسلم للناس أحوالهم وأمرهم بالتوكل على الله تعالى (وحكى)
أن حاتما الأصم كان رجلا كثير العيال وكان له أولاد ذكور وإناث ولم يكن يملك حبة
واحدة وكان قدمه التوكل فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم فتمتعوا بالذكر والحج
فدخل الشوق قلبه ثم دخل على أولاده فجلس معهم يتحدثهم ثم قال لهم لو أذنتم لبيكم
أن يذهب إلى بيت ربه في هذا العام حاجا ويدعوا لكم ماذا عليكم لو فعلتم فقالت زوجته
وأولاده أنت على هذه الحالة لا تملك شيئا ونحن على ما ترى من الفاقة فكيف تريد ذلك ونحن
بهم هذه الحالة وكان له ابنة صغيرة فقالت ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يهمكم ذلك دعوه يذهب
حمت شاء فانه منسأل للرزق وليس برزاق فذكرتهم ذلك فقالوا صدقت والله هذه الصغيرة
يا أبانا انطلق حيث أحببت فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج وخرج مسافرا وأصبح أهلا
ببته يدخل عليهم جيرانهم يوبخونهم كيف أذنوا له بالحج وتأسف على فراقه أصحابه وجيرانه
فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون لو سكت ماتنا كما فرغت الصغيرة طرفها
إلى السماء وقالت الهى وسيدي ومولاي عودت القوم بفضلك وانك لا تضيعهم فلا تخيبهم
ولا تخجلني معهم فبينما هم على هذه الحالة اذ خرج أمير البلدة متصيدا فاقاطع عن عسكره
وأصحابه فحصل له عطش شديد فاجتاز بيت الرجل الصالح حاتم الأصم فاستسقى منهم ماء
وقرع الباب فقالوا من أنت قال الأمير بيا بكم يستسقيكم فرفعت زوجة حاتم رأسها إلى
السماء وقالت الهى وسيدي سبحانك البارحة بتنا جميعا واليوم يتف الأمير على بابنا يستسقينا
ثم انها أخذت كوزا جديدا وملاؤه ماء وقالت للمتسائل منها اذرونا فأخذ الأمير الكوز
رشرب منه فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال هذه الدار لا ميرفقا لوالا والله بل لعبد
من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الأصم فقال الأمير اقدمت به فقال الوزير يا سيدي
لقد سمعت انه البارحة أحرم بالحج وسافر ولم يخلف له بالشيء وأخبرت انهم البارحة بانوا
جميعا فقال الأمير ونحن أيضا قد ثقلنا عليهم اليوم وليس من المروءة أن يثقل مثلنا على
مثلهم ثم حمل الأمير منطلقته من وسطه ورعى بها في الدار ثم قال لأصحابه من أحبني فليلق

منطقته فلي جميع أصحابه مناطقهم ورواها اليهم ثم انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم
 أهل البيت لا تنهكم الساعة بئس هذه المناطق فلما نزل الأمير رجع اليهم الوزير
 ودفع اليهم ثم ثمن المناطق ما لا يجزى ولا واسترد هاهناهم فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء
 شديدا فقالوا لها ما هذا البكاء انما يجب أن تفرحي فان الله قد وسع علينا فقالت يا أم والله
 انما يبكاني كيف بنتنا البارحة جميعا فانظر اليها مخلوق نظرة واحدة ذاعنا نابعدها فقرنا فالكرام
 الخالق اذا نظر اليها لا يكلنا الى أحد طرفه عين الله هم انظر الى أيننا ودبره بأحسن التدبير
 هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر حاتم أيهم فانه لما خرج محرما ولحق بالقوم توجه
 أمير الركب فطلبه واله طيبا فلم يجد واقبال هل من عبد صالح فدل على حاتم فلما دخل عليه
 وكله دعاله نعو في الأمير من وقته فأمر له بما يركب وما يأكل وما يشرب فنام تلك الليلة
 مفكرا في أمر عياله فقيل له في منامه يا حاتم من أصلح معاملته معنا أم لمخنا معا ملتصا به
 ثم أخبر بما كان من أمر عياله فأكثر الثناء على الله تعالى فلما قضى حجه ورجع تلقته أولاده
 فعانق الصبية الصغيرة وبكى ثم قال صغار قوم كبار قوم آخرين ان الله لا يتظر الى أكبركم ولكن
 ينظر الى أعرفكم به فعلمكم بعرفته والاتكال عليه فانه من توكل على الله فهو حسبه * ومن
 كلام الحكماء من أيقن أن الرزق الذي قسم له لا يقوته تعجل الراحة ومن علم أن الذي قضى
 عليه لم يكن ليخطئه فقد استراح من الجزع ومن علم أن مولا خير له من العباد فقد صدقه كفاء
 همه وجمع عمله * وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما ما قال كنت عند النبي صلى الله
 عليه وسلم يوما فقال يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك
 اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينزعوك
 بشئ لم ينزعوك الا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن تضرك بشئ لم يضرك الا
 بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الصحف وجفت الاقلام * ورفع الى الرشيد أن بدمشق رجلا
 من بني أمية عظيم المال والجاه كثير الخيل والجنود يخشى على المملكة منه وكان الرشيد
 يومئذ بالكوفة قال منارة خادم الرشيد فاستدعاني الرشيد وقال اركب الساعة الى دمشق
 وخذ معك مائة غلام وانقضي بقلان الاموى وهذا كتابي الى العامل لا توصله الا اذا امتنع
 عليك فاذا أجاب فقيده وعادله بعد أن تحصى جميع ما تراه وما يكلم به واذا كرلى حاله وما له
 وقد أجلتك لذهابك ستمنا ولجئتك ستمنا ولا فامتنك يوما أفهمت قلت نعم قال فسر على بركة الله
 فخرجت أطوى المنازل ليلا ونهارا لا أنزل الا الصلاة أو لذة ضاء حاجة حتى وصات ليلة السابع
 باب دمشق فلما فتح الباب دخلت فاصدا نحو دار الاموى فاذا هي دار عظيمة هائلة ونعمة
 طائلة وخدم وحشم وهيبة ظاهرة وحشمة وافرة ومصاطب متسعة وعلمان فيها جلوس
 فهجمت على الدار بغير اذن فهتوا وسألوا عنى فقيل لهم ان ههنا رسول أمير المؤمنين فلما
 صرت في وسط الدار رأيت أقواما محتشمين فظننت أن المطلوب فيهم فسألت عنه فقيل لي هو
 في الحمام فأكرمونى وأجلسونى وأمروا بعبادتي ومن صحبني الى مكان آخر وأنا انتقد الدار
 وأنا أمل الاحوال حتى أقبل الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرة من كهول وشبان وحفدة
 وعلمان فسلم على وسألتني عن أمير المؤمنين فأخبرته انه بعافية فحمد الله تعالى ثم أحضرت له

أطباق الفاكهة فقال تقدم يا منارة كل معناتك تأملت تأملا كثيرا اذ لم يكن لي فقلت ما آكل
 فلم يعاودني ورأيت ما لم أراه الا في دار الخلافه ثم تقدم الطعام فوالله ما رأيت أحسن ترتيبا
 ولا أعطر رائحة ولا أكثر آنية منه فقال تقدم يا منارة فكل قلت ليست لي به حاجة فلم يعاودني
 وتطرت الى أصحابي فلم أجدا أحدا منهم عندي فخرت لكثرة حقدته وعدم من عندي فلما غسل
 يديه أحضر له البخور فتبخر ثم قام فصلى الظهر فأتى الركوع والسجود وأكثرت من الركوع
 بعدها فلما فرغ استقبلني وقال ما أقدمك يا منارة فمناولته كتاب أمير المؤمنين فقبله ووضع على
 رأسه ثم فضه وقرأ فلما فرغ من قراءة استمدحني بجميع بنيه وخوادم أصحابه وعلمائه وسائر
 عياله فضاقت الدار بهم ثم علي سعتها فطار عقلي وما شككت انه يريد القبض علي فقال الطلاق
 يلزمه والحج والعنق والصدقة وسائر أيمان البيعة لا يجتمع منكم انسان في مكان واحد حتى
 ينكشف أمره ثم أوصاهم على الحريم ثم استقبلني وقدم رجله وقال هات يا منارة قيودك
 فدعوت الخدام فقبضوا رجل حتى وضع في المحمل وركبت معه في المحمل وسرنا فلما صرنا في ظاهر
 دمشق ابتدأ يتحدثني بانبساط ويقول هذه الضيعة التي تعمل في كل سنة بكذا وكذا وهذا
 البستان لي وفيه من غرائب الاشجار وطيب الثمار كذا وكذا وهذه المزارع يحصل لي منها
 كل سنة كذا وكذا فقلت يا هذا أأست تعلم أن أمير المؤمنين أهم ما امرك حتى انقذني
 خلفك وهو بالكوفة ينتظرك وأنت ذاهب اليه ما تدري ما تقدم عليه وقد أخرجتك من
 منزلك ومن بين أهلك ونعمته بك وحيد افريدا وأنت تحبثني حديثا غير مفيد ولا نافع لك
 ولا سألتك عنه وكان شغلك بنفسك أولى بك فقال ان الله وانا اليه راجعون لقد أخطأت
 فراستني فيك يا منارة ما ظننت انك عند الخليفة بهم هذه المكانة الا لو فوجئت بك فاذا أنت جاهل
 عامي لا تصلح لمخاطبة الخلفاء أما خروحي على ما ذكرت فاني على ثقة من ربي الذي بيده ناصيتي
 وناصية أمير المؤمنين فهو لا يضر ولا ينفع الا بشيئة الله تعالى فان كان قد قضى علي بأمر
 فلا حيلة لي بدفعه ولا قدرة لي على منعه وان لم يكن قد قدر الله علي بشي فلو اجتمع أمير
 المؤمنين وسائر من علي وجه الارض علي أن يضروني لم يستطيعوا ذلك الا باذن الله تعالى
 ومالي ذنب فأخاف وانما هذا واش وشي عند أمير المؤمنين يبهتان وأمير المؤمنين كامل العقل
 فاذا اطلع علي برائي فهو لا يستحل مضرتي وعلى عهد الله لا كلمتك بعدها الاجواب ثم أعرض
 عني وأقبل علي التلاوة وما زال كذلك حتى وافينا الكوفة بكرة اليوم الثالث عشر وإذا النجب
 قد استقبلنا من عند أمير المؤمنين فكشف عن أخبارنا فلما دخلت علي الرشيد قبلت الارض
 فقال هات يا منارة أخبرني من يوم خر وجك عني الى يوم قدومك علي فابتدأت أحدثه
 بأموري كلها مفصلة والغضب يظهر في وجهه فلما انتهيت الى جمعه لاولاده وعلمائه وخوادمه
 وضيقي الدار بهم وتفقد أصحابي فلم أجدا منهم أحدا اسود وجهه فلما ذكرت عيونه عليهم
 تلك الايمان المغلظة تهمل وجهه فلما قلت انه قد تم رجليه أسفر وجهه واستبشر فلما أخبرته
 بحديثي معه في ضياعه وبساتينه وما قلت له وما قال لي قال هذا رجل محسود علي نعمته
 ومكذوب عليه وقد أزعجناه وأرعبناه وشوشنا عليه وعلى أولاده وأهله اخرج اليه وانزع
 قيوده وفكه وأدخله علي ثم كرر ما فقهلت فلما دخل قبل الارض فرحب به أمير المؤمنين

وأجابه واعتذر إليه فتكلم بكلام فصيح فقال له أمير المؤمنين سل حوائجك فقال سرعة رجوعي إلى بالدي وجمع شمل بأهلي وولدي قال هذا كائن فسل غيره قال عدل أمير المؤمنين في عمله ما أخرجني إلى سؤال قال نفاع عليه أمير المؤمنين ثم قال يا منارة اركب الساعة معه حتى ترده إلى المكان الذي أخذته منه قم في حفظ الله وودائعهم ورعايته ولا تقطع أخبارك عنا وحوادثك فانظر إلى حسن توكده على خالقه فإنه من توكّل عليه كفاه ومن دعاه لباه وسن سألته أعطاه ما تمناه وروى أن هذه الكلمات وجدها كعب الاسبار مكتوبة في التوراة فكتبها وهي يا ابن آدم لا تخافن من ذي سلطان مادام سلطان باقيا وسلطاني لا ينفد أبد يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق مادامت خزائني ملائكة وخزائني لا تنفذ أبد يا ابن آدم لا تأنس بغيري وأنا لك فان طالبتني وجه دني وان أنست بغيري فمك وفانك الخير كله يا ابن آدم خلقتك لمبادي فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفي أكثر منه فلا تطمع ومن أقل منه فلا تجزع فان أنت رضيت بما قسمته لك أرحمت قلبك وبدنك وكنت عذبي محمودا وان لم ترض بما قسمته لك فوعزتي وجلالي لا سلطان عليك الدنيا تر كض فيه اركض الوحوش في البر ولا ينالك منها الا ما ورسمته لك وكنت عذبي مذموما يا ابن آدم خلقت السموات السبع والارضين السبع ولم أغي بخلقهن أيعينني رغيف أسوقه لك من غير تعب يا ابن آدم أنا لك محب فبحق عابك كن لي محبا يا ابن آدم لا تطالبني برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد فاني لم انس من عصاني فكيف من أطاعني وأنا على كل شيء قدير وبكل شيء محيط قال الشاعر

وما ثم الا الله في كل حالة * فلا تتكل يوما على غير طافه

فكم حالة تأتي ويكرهها الفتي * وخيرته فيها على رغم أنفه

ولمؤاذه رحمه الله تعالى

توكل على الرحمن في الامركه * فما خاب حقان عليه توكل

وكن واثقا بالله واصبر لحكمه * تفز بالذي ترجوه منه فضلا

(الفصل الثاني في القناعة والرضا بما قسم الله) جاء في تفسير قوله تعالى من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة أن المراد بها القناعة وقال صلى الله عليه وسلم القناعة مال لا ينفد وقبله يا رسول الله ما القناعة قال الا يأس مما في أيدي الناس واياكم والطمع فإنه الفقر الحاضر وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من القناعة بالجانب الاوفروانه كان يشتهي الشيء فيدافعه سنة قال الكندي * العبد حر ما قنع * والحر عبد ما طمع * وقال بشر بن الحرث خرج فتى في طلب الرزق فبينما هو عيش فاعيا فأوى إلى خراب يستريح فيه فبينما هو يدير بصره اذ وقعت عيناه على أسطر مكتوبة على حائط فتأملها فاذا هي

اني رأيتك قاعدا مستقبلي * فعلت انك لله ومقرين

هون عليك وكن بربك واثقا * فأخواتك كل شأنه التهورين

طرح الاذى عن نفسه في رزقه * لما تيقن انه مضمون

قال فرجع الفتى إلى بيته ولزم التوكل وقال اللهم أدبنا أنت * قال الجاحظ انما خالف الله تعالى بين طبائع الناس ليوفق بينهم في مصالحهم ولولا ذلك لاختاروا كلهم الملك والسياسة والتجارة

والفلاحة وفي ذلك بطلان المصالح وذهاب المعايير فكل صنعة من الناس مزين أهم ما هم فيه فالحائث إذا رأى من صاحبه تقصيرا أو خلفا قال ويلك يا حجام والحجام إذا رأى مثل ذلك من صاحبه قال ويلك يا حائك فجعل الله تعالى الاختلاف سببا للاختلاف فسبحانه من مدبر قادر حكيم ألا ترى إلى البعدوى في بيت من قطعة خيش معه مد بعظام الخيف كاهه معه في بيته لباسه شملة من وبر أو شعر ودواؤه بعرا لابل وطيبه القطران وبعرا لظباء وحلي زوجته الودع ونمارة المقل وصيده البربوع وهو في مفازة لا يسمع فيها الأصوات بومة وعواء ذئب وهو قانع بذلك متفخربه * وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه يابني إذا طلبت الغنى فاطلبه في القناعة فانها مال لا ينفد وإياك والطمع فإنه فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تياس من شيء إلا أغناك الله عنه * وأصاب داود الطائي ثقافة كبيرة فجاءه مجاد بن أبي حنيفة رضي الله عنه بأربعة مائة درهم من تركه إليه وقال هي من مال رجل ما أقدم عليه أحد في زهد وورعه وطيب كسبه فقال لو كنت أقبل من أحد شيء بأقل من ثمنها لعظمي اللبث وكرام الله لي ولكني أحب أن أعيش في عز القناعة * وقال عيسى عليه الصلاة والسلام اتخذوا البيوت منازل والمساجد مساكن وكلوا من بقل البرية واشربوا من الماء القراح واخرجوا من الدنيا بسلام * وأنشد المبرد

ان ضن زيدا بما في بطن راحته * فالارض واسعة والرزق مبسوط

ان الذي قدرا الاشيا بحكمته * لم ينسني فاعدا والرحل محطوط

قال عبد الواحد بن زيد ما أحسب أن شيئا من الأعمال يتقدم الصبر إلا الرضا ولا أعلم درجة أرفع من الرضا وهو رأس المحبة * قيل له متى يكون العبد راضيا عن ربه قال إذا سرت به المصيبة كما سرت النعمة * وكان عبد الله بن مرزوق من ندما المهدي فسكرو يوما ففاتته الصلاة فجاءته جارية له بحج مرة فوضعتها على رجله فأتته مذعورا فقالت له إذا لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الآخرة فقام فصلى الصلوات وتصدق بما يملكه وذهب يبيع البقل فدخل عليه فضيل وابن عيينة فاذا تحت رأسه ابنة وما تحت جنبه شيء فقال له أنه لم يدع أحد شيئا لله إلا عوضه الله منه بدلا فخافوا من عمارت كثر له قال الرضا بما أنافيه * وقال الثوري ما وضع أحديده في قصعة غيره إلا ذل له * وقال الفضيل من رضى بما قسم الله له بارك الله له فيه * وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول الشمس في الشتاء جلال ونور القمر مرارجي وبقل البرية فاكهتي وشعر الغنم لباسي أيت حيث يدركني الليل ليس لي ولد يموت ولا بيت يخرب أنا الذي كبت الدنيا على وجهها بيت مفرد ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في ظلهما ما يؤرقه

* وقال عيسى عليه الصلاة والسلام انظروا إلى الطير تغدو وتروح ليس معها شيء من أرزاقها لا تحترث ولا تحصد والله يرزقها فان زعمتم أنكم أكبر بطونا من الطير فهذه الوحوش والبقر والجر لا تحترث ولا تحصد والله يرزقها * وقيل وفد عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك فشكل إليه خلته فقال له ألسنت القائل

لقد علمت وما الأسراف من خافي * أن الذي هو رزقي سوف ياتي بي

أسهى اليه فبعينى تطلبه * ولوقعت أنانى ليس بعينى
وقد جئت من الجواز الى الشام فى طلب الرزق فقال يا أمير المؤمنين لقد وعظت فأبلغت
وخرج فركب ناقته وكرأ الى الجواز راجعا فلما كان من الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة
فقال فى نفسه رجل من قريش قال حكمة ووفد على فجهته ورددته خائبا فلما أصبح وجه اليه
بألقى دينار ففرغ عليه الرسول باب داره بالمدينة وأعطاه المال فقال أبلغ أمير المؤمنين منى
السلام وقل له كيف رأيت قولى سميت فأكدت فرجعت فأتاني رزقى فى منزلى * ولماولى
عبد الله بن عامر العراق قصده صديقا له أنصاري وثقى فلما سار اتخاف الانصارى وقال
الذى أعطى ابن عامر العراق قادر على أن يعطينى فوفد الثقى وقال أحوز الحظين فلما
دخل على عبد الله بن عامر قال له ما فعل زميلك الانصارى قال رجع الى أهله فأمر للثقى
بأربعة آلاف دينار وبعث الى الانصارى بثمانية آلاف دينار فخرج الثقى وهو يقول

فوالله ما حرص الحريص بنافع * فيغنى ولا زهد القنوع بضائر
خرجنا جميعا من مسقط رؤسنا * على ثقة منا بجود ابن عامر
فلما أفضنا المناجعات بيباه * تخلف عن البئر بنى ابن جابر
وقال ستكفينى عطية قادر * على ما يشاء اليوم للخلق قاهر
فان الذى أعطى العراق ابن عامر * لربى الذى أرجو لست مفارقى
فقات خللى وجهه ولعله * سيجعل لى حظ الثقى المتزاور
فلما رآنى سال عنه صبابة * اليه كما حنت ظوار الاباعر
فأبت وقد أيقنت أن ليس نافعا * ولا ضار ثراشى خلاف المقادر

قيل اوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه انه تدرى لم رزقت الا حق قال لا يارب
قال ايعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتيال * ولبعض العرب

ولا تجزع اذا اعسرت يوما * فقد أيسرت فى الزمن الطويل
* ولا تظن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل
* وان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قبل
فلو أن العقول تسوق رزقا * لكان المال عند ذوى العقول

وأوحى الله تعالى الى يوسف عليه الصلاة والسلام انظر الى الارض فنظر اليها فانفجرت فرأى
دودة على صخرة ومعها الطعام فقال له أترانى لم أغفل عنها وأغفل عنك وأنت نبي * وابن نبي *
ودخل على بن أبي طالب رضى الله عنه المسجد وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد
أمسك على بغلتى فأخذ الرجل لحامها ومضى وترك البغلة تخرج على وفى يده درهمان
ليكافئ به ما الرجل على امساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لحام فركبها ومضى ودفع
الغلامه الدرهمين يشتري بهما لحاما فوجد الغلام اللجام فى السوق قد باعه السارق بدرهمين
فقال على رضى الله عنه ان العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على
ما قدر له * وقيل لراهب من أين تأكل فإشار الى فيه وقال الذى خلق هذه الرسى بأقبحها
بالطحين * وقال ساهم بن المهاجر الجيلي

كسوت جيل الصبر وجهي فصانه * به الله عن غشيان كل بخيل
فما عشت لم ات الخيل ولم اقم * على باب يوم مقام ذليل
وان قليلا يستر الوجه ان يرى * الى الناس مبدولا لغير قليل
وصلى معروف الكرخي خلف امام فلما فرغ من صلاته قال الامام لمعروف من أين
تأكل قال اصبر حتى اعيده صلاتي التي صليت اخافك قال ولم قال لان من شك في رزقه
شك في خالقه * وقال ابو حازم ما لم يكتب لي لو ركبت الريح ما أدركته * وقال عمر بن أبي عمر
البوناني

غلا السهر في بغداد من بعد رخصه * واني في الحالين بالله واثق
فلمست أخاف الضيق والله واسع * غناه ولا الحرمان والله رازق
وقال القهستاني

غنى بلادنياعن الخلق كلهم * وان الغنى الاعلى عن الشئ لابه
وقال منصور الفقيه

الموت اسهل عندي * بين القنا والاسنة
والخيل تجري سراعا * مقطعات الاعنه
من أن يكون لئذل * على فضل ومنه

وانشد أعرابي

أيامالك لا تسأل الناس والتمس * بكفيل فضل الله فالله أوسع
ولو تسأل الناس التراب لا وشكوا * اذا قبل هاتوا أن يملوا ويمنعوا
وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال عليك باليأس مما في أيدي الناس وإياك
والطمع فانه فقر حاضر * وقيل اذا وجدت الشئ في السوق فلا تطلبه من صديقك * وقيل
لأعرابية من أين معاشكم قالت لولم نعش الامن حيث نعش لم نعش * وقال أعرابي أحسن
الاحوال حال يغبطك به امن دونك ولا يحقرك معها من فوقك * وقال المعري
اذا كنت تبغى العيش قابغ نوسطا * فعند التناهي يقصر المتناول
توفي البدور النقص وهي أهلة * ويدركها النقصان وهي كوامل
وقال آخر

اقنع بأيسر رزق أنت نائله * واحذر ولا تتعرض للارادات
فما صفا البحر الا وهو منقوص * ولا تعكرا لا في الزيادات

وقال أعرابي استظهر على الدهر بخفة الظهر قال هشام بن ابراهيم البصري
وكم ملك جانبته عن كراهة * لاغلاق باب اول تشديد حاجب
ولي في غنى نفسي مراد ومذهب * اذا انصرفت عني وجوه المذاهب
وقيل ينبغي أن يكون المرء في دنياه كالمدعو الى الواية ان أتمه صحفة تناوواها وان لم تأنه لم
يرصدها ولم يطلبها * وقال شقيق بن ابراهيم البجلي قال لي ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى
أخبرني عما انت عليه قلت ان رزقت اكلت وان منعت صبرت قال هكذا تعمل كلاب

بلغ فقلت كيف تعمل أنت قال ان رزقت آثرت وان منعت شكرت وقال بعضهم
هي القناعة فالزمها تعش ملكا * لولم يكن منك الراحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن
وقال آخر

وان القناعة كنز لا يفنى * فصرت باذبالها محتسب
فلاذا يراني على بابي * ولاذا يراني له منهمك
فصرت غنيا بلا درهم * أم ترعى الناس شبه الملاك

جاء فتح الموصل الى أهله بعد العتمة فلم يجد عندهم شيئا للعشاء ووجدهم بغير سراج فجلس
ليلته يبكي من الفرح ويقول باي يد كانت متى تركت مثلي على هذه الحالة والله تعالى أعلم
(الفصل الثالث في ذم الحرص والطمع وطول الامل) قال الله تعالى ألهما كم التكاثر
حتى زرتم المقابر وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ألهما كم التكاثر حتى زرتم المقابر قال
يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اككت فأفنت وابست فابليت وتصدتقت
فامضيت وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
يا عائشة ان أردت اللعوق بي فليكفك من الدنيا كراذل راكب وياك وبجبالسة الاغنياء
ولا تستخلى ثوبا حتى ترقعه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من ملاح أول
هذه الامة بالزهد واليقين وهلاك آخر هذه الامة بالبخل والامل * وقيل الحرص ينقص
من قدر الانسان ولا يزيد في رزقه * وقيل الحكيم ما بال الشيخ أحرص على الدنيا من الشاب
قال لانه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب وما أحسن ما قال بعضهم

اذا طامعت حرصك كنت عبدا * لكل دنيسة تدعى اليها

وقال آخر و اجاد

قد شاب رأسي ورأس الدهر لم يشب * ان الحريص على الدنيا اني تعب
وقيل للاسكندر ماسرور الدنيا قال الرضا بما رزقت منها قيل فما غمها قال الحرص
عليها * وقال الحسن لو رأيت الاجل ومروءة نسيت الامل وغروره * وقال ابو سعيد
الخدري رضي الله عنه اشترى أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة اشترى الى شهر ان أسامة اطويل الامل وقال
ابن عباس رضي الله عنهما ما كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يخرج فيبول ثم يمسح بالتراب
فاقول ان المام من قريب فيقول ما يدريني اعلى ما أبلغه وعن أبي هريرة رضي الله عنه
يرفعه لا يزال الكبير شابا في اثنين حب المال وطول الامل * وقيل لمحمد بن واسع كيف
تجدك قال قصيرا الاجل طويل الامل مسمى العمل وقيل من جرى في عنان أمه كان
عائرا بأجله لو ظهرت الآجال لا فتضحت الآمال ولقد أحسن ابو العباس احمد بن مروان
في قوله

وذى حرص تراه يلم وفرا * لوارثه ويدفع عن جناه
ككلب الصيد يسلك وهو طار * فريسته اياكاه اسواه

ولقد أحسن من قال في الجناس الحقيقي
إذا ما نازعتك النفس حرصا * فأمسكها عن الشهوات أمسك
ولا تفرص ليوم أنت فيه * وعد فرزق يومك رزق أمسك
ومن كلام الحكماء أياكم وطول الأمل فإن من ألهاه أمله أخرجه عمله قال عبد الصمد
ابن المعدل

ولي أمل قطعت به الالبالي * أراني قد فنيته به وداما
قال الحسن أياكم وهذه الاملاني فإنه لم يعط أحد بالامنية خيرا قط في الدنيا ولا في الآخرة
قال قس بن ساعدة

وما قد تولى فهو لاشك فائت * فهل يتقضى لمتنى ولعلنى
وقال آخر
ولا تتعلل بالاماني فانها * عطايا أحاديث النفوس الكواذب
وقال آخر وأجاد
الله أصدق والآمال كاذبة * وجل هذى المني في الصدور وسواس
وقال آخر

شط المزار بسعدى وانتهى الامل * فلا خيال ولا رسم ولا طائل
الارجاء فاندري أندركه * أم يستمر فميا في دونه الاجل
وقال أبو العتاهية
لقد لعبت ووجد الموت في طلبي * وأن في الموت لي شغلا عن اللعب
لو شمرت ففكرتي فيما خلقت له * ما اشتد حرصي على الدنيا ولا طلبي
وله أيضا

تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال
وقد ضمنت البيت الأخير فقلت

أيا من عاش في الدنيا طويلا * وأقنى العمر في قبل وقال
وأعجب نفسه فيما سبقني * وجيع من حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

(ومما جاء في الطمع وذمه) قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أكثر مصارع العقول تحت
بروق المطامع وقال رضي الله عنه ما أحرص صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع وفي
الحديث أياك والطمع فإنه انفق الحاضر وقال فياسوف العبيد ثلاثة عبد رزق وعبد
شهوة وعبد طمع وقال بعضهم من أراد أن يعيش حرا أيام حياته فلا يسكن قلبه
الطمع وقبل اجتماع كعب وعبد الله بن سلام فقال له كعب يا ابن سلام من أرباب العلم قال
الذين يعملون به قال فما أذهب العلم عن قلوب العلماء بعد أن علموه قال الطمع وشبهه النفس
وطلب الحوائج الى الناس واجتمع الفضل وسفيان وابن كريمة البربوعى فتواصوا

ثم افترقوا وهم مجمعون على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام عجن بطينته ثلاثة أشياء الحرص والطمع والحسد فهي تجري في أولاده إلى يوم القيامة فالعاقل يخفيها والجاهل يديها ومعهذه أن الله تعالى خلق شهواتها فيه قال اسمعيل بن قطري القراطيسي

حسبي بعلي أن تنفع • ما للذل إلا في الطمع
من راقب الله نزع • عن سوء ما كان صنع
ما طار طير وارتنع • إلا كما طار وقع

وقال سابق البربري

يخادع ريب الدهر عن نفسه الفتى • سفاها ويريب الدهر عنها يخادعه
ويطمع في سوف ويهلك ونها • وكمن حريص أهلكته مطامعه
وقيل لأشعب ما بلغ من طمعك قال أرى دخان جاري فأفت خبزي وقال أيضا ما رأيت رجلين
ينساران في جنازة الا قترت أن الميت أوصى لي بشي من ماله وما زفت عروس الا كنت يتي
رجاء أن يغلطوا فيدخلوا بها إلى قال بعضهم

لاتغضبني على امرئ • لك مانع ما في يديه
واغضب على الطمع الذي اس • تدعالة تطلب ماله

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادي عشر في المشورة والنصيحة والتجارب والنظر في المواقب)

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الأمر واختلف أهل التأويل في أمره
بالمشاورة مع ما أمده الله تعالى من التوفيق على ثلاثة أوجه أحدها أنه أمر به في الحرب
ليستقر له الرأي الصحيح فيعمل عليه وهذا قول الحسن ثانياً أنه أمره بالمشاورة لما علم فيها
من الفضل وهذا قول الضحالك ثالثاً أنه أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون وإن كان في غيبة
عن مشورتهم وهذا قول سفيان وقال ابن عيينة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد
أمرًا شاور فيه الرجال وكيف يحتاج إلى مشاورة الخلقين من الخلق مدبر أمره ولا يكتفي
تعليم منه ليسا ور الرجل الناس وإن كان عالماً وقال عليه الصلاة والسلام ما خاب
من استخار ولا ندم من استشار ولا افتقر من اقتصد وقال عليه الصلاة والسلام من أعجب
برأيه ضل ومن استغنى بعنله زل وكان يقال ما استنبط الصواب بمثل المشاورة وقال حكيم
المشورة موكل بها التوفيق أصواب الرأي وقال الحسن الناس ثلاثة فرجل رجل ورجل
نصف رجل ورجل لا رجل فاما الرجل الرجل فذو الرأي والمشورة وأما الرجل الذي
هو نصف رجل فالذي له رأي ولا يشاور وأما الرجل الذي ليس برجل فالذي ليس له رأي
ولا يشاور وقال المنصور لولده خذني ثمين لا تقل في غيرته ~~كبير~~ ولا تعمل بغير تدبير وقال
الفضل المشورة فيها بركة وإنني لاستشير حتى هذه الحبشية الاممية وقال أعرابي لا مال
أوفر من العقل ولا فقر أعظم من الجهل ولا ظهر أقوى من المشورة وقيل من بدأ بالاستشارة
وثى بالاستشارة فحقيق أن لا يخيب رأيه رقيب الرأي السديد أحسن من البطل الشديد

قال أبو القاسم النهروندى

وما ألق مطرور السنان مستد * يعارض يوم الروح رأيا مستدا
وقال على رضى الله عنه خاطر من استغنى برأيه وسمع محمد بن داود وزيرا المأمون قول
التائل

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى أن يترددا
فأضاف اليه قوله

وان كنت ذا عزم فأنفذه عاجلا * فان فساد العزم أن يتقيدا
ولمحمد بن ادريس الطائى

ذهب الصواب برأيه فكانما * آراؤه اشتقت من التأيد
فاذا دجا خطب تبلى رأيه * صبحا من التوفيق والتسديد

ولمحمد الوراق

ان اللبيب اذا تفرق أمره * فتق الامور مناظرا ومشاورا
وأخو الجاهل يستبد برأيه * فتراه يعتسف الامور مخاطرا
وقال الرشيد حين بد الله تقديم الامين على المأمون فى العهد

لقد بان وجه الرأى لى غير أئنى * عدات عن الامر الذى كان أحزما
فكيف يرد الدر فى الضرع بعدما * توزع حتى صارتم بما مقسما
أخاف التواء الامر بعد استوائه * وأن ينقض الجبل الذى كان أبرما
وقال آخر

خابلى ليس الرأى فى جنب واحد * أشير على اليوم ما تريان
ووصف رجل عضد الدولة فقال له وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر فيه ألف قلب
وقال اردشير بن بابك أربعة تحتاج الى أربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقراية
الى المودة والعقل الى التجربة وقال لانس تحقر الرأى الجزيل من الرجل الحقير فان الدرة
لا يستهان بها الهوان غائصها وقال جعفر بن محمد لا تصككون أول مشير وياك والرأى الخطير
وتجنب ارتجال الكلام ولا تشير على مستبد برأيه ولا على متلون ولا على الخو ح وقيل ينبغى أن
يكون المستشار صحيح العلم مهذب الرأى فليس كل عالم يعرف الرأى الصائب وكل ناقص فى شئ
ضعيف فى غيره قال أبو الاسود الدؤلى

وما كل ذى نصيح بمؤتيك نصحه * وما كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن اذا ما استجمع عند واحد * فحوله من طاعة بنصيب

وكان اليونان والفرس لا يجمعون وزراءهم على أمر يستشيرونهم فيه وانما يستشيرون
الواحد منهم من غير أن يعلم الا تخربه لمعان شتى منها التلايقع بين المستشارين منافسة فتذهب
اصابة الرأى لان من طباع المشتركين فى الامر التنافس والطعن من بعضهم فى بعض وربما
سبق احدهم بالرأى الصواب فحسدوه وعارضوه وفى اجتماعهم ايضا للمشورة تعريض
السرى للاذاعة فاذا كان كذلك وأذيع السرى لم يقدر الملك على مقابله من أذاعه للالهام

فان عاقب الكل عاقبهم بذب واحدا وان عشا عنهم ألحق الجاني بمن لا ذنب له وقيل اذا أشار عليك صاحبك برأى ولم تحمد عاقبته فلا تجعل ذلك عليه لو ما وعتابا بأن تقول أنت فعلت وأنت أمرتني ولولا أنت فهذا كله ضجر ولوم وخفة وقال افلاطون اذا اشتراك عدوك فجزد له النصيحة لانه بالاستشارة قد خرج من عداوتك الى موالاتك وقيل من بذل نفسه واجتهاده لمن لا يشكره فهو كمن بذر في السباح قال الشاعر يمدح من له رأى وبصيرة

بصير بأعقاب الامور كأنما * يخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب على غيرك وقال الاخنف لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الاسير حتى يطلق ولا المقل حتى يجرد ولما أراد نوح ابن مريم فاضى مروا أن يزوجه ابنته استشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتيني قال لا بد أن تشير علي قال ان رئيس الفرس كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار الحسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر لنفسك من تستدى * وكان يقال من أعطى أربعة ما يمنع أربعة من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستشارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقيل اذا استشار الرجل ربه واستشار صديقه واجهد رأيه فقد قضى ما عليه وبقضى الله في أمره ما يحب * وقال بعضهم خير الرأى خير من قطيره وتقديره خير من تأخيره وقالت الحكماء لا تشاور مع ما ولا راعى غنى ولا كثر القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا حاقنا * وقيل سبعة لا ينبغي لصاحب اب أن يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة والمراء واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأى له في غيره وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفتة * (وحكى) أن رجلا من أهل يثرب بعرف بالاسلمى قال ركبني دين أثقل كاهلي وطالبني به مستحقوه واشتدت حاجتي الى ما لا بد منه وضائق على الارض ولم أهتد الى ما أصنع فشاورت من أثق به من ذوى المودة والرأى فأشار على بقصد المهلب بن أبي صفرة بالعراق فقلت له تمنعني المشقة وبعد الشقة وتبسه المهلب ثم انى عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله ما زادني على ما ذكره الصديق الاول فرأيت أن قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتي وصحبت رفقة في الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له أصلى الله الامير انى قطعت اليك الدهناء وضربت أكباد الابل من يثرب فانه أشار على بعض ذوى الخبي والرأى بقصدك لقضاء حاجتي فقال هل أتيتنا بوسيلة أو بقرابة وعشيرة فقلت لا ولكنى رأيتك أهلا لقضاء حاجتي فانقت بها فأهل لذلك أنت وان يحول دونها حائل لم أذم يومك ولم أياس من غدرك فقال المهلب لحاجبه اذهب به وادفع اليه ما في خزانة مالنا الساعة فأخذني معه فوجدت في خزانته ثمانين ألف درهم فدفعها الى فلما رأيت ذلك لم أملك نفسي فرحا

وسروراً ثم عاد الحاجب بي اليه مسرعاً فقال هل ما وصلك يقوم بقضا حاجتك فقلت
نعم أيها الأمير وزيادة فقال الحمد لله على نجح سعيك واجتماعك جني مشورتك وتحقيق ظن
من أشار عليك بقصدنا قال الاسلمى فلما سمعت كلامه وقد أحرزت صليته أنشدته وأنا واقف
بين يديه

يا من على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطايك أهل الارض قاطبة * فانت والجود منحوتان من عود
من استشار فباب النجح منفتح * لديه فيما ابتغاه غير مردود

ثم عدت الى المدينة فقضيت ديني ووسعت على أهلي وجازيت المشير على وعاهدت الله تعالى
ان لا أترك الاستشارة في جميع أموري ما عشت * (وحكى) عن الخليفة المنصور أنه كان
صديقاً من عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس أمور مؤلمة لا تحتملها حراسة الخلافة
ولا تتجاوز عن سياسة الملك فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن علي وكان
واليساعلى الكوفة ما أفسد عقيدته فيه وأوحشه منه وصرف وجهه ميله اليه عنه فتألم
المنصور من ذلك وساء ظنه وتأرق جفنه وقل أمنه وتزايد خوفه وحرته فأدته فـكـرته
الى أمر دبره وكتبه عن جميع حاشيته وستره واستحضر ابن عمه عيسى بن موسى وأجراه
على عادة أكرامه ثم أخرج من كان بحضرته وأقبل على عيسى وقال له يا ابن العم انى مطلعك
على أمر لا أجد غيرك من أهله ولا أرى سواك مساعداً الى على حمل ثقله فهل أنت في موضع
ظنى بك وعامل ما فيه بقائه نعمتك التى هى منوطة ببقاء ما كى فقال له عيسى بن موسى
أنا عبد الله بن المؤمن بن ونفى طوع أمره ونهيته فقال ان عمى وعمك عبد الله قد
فسدت بطائته واعتمد على ما بعضه يبيع دمه وفى قتله صلاح ما كنا فى هذه اليك
واقته لا سراً ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضمراً أن ابن عمه عيسى اذا قتل عمه
عبد الله ألزمه القصاص وسلمه الى أعمامه اخوة عبد الله ليقبضوه به قصاصاً فيكون
قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال عيسى فلما أخذت عمى وأفكرت فى قتله رأيت
من رأى أن أشار فى قضيتته من له رأى عسى أن أصيب الصواب فى ذلك فأحضرت يونس
ابن قرة الكاتب وكان لى حسن ظن فى رأيه وعقيدة صالحة فى معرفته فقلت له ان أمير
المؤمنين دفع الى عمه عبد الله وأمرنى بقتله واخفاء أمره فخاراً بك فى ذلك وماتشيره فقال لى
يونس أيها الأمير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين فاني أرى لك أن تدخله فى
مكان داخل دارك وتـكـم أمره عن كل أحد ممن عندك وتـولى بنفسك حمل
طعامه وشرا به اليه وتجعل دونه مغالق وأبواباً وأظهراً لا أمير المؤمنين انك قتله وأنفذت أمره
فيه وأنهيت الى العمل بطاعته فكأنى به اذا تحقق منك انك فعلت ما أمرتك به وقتلت عمه
أمرتك بإحضاره على رؤس الاشهاد فان اعترفت أنك قتله بأمره أنكرا أمره لك وأخذك
بقتله وقتلك قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها وأظهرت لا أمير المؤمنين
أنى أنفذت أمره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر فى نفسه أنى قد قتلت عمه
عبد الله دس الى عمومته اخوة عبد الله وحنهم على أن يسألوه فى أخيم ويستوهبوه منه

لجأوا اليه وقد جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسألوه في عبد الله فقال نعم ان
حقه وكنتم تقتضي اسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان الى من عوفي
مقام الوالد ثم أمر باحضار عيسى بن موسى فأحضر لوقتة فقال يا عيسى كنت دفعت اليك قبل
خروحي الى الحج عبي عبد الله ليكون عندك في منزلك الى حين رجوعي فقال عيسى قد فعلت
أمير المؤمنين فقال المنصور قد سألتني فيه عموميتك وقد رأيت الصفيح عنه وقضاء حاجتهم
وصلة الرحم باجابة سؤالهم فيه فالتنابه الساعة قال عيسى فقلت يا أمير المؤمنين ألم تأمرني
بقتله والمبادرة الى ذلك قال كذبت لم آمر بك بذلك ولو أردت قتله لاسلمته الى من هو بصدد
ذلك ثم أظهر الغيظ وقال اعمومته قد أفر بقتل أخيكم مدعياً أنني أمرته بقتله وقد كذب علي
فالوايا أمير المؤمنين فادفعه الينا لئلا يقتله به ونقتص منه فقال شأنكم به قال عيسى فأخذوني
الى الرحبة واجتمع الناس على تقام واحد من عمومتي الى وسيل سبيغه ليضربني به فقلت
له يا عم أفاعل أنت قال اي والله كيف لا اقلك وقد قلت أخي فقال لهم لا تعجلوا وردوني الى
أمير المؤمنين فردوني اليه فقلت يا أمير المؤمنين انما أردت قتلي بقتله والذي دبرته على عصمي
لله تعالى من فعله وهذا علك باق حتى سوى فان أمرني بدفعه اليهم دفعته اليهم الساعة
فأطرق المنصور وعلم أن ربح فكره صادفت اعصارا وأن اقتراده بتدبيره قارف خساراً ثم
رفع رأسه وقال اتنابه قضى عيسى وأحضر عبد الله فلما رآه المنصور قال اعمومته اتركوه
عندي وانصرفوا حتى أرى فيه رأياً قال عيسى فتركته وانصرفت وانصرف اخوته فسلت
روحي وزالت كربتي وكان ذلك ببركة الاستشارة بيونس وقبول مشورته والعمل بها ثم ان
المنصور أسكن عبد الله في بيت اساسه قد بني على الملح ثم أرسل الماء حوله لئلا يفسد الملح وسقط
البيت فمات عبد الله ودفن بقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن مهام مرامها
البعيدة (ومما جاء في النصيحة) اعلوا أن النصيحة للمسلمين وللخلائق أجمعين من سنن المرسلين
قال الله تعالى اخبروا عن نوح عليه السلام ولا يتفعلكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان
الله يريد أن يغويكم هور بكم واليه ترجعون وقال شعيب عليه السلام ونصحت لكم فكيف
آسى على قوم كافرين وقال صالح عليه السلام ونصحت لكم ولكن لا تحبون النصيحة
وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان
الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكابه ورسوله ولائمة المسلمين
ولعائمتهم فالنصح لله هو وصفه بما هو أهله وتنزيهه عما ليس له بأهل والقيام بتعظيمه والخضوع
له ظاهراً وباطناً والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه وموالاة من اطاعه ومعاداة
من عصاه والجهاد في رد العصاة الى طاعته قولاً وفعل لا والنصيحة لكابه اقامته في التلاوة
وتحسينه عند القراءة وتفهم ما فيه والذب عنه من تأويل المحرفين وطعن الطاعنين
وتعليم ما فيه للخلائق أجمعين قال الله تعالى كآب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر
أولو الاباب والنصيحة للرسول عليه السلام احياء سننه بالطلب لها واحياء طريقته في بث
الدعوة وتأليف الكلمة والتخلق بالاخلاق الطاهرة والنصيحة للائمة معاونتهم على ما كفوا
القيام به بتنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد

بهم السوء وعلامهم بأخلاق عمالهم وسيرتهم في الرعية وسد خللتهم عند الحاجة ورد القلوب
النافرة اليهم والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم
ونفريج كبرهم وتوقى ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم واعلم أن جرعة
النصيحة مرة لا يقبلها الا اولوا العزم وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه قل لي في وجهي ما اكره فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره وفي
منشور الحكم وذلك من نصحتك رقتك من مشي في هوالك وقال أبو الدرداء رضي الله عنه
ان شئتم لانصحن لكم ان أحب عباد الله الى الله الذين يحبون الله تعالى الى عبادهم ويعملون
في الارض نصحا ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * اني النذير فلا يغروكم أحد
لا شئ مما ترى تبقى بشاشته * الا الاله وبردى المال والولد
لم تغن عن هرمن يوما ذخائره * والخلد قد حاولت عاد فاخذوا

وقال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد اني قد أعددتك لامر قال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى
قد أعد لك منى قلوبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة لطاعتك وسيفنا مجردا على عدوك
وأشد الاصمعي

النصح أرخص ما باع الرجال فلا * تردد على ناصح نصحا ولا تلم
ان النصائح لا تخفى مناهلها * على الرجال ذوى الالباب واللهم

ولمعاذ بن مسلم

نصحتك والنصيحة ان تعدت * هوى المنصوح عزلها القبول
نخالت الذى لك فيه حظ * فذاك دون ما أملت غول

وقيل أشار فيروز بن حصين على يزيد بن المهلب أن لا يضع يده في يد الخجاج فلم يقبل منه وسار اليه
فحبسه وحبس أهله فقال فيروز

أمرتك أمرا حازما فعصيتني * فأصبحت مسلوب الامارة نادما
أمرتك بالخجاج اذ أنت قادر * فنفسك أول اللوم ان كنت لا ناعما
فما أنا بالباكي عليك صباية * وما أنا بالداعي لترحيل سألما

ويقال من اصفر وجهه من النصيحة اسود لونه من النصيحة وقال طرفة
ولا ترفدن النصيح من ليس أهله * وكن حين تستغنى برأيك غانيا
وان امرأ يوما تولى برأيه * فدعه يصيب الرشد أو يك غاويا
وفي مثله قال بعضهم

من الناس من ان يستشرك فيجهتد * له الرأي يستغشك مالم يتابعه
فلا تخن الرأي من ليس أهله * فلا أنت محمود ولا الرأي ناعه

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن عشر في الوصايا الحسنة والمواظظ المستحسنة وما أشبه ذلك)

قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

وقال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغى يعظكم لعظمتكم تذكرون وقال تعالى واتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات والآيات فى ذلك كثيرة
مشهورة وفوائدها جمة منشورة * وروى فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده
فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الأيمان * وقال شيخنا محيى
الدين النوروى رحمة الله تعالى عليه فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم ان هذه الآية الكريمة مما يغتر بها أكثر الجاهلين ويحملهون على غير
وجهها بل الصواب فى معناها انكم اذا فعلتم ما أمرتم به لا يضركم ضلالة من ضل ومن جلة
ما أمروا به الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والآية مرتبة فى المعنى على قوله تعالى
ما على الرسول الا البلاغ * وقال محمد بن تمام الموعظة جند من جنود الله تعالى ومثلها مثل
الطين يضرب به على الحائط ان استمسك نفع وان وقع اثر * ومن كلام على رضى الله تعالى
عنه لا تكونن ممن لا تنفعه الموعظة الا اذا بالغت فى ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهائم
لا تتعظ الا بالضرر وان شدد الجاحظ

وليس يزجركم ما توقعظون به * واللهم يزجرها الراعى فتزجر

وكتب رجل الى صديق له اما بعد فخط الناس بنعمتك ولا تعظهم بقولك واستحيى من الله بقدر
قربه منك وخفته بقدر قدرته عليك والسلام * وقيل من كان له من نفسه واعظ كان له من الله
حافظ * وقال لقمان الموعظة تشق على السفيه كما يشق صعود الوعر على الشيخ الكبير *
قيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام انك ان أتيتنى بعبد أتى كتبته عندى جيدا ومن
كتبته عندى جيدا لم أعذبه بعدها أبدا * وقال الرشيد لما صور بن عمار عظمى وأوجز فقال
يا أمير المؤمنين هل أحد أحب اليك من نفسك قال لا قال ان أردت أن لا تسمى الى من تحب
فا فعل وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه أيها الناس الأيام تطوى والاعمار
تفنى والابدان فى الثرى تبلى وان الليل والنهار يترا كضان ترا كض البريد ويقربان كل بعيد
ويخلقان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب فى الباقيات الصالحات
* ولما لقي ميمون بن مهران الحسن البصرى قال له لقد كنت أحب أن ألقاك ففطننى فقرأ الحسن
البصرى أقرأيت من اتخذ الله هواءه أقرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون
ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام أباسعيد الله وعظمتى أحسن موعظة * ولما
ضرب ابن ملجم لعنه الله عليا رضى الله عنه دخل منزله فاعتراه غشية ثم أفاق فدعا الحسن
والحسين رضى الله تعالى عنهما وقال اوصيكم بقوى الله تعالى والرغبة فى الآخرة والزهد
فى الدنيا ولا تأسفا على شئ فاتكم منها فانكم انما ارحلن افعلا الخير وكونا للظالم خصما
وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا ولده وقال له أما سمعت ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فاني
أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهم ما وعرفه فضلهم ما ولا تقطع أمرادهم ما ثم أقبل

عليهم ما وقال أوصيكم به خيرا فإنه أخوك وابن أهلك وأنتما تعلمان أن أباه كان يحبه فأحياه
ثم قال يا بني أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد
في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعَدُوَّ والعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله
في الشدة والرخاء يا بني ما شر بعد الجنة بشر ولا خير بعد النار بخير وكل نعيم دون الجنة
حقير وكل بلاء دون النار عافية يا بني من أبصر عيب نفسه استغفل عن عيب غيره ومن رضى
بما قسم الله له لم يحزن على ما فاته ومن سئل عن عيب البغي قتل به ومن حفر ل أخيه بئرا وقع فيها
ومن هتك حجاب أخيه هتك عورات بنيه ومن نسي خطيئته استغفله خطيئته غيره ومن
أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الأعداء
احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر ومن مزح استخف به ومن
أكثر من شيء عرف به ومن أكثر كلامه أكثر خطؤه ومن أكثر خطؤه قل حياؤه ومن قل
حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بني الأدب ميزان
الرجل وحسن الخلق خير قرين يا بني العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت الآن
ذكر الله تعالى وواحد في ترك مجالسة السفهاء يا بني زينة الفقر الصبر وزينة
الغنى الشكر يا بني لأشرف أعلى من الإسلام ولا كرم أعز من التقوى ولا شفيع أنجح
من التوبة ولا لباس أجمل من العافية يا بني الحرص مفتاح التعب ومطية النصب *
ولما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر إلى أهله يكون حوله فقال جاد لكم هشام بالدينا
وجدتم له بالكاء وترك لكم جميع ما جمع وتركتم عليه ما جعل ما أعظم منقلب هشام أن لم يغفر
الله له * وقال الأوزاعي للمصور في بعض كلامه يا أمير المؤمنين أما علمت أنه كان بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فأتاه جبريل
عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة التي بيدك أقذفها لا تعلقها قلوبهم ثم رعبا فكيف
عن سفك دماء المسلمين وانتهب أموالهم يا أمير المؤمنين إن المغفور له مات قدم من ذنبه
وما تأخر دعا إلى القصاص من نفسه بخدشة خدشها أعرايا من غير تعمد يا أمير المؤمنين
لو أن ذنوبا من النار صب ووضع على الأرض لأحرقها فكيف بمن يتقدمه ولو أن حلقة من سلاسل
جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يتسلسل بها ويرد فضلها على عاتقه * وروى زيد بن
أسلم عن أبيه قال قلت لجعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكان إلى المدينة أحد رآه
يأتي رجل غدا ليس له في الإسلام نسب ولا أب ولا جد فيه كون أولي برسول الله صلى الله
عليه وسلم منك كما كانت امرأة فرعون أولى بموسى وكما كانت امرأة نوح وامرأة لوط
أولى بفرعون ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ومن أسرع به عمله لم يبطئ به نسبه * وروى
زياد عن مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه قال لما بعث أبو جعفر إلى مالك بن أنس وابن طاوس
قال دخلنا عليه وهو جالس على فرش وبين يديه أنما ع قد بسطت وجلادون بأيديهم
السيوف يضربون الأعناق فأومأ اليانا أن اجلسا فجلسنا فأطرق زمانا طويلا
ثم رفع رأسه والتفت إلى ابن طاوس وقال حدثني عن أبيك قال سمعت أبا يقول قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة رجل اشرك الله تعالى في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه فأمسك ابو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه قال مالك فضعمت ثيابي مخافة أن ينالها شيء من دم ابن طاوس ثم قال يا ابن طاوس ناو لي هذه الدواة فأمسك عنه فقال ما يمنعك أن تسألنيها قال أخاف أن تكتب به ما معصية فأكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني فقال ابن طاوس ذلك ما كتبت في قال مالك فإزالت اعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا قال أوليس فيكم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال بلى يا كعب ولكن خوفنا فقال يا امير المؤمنين اعمل فانك لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لاذريت عملهم مما ترى فنكس عمر رضي الله عنه رأسه وأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال يا كعب خوفنا فقال يا امير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر نور بالشرق ورجل بالمغرب اعلى دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم افاق فقال يا كعب زدنا فقال يا امير المؤمنين ان جهنم لتفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جنا على ركبته يقول يا رب لا أسألك اليوم الانفسى * وقال سيدي الشيخ ابو بكر الطرطوشي رحمة الله تعالى عليه دخل على الافضل بن امير الجيوش وهو امير على مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام علي نحو ما سلمت رد اجاب لا واكرمني اكراما جزيلا وامرني بدخول مجلسه وامرني بالجلوس فيه فقلت ايها الملك ان الله تعالى قد احلك محلا عليا شامخا وانزلك منزلا شريفا باذنا وملكك طائفة من ملكه واشركك في حكمه ولم يرض أن يكون امر احد فوق امرك فلا ترض أن يكون احد اولى بالشكر منك وليس الشكر باللسان وانما هو بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا واعلم أن هذا الذي اصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمنزل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله تعالى سائلك عن القليل والنقيير والقطمير قال الله تعالى فوربك لتسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم ايها الملك ان الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بهذا فبرها سليمان بن داود عليهم السلام فسخر له الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عدهدتموها ولا حسبتها كرامة كما حسبتوها بل خاف أن تكون استدراجا من الله تعالى ومكرابه فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وأغث الملهوف أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك كهفا للملهوف وامانا للخائف ثم أعمت المجلس بأن قلت قد رحت البلاد شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارثتها اليها ولذت في الإقامة فيها غير هذه المملكة ثم أنشدته

والناس اكيس من أن يحمدوا رجلا * حتى يروا عنده آثارا حسان
وقال الفضل بن الربيع حج هرون الرشيد سنة من السنين فبينما أنا ثم ذات ليلة اذ سمعت قرع
الباب فقلت من هذا فقال أجب أمير المؤمنين فخرجت مسرعا فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت
إلى أئبتك فقال ويحك قد حاك في نفسي شيء لا يخرجني الا عالم فانظر لي رجلا أسأله عنه فقلت
ههنا سفيان بن عينة فقال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت
أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أئبتك فقال جـ قدما
جئت له فآذنه ساعة ثم قال له أعلبك دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه ثم انصرفنا
فقال ما أغنى عني صاحبك شيئا فانظر لي رجلا أسأله فقلت ههنا عبد الرزاق بن هـ مام
فقال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين
فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أئبتك فقال جـ قدما جئت له فآذنه
ساعة ثم قال له أعلبك دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى
عني صاحبك شيئا فانظر لي رجلا أسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض فقال امض بنا اليه
فأتيناه فاذا هو قائم يصلي في غرفته يتلو آية من كتاب الله تعالى وهو يردد ما فقرعت عليه
الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فقال مالي ولا مير المؤمنين فقلت سبحان
الله أما تجب عليك طاعته ففتح الباب ثم ارتقى إلى أعلى الغرفة فأطفأ السراج ثم انجأ
إلى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف الرشيد كفي اليه فقال أتوا
من كف ما أئبتنا ان فجت غدا من عذاب الله تعالى فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام
نقي من قلب نقي فقال جـ قدما جئت له رحمتك الله تعالى فقال وفيه جئت حملت على نفسك
وجميع من معك جلوا عليك حتى لو سألهم أن يتحملوا عنك شقضا من ذنب ما فعلوا وكان
أشد هم حبالك أشد هم هربا منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة دعا
سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني قد ابتليت بهذا البلاء
فأشبروا علي فعدا الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال سالم بن عبد الله ان اردت
النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيه على الموت وقال محمد بن كعب
ان أردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين عندك أبوا وسطهم هم عندك أخا
وأصغرهم عندك ولدا فبرأ بك وارحم أخاك وتحنن على ولدك وقال رجاء بن حيوة ان أردت
النجاة غدا من عذاب الله تعالى فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكرمهم ما تكره لنفسك
ثم متى شئت مت واني لا قول هذا واني لا خاف عليك أشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك
رجلك الله مثل هؤلاء القوم من يأمر بك بمنزل هذا فبكى هرون بكاء شديدا حتى غشي عليه
فقلت له ارفق يا أمير المؤمنين فقال يا ابن الربيع قتلتك أنت وأصحابك وأرفق به أنا ثم أفاق
هرون الرشيد فقال زدني فقال يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملا لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
شكا اليه سهر فكتب له عمر يقول يا أخى اذ كرسر أهل النار في النار وخلود الابدان فان ذلك
يطردبك إلى ربك نائما ويطمان وياك أن تزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر
العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما فرأ كآبه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما أقدمك

فقال له لقد خلعت قلبي بكابك لا وليت ولا ية أبدا حتى أتى الله عز وجل فبكى هرون
بكاء شديدا ثم قال زدني قال يا أمير المؤمنين إن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاء
اليه فقال يا رسول الله أمتني أماره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم يا عباس نفس
تحميها خير من أماره لا تحميها إن الأماره حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون
أميرا فافعل فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال زدني يرحمك الله فقال يا حسن الوجه أنت
الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل
واباك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لهم
غاشا لم يرح رائحة الجنة فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال له أعليك دين قال نعم دين ربي
يحمي سبني عليه قالو يل لي ان ناقتي والويل لي ان سألني والويل لي ان لم يلهمني حجتي قال هرون
انما أعنى دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا وانما أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره
قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون
ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هرون هذه أف دينار نغذها وأنفقها على عيالك
ونقوبها على عبادة ربك فقال سبحانه الله أباد لك على سبيل الرشاد تكافئني
أنت بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هرون اذا دلتني
على رجل فداني على مثل هذا فان هذا سيد المسلمين اليوم * واعلم أن الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر له شروط وصفات قال سليمان الخواص من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي
نصيحة ومن وعظه على رؤس الاشهاد فأنابكته * وقالت أم الدرداء رضي الله تعالى عنها
من وعظ أخاه سرا فقد سره وزانه ومن وعظه علانية فقد ساءه وشانه * ويقال من وعظ
أخاه سرا فقد نصحه وسره ومن وعظه جهرا فقد فضحه وضره * وعن عبيد العزيز بن أبي رواد
قال كان الرجل اذا رأى من أخيه شيئا أمره في ستر ونهاه في ستر فبوجر في ستره ويؤجر
في أمره ويؤجر في نهيه * وعن عمر رضي الله تعالى عنه اذا رأيتم أخاكم ذارلة فقوموه
وسددوه وادعوا الله أن يرجع به الى التوبة فيتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان على
أخيك وبالله التوفيق الى أقوم طريق وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث عشر في الصمت وصون اللسان والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة ومدح العزلة
وذم الشهرة وفيه فصول

* (الفصل الاول في الصمت وصون اللسان) قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عندد وقال تعالى ان ربك لبالمرصاد واعلم انه ينبغي للعاقل المكلف أن يحفظ لسانه عن جميع
الكلام الا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتر كره في المصلحة فالسنة الامساك
عنه لانه قد يجز الكلام المباح الى حرام أو مكروه بل هذا كثير وغالب في العادة والسلامة
لابعاد لها شي وروينا في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت قال الشافعي
في الام اذا أراد أحدكم الكلام فعليه ان يفكر في كلامه فان ظهرت المصلحة تكلم

وان شك لم يتكلم حتى تظهر وروينا في صحيحهم - ما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل قال من سلم الناس من لسانه ويده وروينا في كتاب
الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك
لسانك وليدعك يمينك وابك على خطيئتك قال الترمذي حديث حسن وروينا في كتاب
الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن
اسلام المرء تركه مالا يعنيه والا حاديت الصحيحة في ذلك كثيرة وفيما أشرت اليه كفاية لمن
وفقه الله تعالى * وأما الآثار عن السلف وغيرهم في هذا الباب فكثيرة لا تحصر لكن نذكر على
شيء منها - ما جاء من ذلك ما بلغنا أن قس بن ساعدة وا كثر من صبي في اجتماع فقال أحدهما
لصاحبه كم وجدت في ابن آدم من العيوب فقال هي أكثر من أن تحصر وقد وجدت خصلة
ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها قال وما هي قال حفظ اللسان وقال الامام الشافعي
رضي الله عنه لصاحبه الربيع ياربيع لا تتكلم فيما لا يعينك فانك اذا تكلمت بالكلمة
ما كنتك ولم تملكها وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك ولحقك شره
ومما أنشدوه في هذا الباب

احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغك انه ثعبان
كم في المقابر من قتييل لسانه * كانت تهاب لقاء الشجعان
وقال الفارسي

لعمرك ان في ذنبي لشغلا * لنفسي عن ذنوب بني أمية
على ربي حساب - م اليه * تناهى علم ذلك لا اليه
وقال علي رضي الله عنه اذا تم العقل نقص الكلام وقال أعرابي رب منطق صدع جعار وسكوت
شعب صدعا وقال وهب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر
في عزلة الناس وقال علي بن هشام رحمة الله تعالى عليه

لعمرك ان الحلم زين لاهله * وما الحلم الا عادة وتعلم
اذ لم يكن صمت الفتي عن ندامة * وعي فان الصمت أولى وأسلم

وقال ابن عيينة من حرم الخير فليصمت فان حرمه ما غالموت خير له وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال لا يذر رضي الله عنه عليك بالصمت الا من خير فانه مطردة للشيطان
وعون على أمر دينك * ومن كلام الحكماء من نطق في غير خير فرفقه لغاوم من نطق في غير اعتبار
فقد سها ومن سكت في غير فرفقه دها * وقيل لو قرأت صمتك لا غمدت صفيحتك
ولو رأيت ما في ميزانك لحقت عن لسانك * ولما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت
طال صمته فتبيل له ألا تتكلم فقال الكلام صيرني في بطن الحوت * وقال حكيم اذا أعجبك
الكلام فاصمت واذا أعجبك الصمت فتكلم * وكان يقال من السكوت ما هو أبلغ من الكلام
لان السفينة اذا سكنت عنه كان في انغماس * وقيل لرجل به سادكم الا حنف فوالله ما كان
بأ كبركم سنا ولا بأ كثركم مالا فقال بقوة ساطانه على لسانه * وقيل الكلمة أسيرة في وثاق
الرجل فاذا تكلم به اصار في وثاقها * وقيل اجتمع أربعة ملوك فتكلموا فقال ملك الفرس

ماندمت على مالم أقل مرة وندمت على ماقلت مرارا وقال قبصرا ناعلى رد مالم أقل أقدر
منى على رد ماقلت وقال ملك الصين مالم أنكم بكلمة ملكتها فإذا تكلمت بهام ملكتي وقال
ملك الهند العجب عن يتكلم بكلمة ان رفعت ضرت وان لم ترفع لم تنفع * وكان بهرام جالسا
ذات ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فأصابه فقال ما أحسن حفظ اللسان
بالطائر والانسان لو حفظ هذا لسانه ما هلك * وقال على رضى الله تعالى عنه بكثرة الصمت
تكون الهيبة * وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه الكلام كالدهاء ان أقلت منه نفع
وان أكثرته منه قتل * وقال ابقمان لولدك يا بني اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت
بحسن صمتك يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح كيف اتقن فيقن بخير ان تركت
قال الشاعر

احفظ لسانك لاتقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

*(الفصل الثاني في تحريم الغيبة) اعلم ان الغيبة من أقبح القبايح وأكثرها انتشارا
في الناس حتى لا يسلم منها الا القليل من الناس وهي ذكرك الانسان بما يكره ولو بما فيه سواء كان
في دينه أو بدنه أو نفسه أو خلقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجته أو خادمه أو عمامته
أو ثوبه أو مشيته أو حر كته أو بشاشته أو خلاعته أو غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته
بلفظك أو بكتابك أو رمزت اليه بعينك أو بيدك أو رأسك أو نحو ذلك فأنما الدين فكقولك
سارق خان ظالم متهاون بالصلاة متساهل في النجاسات ليس بآثار ابوالديه قليل الادب لا يضيع
الزكاة مواضعها لا يجنب الغيبة وأما البدن فكقولك أعشى أو أعرج أو أعشى أو قصير
أو طويل أو أسود أو أصفر أو ما غيرهما ~~فكقولك~~ فلان قليل الادب متهاون بالناس لا يرى
لاحد عليه حقا كثير النوم كثير الاكل وما أشبه ذلك أو كقولك فلان أبوه نجار أو اسكاف
أو حداد أو حائك تريد تنقيصه بذلك أو فلان سبي الخلق متكبر مرأى معجب بحول جبار ونحو
ذلك أو فلان واسع الكم طويل الذيل وسخ الثوب ونحو ذلك * وقد روي نافي صحيح مسلم وسنن
أبي داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل وان كان
في أعشى ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته قال الترمذي
حديث حسن صحيح وروى نافي سنن أبي داود والترمذي عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت
للنبي صلى الله عليه وسلم بك من صفة كذا أو كذا قال بعض الرواة تعنى قصيرة فقال
لقد قت كلمة لو من جنت بماء البحر لمزجة أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه ويرى كثره
قننها وروى نافي سنن أبي داود عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما عرج إلى السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم
وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في
أعراسهم وروى عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اياكم والغيبة
فان الغيبة أشد من الزنا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليرى فيتوب فيتوب
الله عليه وان صاحب الغيبة لم يغفر له حتى يغفر له صاحبها وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال

من اغتاب المسلمين وأكل لحومهم بغير حق وسعى بهم إلى السلطان حتى به يوم القيامة من رقة
عيناه ينادى بالويل والثبور يعرف أهله ولا يعرفونه وقال معاوية بن قرة أفضل الناس
عند الله أسلمهم صدر وأقلهم غيبة وقال الأحنف في خصمته لا اغتاب جليسي إذا غاب عني
ولا أدخل في أمر قوم لا يدخلوني فيه وقيل للربيع بن خيثم ما نزلت تعيب أحدا فقال لست
عن نفسي راضيا فأتفرغ لخدم الناس وأنشد

لنفسى أبكى است أبكى لغيرها * لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

وقال كثير عزة

وسعى إلى تعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال محمد بن حزم أول من عمل الصابون سليمان وأول من عمل السويق ذو القرنين
وأول من عمل الخيس يوسف وأول من عمل خبز الجرادق غرود وأول من كتب في
القراطيس الحجاج وأول من اغتاب إبليس لعنه الله اغتاب آدم عليه السلام وأوحى الله
تعالى إلى موسى عليه السلام أن المغتاب إذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة وإن أصر فهو
أول من يدخل النار ويقال لأن من كذب لك أن يكذب عليك ومن اغتاب عندك
غيرك أن يغتابك عند غيرك وقيل للحسن البصري رضى الله تعالى عنه إن فلانا اغتابك
فأهدى إليه طبقا من رطب فأتاه الرجل وقال له اغتبتك فأهديت إلى فقال الحسن
أهديت إلى حسنة أنك فأردت أن كافئك وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال لو كنت
مغتتابا لأحد لا غتبت والذى لأنهم ما أحق بحسناتى وإذا حاكى انسان انسانا بأن يمشى
متعازجا ومتطاطئا أو غير ذلك من الهيئات يريد تنقيصه بذلك فهو حرام وبعض المتفقهين
والمتعبدين يعرضون بالغيبة تعريضا تفهم به كتمانهم بالتصريح فيقال لأحدهم كيف
حال فلان فيقول الله يصلحنا الله يغفر لنا الله يصلحهم نسأل الله العافية ثم مد الله الذى
لم يبدلنا بالدخول على الظلمة نعوذ بالله من الكبر يعافينا الله من قلة الحياء الله يتوب علينا
وما أشبه ذلك مما يفهم تنقيصه فكل ذلك غيبة محرمة * واعلم أنه كما يحرم على المغتاب ذكر
الغيبة كذلك يحرم على السامع استماعها فيجب على من يستمع انسانا يتدلى بغيبة أن ينهأ
أن لم يحضره فان خافه وجب عليه الإنكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس إن تمكن من
مفارقتها فان قال بلسانه أسكت وقلبه يشتهى سماع ذلك قال بعض العلماء إن ذلك نفاق
قال الله تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره ومما أنشدوه في هذا المعنى

وسمعت من سمع القبيح * كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

وكم أزعج الحرص من طالب * فوافى المنية في مطلبه

(الفصل الثالث في تحريم السعاية بالنميمة) قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين همار
مشاء بنميم الآية وحسبك بالتمام خسة ورذيلة سقوطه وضعته والهماز المغتاب الذى يا كل
لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصري هو الذى يغمر بأخيه في المجلس وهو

الهمزة الامة وقال علي والحسن البصري رضي الله عنهما العتل الفاحش السي الخلق
وقال ابن عباس رضي الله عنهما العتل الفاتك الشديد المناق وقال عبيد بن عمير العتل
الأكول الشروب القوى الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة وقال الكلبي هو الشديد
في كفره وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل والزيم هو الذي لا يعرف من أبوه قال
الشاعر

زيم ليس يعرف من أبوه * يعني الأم ذو حسب لئيم

وروي في صحيح البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يدخل الجنة غمام وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم تر يقبرين فقال انهم ما لي عذبان
وما لي عذبان في كبريأ ما أحدهما فكان يعيش بالنعمة وأما الآخر فكان لا يستتره من بوله
قال الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى عليه النعمة انما تطلق في الغالب على من يتم
قول الغير الى المقول فيه كقوله فلان يقول فيك كذا فينبغي للانسان أن يسكت عن كل
مارآه من أحوال الناس الا ما في حكاية فائدة لمسلم أو دفع معصية وينبغي لمن حلت اليه
نعمة وقيل له قال فيك فلان كذا أن لا يصدق من ثم اليه لان النمام فاسق وهو مردود الخبر
وأن ينهيه عن ذلك وينصحه ويتبع فعله ويغضه في الله تعالى فانه بغض عند الله والبغض
في الله واجب وأن لا يظن بالمنقول عنه السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان
بعض الظن اثم وسعي رجل الى بلال بن أبي بردة رجل وكان أمير البصرة فقال له
انصرف حتى أكشف عنك فكشف عنه فاذا هو ابن بني يعنى ولد زنا قال أبو موسى
الاشعري رضي الله عنه لا يتم على الناس الا ولد بني وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال شراركم المشائون بالنعمة المفسدون
بين الاحبة الباغون العيوب وروي أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ملعون ذوالوجهين ملعون ذواللذان ملعون كل شغار ملعون كل قتات ملعون كل غمام
ملعون كل منان والشغار المحرش بين الناس يلتقي بينهم العداوة والقتات النمام والمنان
الذي يعمل الخرويع به وأما السعاية الى السلطان والى كل ذي قدرة فهي المهلكة
والخالقة لانهم يجمع الخصال الذميمة من الغيبة وشؤم النعمة والتغريب بالنفوس الاموال
في النوازل والاحوال وتسلب العزيز عزه وتحط المكين عن مكانه والسيد عن مرتبته
فكم دم أراقه سعي ساع وكم حريم استبيح بنعمة غمام وكم من صقيين تباعدا وكم من
متواصلين تقاطعا وكم من محبين افترقا وكم من الفين تهاجرا وكم من زوجين تطلتا فليست
الله ربه عز وجل رجل ساعدته الايام وتراخت عنه الاقدار أن يصغي لساع أو يستمع لنمام
ووجد في حكم القدماء أبغض الناس الى الله المثلث قال الاصمعي هو الرجل يسعي بأخيه الى
الامام فيهلك نفسه وأخاه وامامه وقال بعض الحكماء احذروا أعداء العقول واصوص
المودات وهم السعاة والنمامون اذا سرق المصوص المتاع سرقوا هم المودات وفي
المثل السائر من أطاع الواشي ضيع الصديق وقد تقطع الشجرة قشبت ويقطع اللحم
السيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه * ودفع انسان رقعة الى صاحب بن عباد يحثه

ففيها على أخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا فكتب اليه على ظهرها النعمة قبيحة وان كانت
صححة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والساعي لعنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله وروينا
في كتاب أبي داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يبالغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا فاني أحب أن أخرج اليكم وأناسليم الصدر
ومن الناس من يتلون ألوانا ويكون وجهين لسانين فيما يتلى هو لا بوجه وهو لا بوجه
وذو الوجهين لا يكون عند الله وجهين قال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

قل للذي لست أدري من تلاوته * أنا صبح أم على غش يساجيني
اني لا أكتر مما سمعتني بحبا * يد تشج وأخرى منك تأسوني
تغتائبني عند أقوام وقد حسي * في آخرين وكل عنك يأتيني
هذان شيان قد نأفيت بينهما * فاكفف أسألك عن شقي وتريني

وقيل لالف لوح جوح خير من واحد متلون وكان يشبه المتلون بأبي براقش وأبي قلاون
فأبوبراقش طائر منقط بألوان النقوش يتلون في اليوم ألوانا وأبوقلاون ضرب من ثياب الحرير
ينسج بالروم يتلون ألوانا ويقال للطنائش الذي لا ثياب معه أبوبرياح تشبهها بشل فارس من
نحاس بمدينة حص على عمود حديد فوق قبة يباب الجامع يدور مع الريح ويضاء بمودة
وأصابها مضمومة الالسابية فإذا أشكل عليهم مهب الريح عرفوه به فانه يدور بأضعف نسيم
بصيه والذي يعمل الصبيان من قرطاس على قصبة يسمى أبوبرياح أيضا ويقال اخلاق الملوك
مثل في المتلون قال بعضهم

ويوم كان خلق الملوك تلونا * فصحو وتغيم رطل وواهل
أشبهه اياك يا من صفاته * دنوا وعراض ومنع ونائل

وكلام معاوية الاحنف في شيء بلغه عنه فأكرهه لا نفع فقال له معاوية بلغني عنك الثقة
فقال له الاحنف ان الثقة لا يبلغ مكرها وكان الفضل بن سهل يغض السعاية وإذا أنا ساع
يقول له ان صدقنا أبا فضال وان كذبتنا عاقبناك وان أسدقتنا أقامناك وكتب في جواب
كتاب ساع نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس
من دل على شيء وأخبر به كمن قبله وأجازته فاتقوا الساعي فانه لو كان في سعائه صادقا لكان في
صدقه لئما اذ لم يحفظ الحرمه ولم يستر العورة وقبل من سعى بالنعمة حذره الغريب ومقتته
القريب وقال المأمون النعمية لا تقرب مودة الأفسدتها ولا عداوة الاجددتها ولا جماعة
الابتدتها ثم لا بد لمن عرف بها ونسب اليها أن يجتنب ويخاف من معرفته ولا يوثق بمكانه
وأنشد بعضهم

من تم في الناس لم تؤمن عقاربهم * على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كاسيل بالليل لا يدري به أحد * من أين جاء ولا من أين باتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه * والويل للود منه كيف يقنيه
وقال آخر

يسعى عليك كإيهي اليك فلا * تأمن غوائل ذي وجهين يكاد

وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

من يخبرك بشتم عن أخ • فهو الشاتم لامن شتمك
ذلك شيء لم يواجهك به • انما اللوم على من أعلمك

وقال آخر

ان يعلموا الخير اخفوه وان علموا • شرا اذاعوا وان لم يعلموا كذبوا

وقال آخر

ان يسمعوا رية طاروا بها فرحا • مني وما سمعوا من صالح دفنوا
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به • وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

وقال الحسن ستر ما عاينت أحسن من اشارة ما ظننت وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله
تعالى عنه من سمع بقاحشة فافشاها فهو كالذي أتاها

(ومما جاء في النهي عن اللغو)

ماروي في صحيح البخاري ومسلم عن ثابت بن الفضال رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن كفته وروينا في صحيح مسلم أيضا عن أبي الدرداء رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون العانون فعا ولا شهداء يوم القيامة وروينا
في سنن أبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد
اذا لعن شيئا صعدت الالعة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق
أبوابها دونها ثم تأخذ عينها وشمالا فاذا لم تجد مساجدا رجعت الى الذي لعن ان كان أهلا لذلك
والارجعت الى قائمها ويجوز لعن أصحاب الاوصاف المذمومة على العموم كقوله لعن الله
الظالمين لعن الله الكافرين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الفاسقين لعن الله المصورين
ونحو ذلك ونبت في الاحاديث الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة
والمستوصلة وأنه قال لعن الله آكل الربا وأنه قال لعن الله المصورين وأنه قال لعن الله من
لعن والديه وأنه قال لعن الله من ذبح لغير الله وأنه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا
قبورا أنبياءهم مساجد وأنه قال لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء
بالرجال وجميع هذه الالفاظ في البخاري ومسلم وبعضها في أحدهما والله
أعلم

(ومما جاء في العزلة ومدح الخمول وذم الشهرة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمول نعمة وكل يتبرأ والظهور نقمة وكل يتمنى
بعضهم

تلف بالخمول نعم سليمان • وجالس كل ذي أدب كريم

وقال جده قريش الفراء

من أخل النفس أحبها وورقها • ولم يبت طأوبا منها على شجر

ان الريح اذا اشتدت واصفها • فليس ترمى سوى العالى من الشجر

وقال أعرابي رب وحدة أرفع من جليس ووحشة أرفع من أنيس وكان أبو معاوية الضري

يقول في خصلتان ما يسرني به حارة بصرى فله الاعجاب بنفسى وخلو قلبى من اجتماع الناس الى وقال عمر رضى الله عنه خذوا حظكم من العزلة وصعد حسان على أطعم من أطام المدينة ونادى بأعلى صوته يا صبا حاء فاجتمعت الخزرج فقالوا ما عندك قال قلت بيت شعر فأجبت أن تسموه قالوا هات يا حسان فقال

وان امرأ أمسى وأصبح سالما • من الناس الاما جنى لسعيد

ولما بنى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه منزله بالعقيق قيل له تركت منازل اخوانك وأسواق الناس ونزلت بالعقيق فقال رأيت أسواقهم لا غنى ومجالسهم لا هبة فوجدت الاعتزال فيما غنالك عافية وقيل له روة أنى مرداس لم لا تتخذ ثيابا يعض ما عندك من العلم فقال أكره أن يعيل قلبى باجتماعكم الى حب الرياسة فأخسر الدارين وقال سفيان بن عيينة دخلنا على الفضل في مرضه نعوذ فقال ما جاء بكم والله لو لم تجيؤا لكان أحب الى ثم قال نعم الشئ المرض لو لا العبادة وقيل للفضل ان ابنك يقول وددت لو أنى بالمكان الذى أرى الناس فيه ولا يرونى فقال ويح ابنى لم لا أنعمها فقال لأراهم ولا يرونى وقال على رضى الله تعالى عنه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته وأكل قوته واشتغل بطاعته وبكى على خطيئته فكان من نفسه في شغل والناس منه في راحة وقال سفيان الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وقيل لراهب في صومعته ألا تنزل فقال من شئ على وجه الارض غير والكلام في مثل هذا كثير وقد اكتفينا بهذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الرابع عشر في الملك والسلطان وطاعة ولاية أمور الاسلام وما يجب للسلطان على الرعية وما يجب لهم عليه

روى عن الحسن أنه قال للحجاج سمعت ابن عباس رضى الله عنه ما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرؤا السلاطين وعبادهم فانهم عز الله وظله في الارض اذا كانوا عدولا فقال الحجاج ألم تكن فيهم اذا كانوا عدولا قال قلت بلى وعن عمر رضى الله تعالى عنه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرني عن هذا السلطان الذى ذات له الرقاب ونضمت له الاجساد ما هو قال ظل الله في الارض فاذا أحسن فله الاجر وعليكم الشكر واذا أساء فعليه الاصر وعليكم الصبر وعنه عليه الصلاة والسلام أيماراع استرعى رعيته ولم يحطها بالامانة والنصيحة من ورائها الاضائق عليه رحمة الله تعالى التى وسعت كل شئ وقال مالك ابن دينار رضى الله تعالى عنه وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى أنا ملك الملوك رقاب الملوك بيدي فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة لا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك ولكن توبوا الى الله يعطفهم عليكم وقال جعفر بن محمد رحمة الله تعالى عليه كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان وقال كسرى لسيرين ما أحسن هذا الملك لودام فقال لودام لاحد ما اتقنا البنا ومرطارق الشرطى بابن ثبرمة في موصبه فقال

أراها وان كانت تحب فانها • صابرة صيف عن قليل تقشع

وجلس الاسكندر يوما فرفع اليه حاجة فقال لا أعد هذا اليوم من أيام ملكي وقال الجاحظ
ليس شيء ألد ولا أسر من عز الامر والنهي ومن الظفر بالاعداء ومن تقليد المنن أعناق
الرجال لان هذه الامور نصيب الروح وحظ الذهن وقسمة الذنوس وقيل الملك خائفة الله في
عباده وان يستقيم أمر خلافته مع مخالفتها وقال الجاحج سلطان تخافه الرعية خبير من
سلطان يخافها وقال أردشير لابنه يابني الملك والدين اخوان لا غنى لاحدهما عن
الآخر فالدين أس والملك حارس ومالم يكن له أس فهدوم ومالم يكن له حارس فضائع
قيل للمادنت وفاة هرمز وأمرأته حامل عقد التاج على بطنها وأمر الوزراء بتدبير المملكة
حتى ولد له ولد فملك وأغار العرب على نواحي فارس في صباه فلما أدرك ركب وانتخب
من أهل النجدة فرسانا وأغار على العرب فاتهم بهم باقتل ثم خلع أسكتاف سبعين ألفا
فنبيل له ذوالا كفاف وأمر العرب حينئذ بإرخاء الشعور وابس المصبغات وأن يسكنوا بيوت
الشعر وأن لا يركبوا الخيل الاعراة * وقيل من أخلاق الملوك حبة انفراد كان أردشير
اذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد على رأسه قضيب ريجان واذا لبس حلة لم ير على
أحد مثله واذا تختم بخاتم كان حراما على أهل المملكة أن يتختموا بمثله وكان سعيد بن العاص
بمكة اذا اعتم لم يعتم أحد بمثل عمامة مادامت على رأسه وكان الجاحج اذا وضع على رأسه
عمامة لم يجترأ أحد من خلق الله أن يدخل عليه بمثلها وكان عبد الملك اذا لبس الخف
الاصفر لم يلبس أحد مثله حتى ينزعه وأخبرني من سافر الى اليمن أنه لا يأكل الاوز به الا أحد
غير الملك وقيل من حق الملك أن يفحص عن أسرار الرعية فخص المرضعة عن ابنها وكان
أردشير متى شاء قال لا رفع أهل مملكته وأوضعهم كان عندك في هذه الدلة كيت وكيت
حتى كان يقال يأتيه ملك من السماء وما ذاك الا بتفحصه وتقطعه وكان علم عمر رضى الله عنه
عن نأى عنه كعلمه عن بات معه على وساد واحد ولقد اذنت في معاوية أثره وتعرف الى زياد رجل
فقال أتت تعرف الى وأنا أعرف بك من أيك وأمك وأعرف هذا البرد الذي عليك ففرع الرجل
حتى ارتعد من كلامه وعن بعض العباسيين قال كلمت المأمون رحمه الله تعالى في امرأة خطبتها
وسألتها النظر اليها فقال يا أبا فلان من قصتها وحاليتها وفعالها وشأنها كيت وكيت فوالله ما زال
يصفها ويصف أحوالها حتى أجهتني

(ومما جاء في طاعة ولاة أمور الاسلام)

أمر الله تعالى بذلك في كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم وروينا في صحيح البخاري عن جابر بن
عبد الله الانصاري رضى الله عنه ما قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة
أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وآتاه الزكاة والسمع والطاعة والنصح
اكل مسلم وسئل كعب الاحبار عن السلطان فقال ظل الله في أرضه من ناصحه اهتدى ومن
غشه ضل وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه لا تسبوا السلطان فانه ظل الله في الارض
به يقوم الحق ويظهر الدين وبه يدفع الله الظلم ويهلك الفاسقين وقال عمر بن عبد العزيز

لمؤدبه كيف كانت طاعتي لك قال أحسن طاعة قال فأطعني كما كنت أطيعك خذ من ثيابك حتى تبد وشقتك ومن ثوبك حتى تبد وعقبك * وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أمري فقد أطاعني ومن عصى أمري فقد عصاني وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم أمر بالسمع والطاعة لولي الأمر ومناصحته ومحبة والدعائه ولو تتبععت ذلك لطال الكلام لكن أعلم أرشدني الله وإياك إلى الاتباع وجنبنا الزبغ والابتداع أن من قواعد الشريعة المطهرة والملة الحنيفية المحزنة أن طاعة الأئمة فرض على كل الرعية وأن طاعة السلطان توافي شل الدين وتنظم أمور المسلمين وأن عصيان السلطان يهدم أركان الملة وأن أرفع منازل السعادة طاعة السلطان وأن طاعته عصمة من كل قسنة وبطاعة السلطان تنصام الحدود وتؤدي الفروض وتحقق الدعاء وتؤمن السبل وما أحسن ما قالت العلماء أن طاعة السلطان هدى لمن استضاء بنورها وإن الخارج عن طاعة السلطان منقطع العصمة يرى من الذمة وإن طاعة السلطان حبيل الله المتين ودينه القويم وإن الخروج منها خروج من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ومن غش السلطان ضل وزل ومن أخلص له المحبة والنصح حل من الدين والدينا في أرفع محل وإن طاعة السلطان واجبة أمر الله تعالى بها في كتابه العظيم المنزل على نبيه الكريم وقد اقتصرنا من ذلك على ما أوردناه واكتفينا بما بيناه ونسأل الله تعالى أن يلهنا رشدنا وأن يعيدنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأن يصلح شأننا أنه قريب مجيب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الباب الخامس عشر فيما يجب على من صعب السلطان والتحذير من صعبته) *

(أما صعبة السلطان) * فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ما قال لي أبي يابني اني أرى أمرير المؤمنين يستخيلك ويستشيرك ويقدمك على الأكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واني أوصيك بخلال ثلاث لا تفشين له سرا ولا تجرين عليه كذبا ولا تغتابن عنده أحدا قال الشعبي رحمه الله تعالى قالت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف فقال أي والله ومن عشرة آلاف وقال بعض الحكماء إذا زادك السلطان تأييدا فزده اجلا لا وإذا جعلك أخا فاجعله أبا وإذا زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده وإذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فأخذوا في التفاء عليه فعليك بالدعاء له ولا تمكث في الدعاء له عند كل كلمة فإن ذلك شبيه بالوحشة والغربة * وقال مسلم بن عمران خدم السلطان لا تغتر بالسلطان إذا أدناك ولا تغتر منه إذا أفصاك * وروى أن بعض الملوك استصحب حكيمًا فقال له أصحابك على ثلاث خصال قال وما هن قال لا تهتك لي سترًا ولا تشتم لي عرضًا ولا تقبل في قول فائل حتى تستشيرني قال هذا لك فذا لي عليك قال لا أفشي لك سرا ولا أدخر عنك نصيحة ولا أوتر عليك أحدا قال نعم الصاحب للمستصحب أنت وقال بزرجمهر إذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه في معصية خالفك فإن احسانه اليك فوق احسان الملك وإبقاعه بك أعظم من إبقاعه * وقالوا اصحب الملوك بالهبة لهم والوفار لانهم انما احتجبوا عن الناس

لقيام الهيبة فلا تترك الهيبة وان طال انك بهم تردد نعماء وقالوا له لم السلطان وكانك تتعلم منه وأشر عليه وكانك تستشيرهم واذا أحلك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويشق بك قايالك والدخول بينه وبين بطائنه فانك لا تدري متى يتغير منك فيكونون عوناً عليك وإياك أن تعادي من اذا شاء أن يطرح ثيابه ويدخل مع الملك في ثيابه فعل وفي الامثال القديمة احذروا زمارة الخدعة وفيه قيل بيت مفرد

ليس الشفييع الذي يأتيك تترأ * مثل الشفييع الذي يأتيك عريانا

وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فدار مدراة المرأة العاقلة لصحة الزوج الاحق * (وأما ما جاء في التحذير من صحة السلطان) * فقد اتفقت حكماء العرب والعجم على النهي عن صحة السلطان قال في كتاب كليله ودمنه ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل لصحة السلطان واثنان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة * وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطرا من صحب السلطان وكان بعض الحكماء يقول أحق الامور بالتثبت فيها أمور السلطان فان من صحب السلطان بهر عقل فقد لبس شعار الغرور * وفي حكم الهند صحة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر * وقيل للعتابي لم لا تصعب السلطان على ما فيك من الادب قال لا في رأيه يعطى عشرة آلاف في غير شي ويرى من السور في غير شي ولا أدري أي الرجلين أكون * وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي ويغضب بطش الاسد * وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عني أربعاً لا تصعب السلطان وان أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بأمرأة وان أقرأتم القرآن ولا تصل من قطع رجه فانه لثأق طع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا * وكم رأينا وبلغنا من صحب السلطان من أهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصله نفسذهوبه فكان كما قيل

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والبحر يوضع في الرماذ فيخمد

ومثل من صحب السلطان ليصله مثل من ذهب ليقيم حائطا ما تلا فاعتمد عليه ليقية نخر الحائط عليه فأهلكه قال الشاعر

ومعاشرة السلطان شبه سفينة * في البحر ترجف دائماً من خوفه

ان أدخلت من مائه في جوفها * يغتالها مع ماها في جوفه

وفي كتاب كليله ودمنه لا يسعد من ابتلى بصحبة الملوك فانهم لا عهد لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حميم ولا يرغبون فيك الا أن يطعموا فيها عندك فيقرؤك عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم منك تركوك ورفضوك ولا ود للسلطان ولا انشاء والذنب عنده لا يغفر * وقالت الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لم يركبه أخوف * وقال محمد بن واسع والله لفس التراب ولقضم العظم خير من الدق من أبواب السلاطين * وقال محمد بن السمال الذباب على العذرة خير من العابر على أبواب الملوك * وقيل من صحب السلطان فبيل ان يتأذب فقد غرر بنفسه * وقال ابن المعتز من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة وعنه اذا زادك السلطان تأيسا وكراما فزده تهيبا واحتشاما * وقال أبو علي

الصفاني أياك والملوك فان من والاهم أخذوا ماله ومن عاداهم أخذوا رأسه وقيل مكتوب
على باب قرية من قرى بلخ اسمها باب الملوك محتاج الى ثلاثة عقل وصبر ومال ونجته
مكتوب كذب عدو الله من كان له واحد منهم لم يقرب باب السلطان * وقال حسان بن ربيع
الجزري لا تنقن بالملك فانه ملول ولا بالمرأة فانه اخون ولا بالدابة فانه شروء * وقال عبيد
ابن عمير ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت أتباعه الا كثرت
شياطينه ولا كثر ماله الا كثر حسابه وقال ابن المبارك رحمه الله

أرى الملوك بأدنى الدين قد قنعوا * ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال بعضهم في ولاية بني مروان

إذا ما قطعتم ليلكم عدامكم * وأقنيتو أيامكم بئس
فمن ذا الذي يغشاكم في مله * ومن ذا الذي يغشاكم بسلام
رضيت من الدنيا بأيسر بلغة * بلتم غلام أو بشرب مدام
ولم تعلموا أن اللسان موكل * بمدح كرام أو بذم لثام

نمت الحكام عن خدمة الملوك فقالوا ان الملوك يستعظمون في الثواب رد الجواب ويستقلون
في العقاب ضرب الرقاب وقيل شر الملوك من آمنه الجزى وخافه البرى والله أعلم بالصواب
واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم الملوك ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

• (الباب السادس عشر في ذكر الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك) •

قال الله تعالى طيحا عن موسى عليه السلام واجعل لي وزيراً من أهلي فلو كان السلطان
يستغنى عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران عليه السلام ثم ذكر
حكمة الوزارة فقال الله دد به أزرى وأشركه في أمرى دات هذه الآية على أن الوزارة
تشق قواء المملكة وأن يفوض اليه السلطان إذا استكمل في الخصال المحودة
ثم قال كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً دات هذه الآية على أن يصحبه العلماء والصالحين
وأهل الخبرة والمعرفة تنظم أمور الدنيا والآخرة وكما يحتاج أن يجمع الناس الى السلاح
وأفره الخيل الى السوط وأحد الشغار الى المسن كذلك يحتاج أجمل الملوك وأعظمهم
وأعلمهم الى الوزير * وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال ما بعث الله من نبي
ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانة تأمرونه بالمعروف وتنهونه عليه وبطانة
تأمره بالنسرة وتنهيه عليه والمعصوم من عصمه الله * وقال وهب بن منبه قال موسى انزعون
امن ولك الجنة ولك الملك قال حتى أشاورها ما من فشاورة في ذلك فقال له ما من بينما أنت الله
تعبد انصرت تعبد فانف واستكبر وكان من أمره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج
يزيد بن مسلم لا بالوه خبالا وابئس القرناء شر قرين لشر خدين وأشرف منازل الأديمين
النسوة ثم الخلفة ثم الوزارة * وفي الامثال نعم الظهير الوزير وأول ما يظهر نيل السلطان وقوة
تعبيره وجودة عقله في انتخاب الوزراء واستنقاء الجلساء ومحاذاة العقلاء فهذه ثلاث خلال

تدل على كماله وبهذه الخلال يجمل في الخلق ذكره وترسخ في النفوس عظمته والمرء موسوم
بقربته * وكان يقال حلية الملوك وزينتهم وزراءهم وفي كتاب كليله ودمنه لا يصلح
السلطان الا بالوزراء والاعوان * وقال شريح بن عبيد لم يكن في بني اسرائيل ملك الا وده
رجل حكيم اذا رآه غضبان كتب اليه صحائف في كل صحيفة ارحم المسكين واخثر الموت
واذكر الآخرة فكما غضب الملك ناوله الحكيم صحيفة حتى يسكن غضبه ومثل الملك الخبير
والوزير السوء الذي يمنع الناس خبره ولا يمكنهم من الدنومنه كالماء الصافي فيه التماسيح فلا
يستطيع المرء دخوله وان كان ساجدا الى الماء محتاجا * ومثل السلطان كمثل الطبيب ومثل
الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل الغريب بين المرضى والاطباء فاذا كذب السفير بطل
التدبير وكما ان السفير اذا اراد ان يقتل أحدا من المرضى وصف للطبيب نقيض دانه فاذا
سقاها الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى الملك ما ليس في الرجل
فيقتله الملك فن ههنا شرط في الوزير أن يكون صدوقا في لسانه عدلا في دينه مأمونا في أخلاقه
بسير بأمر الرعية وتكون بطانة الوزير أيضا من أهل الأمانة والبصيرة * ولا يحذر الملك أن يولى
الوزارة لئيمًا فاللئيم اذا ارتفع جنسًا أقاربه وأنكره عارقه واستخف بالاشراف وتكبر على
ذوى الفضل ودخل بعض الوزراء على بعض الخلفاء وكان الوزير من أهل العقل والادب فوجد
عنده رجلًا ذميا كان الخليفة يعيل اليه ويتربيه فقال الوزير من شدا

يا مملكا طاعتك لازمة * وجهه مفترض واجب

ان الذي شرفت من أجله * يزعم هذا انه كاذب

وأشار الى الذمى فاسأله يا أمير المؤمنين عن ذلك فسأله فلم يجده بدا من أن يقول هو صادق
فاعترف بالاسلام وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره اذا رأيتني غضبان فادفع
الى رقعة بعد رقعة وكان في الاولى انك لست بالله وانك ستموت وتعود الى التراب فبأكل
بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض يرحمك من في السماء وفي الثالثة اقض بين الناس
بحكم الله فانهم لا يفصلهم الا ذلك ولما كانت أمورا مملكة عائدة الى الوزراء وأزمة الملوك
في أكف الوزراء سبق فيهم من العقلاء الممثل السائر فقالوا لا تغتر بموت الامير اذا غشت
الوزير واذا أحبك الوزير فتم ولا تخش الامير ومثل السلطان كالدار والوزير بابها فمن أتى الدار
من بابها ولج ومن أتاها من غير بابها انزعج وموقع الوزارة من المملكة كوقع المرأة من البصر
فكما أن من لم ينظر في المرأة لا يرى محاسن وجهه وعميوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير
لا يعلم محاسن دولته وعميوبها ومن شروط الوزير أن يكون كثير الرحمة للخلق رؤفا بهم واعلم أنه
ليس للوزير أن يكتسب عن السلطان نصيحة وان استقلها وموضع الوزير من المملكة كموضع
العينين من الرأس وكما أن المرأة لا تترك وجهك الا بصفاء جواهرها وجودة صقلها ونقاها من
الصدا كذلك السلطان لا يكمل أمره الا بجودة عقل الوزير وصحة فهمه ونقاء قلبه والله
تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين
والحمد لله رب العالمين

(الباب السابع عشر في ذكر الحجاب والولاية وما فيها من الغرر والخطر)

(أما الحجاب) فقد قيل لاشئ أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب وقيل إذا سهل الحجاب اجتمعت الرعية عن الظلم وإذا عظم الحجاب هجمت على الظلم * وقال ميمون بن مهران كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال لحاجبه من بالباب فقال رجل أناخ ناقه الآن يزعم أنه ابن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له أن يدخل فلما دخل قال حدثني أبي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولي شيئا من أمور المسلمين ثم حجب عنه حجة الله عنه يوم القيامة فقال عمر لحاجبه الزم بيتك فاروئى على بابك بعد ذلك حاجب وكان خالد بن عبد الله القشيري يقول لحاجبه إذا أخذت مجلسي فلا تجيبني عنى أحدا فان الوالى لا يجيب الا لثلاث عيب يكره أن يطلع عليه أحد أو ريبة يخاف منها أن تظهر أو ينجس بكره معه أن يسأل شيئا * وكانت العجم تقول لاشئ أضيع للمملكة من شدة حجاب الملك ولاشئ أهيب للرعية وأكف لهم عن الظلم من سهولته وقيل لبعض الحكماء ما الجرح الذى لا يندمل قال حاجة الكرم الى اللثيم ثم يرد به بغير قضائها قيل فما الذى هو أشد منه قال وقوف الشريف بساب الدنى ثم لا يؤذن له ووقف عبد الله بن العباس بن الحسن العلوى على باب المأمون يوما فنظر اليه الحاجب ثم أطرق فقال عبد الله لقوم معه أنه لو أذن لسان لدخلنا ولو صرفنا لانسرفنا ولو اعتذرا لينا قبلنا وأما النظرة بعد النظرة والتوقف بعد التعريف فلا فهم معناه ثم تمثل بهذا البيت

وما عن رضى كان الحمار مطبى * ولكن من يشى سيرضى بما ركب
ثم انصرف فبلغ ذلك المأمون فضرب الحاجب ضربا شديدا وأمر لعبد الله بصله جزيلة وعشر دواب قال الشاعر

رأيت أناسا يسرعون تبادرا * إذا فتح البواب بابك أصبعا
ونحن جالوس ساكتون رزانة * وحلما الى أن يفتح الباب أجعا
ووقف رجل خراسانى يباب ابى دلف العجلي حينما لم يؤذن له فكتب رقعة وتلطف في وصولها اليه فيها

إذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللثيم
فأجابه أبو دلف بقوله

إذا كان الكريم قليل مال * ولم يعتذر نعلل بالحجاب
وابواب المسلوله محجبات * فلا تستنكرن حجاب بابي
ومن محاسن النظم في ذم الاحتجاب قول بعضهم

سأهجركم حتى يلين حجابكم * على أنه لا بد سوف يلين
خذوا حذركم من صفوة الدهرانها * وان لم تكن خانت فسوف تخون
وقال آخر

ماذا على بواب داركم الذى * لم يعطنا اذنا ولا يستأذن
لوردنا ردا جيبلا عنكم * او كان يدفع بالقي هي أحسن

وقال آخر

أمرت بالتسهيل في الاذن لي * ولم ير الحاجب أن يأذنا
فلن تراني بعدها عائدا * ولن تراه بعد مستأذنا

وقال آخر

ولقد رأيت بيباب دارك جفوة * فيها الحسن صنيعك التكدير
ما بال دارك حين تدخل جنة * ويباب دارك منكرونيكبر

وقال آخر

إذا حيت ألقى عند بابك حاجبا * محياء من فسرط الجهالة حالك
ومن عجب مغناك جنة قاصد * ومحابها من دون رضوان مالك

وقال آخر

سأترك بابا أنت تملك أذنه * ولو كنت اعشى عن جميع المسالك
فلو كنت بواب الجنان تركتها * وحولت رجلى مسرعا نحو مالك

وقال آخر

ماذا يفيدك أن تكون محجبا * والعبد بالباب الكريم يلوذ
ما أنت إلا في الحصار معي فلا * تتعب فكل محاصر مأخوذ

وقال أبو تمام

سأترك هذا الباب مادام أذنه * على ما أرى حتى يلبس قلبلا
فما حاب من لم يأنه متعمدا * ولا فاز من قد نال منه وصولا
إذا لم تجد للاذن عندك موضعا * وجدنا إلى ترك الجحى سبيلا

واستأذن رجل على أمير فقال للحاجب قل له ان الكرى قد خطب الى نفسي وانما هي
هجمة وأهـب فخرج الحاجب فقال له الرجل ما الذي قال لك قال قال كلاما لا أفهمه وهو
يريد أن لا يأذن لأن وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه انما مهـل فرعون مع دعواه
اللوهية لسمولة اذنه وبذل طعامه وقال عمرو بن مرة الجهني لما رآه سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من أمير يفلق بابيه دون ذوى الحاجة والخلة والمسئلة الا أغلق
الله أبواب السموات دون حاجته وخلته ومسئلته وجاء النابى الشاعر لبعض الامراء
فحجبه فقال

سأصبر ان جفوت فكم صبرنا * لمثلك من امير أو وزير
رجونا هم فلما اخلقونا * تمادت فيهم غير الدهور
فتنا بالسلامة وهي غنم * وباتوا في المحابس والقبور
ولما لم تنل منهم سرورا * رأينا فيهم كل السرور

وأشدها في ذلك ايضا

قل للذين تحجبوا عن راغب * بمنازل من دونها الحجاب
ان حال عن لقاءكم بوابكم * فالله ليس لبابه بواب

واستأذن سعد بن مالك على معارية فحجبه فتهتف بالبكاء فأتى اليه الناس وفيهم سم كعب فقال ومايكيك يا سعد فقال وما لي لا أبكي وقد ذهب الاعلام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعارية يلعب بهذه الامة فقال كعب لا تيك فان في الجنة قصر امن ذهب يقال له عدن أهله الصديقون والشهداء وأنا أرجو أن تكون من أهله * واستأذن بعضهم على خليفة كريم وحاجبه ثيم فحجبه فقال

في كل يوم لي بياك وقنفة * أطوى اليه سائر الابواب

واذا حضرت رغبت عنك فانه * ذنب عوقبته على البواب

(وأما ذكر الولايات وما فيها من الخطر العظيم) فقد قال الله تعالى لداود عليه السلام يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب جاء في التفسير أن من اتبع الهوى أن يحضر الخصمان بين يديك فتوذا أن يكون الحق للذي في قلبك حبه خاصة وبهم ذاسل سليمان بن داود ملكه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الذي أصاب سليمان ابن داود عليهما السلام أن ناسا من أهل جرادة امرأته وكانت من اكرم نسائه عليه فحاكوا اليه مع غيرهم فأحب أن يكون الحق لأهل جرادة فيقضي لهم فهو قب بسبب ذلك حيث لم يكن هواه فيهم واحدا وروى عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسئلة أعنت عليها وان اعطيتها عن مسئلة وكنت اليها وقال معقل بن يسار رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسر عيه الله رعية فلم يحطها بنصيحته الا لم يجد راحة الجنة وفي الحديث من ولي من أمور المسلمين شيئا ثم لم يحطهم بنصيحته كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى عاصم بن ساعدة على الصدقة فأتى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيقف على جسر جهنم فيأمر الله تعالى الجسر فينتفض انتفاضة فيزول كل عضو منه عن مكانه ثم يأمر الله تعالى بالفاظام فترجع الى أماكنها فان كان الله مطيعا أخذ بيده وأعطاه كفلين من رحمة وان كان الله عامصا انخرق به الجسر فهو في نار جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر رضي الله عنه سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم أسمع قال نعم وكان سلمان وأبو ذر حاضرين فقال سلمان أي والله يا عمر ومع السبعين سبعون خريفا في واد ياتهب التراب يضرب عمر رضي الله عنه يده على جبهته وقال انا لله وانا اليه راجعون من يأخذها بما فيها فقال سلمان من أرغم الله انقه وألصق خذته بالارض * وروى أبو داود في السنن قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أبى عريف على الماء واني أسالك أن تجعل لي العرافة من بعده فقال النبي عليه الصلاة والسلام العرافاء في النار * وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة الامام الجائر * وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب

ما يؤذنه لم يقض بين اثنين في عمرة وقال الحسن البصري ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا
عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يا رسول الله خذني فقال اقم في بيتك وقال ابو هريرة
رضي الله عنه ما من أمير يؤمر على عشرة الا جي به يوم القيامة مغلولاً أنجاه عنه له أو اهلكه
وقال طاوس سليمان بن عبد الملك هل تدري يا أمير المؤمنين من أشد الناس عذاباً يوم
القيامة قال سليمان قل فقال طاوس أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشرك الله في ملكه
فخاف في حكمه فاستلقى سليمان على سريريه وهو يبكي فما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه وقال
ابن سيرين جاء صبيان الى أبي عبيدة السلماني يتخبرون اليه في ألواحهم فلم ينظر اليها وقال
هذا حكم لا أتولى حكماً أبداً وقال أبو بكر بن أبي مريم حج قوم فمات صاحب لهم بأرض فلاة
فلم يجدوا ماء فأتاهم رجل فقالوا له دلنا على الماء فقال احلفوا لي ثلاثاً وثلاثين يمينا انه لم يكن
صراً فافوا ولا مكاساً ولا عريفاً ويرى ولا عراً فافوا لا يريدوا وأنا أدلكم على الماء فحلفوا له ثلاثاً
وثلاثين يمينا كما قال فدلهم على الماء فقالوا له أعنا على غسله فقال لا حتى تحلفوا لي ثلاثاً
وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فأعانهم على غسله ثم قالوا له تقدم فصل عليه فقال لا حتى
تحلفوا لي ثلاثاً وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فصلى عليه ثم التفتوا فلم يجدوا أحداً فكافوا
يرون انه الخضر عليه السلام وقال أبو ذر رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا أبا ذر اني أحب لك ما أحب لنفسى واني أراك ضعيفاً فلا تتأثرن على اثنين ولا تثنين
مال يقيم * ومن غريب ما اتفق وعجيب ما سبق ما حكى أن ملكاً من ملوك الفرس يقال له
أردشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير وكان ذا بأس شديد قد وصف له بنت ملك بجزيرة لا
بالجمال البارع وأن هذه البنت بكر ذات خدر فسير أردشير يخطبها من أيها فامتنع من
اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أردشير وأقسم بالآيمان المغلظة ليفوز الملك أبا البنت
وليقتله هو وابنته شرقة له وليملن بهما أخبث مثله فساداً إليه أردشير في جيموشه فقاتله
فقتله أردشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من
أجل النساء وأكمل البنات حسناً وجمالاً وقد اوعتدالا فبهت أردشير من رؤيته أياها
فقال له أيها الملك انني ابنة الملك الفلاني ملك المدينة الفلانية وان الملك الذي قتلته أنت
قد غزا بلدنا وقتل أبي وقتل سائر أصحابه قبل أن تقتله أنت وانه أسرى في جده الاسارى
وأتى به في هذا القصر فلما رأته ابنته التي أرسلت تخطبها أحبتني وسألت أباها أن يتركني
عندها لتأسر بي فتركني لها فكنت أنا وهي كائناً روحان في جسد واحد فلما أرسلت تخطبها
خاف أبوها عليها منك فأرسلها الى بعض الجزائر في البحر الملح عند بعض أقارب من الملوك
فقال أردشير وددت لو أتت ظفرت بها ففكنت أقتلها شرقتله ثم انه تأمل الجارية فرآها
فأثقة في الجمال فحالت نفسه اليها فأخذها للتسرى وقال هذه أجنبية من الملك ولا أحت
في عيني بأخذها ثم انه واقعها وأزال به كارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق أنها
تحدثت معه يوماً وقد رآه منشرح الصدر فقالت له أنت غلبت أبي وأنا غلبت
فقال لها ومن أبوك فقالت له هو ملك بجزيرة لا أردن وأنا ابنته التي خطبتها منه واني سمعت
أنك أقسمت لتقتلني فتحميت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك في بطني فلا يتهمك

قتلى فعظم ذلك على أردش. براد قهرته امرأة ونجيت عليه حتى تخلصت من يديه فانتهرها
 وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيريه ما اتفق له معها فلما رأى
 الوزير عزمه قويا على قتلها خشي أن تحدث الملوك عنه بمنزل هذا وأنه لا يقبل فيها
 شفاعته شافع فقال أيها الملك ان الرأي هو الذي خطر لك والمصلحة هي التي رأيتها أنت
 وقتل هذه الجارية في هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لانه أحق من أن يقال
 ان امرأة قهرت رأى الملك وحنته في عيونه لاجل شهوة النفس ثم قال أيها الملك ان
 صورتها من حومة وجل الملك معها وهي أولى بالستر ولا أرى في قتلها أستر ولا أخون عليها
 من الغرق فقد ل له الملك نعم ما رأيت خذها غرقها فأخذها الوزير ثم خرج بها ليلا الى بحر
 الأردن ومعه ضوء ورجال وأعوان فحبل الى أن طرح شيئا في البحر وأهم من كان معه
 انها الجارية ثم انه أخفاها عنده فلما أصبح جاء الى الملك فأخبره انه غرقها فشكره على ما فعل
 ثم ان الوزير ناول الملك حقا محتموما وقال أيها الملك اني نظرت مولدى فرأيت أجلى قد دنا
 على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس في النجوم وان لى أولادا وعندى مال قد ادخرته من
 نعمتك فخذ اذا نامت ان رأيت وهذا الحق فيه جوهر أسأل الملك أن يقسمه بين أولادى
 بالسوية فانه ارثى الذي قد ورثته من أبى وليس عندى شيء اكتسبته منه الا هذا
 الجوهر فقال له الملك يطول الرب في عمره ومالك لك ولأولادك سواء كنت حيا وميتا فألح
 عليه الوزير أن يجعل الحق عنده وديعة فأخذها الملك وأودعه عنده في صندوق ثم مضت أشهر
 بخارية فوضعت ولدا ذكر اجملا حسن الحلقة مثل فلقة القمر فلاحظ الوزير جانب الادب
 في تسميته فرأى انه ان اخترع له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد أساء الادب
 وان هوت تركه بلا اسم لم يتهبأ له ذلك فسماه شاه بور ومعنى شاه بور بالفارسية ابن ملك فان شاه
 ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذه
 ولم يرز الوزير بلاطف الجارية والولد الى أن بلغ الولد حدة التعليم فعلمه كل ما يصلح لأولاد
 الملوك من الخط والحكمة والنروسية وهو يوههم انه مملوك له اسمه شاه بور الى أن راهق
 البلوغ هذا كله وأردش ليس له ولد وقد طعن في السن وأقعده الهرم فغرض وأشرف على
 الموت فقال للوزير أيها الوزير قد هرم جسمى وضعفت قوتى وانى أرى أنى ميت لا محالة
 وهذا الملك يأخذه من بعدى من قضى له به فقال الوزير لوشاء الله أن يـ يـكون للملك ولد
 كان قد ولي بعده الملك ثم ذكره بأمر بنت ملك البحر الأردن ويحملها فقال الملك لقد ندمت على
 تغريقها ولو كنت أبقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضى
 قال أيها الملك انهم اعندى حبة ولقد وضعت ولدا ذكر من أحسن الغلمان خلقا وخلقاف فقال
 الملك أحق ما تقول فأقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان فى الولد روحانية تشهد بأبوة الاب
 وفى الوالد روحانية تشهد ببنة الابن لا يكاد ذلك ينحرم أبدا وانى آتى به هذا الغلام بين عشرين
 غلاما فى سنه وهيبته ولباسه وكلهم ذروا بأبهم معروفين خلاه وانى أعطى كل واحد منهم
 صولجانا وكرة وأمرهم أن يلعبوا بين يديك فى مجلسك هذا ويتأمل الملك صورهم وخلقهم
 وسمائهم فكل من مالت اليه نفسه وروحانيته فهو فقال الملك نعم التـ دبير الذى قلت

فأحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدي الملك فكان الصبي منهم إذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة أن يتقدم ليأخذها إلا شاء بورقائه كان إذا ضربها وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم فأخذها ولا تأخذ الهيبة منه فلاحظ أردشير ذلك منه مرارا فقال له أيها الفلام ما اسمك قال شاه بور فقال له صدقت أنت ابني حقا ثم ضمه إليه وقبله بين عذبه فقال له الوزير هذا هو ابنك أيها الملك ثم أحضر بقية الصبيان ومعهم عدول فأنبت لكل صبي منهم والد يحضرة الملك فتحقق الصدق في ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضى عنها فقال الوزير أيها الملك قد دعت الضرورة في هذا الوقت إلى احضار الحق المختوم فأمر الملك باحضاره ثم أخذ الوزير وفك ختمه وفتحها فذا فيه ذكر الوزير واثنياء مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك وأحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك بأن هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش الملك أردشير وبهت لما أبداه هذا الوزير من قوة النفس في الخدمة وشدة مناصحته فزاد سروره وتضاعف فرجه أصابته الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به ثم إن الملك عوفي من مرضه الذي كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب في نعمه وهو مسرور بابنه إلى أن حضرته الوفاة ورجع الملك إلى ابنه شاه بور بعد موت أبيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أردشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرعى منزلته حتى توفاه الله تعالى والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

الباب الثامن عشر فيما جاء في القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول

(الفصل الأول فيما جاء في القضاء وذكر القضاة وأحوالهم وما يجب عليهم) قال الله تعالى يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وقال تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حكم بين اثنين تما كما إليه وارتضاه فلم يقض بينهما بالحق فعليه لعنة الله * وعن أبي حازم قال دخل عمر على أبي بكر رضوان الله عليهم ما فسلم عليه فلم يرده عليه فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف أخاف أن يكون وجد علي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم عبد الرحمن بأبي بكر فقال أتاني وبين يدي خصمان قد فرغت لهما قلبي وسمعي وبصري وعلت أن الله سألني عنهما فألا وقلت * وأدعى رجل علي علي عند عمر رضي الله عنهما ما وعلي جالس فالتفت عمر إليه وقال يا أبا الحسن قم فاجلس مع خصمك فقام فجلس مع خصمه فتناظرا وانصرف الرجل ورجع علي إلى مجلسه فبين لعمر التغبر في وجهه علي فقال يا أبا الحسن مالي أراك متغيرا أكرهت ما كان قال نعم قال وما ذاك قال كنتني بحضرة خصمي هل لا قلت يا علي قم فاجلس مع

خصلك فأخذ عمر برأس علي رضي الله عنهما فقبله بين عينيه ثم قال بأبي أنتم بكما هدا أنا
الله وبكم اخرجنا من الظلمات الى النور وعن أبي حنيفة رضي الله عنه القاضي كالغريق في
البحر الا خضر الى متى يسبح وان كان ساجدا وأراد عمرو بن هيرة أن يولي ابا حنيفة القضاء فأبى
فلعل يضربه بالسياط وليسجنه فضر به حتى انتفخ وجهه أبي حنيفة ورأسه من الضرب فقال
الضرب بالسياط في الدنيا أهون علي من الضرب بمقامع الحديد في الآخرة وعن عبد الملك بن
عمير عن رجل من أهل اليمن قال أقبل سبيل باليمن في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
فكشفت عن باب مغلق فظنناه كنزا فكتبنا الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فكتب اليينا
لا تخركوه حتى يقدم اليكم كتابي ثم فتح فاذا برجل علي سري ر عليه سبعون حلة منسوجة بالذهب
وفي يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان

إذا خان الأمير وكتابه * وقاضى الأرض داهن في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل * لقاضى الأرض من قاضى السماء

وإذا عند رأسه سيف أشد خضرة من البقلة مكتوب عليه هذا سيف عاد بن ارم وعن
ابن أبي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله مع القاضي ما لم يجرف اذا جار برئ
الله منه ولزمه الشيطان وقال محمد بن حريث بلغني أن نصر بن علي راودوه على القضاء
بالبصرة واجتمع الناس اليه فكان لا يجيبهم فلما ألحوا عليه دخل بيته ونام على ظهره
وألقى ملاءة على وجهه وقال اللهم ان كنت تعلم اني لهذا الامر كاره فاقبضني اليك فقبض
وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم القضاء جسر للناس يمرون على
ظهورهم يوم القيامة وقال حفص بن غياث لرجل كان يسأله عن مسائل القضاء لعلها تريد
أن تكون قاضيا لان يدخل الرجل اصبعه في عينيه فيقلعهما ويرمي بهما خبيرة من أن يكون
قاضيا * وقيل أول من أظهر الجور من القضاة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان
أمير البصرة وقاضيا فيها وكان يقول ان الرجلين يتقدمان الى فأجد أحدهما أخف على قلبي من
الآخر فاقضى له وتقدم المأمون بين يدي القاضي يحيى بن اكرم مع رجل ادعى عليه بثلاثين
ألف دينار فطرح للمأمون مصلي يجلس عليه فقال له يحيى لا تأخذ علي خصلك شرف المجلس
ولم يكن للرجل بينة فأراد أن يحلف المأمون فدفع اليه المأمون ثلاثين ألف دينار وقال والله
مادفعت لك هذا المال الا خشية أن تقول العامة اني تناولتك من جهة القدرة ثم أمر يحيى
بمال وأجرل عطاه * وقدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله الى أبي يوسف ابن يعقوب
في حكم فارتفع الخادم على خصمه في المجلس فزجره الحاجب عن ذلك فلم يقبل فقال
أبو يوسف قم أنؤمن أن تقف بمساواة خصمك في المجلس فتمتنع باعلام اتني بعمر بن أبي عمرو
النخاس فإنه ان قدم على الساعة أمرته ببيع هذا العبد وجعل ثمنه الى أمير المؤمنين ثم ان
الحاجب أخذ بيده حتى أوقفه بمساواة خصمه فلما انقضى الحكم رجع الخادم الى المعتضد
وبكى بين يديه وأخبره بالقصة فقال له لو باعك لا تجزئ بيعه ولم أردك الى ملكي فليست منزلتك
عندي تزن رتبة المساواة بين الخصمين في الحكم فان ذلك عمود السلطان وقوام الأديان والله
تعالى أعلم وقال الأبرش العكلى يمدح بعض القضاة

رفضت وعطلت الحكومة قبله * في آخرين وملها رواضها
حتى اذا ما قام الف بينها * بالحق حتى جعت أوقاضها

وفي ضد ذلك قول بعضهم

أبكي وأندب ملة الاسلام * اذ صرت تقعدم قعد الحكام
ان الحوادث ما علمت كثيرة * وأرأى بعض حوادث الأيام

وتقدمت امرأة الى قاض فقال لها جامعك شهودك فسكتت فقال كاتبه ان القاضى يقول لك
جاء شهودك معك قالت نعم هلا قلت مثل ما قال كاتبك كبر سنك وقل عقلك وعظمت لحيتك
حتى غطت على لبك ما رأيت ميتا يقتضى بين الاحياء غيرك وقيل المضروب بهم المثل
في الجهل وتحريف الاحكام قاضى منى وقاضى كسكر وقاضى أيدج وهو الذى قال فيه
ابو احمق الصابي

يارب عالج عالج * مثل البعير الا هو ج
رأيت به مطلقا * من خلف باب مرج
وخلفه عذينة * تذهب طورا ونحي
فقلت من هذا ترى * فقيل قاضى أيدج

وقاضى شلبة وهو الذى قال فيه أبو الحسن الجوهري

رأيت رأسا ككذبه * ولحية كالمنذبه
فقلت من أنت قل لي * فقال قاضى شلبة

وتقدمت امرأة جميلة الى الشعبي فادعت عنده فقضى لها فقال هذيل الانجبى

* فتن الشعبي لما * رفع الطرف اليها
* فتنته بستان * كيف لورا معصمها
ومشت مشيا وريدا * ثم هزت منكبيها
فقضى جوارا على الخصر * ولم يقض عليها

فتناشدها الناس وتداولوها حتى بلغت الشعبي فضرب الانجبى ثلاثين سوطا وحكى ابن
أبى ليلى قال انصرف الشعبي يوما من مجلس القضاء ونحن معه فمرنا بخادمة تغسل الثياب
وهي تقول فتن الشعبي لما فتن الشعبي لما ولم تعرف بقية البيت فلقننا الشعبي وقال رفع الطرف
اليها ثم قال أبعد الله اما انما قضيت الابالحق وأنشد بعضهم فى أمين الحكم
تتارتن اذا مشيت تخشعا * حتى تصيب ودبعة ليتيم

(الفصل الثانى فى الرشوة والهدية على الحكم وما جاء فى الديون) أما الرشوة فقد روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله الراشى والمرتشى وقال عمر بن الخطاب رضى
الله عنه لا تولوا اليهود ولا النصارى فانهم يقبلون الرشا ولا يحل فى دين الله الرشا قال
الشهيدى واصحابنا اليوم اقبل للرشا منهم وفى نوايح الحكم ان البراطيل تنصر الاباطيل
وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال من شفع شفاعا ليرتبها حقاً ويدفع بها ظملاً فاهدى له

فقبل فذلك السحت فقبل له ما كنا نرى السحت الا الاخذ على الحكم قال الاخذ على الحكم كفر
وأشدد المبرد رجه الله تعالى

وكنيت اذا خاصمت خصما كيبته * على الوجه حتى خاصمتني الدراهم
فلما تنازعنا الحكومة غلبت * على وقالت قسم فانك ظالم
(واما الدين وما جاء فيه نعوذ بالله من غلبة الدين وقهر الرجال)

فقد روى عن أبي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تداين بدين
وفي نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء ومن تداين بدين وليس في
نفسه وفاؤه ثم مات اقتص الله غريمه منه يوم القيامة رواه الحاكم وروى عن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى له بمنازرة لم يسأل عن شيء
من عمل الرجل ويسأل عن دينه فان قيل عليه دين كف عن الصلاة عليه وان قيل ليس عليه
دين صلى الله عليه فأتى بمنازرة فلما قام ليكبر سأل صلى الله عليه وسلم هل على صاحبكم من دين
فقالوا ديننا ان يارسول الله فعذر النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال صلوا على صاحبكم
فقال علي كرم الله وجهه هم اعلو يا رسول الله وهو يرى منهم ما فقهتم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فصلى عليه ثم قال لعلي رضي الله عنه جرت الله عنه خيرا فلك الله رهانك كما
فككت رهان أخيك انه ليس من ميت يموت وعليه دين الا وهو من تدين بدينه ومن فك
رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة وقال بعض الحكماء الذين هم بالليل وذل بالنهار وهو
غل جعله الله في أرضه فاذا أراد الله أن يذل عبدا جعل له طوقا في عنقه وجاءه عبد بن أبي
وقاص رضي الله عنه يتقاضى دينه على رجل فقالوا اخرج الى الغزو فقال اشهد ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن رجلا قتل في سبيل الله ثم أحيى ثم قتل لم يدخل الجنة حتى
يقضى دينه وعن الزهري قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على أحد عليه
دين ثم قال بعد أنا ولى بالمؤمنين من أنفسهم من مات وعليه دين فعلى قضاؤه ثم صلى عليهم
وعن جابر لا هم الا هم الدين ولا وجع الا وجع العين وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من تزوج امرأة بصدق ينوي أن لا يؤديه اليها فهو زان ومن
استدان ديناً ينوي أن لا يقضيه فهو سارق وقال حبيب بن ثابت ما احتجت الى شيء
أستقرضه الا استقرضته من نفسي أراد أنه يصبر الى أن تكون الميسرة وتطهره قول
القائل

واذا غلاشي على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم أيضا

لقد كان القريض عير قلمي * فألهتني القروض عن القريض

وقال غيلان بن مرة النعماني

واني لأقضي الدين بالدين بعدما * يرى طالبي بالدين أن لست قاضيا

فأجابه ثعلبة بن عمار

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذل غرم على غرم

واسـتقرض الاصمعي من خليل له فقال حيا وكرامة ولكن سكن قلبي برهن يساوي ضعف ما تطلبه فقال يا ابا سعيد اما تشق بي قال بلى وان خليل الله كان واثقا بربه وقد قال له ولـكن لا يطـمن قلبي اللهم اوف عبادك الذين الذين بالمسيرة ودين الآخرة بالمغفرة برحمتك يا ارحم الراحمين

(الفصل الثالث في ذكر القصص والمتصوفة وما جاء في الرياء ونحو ذلك)

(أما ما جاء في ذكر القصص والمتصوفة)

فقد روى عن خباب بن الارت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل لما قصوا هلكوا وروى أن كعبا كان يقص فلما سمع الحديث ترك القصص وقال ابن عمر رضي الله عنهما لم يقص أحد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وانما كان القصص حين كانت الفتنة وقال ابن المبارك سألت الثوري عن الناس قال العلماء قلت من الاشرف قال المتقون قلت من المأثولين قال الزهاد قلت من الغوغاء قال القصاص الذين يستأصلون أموال الناس بالكلام قلت من السفهاء قال الظلمة * قيل وهب رجل اقصا خاتما بلاقص فقال وهب الله لك في الجنة غرفة بلا سقف وقال قيس ابن جبير النهشلي الصعقة التي عند القصاص من الشيطان وقيل لعائشة رضي الله عنها ان أقواما اذا سمعوا القرآن صعقوا فقالت القرآن أكـرم وأعظم من أن تذهب منه عقول الرجال * وسئل ابن سيرين عن اقوام يصعقون عند سماع القرآن فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله الى آخره فان صعقوا فهو كما قالوا * وكان يمر وقاص يبكي عواظها فاذا طال مجلسه بالبكاء أخرج من كفه طنبورا صغيرا فيحركه ويقول مع هذا الغم الطويل يحتاج الى فرح ساعة * وقال بعضهم قلت لصوفي يعني جيتك فقال اذا باع الصياد شبكته فبأى شيء يصيد * وسئل بعض العلماء عن المتصوفة فقال أكلة رقيقة * وعظ عيسى عليه السلام بني اسرائيل فأقبلوا يزقون الثياب فقال ما ذنب الثياب أقبلوا على القلوب فعاتبوها

(وأما ما جاء في الرياء)

فقد قال الله تعالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ احذر أن يرى عليك آثار المحسنين وانت تخلو من ذلك فتجشم مع المرائين وقيل لو أن رجلا عمل عملا من البر فـكـتـه ثم احب أن يعلم الناس انه كـتـه فهو من أقبح الرياء وقيل كل ورع يحب صاحبه أن يعلمه غير الله فليس من الله في شيء وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الا صغيرا قالوا ما الشرك الا صغيرا يا رسول الله قال الرياء وقيل بينما عايد عيسى ومعه غمامة على رأسه تظله فجاء رجل يريد أن يستظل معه فنعته وقال ان أقت معي لم يعلم الناس أن الغمامة تظاني فقال له الرجل قد علم الناس أنني لست بمن تظله الغمامة فخوالها الله تعالى الى ذلك الرجل وقال عبد الأعلى السلمي يوما للناس يزعمون أنني مرء وكنت أمس والله صائما ولا أخبر بذلك

أحدا اللهم أصلح فساد قلوبنا واسترفضنا بمرحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع عشر في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك)

اعلم أرشدك الله أن الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه وتعالى أنه ليس كل النفوس تصلح على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال تعالى إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى الآية فلو وسع الخلائق العدل ما قرن الله به الاحسان والعدل ميزان الله تعالى في الارض الذى يؤخذ به للضعيف من القوى والمحق من المبطل واعلم أن عدل الملك يوجب محبته وجوره يوجب الافتراق عنه وأفضل الازمنة أيام العدل وروينا من طريق أبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمل الامام العادل في رعيته يوما واحدا أفضل من عمل العابد في أهله مائة عام وأخبرني عامر بن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة وروينا في سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لكعب الاحبار أخبرني عن جنة عدن قال يا أمير المؤمنين لا يسكنها الا نبي أو صديق أو شهيد أو امام عادل فقال عمر والله ما أنا نبي وقد صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الامام العادل فاني ارجو أن لا اجور وأما الشهادة فاني لم ألق بها قال الحسن فجعله الله صديقا شهيدا ~~حكما~~ عدلا وسأل الاسكندر حكام أهل بابل أيما بلغ عندكم الشجاعة أو العدل قالوا اذا استعملنا العدل استغنيانا عن الشجاعة ويقال عدل السلطان أنفع من خصب الزمان وقيل اذا رغب السلطان عن العدل رغب الرعية عن طاعته وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشكو اليه من خراب مدينته ويسأله ما لا يرمها به فكتب اليه عمر قد فهمت كتابك فاذا قرأت كتابي فخص مدينتك بالعدل ونق طرقها من الظلم فإنه مرمتها والسلام ويقال ان الحاصل من خراج سواد العراق في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مائة ألف ألف وسبعة وثلاثين ألف ألف فلم يزل يتناقص حتى صار في زمن الحجاج ثمانية عشر ألف ألف فلما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ارتفع في السنة الاولى الى ثلاثين ألف ألف وفي الثانية الى ستمين ألف ألف وقيل أكثر وقال ان عشت لا بلغنه الى ما كان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمات في تلك السنة ومن كلام كسرى لملك الابل الجند ولا جند الا بالمال ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل * ولما مات سلمة بن سعيد كان عليه ديون للناس ولا أمير المؤمنين المنصور فكتب المنصور رعاياه استوف لا أمير المؤمنين حقه وفرق ما بقى بين الغرماء فلم يلتفت الى كتابه وضرب المنصور بسهم من المال كما ضرب لا أحد الغرماء ثم كتب للمنصور اني رأيت أمير المؤمنين كأحد الغرماء فكتب اليه المنصور ماتت الارض بك عدلا * وكان أحمد بن طولون والى مصر

متصليا بالعدل مع تجبره وسفكه للدماء وكان يجلس للمظالم وينصف المظالم من الظالم
 (حكى) أن ولده العباس استدعى بغنية وهو يصطحب يوما فلقها ببعض صالحى مصر ومعهما
 غلام يحمل عودها فكسره فدخل العباس إليه وأخبره بذلك فأمر بإحضار ذلك الرجل
 الصالح فلما حضر إليه قال أنت الذى كسرت العود قال نعم قال أفعلت لمن هو قال نعم هو
 لابنك العباس قال أفما أكرمته لى فقال أكرمه لك بمعصية الله عز وجل والله تعالى يقول
 والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرزون بالله وروف وينهون عن المنكر ورسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول لا طاعة للمخلوق فى معصية الخالق فأطرق أحد بن طولون عند
 ذلك ثم قال كل منكر رأيته فغيره وأنا من ورائك * ووقف بهم ودى لعبد الملك بن مروان
 فقال يا أمير المؤمنين ان بعض خاصتك ظلمنى فأنتصفى منه وأدقنى حلالة العدل فأعرض
 عنه فوقف له ثانيا فلم يلتفت إليه فوقف له مرة ثالثة وقال يا أمير المؤمنين اننا نجد فى النوراة
 المنزلة على كليم الله موسى صلوات الله وسلامه عليه ان الامام لا يكون شريكا فى ظلم احد حتى
 يرفع اليه فاذا رفع اليه ذلك ولم ير له فقد شاركه فى الظلم والجور فلما سمع عبد الملك كلامه فزع
 وبعث فى الحال الى من ظلمه فعزله وأخذ ليلهم ودى حقه منه * وروى أن رجلا من العقلاء
 غصبه بعض الولاة ضبيعة له فأتى الى المنصور فقال له اصالحك الله يا أمير المؤمنين أذكر لك
 حاجتى أم أضرب لك قبله امثلا فقال بل اضرب المثل فقال ان الطفل الصغير اذا نابه أمر
 يكرهه فانما يفرغ الى أمه اذا لا يعرف غيرها فظننا منه أن لا ناصر له غيرهما فاذا اترعرع واشتد
 كان فراره الى أبيه فاذا بالغ وصار رجلا وحدث به أمر شكاه الى الوالى لعلمه أنه أقوى من أبيه
 فاذا رادعه شكاه الى السلطان لعلمه أنه أقوى من سواه فان لم ينصفه السلطان شكاه
 الى الله تعالى لعلمه أنه أقوى من السلطان وقد نزلت بي نازلة وليس أحد فوقك أقوى منك الا
 الله تعالى فان أنصفتنى والارفعت أمرى الى الله تعالى فى الموسم فانى متوجه الى بيته
 وحرمة فقال المنصور بل تنصفك وأمر أن يكتب الى واليه برتضيعة اليه * وكان الاسكندر
 يقول يا عباد الله انما الهكم الله الذى فى السماء الذى نصر نوحا بعد حين الذى يسقيكم الغيث
 عند الحاجة واليه مفزعكم عند الكرب والله لا يبلغنى ان الله تعالى أحب شيئا الا أحببته
 واستعملته الى يوم أجلي ولا أبغض شيئا الا أبغضته وهجرته الى يوم أجلي وقد أثبتت
 أن الله تعالى يحب العدل فى عباده ويبغض الجور من بعضهم على بعض فويل للظالم من
 سبني وسوطي ومن ظهر منه العدل من عمالى فليتكنى فى مجلسي كيف شاء وليتقن على ما شاء
 فلن تحفظه أمنيته والله تعالى المجازى كلاب عمله * ويتناهل اذالم يعمر الملك ملكه بالانصاف
 خرب ملكه بالعصيان * وقبل مات بعض الاكسرة فوجدوا له سقطا ففتح فوجد فيه حبة
 رمان كأن كبر ما يكون من النوى معهار رعة مكتوب فيها هذه من حب رمان عمل فى خواجه
 بالعدل * وقيل تظلم أهل الكوفة من واليهم فشكوه الى المأمون فقال ما علمت فى عمالى
 أعدل ولا أقوم بأمر الرعية وأعود بالرفق عليهم منه فقال رجل منهم يا أمير المؤمنين ما أحد
 أولى بالعدل والانصاف منك فان كان به هذه الصفة فعلى أمير المؤمنين أن يولي به بلدا بلدا حتى

يلحق كل بلد من عدله مثل الذي لحقنا وبأخذ بقسطه منه كما أخذنا وإذا فعل ذلك لم يصنفنا
منه أكثر من ثلاث سنين فضحك المؤمنون من قوله وعزله عنهم * وقدم المنصور بالبصرة
قبل الخلافة فنزل بواصل بن عطاء وقال بلغني آيات عن سليم بن يزيد العدوي في العدل فقم بنا
اليه فأشرف عليهم من غرفة فقال لواصل من هذا الذي معك قال عبد الله بن محمد بن علي بن
عبد الله بن عباس رضي الله عنهم فقال رحب على رحب وقرب على قرب فقال انه يحب أن يسمع
آياتك في العدل فقال سمعاً وطاعة وأنا شدي يقول

حتى متى لا نرى عدلاً نسر به * ولا نرى لولاة الحق أعوانا

مستمعين بحق قائمين به * اذا تلون أهل الجور ألوانا

بالرجال لدا لادواء له * وقائد ذي عبي يقتاد عيانا

فقال المنصور وددت لو أني رأيت يوم عدل ثم مت * وقبل لما ولي عمر بن عبد العزيز أخذ
في رد المظالم فأتى بأهل بيته فاجتمعوا الى عمته له كان يكرمها وسألوها أن تكلمه فقال لها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك طريقاً فلما قبض سلك أصحابه ذلك الطريق الذي سلكه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أفضى الامر الى معاوية جرت بيننا وبينه الا وائيم الله اني مت
في عمري لا ردتني الى ذلك الطريق الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالت
له يا ابن أخي اني أخاف عليك منهم يوم عصيا فقال كل يوم أخافه دون يوم القمامة فلا
امنيه الله * وقال وهب بن منبه اذا هم الوالي بالجور أو عمل به أدخل الله القصر في أهل
ملكته في الاسواق والزروع والضروع وكل شيء واذا هم بالخير والعدل أو عمل به أدخل
الله البركة في أهل ملكته كذلك * وقال الوليد بن هشام ان الرعية لتصلح بصلاح الوالد وتفسد
بفساده * وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان ملكا من الملوك خرج يسير في ملكه متسكرا
فنزل على رجل له بقرة فحلب قدر ثلاث بقرات فتعجب الملك من ذلك وحدثته نفسه بأخذها
فلما كان من الغد حلبت له النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلبها نقص أرعت
في غير مرعاه بالامس فقال لا وليكن أظن أن ملكك آراها أو وصله خبرها فهمم بأخذها
فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة فتساب الملك وعاهد ربه في نفسه أن لا
يأخذها ولا يحسد أحدا من الرعية فلما كان من الغد حلبت عادت * ومن المشهور ببارض
المغرب أن السلطان بلغه أن امرأة لها حديقة فيها القصب الحلواني كل قصبة منها تعصر
قد حفر من الملك على أخذها منها ثم أتاها وسألها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم
يخرج منها نصف قدح فقال لها اين الذي كان يقال يقال فقالت هو الذي بلغك الآن يكون
السلطان قد عزم على أخذها في فارتفعت البركة منها فتأب الملك وأخلص لله النية وعاهد
الله أن لا يأخذها منها أبدا ثم أمرها فعصرت قصبة منها فجاءت مل قدح (وحكى) سيدي
أبو بكر الطرطوشي رحمه الله في كتابه سراج الملوك قال حدثني بعض الشيوخ عن كان يروي
الاخبار بعصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أراذب ولم يكن في ذلك الزمان نخلة
تحمّل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل شيئا في ذلك العام ولا ثمرة واحدة وقال لي شيخ
من أشياخ الصعيد أعرف هذه النخلة وقد شاهدتها وهي تحمل عشرة أراذب ستين

وبيته وكان صاحبها يبيعها في سني الغلاء كل وبيته بدنيار (وحكى) أيضا رحمه الله تعالى قال شهدت في الاسكندرية والاصميد مطلقا للرعيمة السمك يطفو على الماء كثرته وكانت الاطفال تصيده بالخرق من جانب البحر ثم تجزئه الوالى ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يوجد الى يومنا هذا وهكذا تعذى سرائر الملوك وعزائمهم ومكثون ضمائرهم الى الرعيمة ان خيرا تخيروا ان ميرا فشرتهم وروى أصحاب التواريخ في كتبهم قالوا كان الناس اذا أصبحوا في زمان الحجاج يتساءلون اذا تلاقوا من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وما أشبه ذلك وكان الوايد بن هشام صاحب ضياع واخذ مضايع فكان الناس يتساءلون في زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الانهار وغرس الانهار وما الى سليمان بن عبد الملك وكان صاحب طعام ونكاح كان الناس يتحدثون ويتساءلون في الاطعمة الرفيعة ويتغالبون في المناكح والسراري ويعمر ونحو السهم بذلك وما الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك كل ليلة وكم يحفظ فلان وكم يختم وكم يصوم من الشهر وما أشبه ذلك فينبغي للامام أن يكون على طريقة الصحابة والسلف رضي الله عنهم ويتقدي بهم في الاقوال والافعال فمن خاف ذلك فهو لا محالة هالك وليس فوق الساطان العادل منزلة الانبياء مرسل أو ملك مقرب وقد قيل ان مثله كمثل الرياح التي يرسلها الله تعالى نشر بين يدي رحمة فيسوق بها السحاب ويجعلها القاحل للثمرات وروح للعباد ولوقت تبت ما جاء في العدل والانصاف وفضل الامام العادل لا لفت في ذلك مجموعا جامع هذا المعنى ولكن اقتصرنا على ما ذكرته مخافة أن يله التناظر وبسامه السامع وبالله التوفيق الى أقوم طريق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب العشرون في الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك)*

قال الله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قيل هذا نسبية للمظلوم ووعيد للظالم وقال تعالى انا أعدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع ظالم لبعينه وهو يعلم أنه ظالم خرج من الاسلام وقال أيضا صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا كان ل أخيه قبله مظلمة في عرض أو مال فأناؤه فتحلله منها قبل أن يأتي يوم القيامة وليس معه دينار ولا درهم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم أو جب الله له النار وحرّم عليه الجنة فقال له رجل يا رسول الله ولو كان شيئا يسيرا قال ولو كان قضيبا من أراك وعن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى الى يا أبا المرسلين يا أبا المنذرين أنذر قومك فلا يدخلوا بيتا من بيوت ولا حرم من عبادي عند أحد منهم مظلمة فاني ألعنه مادام قائما يصلي بين يدي حتى يرد تلك الظلمة الى أهلها فأكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

في الجنة وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اياك ودعوة المظلوم
فانما يسأل الله تعالى حقه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من عبد ظلم فشيخص يبصره
الى السماء الا قال الله عز وجل ابيك عبدى حقا لا نصرك ولو بعد حين وعنه أيضا أنه
قال الا ان الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فاما الظلم الذي لا يغفر
فالشر بالله والعياذ بالله تعالى قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء واما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا واما الظلم المغفور الذي لا يطلب
فظلم العبد نفسه * ومز رجل برجل قد صلبه الحجاج فقال يا رب ان حملك على الظالمين قد اضر
بالمظلومين فنام تلك الليلة فرأى في منامه أن القيامة قد قامت وكأنه قد دخل الجنة فرأى
ذلك المصلوب في أعلى عليين واذا مناد ينادى حلى على الظالمين أحل المظلومين في أعلى
عليين * وقيل من سلب نعمة غيره سلب نعمة غيره * وسمع مسلم بن بشير رجلا يدعو على
من ظلمه فقال له كل الظالم الى ظلمه فهو أسرع فيه من دعائك ويقال من طال عدوانه زال
سائطه وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم
على المظلوم * وروى في أفق السماء مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله وتحت
هذا البيت

فلم أرمثل العدل للمرء رافعا * ولم أرمثل الجور للمرء واضعا
وقال الشاعر

كنت الصحيح وكنا منك في سقم * فان سقمت فانا السالمون غدا
دعت عليك كفا لما ظلمت * ولن تردى مظلومة أبدا

وكان معاوية يقول انى لا استحي أن أظلم من لا يجده على ناصر الا الله * وقال أبو العيناء كان لى
خصوم ظلمة فشكروهم الى أحمد بن دواد وقتل قد ظفروا على وصاروا يدا واحدة فقال
يد الله فوق أيديهم فقلت له ان اهتم مكرافقل ولا يهتق المكر السي الا بأهله قلت هم فئة كثيرة
فقال كم من فئة قليلة غابت فئة كثيرة باذن الله * وقال يوسف بن اسباط من دعا الظالم بالبقاء
وقد أحب أن يعصى الله فى أرضه * وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم صلى
الله عليه وسلم من أشار الى أخيه بمجديدة فان الملائكة تلغنه وان كان أخاه لا يبه وأمه وقال
مجاهد يسلط الله على أهل النار الحرب فيحكون أجسادهم حتى تبدوا العظام فيقال لهم هل
يؤذيكم هذا فيقولون اى والله فيقال لهم هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين * وقال ابن مسعود
رضى الله عنه لما كشف الله العذاب عن قوم يونس عليه السلام تراى المظالم بينهم حتى كان
الرجل لا يتلع الجرم من أساسه فيرده الى صاحبه وقال أبو ثور بن يزيد الجرفى البنيان من غير
حاله عربون على خرابه وقال غيره لو أن الجنة وهى ذار البقاء أسست على حجر من الظلم لا وشك
أن تحرب وقال بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك
لا يعجبك ربح الذراعين سفك الدماء فان له قاتلا لا يموت وقال محمد بن سعيد كان يزيد
ابن حاتم يقول ما هبت شيا قط هبتي من رجل ظلمته وأنا أعلم أن لا ناصر له الا الله فيقول
حسبك الله الله بينى وبينك وقال بلال بن مسعود اتق الله فيمن لا ناصر له الا الله * وبكى

على بن الفضل يوما فقبل له ما يبكيك قال أبكي على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله تعالى
ولم تكن له حجة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشد غضبي على
من ظلم من لا يجده ناصر اغديري * ونادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر يا سليمان
اذكر يوم الاذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل فقال له ما يوم الاذان فقال
قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين قال فما ظلامتك قال أرضى
بمكان كذا وكذا أخذها وكذا فكتب الى وكيله ادفع اليه أرضه وأرضه وأرضه وروى
أن كسرى أنوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى فاق في العلوم فضربه المعلم
يوما من غير ذنب فاجعه ففقد أنوشروان علمه فلما ولي الملك قال للمعلم ما جلتك على ضربي
يوم كذا وكذا اظلم فقال له لما رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد أهلك فأحببت
أن أذيبك طعم الظلم ائسلا تظلم فقال أنوشروان زه زه * وقال محمد بن سويد وزير
المأمون

فلاتامن الدهر حرًا ظلمته * فباليل حرًا ظلمت بنائم

وروى أن بعض الملوك رقم على بساطه

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم مصدره يفضى الى الندم

تنام عينك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

وما أحسن ما قال الآخر

أتمموا بالدعاء وتزديده * وما ندري بما صنع الدعاء

سهام الليل نافذة ولكن * لها أمد وللا أمد انقضاء

فمسكها اذا ما شاء ربي * ويرسلها اذا نفذ القضاء

وقال أبو الدرداء اياك ودعوة اليتيم ودعوة المظلوم فانهم اتسرى بالليل والناس نيام وقال الهيثم

ابن فراس اسامى من بنى سامة بن اوى في الفضل بن مروان

تجبرت يا فضل بن مروان فاعتبر * فقبلك كان الفضل والفضل والفضل

ثلاثة أملاك مضوا اسيلهم * أبادهم الموت المشتت والقتل

يريد الفضل بن الربيع والفضل بن يحيى والفضل بن سهل * ووجد تحت فراش يحيى بن

خالد البرمكي رقعة مكتوب فيها

وحق الله ان الظلم لؤم * وان الظلم مرتعه وخيم

الى ديان يوم الدين غمضى * وعند الله تجتمع الخصوم

ووجد القاسم بن عبيد الله وزير المكنفي في مصلاه رقعة مكتوب فيها

بغى وللبغى سهام تنتظر * أنفذ في الاحشاء من وخر الابر

سهام أيدي القاتلين في السحر

وقال المنصور بن المعمر لابن هبيرة حين أراد أن يولي به القضاء ما كنت لاني هذا بعد

ما حدثني ابراهيم قال وما حدثك ابراهيم قال حدثني عن علقمة عن ابن مسعود قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوان الظلمة

وأشباع الظلمة حتى من يرى لهم قلماً ولا يلقى لهم دواة فيجمعون في تابوت من حديد ثم يرمي بهم في نار جهنم وروى هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جالس أبي للمظالم يوماً فلما انقضى المجلس رأى رجلاً جالساً فقال له ألك حاجة قال نعم أدنى إليك فاني مظلوم وقد أعوزني العدل والانصاف قال ومن ظلمك قال أنت ولست أصل اليك فأذكر حاجتي قال وما يحجبك وقد ترى مجلسي مبذولاً قال يحجبني عنك هيبتك وطول اسنانك وفصاحتك قال فقيم ظلمتك قال في ضيعتي القلانية أخذها وكيلك غصباً مني بغير إذن فاذا وجب عليهما خراج أدتيه باسمي ثم لا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي فوكيلك ياخذ غلتها وأنا أؤدى خراجها وهذا لم يسمع بمثله في المظالم فقال له محمد هذا قول يحتاج معه الى بينة وشهود وأشياء فقال له الرجل أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أجيب قال نعم قد أمنتك قال البينة هم الشهود وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم الى شيء آخر فقام عني قولك بينة وشهود وأشياء وأي شيء هذه الاشياء ان هي الا الجور وعدوك عن العدل فضحك محمد وقال صدقت والبلاء موكل بالناطق واني لا ارى فيك مصطنعاً ثم وقع له برد ضيعته وأن يطلق له مائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصير من أصحابه فكان قبل أن يتوصل الى الانصاف واعادة ضيعته له ينال له يا فلان كيف الناس فيقول بشر بين مظلوم لا ينصرون وظالم لا ينتصر فلما صار من أصحاب محمد بن عبد الملك ورد عليه ضيعته وأنصفه قال له ليله كيف الناس الا أن قال بخير ودعت معهم الانصاف ورفعت عنهم الابهاف ورددت عليهم الغصوب وكشفت عنهم الكرب وأنا أرجو لهم يقاتلك نيل كل مرغوب والقوز بكل مطلوب * وعما نقل في الآثار الاسرائيلية في زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه أن رجلاً من ضعفاء بني اسرائيل كان له عائلة وكان صياداً يصطاد السمك ويقوت منه اطفاله وزوجته فخرج يوماً للصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة فقصرح بها ثم أخذها ومضى الى السوق لبيعها او يصرف ثمنها في مصالح عياله فلقيه بعض العوانية فرأى السمكة معه فأراد أخذها منه فغصه الصياد فرفع العوانية خشبة كانت بيده فضرب بها رأس الصياد فضربه موجعة وأخذ السمكة منه غصباً بالاعتن فدعا الصياد عليه وقال الهى جعلتني ضعيفاً وجعلته قوياً عنيفاً فخذلى بحق منه عاجلاً فقد ظلمنى ولا صبرلى الى الآخرة ثم ان ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وأمرها أن تشويها فلما شويتها قدمته اليه ووضعها بين يديه على المائدة ليأكل منها ففتحت السمكة فهاها ونكرته في اصبع يده فذكره طاربه اعقله وصار لا يقربها قراره فقام وشكا الى الطبيب ألم يده وما حل به فلما رآها قال له دواؤها أن تقطع الاصبع لئلا يسرى الألم الى بقية الكف فقطع اصبعه فانتقل الألم والوجع الى الكف واليد وازداد التألم وانتعدت من خوفه فرائسه فقال له الطبيب ينبغي أن تقطع اليد الى المعصم لئلا يسرى الألم الى الساعد فقطعهما فانتقل الألم الى الساعد فزال ~~هكذا~~ كلما قطع عضواً انتقل الألم الى العضو الآخر الذي يليه فخرج هائماً على وجهه مستغيثاً الى ربه ليكشف عنه ما نزل به فرأى شجرة فقصدها فأخذها النوم عندها فنام فرأى في منامه قائلاً يقول له يا مسكين الى كم تقطع أعضائك امض الى خصمك الذي ظلمته فأرضه فأتته من النوم وفكر في أمره فعلم أن الذي أصابه من جهة الصياد قد دخل المدينة

وسأل عن الصياد وأتى إليه فوقع بين يديه بترغ على رجليه وطاب منه الأقالمة مما جناه
ودفع إليه شيئا من ماله وتاب من فعله فرضى عنه خصمه الصياد فسكن في الحال ألمه وبات
تلك الليلة فرد الله تعالى عليه بيده كما كانت ونزل الوحي على موسى عليه السلام يا موسى
وعزني وجلاني لولا أن ذلك الرجل أَرْضَى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته (ومما تفضله
أخبار الأخيار) ما رواه أنس رضي الله عنه قال بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه قاعد إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك
فقال عمر رضي الله عنه لقد عدت عجيبا شائكا فقال سأبقيت بفرسي ابنه عمرو بن العاص
وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يفتنني بسوطه ويقول أنا ابن الأكرمين فبلغ ذلك عمر أبا
نخشي أن أتيتك فخبسني في السجن فأنقذت منه فهذا الحين أتيتك فكتب عمر بن الخطاب إلى
عمر بن العاص إذا أتاك كتابي هذا فاقمهم بالموسم أنت وولدك فلان وقال للمصري أقم حتى
يأتيتك فأقام حتى قدم عمرو وموسم الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمر بن
العاص وابنه إلى جانبه قام المصري فرمى إليه عمر رضي الله عنه بالدرة قال أنس رضي الله
عنه فلقد ضرب به ونحن نشتهي أن يضربه فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضرب به وعمر
يتول اضرب ابن الأكرمين قال يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعها على ضامع
عمر وقال يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذي ضربني قال أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى
تكون أنت الذي تنزع ثم أقبل على عمرو بن العاص وقال يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم
أمهاتهم اسرارا فجعل عمرو يعتذر إليه ويقول اني لم أشعربهم هذا وقيل لما ظلم أحد بن طولون
قبل أن يعدل استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه اليها فقالت لهم
متي يركب قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه وقالت يا أحمد يا ابن طولون فلما رآها
عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ملكتم فأسرتم وقد رتم فقهرتم
وخولتم فعمستم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار نافذة غير
مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتوها وأكاد جوعتوها وأجساد عرتيتموها فبحال أن يموت
المظلوم ويبقى الظالم اعلموا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واطلوا فانا إلى
الله متطلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال فعديل لوقته * (وحكي) أن الحاج
حبس رجلا في حبسه ظلما فكتب إليه رقعة فيها قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعمك أيام
والموعد القيامة والسجن جهنم والحاكم لا يحتاج إلى بينة وكتب في آخرها
سنة علم يأنثوم إذا التقينا * غدا عند الله من الظلوم
أما والله ان الظلم لو لم * وما زال الظلوم هو المظلوم
سنة قطع التلذذ عن أناس * أداموه وينقطع النعيم
إلى ديان يوم الدين غضى * وعند الله نتيجة مع الخسوم

(وحكي) أبو محمد الحسين بن محمد الصالح قال كنا حول سرير المقتدر بالله ذات يوم نصف
النهار فنام بعد أن أكل فاتبه منزجما وقال يا خدام فاسرعوا الجواب فقال ويلكم أعينوني
والحقوا بالشط فأول ملاح ترويه محمدا في سفينة فارغة فاقبضوا عليه واتوني به ووكلا

بالسفينه من يحفظها فأسرعنا فوجدنا ملاحا في سفينة مخدرة وهي فارغة فقبضنا عليه
ووكنا بها من يحفظها وصعدنا به الى المعتضد فلما رآه الملاح كاد يلق فصاح عليه المعتضد
صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال أصدقتني باملعون عن قضيتك مع المرأة التي
قتلتها اليوم والاضربت عنقك فداعتم وقال نعم كنت سحرنا في المشرعة الفلانية فنزلت امرأة
لم أمثلها عليها ثياب فاخرة وحلي كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت
فيها وغرقها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحته في الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى دارى
لثلايقش والخبر على فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصبحت الى أن خلا الشط
في هذه الساعة من الملاحين وأخذت في الانحدار فتعاقبني هؤلاء القوم فخلوني اليك فقال
وأين الحل والسلب قال في صدر السفينة تحت البوارى قال المعتضد على به الساعة
فخضروا به فأمر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرعة
الفلانية سحرنا وعليها ثياب فاخرة وحلي فليحضر فحضر في اليوم الثاني أهلها وأعطوا صفتها
وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم قال فقالت يا مولاي من أعلمك أأوحى اليك بهذه الحالة
وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت في منامى رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو
ينادى يا أحمد أقول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عايبه وقرره على المرأة التي قتلها اليوم ظمنا
وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يفتك فإكان ما شاهدتم فيه عين على كل ولى أمر أن يعدل
في الاحكام وأن تبصر في رعيته وعلى كل عاقل أن يكف يده عن الظلم ويسلك سنن
العدل ويعامل بالصفه ويراقب الله في السر والعلانية ويعلم أن الله يجازى على الخير والشر
ويعاقب الظالم على ظلمه وينتصر للمظلوم ويأخذ له حقه ممن ظلمه وإذا أخذ الظالم يقاتله
والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

الباب الحادى والعشرون في بيان الشروط التى تؤخذ على العمال وسيرة السلطان
في استجباة الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان

(الفصل الاول في سيرة السلطان في استجباة الخراج والاتفاق من بيت المال وسيرة العمال)
قال جعفر بن يحيى الخراج عماد الملوك وما استعزوا بمثل العدل وما استنذروا بمثل الظلم
وأسرع الامور في خراب البلاد تعطيل الارضين وهلاك الرعية وانكسار الخراج من الجور
ومثل السلطان اذا أحجف بأهل الخراج حتى يضعفوا عن عمارة الارضين مثل من
يقطع لجه وبأكله من الجوع فهو ان شبع من ناحية فقد ضعف من ناحية أخرى وما أدخل
على نفسه من الضعف والوجع أعظم مما دفع عن نفسه من ألم الجوع ومثل من كلف
الرعية فوق طاقتهم كالذى يطحن سطحه بتراب أساس بيته واذا ضعف المزارعون بحسروا
عن عمارة الارضين فيتركونها فتخرب الارض ويهرب المزارعون فتضعف العمارة
ويضعف الخراج وينتج من ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجنود طمع الاعداء في السلطان
وروى أن المأمون أرق ذات اب له فاستدعى سميرا يحدثه فقال يا امير المؤمنين كان

بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل بنت بومة البصرة لابنها فقالت بومة
البصرة لا اجيب خطبة ابنك حتى تجعل لي في صداق ابنتي مائة ضبيعة خربة فقالت بومة
الموصل لا أقدر عليها ولكن ان دام والينا سلم الله علينا سنة واحدة فعلت ذلك قال فاستيقظ
اهل المأمون وجلس للمظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقداً أمور الولاية والعمال
والرعية وقال أبو الحسن بن علي الأسدي اخبرني ابي قال وجدت في كتاب قبضي باللغة
الصعيدية مما نقل بالعربية ان مبلغ ما كان يستخرج افرعون في زمن يوسف الصديق صلوات
الله وسلامه عليه من اموال مصر لخراج سنة واحدة من الذهب العن أربعة وعشرون ألف
الف واربع مائة ألف دينار من ذلك ما ينصرف في عمارة البلاد كحفر الخجان والانتفاع
على الجسور وسد الترع وتقوية من يحتاج الى التقوية من غير رجوع عليه به بالاقامة
العوامل والتوسعة في البلدان وغير ذلك من الآلات واجرة من يستعان به لجل البذر
وسائر نفقات تطبيق الارض ثمانمائة ألف دينار وما ينصرف للارامل واليتام وان كانوا
غير محتاجين حتى لا يخلوا أمثالهم من بر فرعون اربع مائة ألف دينار وما ينصرف لكة منهم
ويوت صلواتهم مائة ألف دينار وما ينصرف في الصدقات مما يصب صباوينادي عليه برئت
الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك جمع كثير مائة ألف دينار فاذا
فرقت الاموال على اربابها دخل امناء فرعون اليه وهنؤه بفرقة الاموال ودعوا له بطول
البقاء ودوام العز والنعماء والسلامة وانهم واليه حال الفقراء فبا امر باحضارهم وتغيير شعرتهم
وعملهم السماط فبا كون بين يديه ويشربون ويستقهم من كل واحد منهم عن سبب فاقتة
فان كان ذلك من آفة الزمان زاد عليه مثل الذي كان له وما ينصرف في نفقات فرعون الرابعة
في كل سنة مائة ألف دينار ويفضل بعد ذلك مما يتسلمه يوسف الصديق عليه السلام للملك
ويجده له في بيت المال لتوايب الزمان اربعة عشر ألف ألف وسق مائة ألف دينار وقال
أبوهم كانت ارض مصر ارضاً مديرة حتى ان الماء يجري تحت منازلها وأقبيتها فيحبسونه
حيث شاؤوا ويرسلونه حيث شاؤوا وذلك قول فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري
من تحتي الآية وكان ملك مصر عظيماً لم يكن في الارض أعظم منه ملكاً وكانت الجبال
بحافتي النيل متصلة له لا ينقطع منها شيء عن شيء والزروع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت
ارض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعاً بالماء بروا من جسورها وحافاتها والزروع ما بين
الجبال من أولها الى آخرها وذلك قوله تعالى كم تر كوا من جنات وعميون وزروع ومقام
كريم وقال عيسى بن عمر رضي الله عنهما استعمل فرعون هامان على حفر خليج يردوس
فأخذ في حفره وتبنيه ليعمل اهل القرى يسألونه ان يجري لهم الخليج تحت قراهم ويعطوه
مالاً فكان يذهب به من قرية الى قرية من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى القبلة ويسوقه
كيف اراد والى حيث قصده فليس خليج بمصر اكثر عطوفاً منه فاجتمع له من ذلك اموال عظيمة
جزيلة فحملها الى فرعون واخبره بالخبر فقال له فرعون انه ينبغي للسيد ان يعطى على عبده
وبقيض عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بأيديهم ودعى اهل القرى اموالهم
فرد عليهم ما اخذ منهم فاذا كانت هذه سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو لقاءه ولا يخاف

عذابه ولا يؤمن يوم الحساب فكيف تكون سيرة من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله
ويوقن بالحساب والثواب والعقاب وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى اجعلني
على خزانة الارض قال هي خزانة مصر ولما استوثق أمر مصر ليوسف عليه السلام
وكل وصارت الاشياء اليه وأراد الله تعالى أن يعوضه على صبره لما لم يرتكب محارمه
وكانت مصر أربعين فرسخا في مثلها وما أطاع يوسف فرعون وهو الريان بن مصعب وناب
عنه الابعد أن دعاه الى الاسلام فأسلم وكانت السنين التي حصل فيها الفلاء
والجوع مات العزيز وتلك يوسف وافترت زليخا وعمى بصرها فجعلت تتكفف الناس فقيل
لها لو تعرضت للملك لعله يرجعك ويعينك ويغنيك فطالما كنت تتكففينه وتكرمينه ثم
قيل لها لا تفعل لانه رجائيد كرم ما كان منك اليه من المراودة والحبس فيسبى اليك ويكافئك
على ما سبق منك اليه فقلت انا أعلم بحاله وكرمه فحاست له على رايته في طريقه يوم خروجه
وكان يركب في زهاء مائة ألف من عظماء قومه وأهل مملكته فلما أحست به قامت ونادت
سبحان من جعل الملوكة عبيدا لعصيتهم والعبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف عليه السلام
من أنت فقالت انا التي كنت أخدمك بنفسى وأرجل شعرك بيدي وأكرم مشواك بجهدى
وكان منى ما كان وقد دقت وبال أمري وذهبت قوتى وتاف مالى وعمى بصرى وصرت
اسأل الناس فمنهم من يرجئ ومنهم من لا يرجئ وبعد ما كنت مغبوبة أهل مصر كلها صرت
مرحومة بل محرومة منهم وهذا جزاء المفسدين فبكى يوسف عليه السلام بكاء شديدا وقال
لها هل بقي في قلبك من حبك اياي شئ قالت نعم والذي اتخذ ابراهيم خليلا لانتظاره اليك أحب
الى من ملء الارض ذهبا وفضة فغضى يوسف وأرسل اليها يقول ان كنت أيمان تزوجناك
وان كنت ذات بعل أغنيناك فقالت لرسول الملك انا أعرف أنه يستهزئ بي هو لم يردنى
في أيام شبابى وجمالى فكيف يقبلنى وأنا عجوز عياء فقيرة فأمر بها يوسف عليه السلام
فجهزت وتزوج بها وأدخلت عليه فصف يوسف عليه السلام قدميه وقام يصلى ودعا الله
تعالى باسمه العظيم الاعظم ثم فرد الله عليه احسنها وجمالها وشبابها وبصرها كهيتها يوم
راودته فواقعها فاذا هي بكر فولدت له افرائيم بن يوسف ومنشأ بن يوسف وطاب في الاسلام
عيشهما حتى فرق الموت بينهما فينبغي للقوى أن لا ينسى الضعيف واللغنى أن لا ينسى الفقير
فرب ما طوب بصير طالبا ومروغوب فيه بصير راغبا وموئل بصير سائلا وراحم بصير مرحوما
فقال الله تعالى أن يرجنا برحمته ويغنينا بنضله ولما ملك يوسف عليه السلام خزانة الارض
كان يجوع وبأكل من خبز الشعير فقيل له أتجوع ويبذل خزانة الارض فقال أخاف أن
أشبع فأنسى الجائع * ومن حسن سيرة العمال ما روى أن عمر رضي الله عنه استعمل على
حصن رجلا يقال له عمر بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه عمر رضي الله عنه أن أقدم
عليك فلما لم يشعر عمر الا وقد قدم عليه ما شاء ما حافيا عكازته بيده وادأوته ومنزوده وقصعته على
ظهره فلما نظر اليه عمر قال له يا عمر أأجبتنا أم البلاد بلادك فقال يا أمير المؤمنين أمانه اليك
الله أن تجهر بالسوء وعن سوء الظن وقد جئت اليك بالدنيا أجزها بقرابم فقال له ومما معك
من الدنيا قال عكازة أتوكأ عليها وأدفع بها سعدا وان لقينه ومنزودا أحمل فيه طعامى
وادأوة أحمل فيها ماء لشربي ولطهورى وقصعة أتوضأ فيها وأغسل فيها رأسى وأكل

فما طعما في فوائده يا أمير المؤمنين ما الدنيا بعد الاتبع لما معي قال فقال عمر رضي الله عنه من مجلسه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه فبكي بكاء شديدا ثم قال اللهم ألم الحقني بصاحبي غير متفصح ولا مبتدل ثم عاد إلى مجلسه فقال ما صنعت في عملك يا عمر فقال أخذت الأبل من أهل الأبل والجزية من أهل الزمة عن يد وهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فوالله يا أمير المؤمنين لو بقي عندي منها شيء لا يتك به فقال عمر عد إلى عملك يا عمر قال أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تردني إلى أهلي فاذن له فأتى أهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار وقال له اختبر لي عمرا وانزل عليه ثلاثة أيام حتى ترى حاله هل هو في سعة أم ضيق فان كان في ضيق فادفع إليه المائة دينار فاتاه حبيب فنزل به ثلاثا فلم ير له عيشا إلا الشعير والزيت فلما مضت ثلاثة أيام قال يا حبيب ان رأيت أن تهول إلى جيراننا فقل لهم أن يكونوا أوسع عيشا منا فأتوا الله وتالله لو كان عندنا غير هذا لا نزال به قال فدفع إليه المائة دينار وقال قد بعثت يا أمير المؤمنين إليك فدعا بفر وخلق لامرأته فجعل يصير منها الخمسة دنانير والستة والسبعة ويبعث بها إلى اخوانه من الفقراء إلى أن انقضاها فقدم حبيب على عمر وقال جئتك يا أمير المؤمنين من عندنا زهد الناس وما عندهم من الدنيا قليل ولا كثر فأمر له عمر بوسقين من طعام وثوبين فقال يا أمير المؤمنين اما الثوبان فأقبلهما واما الوسقان فلا حاجة لي بهما ما عندهما هلي صاع من بر وهو كافهم حتى أرجع إليهم وروى ان عمر رضي الله عنه صرأ ربعمائة دينار وقال للغلام اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم ترصب عنده في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام إليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اجعل هذه في بعض حوائجك قال وصله الله ورحمه ثم دعا بجاريته وقال لها اذهبي بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة إلى فلان حتى انقضاها فرجع الغلام إلى عمر وأخبره فوجدته قد قدّم لها المعاذين جيل فقال له انطلق بها إلى معاذين جيل وانظر ما يكون من امره فضى إليه وقال له كما قال لأبي عبيدة بن الجراح ففعل معاذ كما فعل أبو عبيدة فرجع الغلام فأخبر عمر فقال انهم اخوة بعضهم من بعض رضي الله تعالى عنهم أجمعين

(الفصل الثاني في أحكام أهل الزمة) روى عن عبيد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من نصارى مدينة كذا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا وانا واهل ملتنا وشرطنا اليكم على انفسنا ان لا نتحدث في مدائننا ولا فيما حوالها كنيسة ولا دبرا ولا قنيسة ولا صومعة راهب ولا نتجسس دما نخر من سوا ولا ما كان محتطاً منها في خطط المسلمين في ليل ولا في نهار وان توسع أبوابنا لعلهم يروا في السبيل وان تنزل من مرتبنا من المسلمين ثلاث ليل نطعمهم ولا نؤوي في كائنا ما كانا ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتمه عن المسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا تظهر شرعنا ولا ندعوا إليه أهدا ولا نمنع احدا من ذوي قرابتنا الدخول في دين الاسلام ان اراده وان نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس وان لا تشبه بالمسلمين في شيء من الابسار من قلنسوة ولا

ولا عمامة ولا نعلين ولا تنكحكم بكلامهم ولا تنكح بكنائهم ولا تتركب في السروج ولا تتقلد
 بالسيوف ولا تتخذ شيا من السلاح ولا تفعلوا معكم ولا تنكحوا على خواتمنا بالعريية ولا تبيع
 الخمر وأن نجزم مقام رؤسنا ونلزم زيننا حينما كنا وأن نشهد الزنار على أوساطنا ولا نظهر
 صلباتنا ولا كتبنا في شئ من أسواق المسلمين وطرقهم ولا نضرب بالنواقيس في كنائسنا
 الاضربا خفيفا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران في شئ من طرق المسلمين
 ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نطلع
 على منازلهم وقد شرطنا ذلك على أنفسنا وعلى أهل ملتنا وقبلنا عليه الأمان فان نحن خالفنا
 في شئ مما شرطناه لكم وضمنناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل بنا ما يحل بأهل المعاهدة
 والشقاق فكتب اليه عمر رضي الله عنه أن امض ما سألوه والحق فيه حرفين واشترطهما
 عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم أن لا يشتروا شيئا من سبائنا المسلمين ومن ضرب مسلما
 عمدا فقد خلع عهده وروى أن بني ثعلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
 فقالوا يا أمير المؤمنين اننا قوم من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الى
 حجاج ما فقهوا الجزنوا صبيهم وشق من أرديتهم حزمنا يحترمونها وأمرهم أن لا يركبوا
 بالسروج وأن يركبوا على الاكف من شق واحد وروى أن أمير المؤمنين الخليفة
 جعفر المتوكل أقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم وأذلهم وأبعدهم وخالف بين
 زعيمهم وزى المسلمين وقرب منه أهل الحق وأبعد عنه أهل الباطل فاحيا الله به الحق وأمات
 به الباطل فهو يذكرك بذلك ويترحم عليه مادامت الدنيا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم أهل رشا في دينهم ولا يحل في دين الله الرشا
 ولما استقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابا موسى الاشعري رضي الله عنه من البصرة
 وكان عاملا عليها للحساب دخل على عمرو وهو في المسجد فاستأذن لكتابه وكان
 نصراييا فقال له عمر فانك الله وضرب يده على فخذه وليت ذميا على المسلمين أما سمعت
 الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء
 بعض الآية هلا اتخذت حنيفيا فقال يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه فقال لا اكرمهم
 اذا هانهم الله ولا اعزهم اذا أذلهم الله ولا أدنهم اذا أقصاهم الله وكتب بعض العمال
 الى عمرو رضي الله عنه ان المدقوق كثروا بالجزيرة قد كثرت أفنتهم عينا بالاعاجم فكتب اليه
 انهم أعداء الله وانهم لنا غششة فانزلوهم حيث انزلهم الله ولما خرج رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الى بدر لحقه رجل من المشركين عند الحرة فقال اني اريد ان اتبعك واصيب
 معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلان نستعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة
 فقال جئتك لا تبعك واصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلان نستعين
 بمشرك ثم لحقه عند ظهر البعده فقال له مثل ذلك فأجابه بمثل الاول فقال نعم فخرج به
 وفرح به المسلمون وكان له قوة وجلد وهذا أصل عظيم في ان لا يستعان بكافر هذا
 وقد خرج لبعاتل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ويراقي دمه فكيف استعملهم
 على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عماله ان لا تولوا على اعمالنا

الاهل القرآن فكتبوا اليه انا قد وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن في اهل القرآن خير فاجدر ان لا يكون في غيرهم قال أصحاب الشافعي ويلزمهم ان يتميزوا في اللباس عن المسلمين وأن يلبسوا قلائس يميزونها عن قلائس المسلمين بالحجرة ويشدوا الزنابير على أوساطهم ويكون في رقابهم خاتم من نحاس أو رصاص أو حرس يدخلون به الحمام وليس لهم أن يلبسوا العمام ولا الطيلسانات وأما المرأة فأنشد الزنار تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى ويكون في عنقها خاتم تدخل به الحمام ويكون أحد خفيها سودا والاخر أبيض ولا يركبون الخيل ولا البغال ولا الحمير الا بالاكف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا تصدرون في المجالس ولا يسدون بالسلام ويلجئون الى أضيق الطرق ويمنعون أن يتناولوا على المسلمين في البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز وان غلکوا دارا عالية اقروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر كالخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام في أرض الجازوهي مكة والمدينة واليمامة وان امتنعوا من اداء الجزية والتزام أحكام اهل الملة انتقض عهدهم وان زنى أحد منهم بمسلمة أو أصابها بنكاح أو آوى عينا لا يحل كقمار أو دل على عورة المسلمين أو فتن مسلما عن دينه أو قتله أو قطع عليه الطريق انتقض ذمته وفي تقدير الجزية اختلاف بين العلماء فمنهم من قال انها مقدرة الاقل والاكثر على ما كتب به عمر رضي الله عنه الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الفتي ثمانية واربعين درهما وعلى من دونه اربعة وعشرين درهما وعلى من دونه اثني عشر درهما وذلك بحضور من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين ولم يخالفه احد وكان الصرف اثني عشر دينارا وهذا مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل وأحد قولي الشافعي ويجوز للامام أن يزيد على ما قدره عمر ولا يجوز أن ينقص عنه ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والجهانين وأما الكنائس فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تهدم كل كنيسة بعد الاسلام ومنع أن تجدد كنيسة وأمر أن لا تظهر عليه خارجة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين اجمعين وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر أن لا يترك في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني والعشرون في اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء

حوائج المسلمين وادخال السرور عليهم

قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في عون أخيه ومنهفته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الخلق كلهم عيال الله فأحب خلقه اليه أنفعهم لعياله رواء البرار والطبراني في معجمه ومعنى عيال الله فقراء الله تعالى والخلق كلهم فقراء الله تعالى وهو يعولهم وروينا في مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس أنفعهم للناس وعن كثير بن عبيد

ابن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خالق خلقهم لقضاء حوائج الناس الى على نفسه أن لا يهديهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحسدون الله تعالى والناس في الحساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لآخيه المسلم لم في حاجة فقصيت له أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءة من النار وبرائة من النفاق وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لآخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان ربح والاشفت له رواء أبو نعيم في الحلية وروينا في مكارم الاخلاق لابي بكر الخراشي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم من مشى في حاجة أخيه المسلم لم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فان مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم من مشى مع أخيه في حاجة ففاسدها فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والارض رواء أبو نعيم وابن أبي الدنيا وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عند اقوام نعمة ما يقرها عندهم ماداموا في حوائج الناس ما لم يملوا فاذا ملوا انقأها الله الى غيرهم رواء الطبراني وروينا من طريق الطبراني بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس اليه فبترتم فقد عرّض تلك النعمة لازوال وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعان مله وفاق كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة منها يصلح بها آخرته ودنياه والباقي في الدرجات وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما يقول الاسدي في زفيره قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول اللهم لاتسلطني على أحد من أهل المعروف رواء أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وعن ابن عمر رضي الله عنهما ما قال قيل يا رسول الله أي الناس أحب اليك قال انفع الناس للناس قيل يا رسول الله فأى الاعمال أفضل قال ادخال السرور على المؤمن قيل وما سرور المؤمن قال اشباع جوعته وتفتيس كربته وقضاء دينه ومن مشى مع أخيه في حاجة كان كصيام شهر واعتكافه ومن مشى مع ظالم بعينه ثبت الله قدمه يوم تزل الاقدام ومن كلف غضبه ستر الله عورته وان الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العمل وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابى أخاه المسلم عما يحب ليسر به ذلك سره الله يوم القيامة رواء الطبراني في الصغير بإسناد حسن وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرور لم يرض الله له سرور وادون الجنة رواء الطبراني وعن جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدخل رجلا على مؤمن سرورا الا خلق الله من ذلك السرور كما يعبد الله تعالى ويوحده فاذا

صار العبد في قبره أتاه ذلك السرور فيقول له أمتعرفني فيقول له من أنت فيقول أنا السرور
الذي أدخلتني على فلان أنا اليوم أو أنس وحشة تلك وأنتك حجتك وأنتك بالقول الثابت
وأشهد مشاهدك يوم القيامة وأشفع لك إلى ربك وأريك منزلك في الجنة رواء ابن أبي الدنيا
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه برفعه إذا أراد أحدكم الحاجة فليذكر لها يوم الخميس
ويعقرأ إذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسي وأنا أنزلناه في ليلة القدر وأتم
الكتاب فان فيها حوائج الدنيا والآخرة وهو حديث مرفوع ومن كلام الحكماء إذا
سألت كريما حاجة فدعه يفكر فانه لا يفكر الا في خير واذا سألت لئima حاجة فعاجله لئلا يشير
عليه طبعه أن لا يفعل وسأل رجل رجلا حاجة ثم توانى عن طلبها فقال له المسؤول انمت عن
حاجتك فقال ما نام عن حاجته من أهولها ولا عذرها عن محبة النجى من قصدها
فمجب من فصاحته وقضى حاجته وأمر له بمال جزيل وقال مسلمة انصيب سلفي فقال
كفك بالهطية أبسط من لسانى بالمسئلة فأمر له بألف دينار وقال علي بن أبي طالب كرم الله
وجهه فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها وعنه أيضا قال لا تكثر على أخيك
الحوائج فان العجل إذا أفرط في مص ندى أمه نطحتة وقال ذو الرياستين لثامه بن
أشرس ما أدري ما أصنع بكثرة الطلاب فقال زل عن موضعك وعلى أن لا يلقا منهم أحد
فقال له صدقت وجلس لهم في قضاء حوائجهم وحدث أبو جعفر محمد بن القاسم
الكرخي قال عرضت على أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات رقعة في حاجة لي فقرأها
 ووضعها من يده ولم يوقع فيها بشي فأخذتها وقت وأنا أقول متملا من حيث يسمع هذين
البيتين

واذا خطبت إلى كريم حاجة * وأبى فلانة قد عليه بما حاجب
فلربما منع الكريم ومأبه * بنخل ولكن سوء حظ الطالب
فقال وقد سمع ما قلت أرجع يا أبا جعفر فربغير سوء حظ الطالب ولكن اذا سألتونا الحاجة
فما ودونا فان القلوب بيد الله تعالى فأخذ الرقعة ووقع فيها بما أردت وسأل اسحق بن ربي
اصحق بن ابراهيم المسعبي أن يوصل الرقعة إلى المأمون فقال لكاتبه ضمها إلى رقعة
فلان فقال

تأن لحاجتي واشددعراها * فقد أضحت بمنزلة الضياع
اذا شاركتها بلبان أخرى * أضرت بها مشاركة الرضاع
وقال أبو دقافة البصري

أضحت حوائجنا إليك مناخة * معقولة برحمتك الوصال
أطلق فديتك بالتجاح عقاها * حتى تدور معا غير عقا
وقال سلم الخاسر

* اذا أذن الله في حاجة * أنك التجاح على رسله *
فلانسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله
ولله در القائل حيث قال

لا مانع من أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا هضم نفسه وتواضع لا يمنع من المرتبة التي هي
أعلى مرتبة من العبودية فالنبي صلى الله عليه وسلم أعطاه الله تعالى مرتبة الملك مع كونه
عبدا لله متواضعا لخازن المرتبتين مرتبة العبودية ومرتبة الملكية ومع ذلك كان يلبس المرقع
والصوف ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويركب الجار بلا كاف ويردف خلقه ويأكل
المش من الطعام وما شبع قط من خبز بر ثلاثة أيام متواليه حتى لقي الله تعالى من دعاء
لباه ومن صالحه لم يرفع يده حتى يكون هو الذي يرفعها يعود المريض ويتبع الجنان
ويجالس الفقراء أعظم الناس من الله مخافة وأنعمهم الله عز وجل بدنا وأجدهم في أمر الله
لاتأخذه في الله لومة لائم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أما والله ما كان تغلق من دونه
الابواب ولا كان دونه حجاب صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها
ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط ولا خادما له ولا ضرب بيده شيئا إلا أن
يجاهد في سبيل الله ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لا أن يكون أثما وقطعة رحم
فيكون أبعد الناس منه وقال إبراهيم بن عباس لو وزنت كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعماس الناس لربحت وهي قوله عليه الصلاة والسلام انكم ان تسعوا الناس بأموالكم
فسعوهم بأخلاقكم وفي رواية أخرى فسعوهم ببسط الوجه والخلق الحسن وعنه صلى الله
عليه وسلم حسن الخلق زمام من رحمة الله تعالى في أنف صاحبه والزمام بيد الملك والملك يجزئه
إلى الخير والخير يجزئه إلى الجنة وسوء الخلق زمام من عذاب الله تعالى في أنف صاحبه والزمام
بيد الشيطان والشيطان يجزئه إلى الشر والشر يجزئه إلى النار وقال بعض السلف الحسن
الخلق ذو قرابة عند الأجانب والسبي الخلق أجني عند أهله وقال الفضل بن عبد الله فاجر
حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبني عابد سبي الخلق لأن الفاجر إذا حسن خلقه خف على
الناس وأحبوه والعابد إذا ساء خلقه مقتوه بيت مفرد

إذا رام الخلق جذبته * خلائقه إلى الطبع القديم

قبل أبي الله السبي الخلق التوبة لأنه لا يخرج من ذنب إلا دخل في ذنب آخر سوء خلقه
وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن الرجل شيئا لم يقل ما بال
فلان وإنما يقول ما بال أقوام يقولون حتى لا ينضح أحدا وعنه صلى الله عليه وسلم
ما شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن
فيه كن له من صدق لسانه زكاه عمله ومن حسن نيت زيدا في رزقه ومن حسن بره لأهل بيته
زيد له في عمره ثم قال وحسن الخلق وكف الذي يزيدان في الرزق وقيل سوء الخلق يعدى لأنه
يدعو إلى أن يتقابل بمثله وكتب الحسن بن علي إلى أخيه الحسين رضي الله عنهم في إعطائه
الشعراء فكتب إليه الحسين أنت أعلم مني بأن خير المال ما وفي به العرض فانظر إلى شرف أدبه
وحسن خلقه كيف ابتدأ كتابه بأنت أعلم مني وكان بينهما وبين أخيه كلام فقبل له أدخل
على أخيك فهو أكبر منك فقال إني سمعت جدتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أما
أنتين جرى بينهما كلام فطلب أحدهما رضا الآخر كان سابقه إلى الجنة وأنا أكره
أن أسبق أخى الأكبر إلى الجنة فبلغ ذلك الحسن فجاءه عاجلا رضى الله عنه ما وأنشد

في المعنى

واني لالقي المرء أعلم انه * عدو وفي أحشائه الضغن كامن
فأمنحه بشرا فبرجع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وسرق بعض حاشية جعفر بن سليمان جوهره نفيسة وباعها بعمال جزيل فأنفذ إلى الجوهرين
بصفتهما فقالوا باعها فلان من مدة ثم إن ذلك الرجل الذي سرقها قبض عليه وأحضر بين يدي
جعفر فلما رأى ما ظهر عليه قال له أرا القدر تغير لو أنك ألت يوم كذا طلبت مني هذه الجوهره
فوهبت لك وأقسم بالله لقد أنسيت هذا ثم أمر للجوهرى بتمنأ وقال للرجل خذها الآن
خذ الالاطيبا وبعها باليمن الذي يطيب خاطر لئلا تتبع بيع خائف ودخل محمد بن عباد على
المأمون فجعل يعممه يده وجارية على رأسه تبسم فقال لها المأمون تم تحكين فقال ابن عباد أنا
أخبر لينا أمير المؤمنين تمعجب من قبلى وأبكر املك اياى فقال لا تعجبنى فان تحت هذه العمامه
كرما ومجدا قال الشاعر

وهل يتفع الفتيان حسن وجوههم * اذا كانت الاعراض غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على الفنى * فما كل مصقول الحديديمانى

(وحيكى) أن بهرام الملك خرج يوما للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا فقتله طامعا في
لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر إلى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه ليقول وقال للراعى احفظ
على فرسى حتى أبول فعمد الراعى إلى العنان وكان ملبسا ذهبيا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج
سكينه فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذى عليه فرفع بهرام نظره إليه فراه فغض
بصره وأطرق برأسه إلى الأرض وأطال الجلس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام
فوضع يده على عينيه وقال للراعى قد تم إلى فرسى فانه قد دخل فى عيني من سافى الريح فلا
أقدر على فتحهما فقد تمه إليه فركب وسار إلى أن وصل إلى عسكره فقال لصاحب مراكبه
إن أطراف اللجام قد وهبتها فلأته من بها أحدا (وذكر) أن أنوشروان وضع الموائد للناس
في يوم نوروز وجلس ودخل وجوه أهل مملكته في الايوان فلما فرغوا من الطعام جاؤا
بالشراب وأحضرت القواكه والمشعوم فى آنية الذهب والفضة فلما رفعت آنية المجلس أخذ
بعض من حضر جام ذهب وزنه ألف مثقال وخبأه تحت ثيابه وأنوشروان يراه فلما فقدده
الشرابى صاح بصوت عال لا يخرج حتى أحس حتى يفتش فقال كسرى ولم فأخبره بالقضية
فقال قد أخذته من لا يرده وراه من لا ينم عليه فلا تفتش أحدا فأخذ الرجل اللجام ومضى
فكسره وصاغ منه منطقة وحلية لسيفه وجدده كسوة جديدة فلما كان في مثل ذلك اليوم
جلس الملك ودخل ذلك الرجل بتلك الحلية فدعاه كسرى وقال له هذا من ذاك قبل الأرض
وقال نعم أصلحك الله * وقال عبد الله بن طاهر كنت عند المأمون يوما فنادى بالخادم
يا غلام فلم يجبه أحد ثم نادى ثانيا وصاح يا غلام قد دخل غلام تركى وهو يقول ما ينبغي للغلام
أن يأكل ولا يشرب كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام يا غلام إلى كم يا غلام فنهكس المأمون
وأسه طويلا فاشمكت أنه يأمرنى بضرب عنقه ثم نظر إلى فقال يا عبد الله إن
الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه

وانا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا الحسن أخلاق خدمنا . وقال ابن عباس رضي الله عنهما
ورد علينا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة والبا وكان وجهه ورقة من ورق المصحف
فوالله ما تركه فمنا فقيرا إلا أغناه ولا مدونا إلا أدى عنه دينه وكان ينظر النابعين أرق من
الماء ويكلمنا بكلام أحلى من الحنق ولقد شهدت منه مشهدا لو كان من معاوية لذكرته تغدينا
يوما عنده فأقبل الفراش بصحفة فعثرني وسادة فوقعت الصحفة من يده فوالله ما ردها إلا ذقن
الوليد وانكب جميع ما فيها في حجره فبقي الغلام متمثلا واقفا معه من روجه إلا ما يقيم
رجليه فقام الوليد فدخل فغير ثيابه وأقبل علينا تبرق أسارى رجهته فأقبل على الفراش
وقال يا بئس ما أرانا إلا روقناك أذهب فانت وأولادك أحرار لوجه الله تعالى * ومرض
أحمد بن أبي دؤاد فعاده المعتصم وقال نذرت أن عافاك الله تعالى أن أتصدق بعشرة آلاف
دينار فقال له أحمد يا أمير المؤمنين فاجعلها في أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الأسعار شدة
فقال نويت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لأهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الإسلام
وأهلك يا أمير المؤمنين فانك كما قال النخعي لا يك الرشيد راحة الله تعالى عليه
إن المكارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بأمين الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينفع
وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم بينما هو ذات يوم
جالس في داره إذ جاءته خادم له يسفود عليه شواء طار فزعت السفود من اللحم وألقته
خلف ظهرها فوقع على ابن له فقتله لوقتته فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة
لوجه الله تعالى وكان ابن عمر رضي الله عنه إذا رأى أحدا من عبده يحسن صلاته بعقه
فعر فوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مرا آذله فكان يعتقههم فقبل له في ذلك فقال
من خدعنا في الله اتخذنا له وروى أن أبا عثمان الزاهد اجتاز ببعض الشوارع في وقت
الهجرة فألقى عليه من فوق سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم في الملقى للرماد
فقال أبو عثمان لا تقولوا شيئا فإن من استحق أن يصب عليه النار فصولح بالرماد لم يجزله أن
يغضب وقيل لآبراهيم بن أدهم نعمة الله تعالى برحمته هل فرحت في الدنيا قط فقال نعم مرتين
أحدهما أني كنت قاعدا ذات يوم فجاء إنسان فبال على والناسية كنت جالسا فجاء إنسان
فصفعني وروى أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا
فأراه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال نعم قال فما جلتك على ترك جوابي قال أمنت عقوبتك
فتكاسلت فقال أذهب فانت حر لوجه الله تعالى (وحكى) أن أبا عثمان الحيري دعا إنسانا
إلى ضيافة فلما وافى باب الدار قال له الرجل يا أبا عثمان ليس لي وجه في دخولك فأنصرف رجلا
الله فأنصرف أبو عثمان فلما وافى منزله عاد الرجل إليه وقال يا أبا عثمان ذمت وأخذ يعتذر له
وقال احضر الساعة فقام معه فلما وافى داره قال له مثل ما قال في الأولى ثم فعل به ذلك أربع
مرات وأبو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال له يا أبا عثمان انما أردت بذلك اختبارك والوقوف
على أخلاقك ثم جعل يعتذر له ويعدده فقال أبو عثمان لا تعد حتى على خلق تجده في الكلاب
فإن الكلب إذا دعى حضر وإذا جروا زجره وقال الحارث بن قصى يعجبني من القراء

كل فصيح مضحك فأما الذي تلقاه بيشرو ويقال بوجه عبوس فلا كثر الله في المسكين مثله
ومن محاسن الاخلاق ما حكى عن القاضي يحيى بن ابي بكر قال كنت نائما ذات ليلة عند
المأمون فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فنبغص على نومي فرأيت به وقد قام
يمشي على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان
فخوض من ثمانية خطوات فأخذ منها كوزا فشرب ثم رجع يمضي على أطراف أصابعه حتى قرب
من الفراش الذي أنا عليه فخطا خطوات خائف لئلا يذهبني حتى صار إلى فراشه ثم رأيت به آخر
الليل قام يبول وكان يقوم في أول الليل وآخره فتعدت وبلابحاوول أن أتحرّك فبصيح بالغلام
فلما تحرّكت وثب قائما وصاح يا غلام وتأهب للصلاة ثم جاءني فقال لي كيف أصبحت يا أبا
محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين قال لقد استيقظت
للمصلاة فذكرت أن أصيح بالغلام فأزججك فقلت يا أمير المؤمنين قد خصلك الله تعالى بأخلاق
الانبياء وأحبّ لك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فأمر لي بألف دينار
فأخذتها وانصرفت قال وبنت عنده ذات ليلة فأتته وقد عرض له السعال فجعلت أرمقه
وهو يحشونه بكم قيصه يدفع به السعال حتى غلبه فسهل وأكسب على الأرض لئلا
يعالوصوته فاتتبه قال يحيى وكنت معه يوما في بستان ندور فيه فجعلنا نتمت بالريحان
فأخذ منه الطاقة والطاقين ويقول لقيم البستان أصلح هذا الحوض ولا تغرس في هذا
الحوض شيئا من البقول قال يحيى ومثينا في البستان من آوله إلى آخره وكنت أنا
مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان يجذبني أن أتحوّل أنا في الظل ويكون
هو في الشمس فامتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يا يحيى والله لنكون
في مكان ولا نكون في مكانك حتى آخذ نصيب من الشمس كما آخذت نصيبك وتأخذ
نصيبك من الظل كما آخذت نصيبى فقلت والله يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقبل يوم الهول
بنفسي لفعلت فلم يزل بي حتى تحوّلت إلى الظل وتحوّل هو إلى الشمس ووضع يده على
عاتق وقال يحماني عليك إلا ما وضعت يدي على عاتق مثل ما فعلت أنا فإنه لا خير في صحبة
من لا ينصف فانظر إلى أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ما أحسنها وإلى أفعالهم ما أزينها
نسأل الله تعالى أن يحسن أخلاقنا وأن يبارك لنا في أرزاقنا انه على ما يشاء قدير
وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد ودعو على آله
ومحبته وسلم

(الباب الرابع والعشرون في حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما أشبه ذلك)*

اعلم أن المودة والاخوة والزيارة سبب الناف والتألف سبب القوة والتقوى
والتقوى حصن منيع وركن شديد بها يمنع الضيم وتنال الرغائب وتنجح المقاصد وقد من الله
تعالى على قوم وذكّرهم نعمته عليهم بأن جمع قلوبهم على الصفاء وردّها بعد الفارقة إلى
الآلفة والاخاء فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم
بنعمته اخوانا ووصف نعيم الجنة وما أعد فيها الأولياء من الكرامة اذ جعلهم اخوانا على
سرر متقابلين وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخاء ونادى اليه وأخى بين الصحابة

رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقد ذكر الله تعالى أهل جهنم وما ياقون فيها من الألم اذ يقولون
 يا فلان من شفعين ولا صديق حميم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكثرتم وجهه الرجل
 بلا أخ كثر مال بلا عين وأنشدوا في ذلك

* وما المرء إلا باخوانه * كما يقبض الكف بالمعصم

ولا خير في الكف مقطوعة * ولا خير في الساعد الأجذم

وقال زياد خيرا ما اكتسب المرء الاخوان فانهم معونة على حوادث الزمان ونواب الحداث
 وعون في السراء والضراء ومن كلام علي رضي الله عنه وكثرتم وجهه

عالمك باخوان الصفاء فانهم * عماد اذا استجذبتهم وظهور

وان قليل لا ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لك كثير

وقال الاوزاعي صاحب الصاحب كالرقعة في الثوب ان لم تكن مثله شاته وقال عبد الله
 ابن طاهر المال غادورائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافرة وقال المأمون
 للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة سوى سبعة قال وما السبعة يا أمير
 المؤمنين قال خبز الخنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفرش
 الوطي والنظر الى الحسن من كل شيء قال فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال
 قال صدقت وهي أولاهن وقال سليمان بن عبد الملك أكلت الطيب ولبست اللين وركبت
 الفاره واقتضت العذراء فلم يبق من لذاتي الا صديق أطرح معه مؤنة التحفظ وكذلك قال
 معاوية رضي الله عنه نكحت النساء حتى ما أفرق بين امرأة وحائط وأكلت الطعام حتى
 لا أجد ما أسقمرته وشربت الا شربة حتى رجعت الى الماء وركبت المطايا حتى اخترت
 نعلي ولبست الثياب حتى اخترت البياض فبقي من اللذات ما توق اليه نفسي الا محادثة أخ
 كريم وأنشدوا في معنى ذلك

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول

وقد كانوا عدهم قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

وقال لبید

ما عاتب المرء اللبيب كنفسه * والمرء يصلحه الجليس الصالح

وقال آخر

اذا ما أنت من صاحب لك زلة * فكن أنت محملا لزلته عذرا

وقيل لابن السموك أي الاخوان أحق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافي عقوله الذي لا يملك
 على القرب ولا ينسأ على البعد ان دنوت منه داناك وان بعدت عنه راعاك وان استعنت به
 عضدك وان احتجت اليه رفدك وتكون مودة فعلة أكثر من مودة قوله وأنشدوا
 في المعنى

ان أخاك الصديق من يسهى معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب الزمان صدعك * شئت فيك شئت له ليجمعك

وقال غيره

وليس أخى من ودنى بلسانه • ولكن أخى من ودنى وهو عاتب
ومن ماله مالى اذا كنت معدما • ومالى له ان اعوزته النواذب

وقال أبو تمام

من لى بأن ان اذا أغضبت • وجهات كان الحلم رديجوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من • أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للمديث بطرفه • وبقلبه ولعله أدري به
وقيل لخالد بن صفوان أى اخوانك أحب اليك قال الذى يستخانى ويغفر لى وقيل عمرو
وقيل من لا يؤاخى الا من لا عيب فيه قل صديقه من لم يرض من صديقه الا بإشاره على نفسه
دام سخطه ومن عاتب على كل ذنب ضاع عنه وكثر نجه قال الشاعر
ومن لم يغمض عينه عن صديقه • وعن بعض ما فيه عت وهو عاتب

وقال آخر

اذا كنت فى كل الامور عاتبا • صديقك لم تاق الذى لا تعاتبه
وان أنت لم تشرب مرارا على الاذى • ظلمت وأى الناس تصفوه شارب
وقالوا اذا رأيت من أخيك أمرا • ربه او خله لا تقطع حبله ولا تصرم وده ولكن
داوكلته واستر عورته وأبقه وابرا من حله قال الله تعالى فان اصول قوم فى برى بمائة مليون
فلم يأمره بقطعهم وانما أمر بالبراءة من عملهم السيئ وقال صلى الله عليه وسلم لم الارواح
أجناد مجندة فاعارف منها اتق وماتت منها اتق ومنها اتق وقال عليه الصلاة والسلام
ان روحى المؤمن بين يلى سبعين من مسير يوم وما رأى أحدهما صاحبه وفى ذلك قال
بعضهم

هو يتكلم بالسمع قبل لقائكم • وسمع الفتى بهوى له يرى كطرفه
وتخبرت عنكم كل جوارفة • فلما التقينا كنتم فوق وصفه

وقال آخر

تبسم المفر عن أوصافكم ففدا • من طيب ذكركم نشرأ فاحيانا
فن هنالك عشقناكم ولم نركم • والاذن تعشق قبل العين أحيانا
ما تحباب اثنان فى الله الا • كانا فاضاهما عند الله أشدهما حبا لصاحبه ما زارا أخا
فى الله شوقا اليه ورغبة فى لقائه الانادته ملائكة من ورائه طبت وطابت لك الجنة
وقالوا ليس برورى بعدل لقائه الاخوان ولا غم بعدل فراقهم وقالوا شر الاخوان الواصل
فى الرخاء الخاذل عند الشدة وقالوا ان من الوفاء أن تكون لصديق صديقك صديقا
ولعدو صديقك عدوا وقالوا أعجب الاشياء • ودم من يهودى وصفه من ندمانى ورياضة
من دهرى وكرم من أعجمى • والحذر من الكريم اذا أهنته واللثيم اذا كرمته والعاقل
اذا أخرجته والاسقى اذا ما زحمته والفاجر اذا عاثرتنه وقالوا اصعب من الاخوان من أولئك
جائل كثيرة فكافأته بجهل واحد ففسى به تله وبقي شاكر اذا شر اذا كرا الجليلك يوثيك عليها

الاحسان الكثير الجزيل ويجعل أنه ما بلغ من مكافآت القلب لـ وقال ابن عائشة لقاء الخليل
شقاء الغليل وقال بعض الحكماء إذا وقع بصرك على شخص فحسبته فاحذره بهـ ذلك
قال عبد الله بن طاهر

خليل لي لا يفضاه حال مبينة * وللحب آثار ترى ومعارف *
فما تذكر العينان فالقلب منكسر * وما تعرف العينان فالقلب عارف
وقال آخر

وكنتم إذا الصديق أراد غيظي * وشتر قتي على ظم ما برقي
عفرت ذنوبه وكظمت غيظي * مخافة أن أعيش بلا صديق
وقال آخر

وليس فتي القتيان من جل همهم * صبور وان أمسي ففضل غيوق
ولكن فتي القتيان من راح أو غدا * لغير مدق أو لنفس صديق

(وأما آداب المعاشرة) فالشاشة والبشر وحسن الخلق والادب فعن جابر بن عبد الله رضي الله
عنه ما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أخلاق النبيين والصديقين الشاشة إذا تراؤا
والمصالحة إذا اتلاقوا وكان القعقاع بن شورا الهذلي إذا جالس رجلا يجعل له نصيبا من
ماله ويعينه على حوائجه ودخل يوما على معاوية فأمر له بألف دينار وكان هنالك رجل قد فسخ
له في المجلس فدفعها للذي فسخ له فقال

وكنتم جليس قعقاع بن شورا * وما يشقي بقعقاع جليس
فحول السنين أن نطقوا بخير * وعند الشمر مطراق عبوس

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما جالسني على ثلاث أن أرمقه بطرفي إذا أقبل وأوسع له
إذا اجلس وأصغى له إذا حدث ويقال لكل شيء محل ومحل العقل مجالسة الناس ومثل الجليس
الحسن كالعطاران لم يصيبك من عطره أصابك من رائحته ومثل الجليس السوء مثل
الكبريت ان لم يحرق ثوبك بناره آذ البدخان وكانت تحية العرب صبحتك الانعمة وطيب
الاطعمة وتقول أيضا صبحتك الافالغ وكل طير صالح ووصف المأمون تمامة بحسن المعاشرة
فقال انه يصرف مع القلوب تصرف السحاب مع الجنوب وقيل أقول ما تبين على الجليس
الانصاف في الجملة بأن يلحظ بعين الادب مكانه من مكان جليسه فيكون كل منهما في محله
وقال صلى الله عليه وسلم ذو العلم والسلطان احق بشرف المنزل وقال جعفر الصادق رضي الله
عنه اذا دخلت منزل أخيك فاقبل كرامته كلها ما عدا الجلوس في الصدور وينبغي للانسان أن لا
يقبل بحديثه على من لا يقبل عليه فقد قيل ان نشاط المتكلم بقدر اقبال السامع ويتعين عليه
ان يتحدث المستمع على قدر عقله ولا يمدع كلاما لا يليق بالجلس فقد قيل لكل مقام مقال
وخير القول ما وافق الحال وأوجبوا على المستمع انه اذا ورد عليه من المتكلم ما كان
مرتبعا أو لا أن لا يقطع عليه ما يقوله بل يسكت الى أن يستوعب منه القول وعدوا ذلك
من باب الادب واعلم اذا صبر وسكت استفاد من ذلك زيادة فائدة لم تكن في حفظه وقيل ثمانية
ان أهينوا فلا يلوموا الا أنفسهم الجالس في مجلس ليس له باهليل والمقبل بحديثه على

من لا يسمع والداخل بين اثنين في حديثهم ما ولم يدع الا فيه والمتهم من لا يعنيه والمتهم
 على رب البيت في بيته والاتي الى مائدة بلا دعوة وطالب الخبير من أعدائه والمستخف
 بقدر السلطان ويعين على المجلس ان يراعي الفاظه ويكون على حذر ان يعثر اسانه
 خصوصا اذا كان جلوسه ذهبة فقد قيل رب كلمة سببت نعمة وقال أبو العباس السفاح
 ما رأيت أغزر من فكر أبي بكر الهذلي لم يعد على حديثنا قط وقيل ان أبا العباس
كان يحسد الله يوما اذا عصفت الريح فارتدت طيها من سطح الى المجلس فارتاع من حضور
 ولم يترك الهذلي ولم تزل عينه مطابقة لعين السفاح فقال ما أعجب شأنك يا هذلي فقال
 ان الله يقول ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه وانما الى قلب واحد فلما غمره النور
 بمحادثه أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال فلما انقلبت الحضراء على الغبراء ما أحسست
 بهما ولا وجدت اهما فقال السفاح ان بقيت لك لارفع من مكانك ثم أمر له بمال جزيل
 وماله كبيرة وكان ابن خارجة يقول ما غلبني أحد قط غلبة رجل يصفى الى حديثي
 وفي نوابغ الحكم أكرم حديث أخيك يا نصافك وصنعه من وصمة التفاتك وقيل من
 في الملك اذا تشاب أو ألقى المروحة من يده أو در جلوسه أو عطى أو أتم كما أو فعل ما يدل
 على كسبه أن يقوم من محضرته وكان اردشير اذا عطى قام سماره ومن حق الملك
 أن لا يعاد عليه حديث وان طال الدهر قال روح بن زنباع أقت مع عبد الملك سبع عشرة
 سنة فما أعدت عليه حديثا لامرة واحدة فقال لي قد سمعته منك وعن الشعبي قال
 ما حدثت بحديث مرتين رجلا بعينه وقال عطاء بن أبي رباح ان الرجل ليصدقني بالحديث
 فأنت له كائن لم أسمع قط وقد سمعت به من قبل أن يولد وقيل المودة طلاقة الوجه والتودد
 الى الناس وقال معاوية بن جبل رضى الله عنه ان المسكين اذا التقي فاضحك كل واحد
 منهما في وجه صاحبه ثم أخذ يده فحانت ذنوبهم مما كتهات ورق الشجر وقيل البشريدل على
 السخاء كما يدل النور على النور وقيل من السنة اذا حدثت القوم أن لا تقبل على واحد منهم
واكن اجعل لكل واحد منهم نصيبا وقالوا اذا أردت حسن المعاشرة فالتق عدوك
 وصديقك بالطلاقة ووجه الرضا والبشاشة ولا تنظر في عطفك ولا تسكر الالتفات ولا تقف
 على الجماعات واذا جلست فلا تتكبر على أحد وتحفظ من تشييك أصابعك ومن العيب
 بلحيتك ومن اللعب بخناقك وتحليل أسنانك وادخال أصبعك في أنفك وكثرة بصاقل وكثرة
 التلطي والتشاوب في وجوه الناس وفي الصلاة ولا يكن يجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا
 واضح الى كلام بحال ساك واسكت عن المضاحك ولا تتصنع مع المرأة في التزين ولا تلج
 في الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تهازل أمتك ولا عيبك فيسقط وفارقه عنده ما
 واذا خاصت فأصنف وتحفظ من جهلك وتجنب بجهلك وتفكر في جهلك ولا تكثر الاشارة
 بيدك ولا الالتفات الى من وراءك وأهدى غضبك وتكلم واذا قربك سلطان فكن منه
 على حذر واحذر انقلابه عليك وكن كلمة بما يشتمى ولا يحملك اطفه بك على أن تدخل
 بينه وبين أحده وحشيه وان كنت لذلك مستحقا عند دوايلك وصديق العاقبة فانه أهدى
 الأعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك ولا تجعلك الملول فان فعلت فانزمت ترك الغيبة

ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الخواص وتم ذيب الافراط والمذاكرة باخلاق المملوك
والحذر منهم وان ظهرت المودة ولا تبشأ بحضورهم ولا تخل أسنانك بعد الاكل
عندهم ولا تجالس العامة فان فعلت فآداب ذلك ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء
الى أرائهم والتخافل مما يجري من سوء الافاظهم وإياك أن تعارض ليديا أو سفيها فان
اللييب بحقه عليك والسفيه بتجرأ عليك ولان المزج يخرق الهيبة ويذهب بهاء الوجه
ويهقب المقدس ويذهب بحلاوة الايمان والوثة ويشين فقهه الفقيه ويجري السفيه ويميت
القلب ويباعد عن الرب تعالى وبكسب الغفلة والذلة ومن يلى في مجلس عزاح أو لفظ
فلينكر الله عند قيامه فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من جالس في مجلس
فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله
الا أنت أستغفرلك وأتوب اليك غفرله ما كان في مجلسه ذلك (وأما آداب المسيرة) فقد
روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعقب هو وعلي بن أبي طالب كرم الله
وجاهه ورجل آخر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في سفر على بعير فكان اذا جاءت
نوبته في المشي مشى فبعزمان عليه أن لا يمشي فيأبى ويقول ما أنتم بأقدري على مشي
وما أنا بأغنى عنكم عن أجرة وقال صلى الله عليه وسلم لا تأخذوا ظهور الدواب كراسي
وقبل لا تقدم الاصاغر على الاكابر الا في ثلاث اذا ساروا بالأسفل أو خاضوا سبلا أو واجهوا
خيلا

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث في نكبه
وغيبته ووفاته

وأما ما جاء في الاخوان القليلي الموافاة المسمى الكفاة الذين ليس عندهم لصديق
مصافاة

فقال وهب بن منبه سمعت الناس يخبرون سنة فما وجدت رجلا غفرتي زلة ولا أقالي عثرة
ولا استر لي عورة وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اذا كان الغدر طبعها فالثقة بكل
أحد يحجز وقيل بعضهم ما الصديق قال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير موجود
قال الشاعر

معنا بالصديق ولا نراه * على التحقيق يوجد في الانام

وأحسبه محالا نقوه * على وجه المجاز من الكلام

وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لا شولة فيه فصاروا أشوكا لا ورق فيه وقال جعفر الصادق
لبعض أخوانه أقلل من معرفة الناس وأكبر من عرفت منهم وان كان لك مائة صديق فاطرح
تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر وقيل لبعض الولاة كم لك صديق فقال أما في حال
الولاية فكثير وانشد

الناس اخوان من دامت لهم * والويل للمرأة ان زلت به القدم

ولما كتب علي بن عيسى الوزير لم ينظر يابه احدا من اصحابه الذين كانوا بالغفوة في ولايته فلما
ردت اليه الوزارة وقف اصحابه يابه ثانيا فقال

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكما انقلب يوما به انقلبوا
يعظمون اخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا
وقال آخر

فما أكثر الاصحاب حين نعتهم * ولكنهم في النائيات قليل
وقال البحتري

اياله تغتر أو تتخذك بارقة * من ذي خداع يرى بشرا وأطافا
فلو قلبت جميع الارض قاطبة * وسرت في الارض اوساطا واطرافا
لم تاق فيها صديقا صادقا أبدا * ولا أخا يذل الانصاف ان صافى
وقال بعضهم في المعنى أيضا

خيل لي جرت الزمان وأهله * فما نالني منهم سوى الهم والعنا
وعاشرت أبناء الزمان فلم أجد * خيلا يوفى بالعهود ولا أنا
وقال آخر

لما رأيت بني الزمان وما بهم * خل وفي اللثام داء أمطني
فعلت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفي
بت مفرد

وكل خايل ليس في الله وده * فاني به في وده غير واثق
وقال آخر

إذا ما كنت متخذًا خيلا * فلا تأمن خيلاك أن يخوننا
فانك لم يخونك أخ أمين * ولا تكن قدامنا نقي أميننا
وقال آخر

فحب عدوي ثم تزعم أنني * أو قل ان الرأي عنك لعازب
وليس أخى من ودى بلسانه * ولكن أخى من ودى وهو غائب
ومن ماله مالى اذا كنت معدما * ومالى له ان اهوزته النوائب

ولما غضب السلطان على الوزير ابن مقله وامر بقطع يده لما بلغه انه زور عنه كتابا الى اعدائه وعزله
لم يأت اليه احد من كان يصعبه ولا توجع له ثم ان السلطان ظهر له في بقية يومه انه يرى مما نسب
اليه فخلع عليه ورد اليه وظائفه فأنشد يقول هذه الايات

تخالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عاداني الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لي وبانوا
يا أيها المعرضون منا * عودوا فقد عادلى الزمان
ومثله في المعنى

اخولك اخولك من يدنو وترجو * مودته وان دعى استجابا
اذا حاربت حارب من تعادى * وزاد سلاحه منك اقترابا

وقال ابو بكر الخالدي

وأخ رخصت عليه حتى ملق * والشئ مملول اذا ما يرخص
ما في زمانك من يعز وجوده * ان رمت الاصدى بق مخلص
فيعجب على الانسان أن لا يعجب الامن له دين وتقوى فان المحبة في الله تنفع في الدنيا والآخرة
وما أحسن ما قال بعضهم

وكل محبة في الله تبقى * على الحالين من فرج وضيق
وكل محبة فيما سواه * فكالحلفاء في لهب الحريق

فينبغي للانسان أن يجتنب معاشره الاشرار ويترك مصاحبة الفقار ويحرم من ساءت خلقه
وقبحت بين الناس سيرته قال الله تعالى الا خلا يومئذ بعضهم لبعض عدوا الا المتقين وقال تعالى
وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم فانبت الله المماثلة بيننا
وبين البهائم وذلك انما هو في الاخلاق خاصة فليس أحد من الخلق الا وفيه خلق من اخلاق
البهائم وهذا تجد اخلاق الخلائق مختلفة فاذا رأيت الرجل جاهلا في خلقه غلب طائفي طابعه
توينا في بدنه لا تؤمن ضغائن فالحق به عالم النورة والعرب تقول اجهل من غر واذا رأيت الرجل
هجاما على أعراض الناس فقه دماثل عالم الكاب فان دأب الكاب أن يحنو من لا يحقوه
ويؤذي من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكاب اذا نبح ألت تذهب وتتركه واذا
رأيت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت نعم قال لا وان قلت لا قال نعم فالحق به بعالم الحميم
فان دأب الحمار ان أدنيه بعد وان أبعدته قرب فلا تنفع به ولا يملك مفارقة نفسه وان
رأيت انسانا يجمع على الاموال والارواح فالحق به بعالم الاسود وخذ حذر لمنه كما تخذ
حذر من الاسد واذا بليت بانسان خبيث كثر الروغان فالحق به بعالم الثعالب واذا
رأيت من يعيش بين الناس بالتمسمة ويفرق بين الاحبة فالحق به بعالم الظربان وهي دابة صغيرة
تقول العرب عند تفرق الجماعة مشى بينهم ظربان فنفروا واذا رأيت انسانا لا يسمع
الحكمة والعلم وينفر من مجاسة العلماء ويألف أخبار أهل الدنيا فالحق به بعالم الخنافس
فانه يجمعها أكل العذرات وملامسة النجاسات وتنفر من ريح المسك والورد واذا نمت
الرائحة الطيبة ماتت لوقتها واذا رأيت الرجل يصنع بنفسه كما تصنع المرأة لبعليها يبيض ثيابه
ويعدل عمامته وينظر في عطفه فالحق به بعالم الطواويس واذا بليت بانسان حقود لا ينسى
الهفوات ويجازي بعد المدة الطويلة على السقطات فالحق به بعالم الجبال والعرب تقول
أحق من جبل فتجنب قرب الرجل الحقود وعلى هذا النمط فليحترز العاقل من محبة
الاشرار وأهل الغدروم ولا وفاء لهم فانه اذا فعل ذلك سلم من مكاييد الخلق وأراح قلبه
وبدنه والله أعلم * (وأما الزيارة والاستدعاء اليها) * فقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين في والمتباذلين في والمتزاورين في اليوم أظلمهم
في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضاً أو زار أخاً نادى مناد
أن طيب وطاب لك مثلك وتبوات من الجنة منزلاً وفيه لى المحبة شجرة أصلها الزيارة قال
الشاعر

زمر من تحب وان شطت بك الدار * وحال من دونه حجب وأستار

لا يمنعك بعد من زيارته * ان الهب لمن يهواه زوار
ولتكن الزيارة غبا لقوله صلى الله عليه وسلم زرغبنا تزدد حبا قال الشاعر في معصى
ذلك

عليك باغباب الزيارة انها * اذا كثرت صارت الى الهجر مسلكا
ألم تر أن الغيث يسأم دائما * ويستل بالابدى اذا هو أمسكا
ويقال الاكثار من الزيارة يمل والاقلال منها يخل وكتب صديق الى صديقه هذا البيت
اذا ما قطعنا ونحن ببلدة * فما فضل قرب الدار منا على البعد
وقال آخر

وان مروى بالدار التي بها * سلمى ولم ألمهم بها الجفا
وقال آخر

قد أتانا من آل سعدى رسول * حبا ما يقول لى وأقول
وقال آخر

أزور بيتا لا صقات بيتهما * وقلبي في البيت الذى لا أزوره
وزار محمد بن يزيد المهلبى المستعين ووهب له مائتى ألف درهم وأقطعه أرضا فقال
وخصصتنى بزيارة أضيى لنا * مجدهم اطول الزمان مؤثلا
وقضيت دينى وهو دين وافر * لم يقضه مع جوده المتوكل
وكتب المأمون الى جاريته الخيزران يستدعيها للزيارة

نحن فى أفضل السرور ولكن * ليس الا بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودى * أنكم فبتم ونحن حضور
فأجدوا المسير بل ان قدرتم * أن تطيروا مع الرياح تطيروا

وقيل لفيلسوف أى الرسول أنفج قال الذى له جمال وعقل وقيل اذا أرسلتم رسولا فى حاجة
فاتخذوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لقمان لابنه يا بنى لا تبعث رسولا جاهلا فان لم تجد
حكيماء عارفا فكن رسول نفسك وقال بعضهم

اذا أبطا الرسول فقل نجاح * ولا تنفر اذا عمل الرسول

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس والعشرون فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح
ذات اليمين وفيه فصلان

(الفصل الاول فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم) قال الله تعالى لقد جاءكم رسول
من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ووصف الله سبحانه
وتعالى نفسه لعباده فقال عز وجل ان الله بالناس لرؤوف رحيم وقال تعالى الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم قال المفسرون الرحمن اسم رقيق يدل على العطف والرفقة واللفظ والكرم
والمنة والحلم على الخلق والرحيم مثله وقيل يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة وعن أنس بن
مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم والذى نفسى بيده لا يضع الله

الرحمة الاعلى رحيم قلنا يا رسول الله كنا نرحم قال ليس الرحيم الذي يرحم نفسه وأهله خاصة واحد الرحيم الذي يرحم المسلمين رواه أبو يعلى والطبراني وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أن كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي رواه أبو محمد بن عدي في كتاب الكامل وروى عن طريق الطبراني عن الشعبي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في ترحمهم وتواددهم وتواصلهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى قال الطبراني أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسألته عن هذا الحديث فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأشار بيده صحیح صحیح صحیح ثلاثا وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مسح على رأس يتييم كان له بكل شعرة تمر عليه نور يوم القيامة ودخل عامل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فوجده مستلقيا على ظهره وصديقه يلعبون على بطنه فأنكر ذلك عليه فقال له عمر كيف أنت مع أهلك قال إذا دخلت سكت الناطق فقال له اعتزل فانك لا ترفق بأهلك وولدك فكيف ترفق بامة محمد صلى الله عليه وسلم وروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أبدال أمتي ان يدخلوا الجنة بالأعمال ولكن يدخلونهم برحمة الله وسخاوة النفس وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين

(الفصل الثاني في الشفاعة وأصلها ذات البين) قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقبلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره فيقول له جعلت لك جاها فهل نصرت به مظلوما أو وقعت به ظالما أو أغنت به مكروبا وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة أن تعين بها جاهك من لاجاه له وعن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءني طالب حاجة فاشفعوا له كفي تؤجروا وبه قضى الله تعالى على لسان نبيه ما شاء وعن حمزة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الأسير وتحقق بها الدماء وتجرب بها المعروف إلى أخيك وتدفع عنه به كريمة رواه الطبراني في المعجم وقال علي رضي الله عنه الشفيع جناح الطالب وقال رجل لبعض الولاة ان الناس يتوسلون إليك بغيرك فينالون معروفك ويشكرون غيرك وأنا أتوسل إليك بكون شكرك لا غيرك وقيل كان المنصور محمدا بن جعفر بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم وكان الناس اعظم قدره يفزعون اليه في الشفاعات فنقل ذلك على المنصور فحجبه مدة ثم لم يصبر عنه فامر الربيع أن يكلمه في ذلك فكلمه وقال اعف أمير المؤمنين لا تثقل عليه في الشفاعات فقبل ذلك منه فلما توجه إلى الباب اعترضه قوم من قریش معهم رقلع فسألوه إيصالها إلى

المصور فنقص عليهم القصة فأبوا إلا أن يأخذوها فقال انذروها في كمي ثم دخل عليه وهو في الخضر مشرف على مدينة السلام وما حووا لها من البساتين فقال له أما ترى إلى حسن ما بنا عبد الله فقال له يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيما آتاك وهناك بأتمام نعمته عليك فيما أعطاك فما بنت العرب في دولة الاسلام ولا العجم في سالف الايام أحسن ولا أحسن من مدنتك وإنما كن سمجتها في عيني خصله قال وما هي قال ليس لي فيها ضيعة فتبسم وقال قد حسنتها في عينك بثلاث ضياع قد أقطعتك ما فقال أنت والله يا أمير المؤمنين شريف الموارد كريم المصادر فجعل الله تعالى باقي عمرك أكثر من ماضيه ثم أقام معه يومه ذلك فلما نهض ليقوم بدت الرقاع من كفه فجعل يردهن ويقول أرجعن خائبات خاسرات فضحك المنصور وقال بحق عليك إلا أخبرتنى وأعلمتنى بخبر هذه الرقاع فأعلمه وقال ما أتيت يا ابن معلم الخير إلا كريما وتعلم بقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر

اسئدوا وان احسانا كرمتم * يوما على الاحساب تتكل

تبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفع مل ما فعلوا

ثم نصفي الرقاع وقضى حوائجهم عن آخرها قال محمد بن جريح من عنده رقعة رجمت وأرجمت وقال المبرداً تاني رجل لا شفيع له في حاجة فأنددني لنفسه

اني قصدتك لأدلى بعرفة * ولا بقرب وإنما كن قد فشت نعمك

فبت حيران من روبا يورقني * ذل الغريب ويغشيني الكرى كرمك

ما زلت أنكب حتى زلزلت قدمي * فاحتمل تشيبتها لازلات قدمك

فلو سمعت بغير العرف ما علفت * به يدك ولا انقادت له شيمك

قال فشفعت له وأنته من الاحسان ما قدرت عليه وكتب رجل إلى يحيى بن خالد رقعة فيها هذا البيت

شفيهي اليك الله لا شئ غيره * وليس إلى رد الشفيع سبيل

فأمره بلزوم الدهليز فكان يعطيه كل يوم عمدة الصباح ألف درهم فلما استوفى ثلاثين ألفا ذهب

الرجل فقال يحيى والله لو أقام إلى آخر عمره ما قطعتم عنه شعر

وقد جنتكم بالمصطفى تشنعا * وما خاب من بالمصطفى يتشفع

إلى باب مولانا رفعت ظلاتي * عسى الهيم عني والمصائب ترفع

وقال آخر

تشفع بالنبي فكل عبد * يجار إذا تشفع بالنبي

ولا تجزع إذا ضاقت أمور * فكم لله من لطف خفي

وروي أن جبريل عليه السلام قال يا محمد لو كانت عبادتنا لله تعالى على وجه الارض

أهملنا ثلاث خصال سقى الماء للمسلمين واعانة أصحاب العيال وسائر الذنوب على المسلمين

إذا أذنبوا اللهم استر ذنوبنا واقض عنا تبعاتنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم

الباب السادس والعشرون في الحياه والتواضع وابن الجباب وخفض الجناح وفيه

فصلان

(الفصل الأول في الحياء) قالت عائشة رضي الله تعالى عنها مكارم الاخلاق عشرة صدق الحديث وصدق الله ان واداء الامانة وصلة الرحم والمكافاة بالصنيع وبذل المعروف وحفظ الزمام للجار وحفظ الزمام للصاحب وقرى الضيف ورأسهون الحياء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذ لم تستحي فاصنع ما شئت وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من كسا بالحياء ثوبه لم ير الناس عيبه وعن زيد بن علي عن أبيه رفعونه من لم يستحي فهو كافر وقال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه اني لادخل البيت المظلم أعفسي فيه من الجنابة فأحني فيه صديقي حياء من ربي وقال بعضهم الموصون بالحياء كالجوهر المكنون في الوعاء وقال الخواص ان العباد على اربع منازل على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء فأرفعها منزلة الحياء لما أيقنوا أن الله يراهم على كل حال قالوا سواء علينا رأينا أمورا أو آنا و كان الحائر لهم عن معاصيه الحياء منه ويقال القناعة دليل الامانة والامانة دليل الشكر والشكر دليل الزيادة والزيادة دليل بقاء النعمة والحياء دليل الخير كله

(الفصل الثاني في التواضع وابن الجانب وخفض الجناح) قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى تلك الدار الاخرة فجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل العباد التواضع وقال صلى الله عليه وسلم لا ترفعوني فوق قدرى فتهقوا في ما قالت النصارى في المسيح فان الله عز وجل اتخذني عبدا قبل أن يتخذني رسولا وأتاه صلى الله عليه وسلم رجل فأكلمه فأخذته رعدة فقال صلى الله عليه وسلم لم له هون عليك فاني استبلك انما أنا ابن امرأتين قريش تأكل القديد وكان صلى الله عليه وسلم يرفع ثوبه ويخفض نعله ويخدم في مهنة أهله ولم يكن متكبرا ولا متجبرا أشد الناس حياء وأكثرهم تواضعا وكان اذا حدث بشئ مما آتاه الله تعالى قال ولا تخبر وقال صلى الله عليه وسلم ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا بعزكم الله وان التواضع لا يزيد العبد الا رعة فتواضعوا يرفعكم الله وان الصدقة لا تزيد المال الا نماء فتصدقوا يزدكم الله وقال عدى بن اوطاة لياس بن معاوية انك لسريع المشية قال ذلك أبعد من التكبر وأمرع في الحاجة وخرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر فقال ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار وقيل التواضع سلم الشرف وليس مطرف بن عبد الله الصوفي وجلس مع المساكين فقبل له في ذلك فقال ان أبي كان جبارا فأحببت أن أتواضع لربي لعلة أن يخفف عن أبي تجبره وقال مجاهد ان الله تعالى لما أغرق قوم نوح شغقت الجبال وتواضع الجودي فرفعه فوق الجبال وجعله لقرار السفينة عليه وقال الله تعالى لموسى عليه السلام هل تعرف لم كلمتك من بين الناس قال لا يا رب قال لا في رأيك

تترغ يزيدي في التراب تواضعاً على وقيل من رفع نفسه فوق قدره انجلب مقت الناس
وقال أبو موسى لم صاحب الذخيرة ماتاه الا وضيع ولا فاجر الا اقبط وكل من تواضع لله رفعه الله
فسبحان من تواضع كل شئ لعز جبروت عظمته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
(الباب السابع والعشرون في العجب والكبر والخيل وما أشبه ذلك)

اعلم أن الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع
من سماع النصيحة وقبول التاديب والكبر يكسب المقت ويمنع من التألف قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جرت ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه وقال الاحنف بن قيس مات كبر
أحد الامن زلة يجدها في نفسه ولم تزل الحكمة تتحاشى الكبر وتأنف منه ونظر افلاطون
الى رجل جاهل محجب بنفسه فقال وددت أني مثلك في ظنك وأن أعدائي مثلك في الحقيقة
ورأى رجل رجلاً يمحتمل في مشيه فقال جعلني الله مثلك في نفسك ولا جعلني مثلك في نفسي
وقال الاحنف عجت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر ومرو بعض اولاد المهلب
بمالك بن دينار وهو يتجتر في مشيه فقال له مالك يا بني لو تركت هذه الخيلاء لكان أجلك
فقال أو ما تعرفني قال اعرفك معرفة جيدة أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قدرة وأنت
بين ذلك تحمل العذرة فأرغى الفتى رأسه وكف عما كان عليه وقالوا لا يدوم المالك مع الكبر
وحسبك من رذيلة تسلب الرياسة والسيادة وأعظم من ذلك أن الله تعالى حرم الجنة على
المتكبرين فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً
فقرن الكبر بالفساد وقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق
قال بعض الحكماء ما رأيت متكبراً الا تحول ما بيده من الكبر عليه واعلم أن الكبر يوجب
المقت ومن مقتته رجاله لم يستقم حاله والعرب تجعل جذيمة الابرش غاية في الكبر يقال انه
كان لا ينادم أحداً منهم كبره ويقول انما ينادمني الفرقدان وكان ابن عوانة من اقبح
الناس كبراً روى أنه قال لعلامه اسقني ماء فقال نعم فقال انما يقول نعم من يقدر أن يقول
لا اضغوه فضع ودع كبراً ارافكاه فلما فرغ دعا بقاء فقصه من به استغذار الخاطبة
ويقال فلان وضع نفسه في درجة لوسط منها كبراً قال الجاحظ المشهورون
بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زارة بن
عدي وأما الكبر فمما كانوا لا يعتدون الناس الاعبيد او أنفسهم الأريابا وقيل لرجل
من بني عبد الدار أتت الخليفة فقال أخاف أن لا يحسم الجسر شرقي وقيل للحجاج
ابن ارقاة مالك لا تحضر الجماعة قال أخشى أن يزاحني البسقالون وقيل أني وائل بن حجر
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاقطعه أرضاً وقال لها وية اعرض هذه الأرض عليه واكتبها
له فخرج معه معاوية في هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فاحرقه حر الشمس فقال له
أردفني خلفك على ناقته قال لست من أرداف الملوك قال فاعطني نعليك قال ما يجلي يمنعني
يا ابن أبي سفيان ولكن اكره أن يبلغ أقبال اليمن أنك لبست نعلي ولست بكن امش في ظل ناقتي
فحسبك بها شرفاً وقيل انه لحق زمن معاوية ودخل عليه فاقه فاقه فاقه على السرير وحدثه

وقال المسرور بن هند لرجل أتعرفني قال لا قال أنا المسرور بن هند قال ما أعرفك قال فتعسا
ونكسنا لمن لم يعرف القمر قال الشاعر

قولا لا تحق يا لوى التيه أخدعه * لو كنت تعلم ما في التيه لم تته
التيه منسدة للدين منقصة * لا تعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقيل لا يتكبر الاكل وضيع ولا يتواضع الاكل رفيع والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والعشرون في الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت) *

فمن شواهد المفاخرة قوله تعالى أفن كان مؤمنا مكن كان فاسقا لا يستوون نزات في علي بن
أبي طالب كرم الله وجهه وعقبة بن أبي معيط وكانا تفاخرا وقوله تعالى أفن يلقى في النار
خير آمن ياتي آمن يوم القيامة نزات في أبي جهل وعمار بن ياسر والنسب إلى سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف الانساب وقد قال صلى الله عليه وسلم أناس يولد
آدم ولا فخر وقد نفي الله تعالى الفخر بالانساب بقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم
فالفخر في الاسلام بالةقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبيكم واحد وان
أباكم واحد وانه لا فضل لعربي على عجمي ولا لأحمر على أسود الا بالةقوى الأهل
بلغت وقال الاصمعي بينما أنا أطوف بأبيات ذات ليله اذ رأيت شابا متعلقا بآستان الكعبة
وهو يقول

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم * يا كاشف الضر والبلى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا * وأنت يا حي يا قيوم لم تنم *
أدعوك ربي حزينا هائما قلعا * فارحم بكائي بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه * فن يجد علي العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول

ألا أيها المقصود في كل حاجة * شكوت اليك الضر فارحم شكائي
ألا يا رجاى أنت تكشف كربى * فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتى
أنت يا همال قباح رديشة * وما في الورى عبد جنى بكنائى
أفخر قنى بالنار يا غاية المني * فابن رجائى ثم أين مخافى *

ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هوزين العاصدين بن علي بن الحسين بن
علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين فرفعت رأسه في حجرى وبكيت فقطرت دموعه
من دموعى على خدته ففتح عيني به وقال من هذا الذي يهجم علينا قلت عبيدك الاصمعي
سميى ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فقال هيهاات هيهاات
يا أصمعي ان الله خالق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخالق النار لمن عصاه ولو
كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول فاذا انفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا
يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين

خسر وانفسهم في جهنم خالدون والفخر وان نهت عنه الاخبار النبوية ومجته العقول
الذكية الا ان العرب كانت تفخر بما فيها من البيان طبعها لا تكلفا وجبلة لا تعلموا لم يكن لهم
من ينطق بفضلهم الا هم ولا ينسب على مناقبهم سواهم وكان كعب بن زهير اذا انشد شعرا
قال لنفسه احسنت وجاوزت والله الاحسان فيقال له اتخلف على شعرك فيقول نعم لاني
أبصر به منكم وكان البيت اذا قال قصيدة صنع لها خطبة في الثناء عليها
ويقول عند انشادها أي علم بين جنبي وأي لسان بين فكي وقال الجاحظ لولم يصف
الطبيب مصالح دوائه للمعالجين ما وجد له طاب ولما أبدع ابن المقفع في رسالته التي سماها
بالقيمة تنزيها لها عن المثل سكنت من النفوس موضع ارادته من تعظيمها ولولم يصفها هذا
الاسم لكانت كسائر رسائله وسند ذكر في هذا الباب ان شاء الله تعالى شيئا من
نظم البلغاء ونثرهم في الافتخار ومن تفاخر منهم بعون الله وفضله ونسبهم قال أبو بكر
الهدلي سارت المنصور فعرض لنا رجل على ناقه جراء تطوى الفلاة وعليه جبة خرو عمامة
عديسة وفي يده سوط يكاد يس الارض فلما رآه المنصور أمرني باحضاره فسدعونه وسأته
عن نسبه وبلاده وعن قومه وعشيرته وعن ولادة الصديقة فأحسن الجواب فأعجبه ما رأى
منه فقال أنشدني شعرا فأنشده شعرا لأوس بن حجر وغيره من الشعراء من بني عمرو بن
نسيم وحدثه حين أتى على بيت شعر لطريف بن نعيم وهو قوله

ان الامور اذا اوردتم اصدرت * ان الامور اهاوردوا اصدار

فقال ويحك ما كان طريف فيكم حيث قال هذا البيت قال كان ائمة العرب على عدوه
وطأة واقراهم لضيقه وأحسوطهم من وراء جاره اجتمعت العرب بعكاظ فكلمهم اقترأه
بهم الخلال فقال له والله يا أخا بني نعيم لقد احسنت اذ وصفت صاحبك ولكني احق
ببيته منه ومن شعر أبي الطحان

واني من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدا كوكب تارى اليه كواكبه
اضاعت لهم احسابهم ووجوههم * دبح الليل حتى نظم الجزع ناقبه
وما زال فيهم حيث كان مسود * تسير المنايا حيث سارت ركائبه

ولما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فخطب وقال من ابن علي رضى الله تعالى عنه فقام الحسن
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله عز وجل لم يبعث بعثا الا جعل له عدوا من المجرمين فانا
ابن علي وانت ابن صخر وأماك هند وأمي فاطمة وجدتك قبله وجدتي خديجة فلعن الله
الأممنا حسبا وأخلائنا ذكرا وأعظمنا كذرا وأشدنا نقا فاصاح اهل المسجد آمين آمين
فقطع معاوية خطبته ودخل منزله وروى أن معاوية خرج حاجا فتر بالمدينة ففرق على
أهلها أموالا ولم يحضر الحسن بن علي رضى الله عنهم فلما خرج من المدينة اعترضه
الحسن بن علي فقال له معاوية مرحبا برجل ترك كفا حتى تقدم ما عندنا وتعرض لنا ليجعلنا
فقال له الحسن ولم يتقدم ما عندك وخارج الدنيا يجي اليك فقال معاوية اني قد أمرت
لك بمثل ما أمرت به لاهل المدينة وأنا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وأنا ابن

فاطمة ودخل الحسين يومئذ على يزيد بن معاوية فجعل يزيد يقضو ويقول نحن ونحن وانما من
الفخر والشرف كذا وكذا والحسين ساكت فأذن المؤذن فلما قال أشهد أن محمدا رسول
الله قال الحسين يا يزيد جئ من هذا فجعل يزيد ولم يرتجوا بابا وفي ذلك يقول علي بن محمد بن
جعفر

لقد فخرتنا من قريش عصابة * بطخود وامتداد اصابع
فلما تنازعنا الفخار قضى لنا * عليهم بما نوى نداء الصوامع
ترانا سكوتنا والشهيد بفضلنا * عليهم جهير الصوت من كل جامع
وله أيضا

اني وقوي من أنساب قومهم * كسجد الخيف من محبوبه الخيف
معلق السيف منا بن عاشر * الاوهمة أمضى من السيف
وتناخر العباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبه وعلى بن أبي طالب فقال العباس أنا صاحب
السقاية والقائم عليهم اوقال طلحة أنا خادم البيت وحي فتناحه فقال علي ما أدرى ما تقولان أنا
صليت الى هذه القبلة قبلكم بستة أشهر فترأت أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن
آمن بالله واليوم الآخر الآية وتناخر رجلان علي عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا
فلان بن فلان حتى عدت تسعة آباء مشركين فقال الآخر أنا ابن فلان ولولا أنه مسلم ما ذكرته فأوحى
الله تعالى الى موسى عليه السلام أما الذي عدت تسعة آباء مشركين فحق على الله أن يجعل عائلتهم
في النار والذي انتسب الى أب مسلم فحق على الله أن يجعله مع أبيه المسلم في الجنة قال
سلمان الفارسي

أبي الاسلام لأبلى سواه * اذا افتخروا بقبس أوتيم
وتناخر جرير والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال الفرزدق أنا بن محبي الموقى فأناكر سليمان
قوله فقال يا أمير المؤمنين قال الله تعالى ومن أحباها فكا نمتا أحبا الناس جميعا وحدثي فدى
الموودات فاستحيها فن قال سليمان انك مع شعرك لفقير وكان صعصعة جد الفرزدق أول من
فدى الموودات والعباس بن عبد المطلب

ان القبائل من قريش كلها * لبرون انا هام أهل الابطح
وترى لنا فضلا على ساداتها * فضل المنار على الطريق الاوضح
وكتب الحكم بن عبد الرحمن المرواني من الاندلس الى صاحب مصر يقضو
السماني مروان كيف تبدت * بنا الحال أودارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منات تلات * له الارض واهترت اليه المنابر
وكتب اليه كتابا يمجوه فيه ويسببه فكتب اليه صاحب مصر أما بعد فانك عرفتنا فهاججوتنا
ولو عرفناك لاجبتا لك والسلام وكان أبو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال
بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن محرمة الكندي وخالد بن صفوان بن الهم
نخاضوا في الحديث وتذاكر واما ضر واليمن فقال ابراهيم بن محرمة يا أمير المؤمنين ان أهل
اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ووثو الملك كبراعن كابر وآخرا عن

أقول منهم النعمان والمندور ومنهم عباس صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل
سنة غنصا وبما وليس من شيء له خطر إلا إليه - من ينسب أن سئلوا أعطوا وإن نزل بهم - من
ضيف قرويه - من العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ما أظن القمي - من رضى
بقولك ثم قال ما تقول أنت يا خالد قال إن أذن لي أمير المؤمنين في الكلام تكلمت قال تكلم
ولا تهب أحدا قال أخطأ المقام بعير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم
السن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بهم كتاب ولا جاءت بهم سنة يفتخرون علينا بالنعمان
والمندورون فتخبر عليهم بخير الأنام وأكرم الكرام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام
فله المنة به علينا وعليهم - من فناء النبي المصطفى والخليفة المرتضى ولما البيت المعمور
وزمزم والحطيم والمقام والحجابه والبطحاء وما لا يحصى من المآثر ومنها الصديق والفاروق
وذو النورين والرضا والولي وأسدا لله وسيدا للشهداء وبنا عرفوا الدين وأتاهم
البقيين فخر زاجنا زاجنا ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على إبراهيم فقال ألك علم
بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجحمة قال فما اسم السن قال المبدن
قال فما اسم الأذن قال الصنارة قال فما اسم الأصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب
قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فإن الله تعالى يقول أنا أنزلناه
قرآنا عربيا وقال تعالى بل إن عربي مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان
قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا أنزل ألم تر أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل والجحمة
بالجحمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والمبدن بالمبدن وقال تعالى والأذن بالأذن ولم
يقول والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ولم يقل شناتيرهم
في صناراتهم وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لإبراهيم أي أسألك
عن أربع إن أقررت بهن قهرت وإن جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال
منكم قال فالقرآن أنزل علينا وعليكم قال عليكم قال فالمنبر فبنا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت
لنا أو لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو إيكم بل ما أنتم إلا سانس قد أورد
دايع جلدأ وناسج برد قال فضحك أبو العباس وأقرظا لوجهيهما ما جيعا وقال بشار بن برد
يفتخر

إذا نحن صامنا صولة مضرية * هتكك حجاب الشمس أو قطرت دما
إذا ما أعرتنا سيدا من قبيلة * ذرا منبر صلى علينا وسما
وقال السهول بن عدياء

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه * فكذلك رداء يرتديه جليل
وإن هو لم يجهل على النفس ضيها * فليس إلى حسن الثناء سبيل
تعييرنا أنا قليل عدينا * فقلت لها إن الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياها مثلنا * شباب تسامى للعلا وكهول
وما خسرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجارنا لا كثيرين ذليل
لنا جليل يحمله من نجيره * منيع يرذ الطرف وهو كليل

رسا أصله تحت الثرى وسمايه * الى النجم فرع لا يزال طويل
وانا أناس لا ترى القتل سبية * اذا ماراته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا * وتكرهه آجالهم فتطول
ومامات مناسيد حنف أنفه * ولاضل منا حيث كان قتيلا
تسيل على حد الطبات نفوسنا * وليست على غير الطبات تسيل
ونحن كماء المزن ما في نصابتنا * كهم ولا فينا بعد بخيل
ونكر ان شئنا على الناس قواهم * ولا ينكرون القول حين نقول
اذا سيدنا خلا قام سيد * قوول بما قال الكرام فعول
وما خدت نارنا دون طارق * ولا ذمنا في النازلين نزيل
وأبنا مشهورة في عدونا * لها غرور مشهورة وجول
وأبنا في كل شرق ومغرب * به من قراع الدارين فلول
معوذة أن لا تسيل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيلا
سلي ان جهات الناس عنا وعنهم * فليس سوا عالم وجهول
فأنا في الريان قطب لقومهم * تدور رحاهم حولهم وتجول

ولما قدم وفد تيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم خطيبهم وشاعرهم خطب خطيبهم
فافتخر فلما سكت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس أن يخطب بمعنى
ما خطب به خطيبهم خطب ثابت بن قيس فأحسن ثم قام شاعرهم وهو الزبرقان بن بدر
فقال

نحن الملوكة فلاحى بقاخرنا * فينا العلام وفيما تنصب البيع
ونحن نطعمهم في التحطما كوا * من العبيط اذا لم يؤنر الفرع
ونهر الكوم عبطا في أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
تلك المكارم حزننا مقارعة * اذا الكرام على أمثالها اقترعوا

ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت قم فقام فقال

ان الدواب من فهورا خوتهم * قد بينوا سبنا للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريره * تقوى الاله وبالا امر الذي شرعوا
قوم اذا حاربوا ضرر واعدوهم * أو حاولوا النفع في أشياهم نفعا
بحية تلك منهم غير محدثة * ان الخلاق فاعلم شرها البدع
لو كان في الناس سباقون بعدهم * فيكل سبق لأدنى سبة هم تبع
لا يرفع الناس ما أوعت اكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما دفعوا
ولا يضنون عن جار بنضلهم * ولا يحسهم في مطمع طمع
خدمتهم ما أتوا عفو اذا عطفوا * ولا يكن همك الامر الذي منعوا
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفرقت الأهواء والشيع

فقال التميميون عند ذلك وركبكم ان خطيب القوم أخطب من خطيبنا وان شاعرهم أشعر

من شاعرنا وما انتصفنا ولا فارينا وقال شاعر من بني تميم

أبغى آل شداد علينا * وما رعى لشداد فصل

فان تغمد مناصلتنا تجدها * غلاظاني أنامل من بصول

وقال سالم بن أبي وابصة

عليك بالقصد فيما أنت فاعله * ان التلظى بأني دونه الخلق

وموقف مثل حد السيف يقت به * أحى الذمار وترمي بي به الحدق

فما زلت ولا أبيت فاحشة * اذا الرجال على أمثالها زلقوا

(وأما التفاضل والتفاوت)

فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نظر إلى الدين الوليد وعكرمة بن أبي

جهل قال يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي لانهم ما هم الا من خيار الصحابة

وأبواهم أهدى عدو لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن كلام علي رضي الله عنه لما سئله

رضي الله عنه أما قولك ان ابنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية هم أشبه ولا سرب

كعبه المطالب ولا أبو سفيان كأبي طالب وقال أحمد بن سهل الرجل الثلاثة سابق ولاحق

وما حق فالسابق الذي سبق بفضله واللاحق الذي لحق بأبيه في شرفه والملاحق الذي محق

شرف آبائه * وقيل ان عائشة بنت عثمان كفلت أبا الزناد صاحب الحديث وأشعب الطماع

وربهم ما قال أشعب فكنت أسفل وكان يعلو حتى بلغت انا وهو هاتين الغايتين وقال ابو العواد

زكريا بن هرون

علي وعبد الله بينهما أب * وثمان ما بين الطبايع والفعل

ألم تر عبد الله يلحق علي النداء * عليا ويلحقه علي على الجمل

وحج أبو الاسود الدؤلي بأمراته وكانت شابة جميلة فعرس لها عمر بن أبي ربيعة فغازلها فاخبرت

أبا الاسود فأتاه فقال

وانني ليهمني عن الجهل والحناء * وعن شتم أقوام خلائق أربع

حياء واسلام وتقوى وأننى * كريم ومشلى من يضمر وينفع

فثمان ما بيني وبينك اننى * على كل حال أستقيم وتضلع

وقال ربيعة البرقي

لثمان ما بين يزيد بن في النداء * يزيد سليم والاعز بن حاتم

يزيد سليم سالم المال والفقى * ففى الأزدي للأموال غير مسلم

فهتم الفقى الأزدي اتلاف ماله * وهتم الفقى القيسي جمع الدراهم

فلا يحسب القيسي أنى هجوته * ولكنه نى فضات أهل المكارم

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في أخيه الحسين

يقول أنا الكبير فعظموني * ألا شكلك أملك من كبير

اذا كان الصغير أعم نفعا * وأجلد عند نائبة الأمور

ولم يأت الكبير يوم خير * ففاضل الكبير على الصغير

والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع والعشرون في الشرف والسودد والهمة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رزقه الله ما لا يقبل معروفه وكف إذاه فذلك السيد وقيل لقيس بن عاصم بمسدت قومك قال لم أخاصم أحدا الا تركت للصالح موصعا وقال سعيد ابن العاص ما شئت رجلا مذ كنت رجلا لاني لم أشاتم الا أحد رجلاين اما كريم فانا أحق أن أجله واما لثيم فانا أولى أن أرفع نفسي عنه وقالوا من نعت السيد أن يكون يملا العين جمالا والسمع مقالا وقيل قدم وفد من العرب على معاوية وفيهم الاحنف بن قيس فقال الحاجب ان أمير المؤمنين بعزم عليكم أن لا يتكلم منكم أحد الا لنفسه فلما وصلوا اليه قال الاحنف لولا عزم أمير المؤمنين لا أخبرته أن رادفة ردت ونازلة نزلت وثابتة ثابت والكل بهم -م حاجة الى المعروف من أمير المؤمنين فقال له معاوية حسبك يا أبا بجر فقد كفيته الشاهد والغائب وقال رجل للاحنف بمسدت قومك وما أنت بأشرفهم بيتا ولا أصبحهم وجها ولا أسسمهم خلقا فقال بخلاف ما فيك قال وماذا قال تركي من امرك ما لا يعنيني كما عنك من أمري ما لا يعينك وقيل السيد من يكون للاولياء كالغيث الغادي وعلى الاعداء كالليث الغادي وكان سبب ارتفاع عرابة الاوسى وسودده أنه قدم من سفر فجمعه والشماس بن ضرار المزني الطريق فصادفها فقال له عرابة ما الذي أقدمك المدينة يا شماس قال قدمتها لامتنانها فلا له عرابة رواحه بزاوية وقرأ وأخفقه بهف غير ذلك فأنشد يقول

رأيت عرابة الاوسى يسعو * الى الخيرات منقطع القرب
اذا ماراية رفعت بمجد * تلقاها عرابة باليمن
(وأما العلة الهمة فهو أصل الرياسة)

فمن علت همته وشرفت نفسه عمارة بن حمزة قيل انه دخل يوما على المنصور وقعد في مجلسه فقام رجل وقال مظالم يا أمير المؤمنين قال من ظلمك قال عمارة بن حمزة غصبني ضيعتي فقل المنصور يا عمارة قسم فاقعد مع خصمك فقال ما هو لي بخصم ان كانت الضيعة له فليست أنا زعه فيها وان كانت لي فقد وهبتها له ولا أقوم من مقام شرفي به أمير المؤمنين ورفعتي وأقعدني أدنى منه لاجل ضيعة وتحدث السفايح هو وأتم سلمة يوما في نزاهة نفس عمارة وكبره فقالت له ادع به وأنا أهب له سبتي هذه فان غنها خسر وألف دينار فان هو قبلها علمنا أنه غير نزه النفس فوجه اليه فحضر فحدثته ساعة ثم رمت اليه بالسبحة وقالت هي من الطرف وهي لك بفعلها عمارية بين يديه ثم قام وتركها فقالت له ان نسبها فبعثت بها اليه مع خادم فقال للخادم هي لك فرجع الخادم فقال قد وهبتها لي فاعطت أتم سلمة للخادم ألف دينار واستعادتها منه وأهدى عبيد الله بن السري الى عبد الله بن طاهر لما ولي مصر مائة رصيف مع كل رصيف ألف دينار ووجه اليه بذلك ليل لا فردته وكتب اليه لوقبات هديتك ليل لا قبلتها انهارا وما آتاني الله خيرا مما آتاناكم بل أنتم بهم سديتكم تفرحون وكان سبب فتح المعتصم عورية أن امرأة من الثغر سبيت فنادت وانجداه وامعتصماه فبلغه الخبر فركب لوقته وتبعه الجيش فلما فتحها قال ابيك أيتها المنادية وكان سعيد بن عمرو بن العاص

ذا فتخوة وهمة قبل له في مرضه ان المريض يستريح الى الانين والى شرح ما به الى الطبيب
فقال اما الانين فهو جرع وعار والله لا يسمع الله مني انيذا فاكون عنده جزوعا واما وصف
ما به الى الطبيب فوالله لا يحكمكم غير الله في نفسي ان شاء الله مسكها وان شاء قبضها ومن
كبر النفس ما روى عن قيس بن زهير انه اصابته الفاقة واحتاج فمكنا ياكل
الحنظل حتى قبل له ولم يخبر احد بها حتى ومن الشرف والرياسة حفظ الجوار وحسب الذمار
وكانت العرب ترى ذلك ديناء تدهو اليه وحقا واجبا تحافظ عليه وكان ابوسفيان بن حرب
اذ انزل به جار قال يا هذا انك اخترتني جارا واخترت دارا بخباية يدك على دونك وان
جنت عليك يد فاحتكمكمكم الصبي على اهل له وكان الفرزدق يجير من عاذ بقبر ابيه غالب
ابن صهصعة فمن استجار بقبر ابيه فاجاره امرأة من بني جعفر بن كلاب خافت لما هجاها
الفرزدق بن جعفر ان يسجها وينسبها فعادت بقبر ابيه فلم يذكروا لها اسمها ولا نسبها ولكن
قال

هو زنصل الحس عاذت بغالب * فلا والذي عاذت به لا اضيرها

وقال مروان بن أبي حفصة

هم يمنعون الجار حتى كاتما * لجارهم بين السما كين منزل

وقال ابن نباتة

ولو يكون سواد الشعر في ذم * ما كان للشيب سلطان على القمم

وقيل ان الحجاج اخذ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه
فتموصل يزيد بحسن تطلقه وأرغب السجبان واستماله وهرب هو والسجبان وقصدا الشام
الى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل
يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب
الحجاج الى الوليد بعلمه ان يزيد هرب من السجن وأنه عند سليمان بن عبد الملك اخي أمير
المؤمنين وولي عهد المسلمين وان أمير المؤمنين أهل رأيا فكتب الوليد الى أخيه
سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يقول يا أمير المؤمنين اني ما أجرت يزيد بن المهلب الا
لانه هو وأبوه واخوته من صنفنا فدينا وحيث لم أجروا والامير المؤمنين وقد كان
الحجاج قصده وعذبه وأغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلمات طال به بعدا ثلاثة آلاف ألف
درهم وقد صار الى واستجارني فأجرتني وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى
أمير المؤمنين أن لا يهزني في ضيقي فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد
انه لا بد أن ترسل الى يزيد فقل له لا تقبدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيدته
ودعا يزيد بن المهلب فقيدته ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وعملها جميعا بقلن وأرسلها
الى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيك
أيوب بن سليمان واقدمتهما أن أكون ثالثهما فان همت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد
فبأمر الله عليك ابد أيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلني اذا شئت ثالثا والسلام فلما
دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان في سلسلة واحدة اطرق الوليد استحياء وقال

لقد أسأنا إلى أبي أيوب إذ بلغنا به هـ ذالمباغ فأخذ يزيد ليتهكم ويحجج نفسه فقال له الوليد ما يحتاج إلى كلام فقد قبلنا عذرنا وعلمنا ظلم الجلباح ثم أنه أحضر حثدا وأزال عنهم ما بالحديد وأحسن إليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردتهما إلى سليمان وكتب كتابا إلى الجلباح يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فإياك أن تعاودني فيه بعد اليوم فسار يزيد إلى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده في أعلى المراتب وأرفع المنازل * وكتب أن رجلا من الشيعة كان يسمى في فساد الدولة فجعل المهدي لمن دل عليه أو أتى به مائة ألف درهم فأخذه رجل من بغداد فأيس من نفسه فتربه معن بن زائدة فقال له يا أبا الوليد أجرني أجرك الله فقال معن للرجل مالك وماله فقال ان أمير المؤمنين طالبه قال خل سيدي قال لا أفعل فأمر معن غلمانه فأخذوه غصبا وأردفوه بعضهم خلفه ومضى الرجل فأخبر أمير المؤمنين المهدي بالقصة فأرسل خلف معن فأحضره فلما دخل عليه قال له يا معن أتجبر على قال نعم يا أمير المؤمنين قتلت في يوم واحد في طاعةكم خمسة آلاف رجل هذا مع أيام كثيرة تقدمت في طاعةكم أغتاروني أهلا أن تجبروا إلى رجل واحد استجارني فاستصفا المهدي وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال قد أجرتنا من أجرت يا أبا الوليد قال ان رأي أمير المؤمنين أن يصل من استجارني فيكون قد أجاره وحباه قال قد أجرت له بخمسين ألف درهم فقال معن يا أمير المؤمنين ينبغي أن تكون صلوات الخلفاء على قدر جنائيات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فان رأي أمير المؤمنين أن يجزله صلتهم فليفعل قال قد أجرت له بمائة ألف درهم فراجع معن إلى منزله ودعا بالرجل ودفع له المال ووعظه وقال له لا تعرض لمساخط الخلفاء * وكان جعفر بن أبي طالب يقول لا يه يا أبت اني لاسمعي أن أطمع طعما ما وجبراني لا يقدرون على مثله فكان أبوه يقول اني لا رجوا أن يكون فيك خلف من عبيد المطالب * وسقط الجراد قريبا من بيت بعض العرب فجاء أهل الحى فقالوا نريد جارك فقال أما اذ جعلتموه جاري فوالله لا تصلون اليه وأجابه حتى طار فسمى مجبرا الجراد وقيل هو أبو حنبل والحكايات في معنى ذلك كثيرة والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثلاثون في الخير والصلاح وذكر السادة العصاة وذكر الأولياء والصالحين رضي الله عنهم أجمعين

أعلم أن أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين وفضائلهم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وإن الله أحبهم وأحب من يحبهم وأسأل الله أن يمتني على محبة نبي محمد صلى الله عليه وسلم ومحبة هم وأن يحشرنا في زمرة هم وتحت أوليهم انه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير (شعر)

اني أحب أبا حفص وشيعته * كما أحب عنيقا صاحب الغار
وقد رضيت عليا قدوة علما * وما رضيت بقتل الشيخ في الدار
كل العصاة ساداتي ومعتقدي * فهل علي تبس هذا القول من عار

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منهكم

اليوم صاعنا فقال أبو بكر أنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أطعم اليوم
منكم مسكينا فقال أبو بكر أنا قال فمن عاد منكم اليوم مريضا فقال أبو بكر أنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اجتمع من في أحد الدخول الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لو كان بعدى
نبي لكان عمر وقال له النبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق بشيرا ما سلكت واديا الا
سلك الشيطان واديا غيره ولما أسلم رضى الله عنه قال يا رسول الله أسألك الحق قال بلى قال
والذي بعثك بالحق نبيا لا نعبد الله سيرا بعد هذا اليوم ولما قدم عمر رضى الله عنه الشام وقف
على طور سيناء فأرسل البطريرق عظيمهم وقال انظر الى ملك العرب فرأه على فرس وعليه
جبة صوف مرقعة مسة قبل الشمس بوجهه ومخلاته في قربوس السرج وعمر يدخل يده فيها
ويخرج فلق خبز يابس بمصها من التبن ويلوكها فوصفه للبطريق فقال لا ترى بمحاربة هذا
طاقة اعطوه ما شاء * وأما أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه ففضائله كثيرة ومناقبه
شهيرو فهو جامع القرآن ومن استحييت منه ملائكة الرحمن رضى الله عنه وقال جبيع بن عمير
دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت لها أخبريني من كان أحب الناس الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالت فاطمة قالت انما سألتك عن الرجال قالت زوجها فوالله لقد كان صواما
قواما واقدسات نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده فتردها الى فيه قالت فما جعلك على
ما كان فأرسلت خمارها على وجهها وبكت وقالت أمر قضي على وقال معاوية لضرار بن حزمة
الكناني صف لي عليا فاستعفى فالح عليه فقال أما اذن فلا بد انه والله كان بعهد المدي شديد
القوى يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها
ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويصانب نفسه
يحب من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن وكان والله يجيئنا اذا سألنا ما يأتينا
اذا دعونا ونحن والله مع تقريره لنا وقر به منا لانه كلمة هيبته له يعظم أهل الدين ويحب
المساكين لا يطعم مع القوى في باطله ولا يأس الضعيف من عدله فاشهد الله اقد رأيت
في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقدم مثل في محرابه قابض على لحيته
يتملل الخائف ويكي بكاء الحزين فيكأنى الا ان الله يقول يا دنيا الى تعرضت ام الى
نشوت هيات هيات غزى غيرى اقدأ بنتك ثلاثا لارجعة الى فيك فعمرك قصير وعيشك
حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق قال فوكفت دموع معاوية حتى
ما علكها على لحيته وهو عيسها وقد اختنق القوم بالبكاء وقال رحم الله أبا الحسن كان
والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزننى عليه والله حزن من ذبح ولدها في حجرها
فلا ترقأ عبرتها ولا تسكن حيرتها ثم قام فخرج * وقيل أول من سل سيفا في سبيل الله تعالى
الزبير بن العوام رضى الله عنه وذلك أنه صاح على أهل مكة ليل الصائح فقال قتل محمد فخرج
متجردا وسيفه معه صلتا فلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا زبير قال سمعت
انك قتلت قال فماذا أردت أن تصنع قال أردت والله أن اسـتعرض أهل مكة وروى
الخطيب بسـمى من قدرت عليه فضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه واعطاه ازارا له
فاستتر به وقال له أنت حواري ودعاه قال الاوزاعي كان للزبير ألف مملوك يؤدون
الضريبة لا يدخل بيت ماله منها درهم بل كان يتصدق بها وياع داراله بسـمائه ألف

درهم فقيل له يا ابا عبد الله غبت قال كلا والله اني لم اغيب اشهدكم انها في سبيل الله تعالى
وهبط جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال من جئت على
ظهوره وكان حله على ظهره طمحة حتى استقل على الصخرة قال طمحة قال اقرئه السلام واعلم
اني لا اراه يوم القيامة في هول من أهوالها الا استنقذته منه من هذا الذي عن يمينك قال
المنذر ابن الاسود قال ان الله يحبه ويأمر لك أن تحبه من هذا الذي بين يديك يتي عنك قال
عمار بن ياسر قال بشره بالجنة حرمت النار على عمار ومروا بؤذر على النبي صلى الله عليه وسلم
ومعه جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي فلم يسلم فقال جبريل هذا أبو ذر لوسلم
لرددنا عليه فقال أتعرفه يا جبريل قال والذي بعثك بالحق نبي الهوى في ملكوت السموات السبع
أشهر منه في الأرض قال نعم نال هذه المنزلة قال بزهده في هذه الحطام الفانية وقال ابن عمر
رضي الله عنهم ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يدفع بالمسلم الصالح من الف
بيت من جيرانه البلاء ثم قرأوا لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الآية وقال أبو بكر
السفاح لا يكره هذا ثم بلغ الحسن ما بلغ قال جمع كتاب الله تعالى وهو ابن اثني عشرة سنة
لم يجاوز سورة الى غيرها حتى يعرف تأويلها ولم يقاب درهم حاقط في تجارة ولم يل عمل السلطان
ولم يأمر بشئ حتى يفعله ولم ينه عن شئ حتى يدهه قال السفاح بهذا بلغ وقال الجاحظ كان
الحسن يستثنى من كل غاية فيقال فلان أزهد الناس الا الحسن وأفقه الناس الا الحسن
وأفصح الناس الا الحسن وأخطب الناس الا الحسن وقال بعضهم كان عمر بن عبد العزيز
أزهد من أويس لأن عمر ملك الدنيا فزهد فيها وأويس لم يملكها ففقه في لومها كماله كماله
هرف قال لاسر من لم يجرب كن جرب وقال انس في ثابت البناني ان للخير مفااتيح وان ثابتاً من
مفااتيح الخير وكان حبيب الفارسي من أخبار الناس وهو الذي اشترى نفسه من ربه أربع
مئات باربعين ألفاً كان يخرج البدر فيقول يا رب اشترى نفسي منك بمائة ثمينة صدق بها
وكان أيوب السخيتاني من أزهد الناس وأورعهم ذكر عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى فقال
رحم الله أيوب لقد شهدت منه مقاما عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم لا أذكر ذلك المقام الا
اقشعر جلدي وقال سفيان الثوري جهدت جهدي على أن أكون في السنة ثلاثة أيام
على ما عليه ابن المباركة فلم أقدر وكان الخليل بن أحمد النحوي من أزهد الناس وأعلاهم نفسا
وكان الملوكة يقصدونه ويذلون له الاموال فلا يقبل منها شيئا وكان يحج سنة ويغزو سنة
حتى مات رحمه الله وقال ابن خاروجة جالست ابن عون عشرين سنة فما أظن الملكين كتباً
عليه شياً وروى أنه غسل كرز بن وبرة فلم يوجد على جسده مثقال لحم وعن محمد بن الحسن
قال كان أبو حنيفة واحداً زمانه لو انشقت عنه الأرض لانشتت عن جبل من الجبال في العلم
والكرم والزهد والورع ورجح وكيع بن الجراح أربعين حجة ورابط في عبادان أربعين
ليلة وختم بها القرآن أربعين ختمه وتصديق باربعين ألفاً وروى أربعة آلاف حديث
وما روى واحد ما جنبه قط ووقف عمر بن عبد العزيز على عطاء بن أبي رباح وهو أسود مفلل
الشعر يفتي الناس في الحلال والحرام فمثل يقول تلك المكارم لا تعبان من ابن ومن
مشايخ الرسالة رضوان الله عليهم أجمعين سيدي أبو عبد الله محمد بن اسمعيل المغربي استاذ
ابراهيم بن شيبان كان عجيب الشأن لم ياكل مما وصات اليه أيدي بني آدم سنين كثيرة وكان

أكله من أصول العشب شيئا نعوذأ كاه * ومنهم سيدي فتح بن شحرف بن داود يكنى أبانصر
 من الزاهدين الورعين لم يأكل كل الخبز ثلاثين سنة قال أحمد بن عبد الجبار سمعت أبي يقول
 سمعت فتح بن شحرف ثلاثين سنة فلم أرفع رأسه إلى السماء ثم رفعها يوما فقال طال
 شوقي إليك فبجمل قدومي عليك وقال محمد بن جعفر سمعت انسافا يقول فسلمنا فتح بن شحرف
 فرأينا مكنوبا على نغمة لا اله الا الله فتودع مناهم مكنوبا واذا هو عرق داخل الجلد ومات
 ببغداد فصلى عليه ثلاثا وثلاثين مرة أقل قوم كانوا يصليون عليه كانوا يخوضون من خمسة
 وعشرين ألفا إلى ثلاثين ألفا * ومنهم سيدي فتح بن سعيد الموصل يكنى أبانصر
 من أقران بشر الحافي وسرى السقطي كبير الشأن في باب الورع والمجاهدات قال
 ابراهيم بن نوح الموصل رجع فتح الموصل إلى أهله بعد صلاة العقة وكان صائما فقال عشوني
 فقالوا ما هذا دناسي نعش بك به فقال ما بالكم جلوس في الظلمة فقالوا ما عندنا شيء
 نسرج به فجعل يبكي من الفرح ويقول الهي مثل يترك بلاهشاه ولا سراج بأي يد كانت
 مني فإزال يبكي إلى الصباح وقال فتح رأيت بالبادية غلاما لم يبلغ الحلم وهو يشي وحده
 ويحرك شفتيه فسألت عليه فرد علي السلام فقلت إلى أين فقال إلى بيت ربي عز وجل فقلت
 بماذا تهرك شفتيك قال أتلو كلام ربي فقلت انه لم يهر عليك قلم التكليف قال رأيت الموت
 يأخذ من هو أصغر مني فقلت خطاك قصيرة وطريقك بعيدة فقال انما علي نقل الخطا
 وعليه البلاغ فقلت أين الزاد والراحلة قال زادي يقيني وراحلي رجلاي فقلت أسألك عن
 الخبز والماء قال يا همام رأيت لودعك مخلوق إلى منزله أكان يحمل بك أن يحمل زادك إلى منزله
 قلت لا فقال ان سيدي دعا عباده إلى بيته وأذن لهم في زيارته فحملهم ضعف يقينهم على حمل
 أزوادهم واني استعجبت ذلك فحفظت الادب معه أفترام بضيعتي فقلت حاشا وكلا ثم غاب عن
 بصري فلم أراه الا بمكة فلما رآني قال أنت أيها الشيخ بعد على ذلك الضعف من البقين * ومنهم
 سيدي أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الجبيري صاحب شاه الكرماني ويحيى بن معاذ الرازي
 وكان يقال في الدنيا ثلاثة لأربع لهم أبو عثمان الجبيري بنيسابور والجنيد ببغداد وأبو
 عبد الله الخلاج بالشام ومن كلامه لا يكمل الرجل حق يستوي في قلبه أربعة أشياء المنع
 والعطاء والعز والذل وقال منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته ولا تقلق إلى
 شيء فخطته * ومنهم سيدي سليمان الخواص يكنى أباتراب كان أحد الزهاد المعروفين والعباد
 الموصوفين سكن الشام ودخل بيروت وحي كان أكثر مقامه بيت المقدس قيل اجتمع
 حذيفة المرعشي وابراهيم بن أدهم ويوسف بن اسباط فتذاكروا الفقر والغنى وسليمان ساكت
 فقال بعضهم الغنى من كان له بيت يسكنه وثوب يستتره وسداد من عيش يكفيه عن فضول
 الدنيا وقال بعضهم الغنى من لم يحتاج إلى الناس فقيل لسليمان ما تقول أنت في ذلك فبكي
 وقال رأيت جوامع الغنى في التوكل ورأيت جوامع الفقر في القنوط والغنى حق الغنى
 من أسكن الله في قلبه من غناه يقينا ومن معرفته توكله من قسمته رضا فذلك الغنى حق
 الغنى وان أمسى طاويا وأصبح معوزا فبكي القوم من كلامه * ومنهم سيدي أبو سليمان
 ابن عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني أحد رجال الطريقة قدس الله مره كان من

أجل السادات وأرباب الخد في الجاهدات ومن كلامه من أحسن في نهارة كفى في ليله ومن
أحسن في ليله كفى في نهارة ومن صدق في ترك شهوة ذهب الله به من قلبه والله تعالى أكرم
من أن يعذب قلبا بشهوة تركت له وقال لكل شيء علامة وعلامة الخذلان ترك البكاء وقال
لكل شيء صدأ وصدأ نور القاب شمع البطن وقال أحمد بن أبي الخوارى شكوت إلى أبي سليمان
الوسواس فقال إذا أردت أن ينقطع عنك فإي وقت أحسن ست به فافرح فانك إذا فرحت به
انقطع عنك لانه لا شيء أبغض إلى الشيطان من سرور المؤمن وإذا اغتممت به زادك وقال
ذوالنون المصري رحمه الله تعالى اجتمعوا ليلا على أبي سليمان الداراني فسمعوه يقول يا رب
ان طابقتي بسري في طابقتك بوحيدك وان طابقتي بذنوبي طابقتك بكرمك وان جعلتني من
اهل النار اخبرت اهل النار بجبي اياك وقول علي بن الحسين المدا سالت ابا سليمان باء شيء
تعرف الا برار قال بكتمان المصائب وصيانة الكرامات وروى عنه انه قال غمت ليله عن وردى
فاذا حوراء تقول لي أتنام وانا اربى لك في الخلد ورمذ خمسة عام * ومنهم سيدي ابو محمد
عبد الله بن حنيف من زهاد المتصوفة كوفي الاصل ولكنه سكن انطاكية ومن كلامه لا تغتم
الامن شيء يضرك فدا ولا تفرح الا بشئ يسرك غدا وله كرامات ظاهرة وبركات متواترة
* ومنهم سيدي ابو عبد الله محمد بن يوسف البناء امه باني الاصل كتب عن سماعة شيخ ثم غلب
عليه الانفراد والخلوة الى ان خرج الى مكة بشرط التصوف وقطع البادية على التجريد وكان
في ابتداء امره يكسب في كل يوم ثلاثة دراهم وثلاثة فيأخذ من ذلك لنفسه دافعا ويتصدق
بالباقى ويختتم مع العمل كل يوم ختمة فاذا وصل الى العتمة في مسجده خرج الى الجبل الى
قريب الصبح ثم يرجع الى العمل وكان يقول في الجبل يا رب اما ان تهب لي معرفتك او تامر
الجبل ان ينطبق علي فاني لا اريد الحياة بلامعرفتك * ومنهم سيدي يحيى بن معاذ الرازي
قدس الله سره يكنى ابا زكريا واحد رجال الطريق كان اوحدا وقتبه ومن كلامه لا تكن ممن
يفضيه يوم موته ميراثه ويوم حشره ميزانه وقال ليسكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال ان لم
تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تعدحه فلا تدمه وقال الصبر على الخلوة من
علامات الاخلاص وقال بنس الصديق صديقا يحتاج الى ان يقال له اذكرني في دعائك وقال
على قدر حبك لله يهبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله يهبك الخلق وعلى قدر شغلك بالله
تستغل في امرك الخلق وقال من كان غنا في كسبه لم يزل فقيرا ومن كان غنا في قلبه لم يزل
فنيا ومن قصده بجهل الخلق لم يزل محروما وروى انه قدم شيرا زجول يتكلم على
الناس في علم الاسرار فاته امرأة من نسائها فقالت لكم تريد ان تاخذ من هذه البلدة
قال ثلاثون الف اصرفها في دين على تجر اسنان فقالت لك على ذلك على ان تاخذها وتخرج
من ساعتك فرضي بذلك فحملت اليه المال فخرج من الغد فموتت تلك المرأة فيما فعلت
فقالت انه كان يظهر اسرار اولياء الله تعالى للسوقة والعامّة فغرت على ذلك * ومنهم
سيدي يوسف بن الحسين الرازي يكنى ابا يعقوب كان وحيدا وقتبه في اسقاط التصنع عالما
أديا صاحب ذا النون المصري وابتاب النفس بي من كلامه اذا اردت ان تعلم العاقل من
الاجنى فخذته بالجمال فان قبل فاعلم انه اجنى وقال اذا رأيت المرء يشغل بالرخص فاعلم

انه لا يجي منه شيء وقال لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصي أحب إلى من أن ألقاه بذرة
من التصنع وقال أبو الحسن الدراج قصدت زيارة ابن الحسين الرازي من بغداد فطالما دخلت
بلده سألت عن منزله فكل من سألته يقول أي شيء تريد من هذا الزنديق فضيقوا صدرى حتى
عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة في مسجد ثم قلت في نفسي جئت هذه البلدة فلا أقل
من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى وصلت إلى مسجد فوجدته جالسا في المحراب وبين يديه
مصحف يقرأ فيه قد نوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال من أين قلت من بغداد فقال
أتحسن من قولهم شيئا قلت نعم وأنشدته

رأيتك تبنى دائما في قطيعتي * ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبقى

فأطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتات لحيتيه وثوبه ورجلته من كثرة بكائه ثم التفت إلى وقال
يا بني أتألم أهل البلد على قوله هم يوسف بن الحسين زنديق وها أنا ذا من وقت صلاة الصبح
أقرأ القرآن ولم تقطر من عيني قطرة وقد قامت على القيامة بهم هذا البيت * ومنهم سيدي
حاتم بن علوان الأصم قدس الله سره يكنى أبا عبد الرحمن من أكابر مشايخ خراسان صاحب
حقيقة البلخي ومن كلامه الزم خدمة مولانا تارك الدنيا راغبة والآخرة راغبة وقال من
ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الله تعالى من غير ورع عن محارمه فهو كذاب
ومن ادعى محبة النبي صلى الله عليه وسلم لم من غير محبة الفقراء فهو كذاب ومن ادعى حب
الجنة من غير اتفاق ماله فهو كذاب وسأله رجل عن علام بنيت أمرك في التوكل
على الله عز وجل قال على أربع خصال علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمه أنت به
نفسى وعلمت أن على لا يعمل له غيري فأنا متهمل غول به وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره
وعلمت أني لا أخلو من عين الله عز وجل حيث كنت فأنا أستحي منه وسبب تسميته
بالأصم ما حكاه أبو علي الدقاق أن امرأة جاءت تسأله عن مسألة فاتفق أنه خرج منها صوت
ريح فحجبت المرأة فقال حاتم أرفعى صوتك وأراها أنه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت انه
لم يسمع الصوت فغلب عليه هذا الاسم رحمة الله تعالى عليه * ومنهم الحسن بن أحمد الكاتب
من كبار مشايخ المصريين صاحب أبا بكر المصري وأبا علي الروذباري وكان أوحدا
مشايخ وقته من كلامه رواه نسيم المحبة تفوح من الهبين وان كفوها وتظهر عليهم
دلائلها وان أخفوها وتدل عليهم وان ستروها وأنشدوا في هذا المعنى

إذا ما أسررت أنفس الناس ذكره * نبيته فيهم ولم يتكلموا

نطيب به أنفاسهم فقد ذيعها * وهل سر مسك اودع الريح يكتم

ومن كلامه أيضا إذا انقطع العبد إلى الله تعالى بالكلية فأقول ما يفيد الاستغناء به عن
الناس وقال صاحب الفساق داوداؤها فارقتم وقال إذا سكن الخوف في القلب لا ينطق
اللسان بما لا يعنيه * ومنهم سيدي جعفر بن نصر الخلدی يكنى بابي محمد بغدادى المنشأ
والمولد صاحب الجنييد وانتمى إليه وجم قرييما من سستين حجة روى أنه مر بقبرة الشونيزية
وامرأة على قبر تندب وتبكي بكاء بحرقة فقال لها مالك تبكين فقالت شكى بولدى
فأنشأ يقول

يقولون ثكلتي ومن لم يذق * فراق الاحبة لم يشكل
لقد جرعتني لبالى الفراق * شرابا أمر من الحنظل

وروي أنه كان له فص فوق منبه يوم في الدجالة وكان عنده دعاء مجرب لرد الضالة اذا دعا به عادت فدعا به فوجد الفص في وسط أوراق كان يتصفحها وصورة الدعاء أن تقول يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على فضالتي وقد روي أنه يقرأ قبل سورة الضحى ثلاثا وروي الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخه قال ودعت في بعض حجاتي المزين الكبير الصوفي فقلت زودني شيئا فقال ان فقدت شيئا أو اردت أن يجمع الله بيني وبينك أو بينك وبين انسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيني وبين كذا فان الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء أو الانسان * ومنهم سيدي معروف بن فيروز الكرخي قدس الله سره يكنى أبا محفوظ من كبار المشايخ بحجاب الدعوة وهو أسد السرى وكان أبواه نصرانيين فأسلماه الى مؤتبههم وهو موسى فكان المؤتب يقول له قل هو ثالث ثلاثة فيقول بل هو الواحد الصمد فضر به المؤتب على ذلك فضر به وجهه فمات - رب منبه فكان أبواه يقولان ليت به يرجع اليه على أي دين شاء فتوافقه عليه فرجع الى أبويه فدق الباب فقبل من بالباب فقال معروف فقبل على أي دين فقال على دين الاسلام فاسلم أبواه وكان مشهورا باجابة الدعوة ومن كلامه رضى الله عنه اذا أراد الله بعبد خيرا ففتح له باب العمل وأغلق عليه باب الفرة والكسل وكان يعاتب نفسه ويقول يا مسكين كم تبكي وتندب أخا من فخالص وقال سرى سألت معروف فاعن الطائعين لله بأي شيء قدروا على الطاعات لله عز وجل قال بخروج حب الدنيا من قلوبهم - ولو كانت في قلوبهم لما صحت لهم سجدة ومن انشاداته

الماء يغسل ما بالثوب من درن * وليس يغسل قلب المذنب الماء

وقال ابراهيم الاطروش كان معروف قاعدا يوما على الدجالة فيغد ادق بناصية في زورق يضربون بالمسلاهي ويشربون فقال له أصحابه أمارى هؤلاء يعصون الله تعالى على هذا الماء فادع عليهم - فرفع يديه الى السماء وقال الهى وسيدي كما فترحتهم في الدنيا أسالك أن تفرحتهم في الآخرة فقال له أصحابه انما قلنا لك ان تدعو عليهم - ولم نقول لك ادع لهم - فقال اذا فترحتهم في الآخرة تاب عليهم - في الدنيا ولم يضركم ذلك وقال سرى رأيت معروفا في المنام كأنه تحت العرش والله تعالى يقول للملائكة من هذا فقالوا أنت أعلم يا رب قال هذا معروف الكرخي سكر بجي لا يفتق الا باقائي وقيل له في مرضه أوص فقال اذا مت فتصدقوا بقميصي هذا فاني أحب ان أخرج من الدنيا عريان كما دخلتها عريان وقال أبو بكر الخياط رأيت في المنام كأنني دخلت المقابر فاذا أهل القبور جلوس على قبورهم وبين أيديهم الريحان واذا أنا معروف الكرخي بينهم يذهب ويجي فقلت يا أبا محفوظ ما فعل الله بك أو ليس قدمت قال بلى ثم أنشد يقول

موت التقي حيا لا تغادلهما * قدمات قوم وهم في الناس أحياء

* ومنهم قاسم بن عثمان الكرخي يكنى أبا عبد الملك من أجدلاء المشايخ صاحب أبا سليمان الداراني وغيره وكان من أقران السرى والحارث المحاسبي وكان ابو تراب النخشي

بعضه ومن كلامه من أصل فيما بقي من عمره غفر له ما مضى وما بقي ومن أفسد فيما بقي من عمره أخذ بما مضى وما بقي وقال السلامة كلها في اعتزال الناس والفرح كله في الخلوة بالله عز وجل وسئل عن التوبة فقال التوبة رذائلها وترك المعاصي وطلب الحلال وأداء الفرائض وقال لا مصحبه أوصيكم بخص من ان ظنتم فلا تظلموا وان مدحتم فلا تفرحوا وان ذمتم فلا تحزنوا وان كذبتم فلا تقصروا وان خانوكم فلا تخونوا وقال محمد بن الفرج سمعت قاسم بن عثمان يقول ان لله عبادة قصدوا الله بهم فافردوه بطاعتهم واكتفوا به في نواكلهم ورضوا به عوضا عن كل ما خطر على قلوبهم من أمر الدنيا فليس لهم حبيب غيره ولا قرينة الا فيما قرب اليه وكان يقول قابل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة ثم قال اعرف وضع رأسك ونم فاعبد الله الخلق بشئ أفضل من المعرفة وروى عنه أنه قال رأيت في الطواف حول البيت رجلا فالتفتت منه فاذا هو لا يزيد على قوله اللهم قضيت حاجة المحتاجين وحاجتي لم تقض فقلت له ما لك لا تزيد على هذا الكلام فقال أحدثك كناسبعة رفقاء من بلاد شتى غزونا أرض العدو فاستأسرونا كلنا فاعتزل بنا لتضرب أعناقنا فنظرت الى السماء فاذا سبعة أبواب مفتحة علمت سبع جوار من الحور العين على كل باب جارية فقدم رجل منا فضربت عنقه فقرأت جارية في يدها منديل قد هبطت الى الأرض فضربت أعناق الستة وبقيت أنا وبقي باب وجارية فلما قدمت لتضرب عنقي استوهبتني بعض خواص الملك فوهبتني له فسمعت ما تقول يا بشي فأتك هذا يا محروم وأغلقت الباب فأنا يا أخي متحسر على ما فاتني قال قاسم بن عثمان أراه أفضلهم لانه رأى ما لم يروا وترك يعمل على الشوق * ومنهم سيدي أبو بكر دلف بن محمد الشبلي كان جليل القدر مالكي المذهب عظيم الشأن صاحب الجنب يد ومن في عصره وكان يبالغ في تعظيم الشرع المطهر وكان اذا دخل شهر رمضان المعظم جث في الطاعات ويقول هذا شهر عظمه ربي فأنا أولى بتعظيمه وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم خير عمل المرأة كسب عيینه فقال اذا كان الليل فخذ ماء وتهيأ للصلاة وصل ما شئت ومد يدك ورسلك الله عز وجل فذلك كسب عيئك ولما سجد ورأى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وقع مغشياً عليه فلما أفاق أنشد يقول

هذه دارهم وأنت محب * مابقاء الدموع في الآفاق

وروى انه قال كنت يوما جالساً بغيري في خاطري أتى بغيري فقلت مه ما فتح الله على به اليوم ادفعه الى أول فقير يلقياني قال فبينما أنا تفكر اذا دخل على شخص ومعه خمسون ديناراً فقال اجعل هذه في مصالحك فأخذتها وخرجت واذا أنا بفتية مكفوف بين يدي من زين يحاق رأسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال لي ادفعها للمزين فقلت له انما ادنا نرفق قال انك لجنه ل قال فناولته المزين فقال المزين ان من عادتنا ان الفقة يرا اذا جلس بين أيدينا لاننا خذمنه أجزا قال فرميتها في الدج له وقلت ما اعزك أحد الا الله تعالى * ومنهم سيدي زرقان بن محمد الأخوذي النون المصري صاحب سباحة كان يجبل لبنان (حكى) عن يوسف بن الحسين الرازي قال بينما أنا بجبل لبنان أدروا اذا بصرت زرقان

أخاذى النون المصرى جالس على عين ماء وقت صلاة العصر فسالت عليه وجالست من ورائه فالتفت الى وقال ما حاجتك فقالت بيتا شمر سمعت من مامن أخيك ذى النون المصرى اعرضهم ما عليك فقال قل فقات سمعته يقول

قد بقينا مذنبين حيارى * نطلب الوصل ما اليه سبيل
فدوائى الهوى تحف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقل

فقال زرقان واكفى أقول

قد بقينا مذنبين حيارى * حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حيثما القوز كان ذاك منا فانا * واليه فى كل أمر نعيلى

فعرضت أقوالهم على طاهرى المقدسى فقال رحم الله ذى النون المصرى رجع الى نفسه فقال ما قال ورجع زرقان الى ربه فقال ما قال وقال أبو عبد الرحمن السلمى زرقان بن محمد أخوذى النون المصرى وأظن أنه أخوه مؤاخاة لأخوة نسب وكان من أقرانه ورفقائه * ومنهم سديدى أبو عبد الله النباجى سديد بن بريد كان من أقران ذى النون المصرى ومن أقران أسماذى أحمد بن أبى الحوارى له كلام حسن فى المعرفة وغيرها روى عنه أنه قال أصابنى ضيق وشدة فبت وأنا مذكر فى المسير الى بعض اخواني فسمعت قائلا يقول فى النوم ايجمل بالحزم المريد اذا وجد عند الله ما يريد أن يعيل بقلبه الى العبيد فالتفت وأنا من أغنى الناس * ومنهم سديدى بشر بن الحارث الحافى قدس الله روحه يكنى أبا نصر أحد رجال الطريقة أصله من مرو وسكن بغداد وكان من كبار الصالحين وأعيان الاتقياء المتورعين صاحب الفضيل بن عياض وروى عن سري السقطى وغيره ومن كلامه لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك وقال أقول مقوبة يعاقبها ابن آدم فى الدنيا مفارقة الاحباب وقال غنمة المؤمن غفلة الناس عنه وخفاء مكانه عنهم وقال التمسك على المتكبر من التواضع وسئل عن الصبر الجليل فقال الصبر الجليل هو الذى لا شكوى فيه الى الناس وقيل انه لقي رجلا سكران فجعل الرجل يقبل يد بشرى يقول يا سديدى يا أبانصر وبشر لا بدفعه عن نفسه فلما رلى الرجل تغرغرت عينا بشرو وجعل يقول رجل أحب رجلا على خير توهمه أعمل الهب قد نجا والحبوب لا يدري ما حاله وروى أن امرأته جاءت الى أحمد بن حنبل تسأله فقالت انى امرأه اغزل بالليل والنهار وأبيعه ولا أبين غزل الليل من غزل النهار فهل على فى ذلك شئ فقال يجب أن تبقي فلما انصرفت قال احمد لابنه اذهب فانظرا أين تدخل فرجع فقال دخلت دار بشر فقال قد عجبت ان تكون هذه السائلة من غير بيت بشر ولما مرض مرضه الذى مات فيه قال له اهله نرفع ماءك الى الطبيب قال انابعين الطبيب يفعل بي ما يريد فالحواء عليه فقال لاخته ادفعي اليهم الماء فدفعته اليهم فى قارورة وكان بالقرب منهم طبيب نصرانى فدفعوا اليه القارورة فقال حرصكوا الماء فخر كوه فقال ضعهوه فوضعهوه فقالوا له ما به اذا وصفت لنا قال وبعذا وصفت لكم قالوا وصفت بأنك أحذق أهل زمانك فى الطب قال هو كما وصفت لكم ان هذا الماء ان كان ماء نصرانى

فهو ماء رهاب قد فتت الخوف كبده وان كان ماء مسلم فماء بشر الخافى لان ما في زمانه أخوف
منه قالوا هو ماء بشر فقال انا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما رجعوا
الى بشر قال لهم أسلم الطيب قالوا له ومن أعلمك بهذا قال لما خرجتم من عندي فوديت يا بشر
ببركة ما لك أسلم الطيب توفي سنة سبع وعشرين ومائتين * ومنهم سيدي أبو يزيد
طيفور بن عيسى البسطامي من أجل المشايخ كبير الشأن ومن كلامه ما زلت أسوق الى الله
تعالى نفسي وهي تبكي الى ان سقطت وهي تضحك وسئل بأي شيء وجدت هذه المعرفة فقال
ببطن جائع وبدن عار وقيل له ما أشد ما بقيت في سبيل الله تعالى فقال لا يمكن وصفه فقيل
له ما أهون ما بقيت نفسك منك فقال أما هذا فمما دعوتها الى شيء من الطاعات فلم تجبني
فمنعها الماء سنة وقال الناس كلهم هم يرون من الحساب ويتجافون عنه وأنا أسأل الله
تعالى أن يحاسبني فقيل له لم فقال له عليه يقول فيما بين ذلك يا عبدي فأقول ليسك فقوله لي يا عبدي
أحب الى من الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك يفعل بي ما يشاء وقال له رجل دلتني على عمل أتقرب
به الى ربي فقال أحب أولياء الله ليحبوك فان الله تعالى ينظر الى قلوب أوليائه فله ينظر الى
اسمك في قلب ولي فيغفر لك وسئل عن المحبة فقال اسم قلل الكثرة من نفسك
واستكثر القليل من حبيبك توفي سنة احدى وستين ومائتين رجا الله تعالى * ومنهم شيخ
الطائفة سيدي أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري شيخ وقته وفريد عصره أصله من
نهبأوند ومولده ومنشؤه بغداد صاحب جماعة من المشايخ وصاحب خاله السري والحارث
المحاسبي ودرس الفقه على أبي ثور وكان يفتي في مجلسه بحضوره وهو ابن عشرين سنة ومن
كلامه رضي الله عنه علامة اعراض الله تعالى عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه وقال
الادب أدب ان أدب السر وأدب العلانية فأدب السر طهارة القلب وأدب العلانية حفظ
الجوارح من الذنوب ورؤى في يده يوماسجة فقيل له أنت معتكف كنك وشرفك تأخذ
بيدك سجة فقال نعم سبب وصلته الي ما وصلنا لا نتركه أبدا وقال حسن بن محمد
السرّاج سمعت الجنيد يقول رايت ابايس في منامى وسمي عريانا فقلت له ألا تستحي
من الناس فقال بالله هؤلاء عندك من الناس لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما تلاعب
الصبيان بالكرة ولكن الناس عندي ثلاثة نفر فقلت ومن هم قال هم في مسجد الشونيزي
قد أضنو قلبي وأخلوا جسمي كلما هممت بهم اشاروا الى الله عز وجل فاكاد ان أحرق
قال الجنيد فانتهمت من نومي وابست ثيابي وجمت الى مسجد الشونيزي بلب فلما دخلت
المسجد اذا بابا ثلاثة أنفس جلوس ورؤيتهم في مرقعاتهم فلما أحسوا بي قد دخلت اخرج
أحدهم رأسه وقال يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيء تقبل قيل ان الثلاثة الذين كانوا
في مسجد الشونيزي أبو جزة وأبو الحسن الثوري وأبو بكر الدقاق رضي الله عنهم وقال
محمد بن قاسم الفارسي بات الجنيد ليلة العبد في الموضع الذي كان يعتاده في البرية
فاذا هو وقت السحر بشاب ملتف في عباءة وهو يبكي ويقول

بحرمة غربي كم ذا الصدود * ألا تنحروا على الاتجود
سرور العبد قد عمّ النواحي * وحزني في ازدياد لا يبيد

فان كنت اقترفت خلال سوء * فعذري في الهوى ان لا اعود
توفي الجليل رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد وصلى عليه نحو ستين ألفا
رضوان الله عليهم أجمعين * وعن صحبه وانتفعت بصحبته وفاضت الخبرات على ببركته
سيدى الشيخ الامام العالم العامل أبو المعالى وأبو الصدق أبو بكر بن عمر الطريخي المالكي
قدم الله سره وروحه وتورض رحمه كان أوحده زمانه في الزهد والورع قام مع الأهل
الضلال والبدع وله أسرار ظاهرة وبركات متواترة قد أطاع أمره الخلائق عجم
وعربا وانتشر ذكره في البلاد شرقا وغربا وأنت المولود الى بابيه واختاروا أن يكونوا من
جمله أصحابه ما أناته مكروب الافترج الله كربته ولا طالب حاجة الا قضى الله حاجته كان
محافظا على النوافل ملازما للفرص وكان أكثرأ كاه من المباح من نبات الارض لم يمتنع
نفسه في الدنيا بالمال ~~كسل~~ والمشارب اللذيذة بل قيل انه غضب على نفسه مرة فتمنعها
شرب الماء شهورا عديدة وكان رضى الله عنه كثير الشفقة والحنو على أصحابه نصوحا لجميع
خلق الله من أعدائه وأحبابه يدخل اليه اعدى عدوه فيقبل ببشره وبره عليه فيخرج من عنده
وهو أحب الناس اليه كما قال بعضهم

وانى لآلى المرء أعلم انه * عدوى وفي أحشائه الضغن كامن
فأمنعه بشرى فيرجع قلبه * سلما وقد مات لديه الضغائن
وكانت جملة أهل زمانه عليه وأحوالهم في كل أمر راجعة اليه وكنت كثيرا ما أسمع به يتنزل
بهذا البيت

وما حولنى الضيم الا حلقه * لاني محب والمحب حول
وكان رضى الله عنه كثير المصافاة عظيم الموافاة شأنه الحلم والستر لم يهتك حرمة مسلم ولا
فنتحه وما استشاره أحد في أمر الا أرشده الى الخير ونصحه صحبه رضى الله عنه نحو خمس
عشرة سنة فكانهم من طيها كانت سنة ما قطع بره يوما واحدا عني حتى كنت أظن
ان ليس عنده أخص منى وكان ذلك فعلة مع جميع أصحابه قاطبة يرض الله وجهه في القيامة
وبلغه من فضل ربه ما آربه وكان رضى الله عنه فتية في مذهب الامام مالك امام كبير لم ير له
في زمانه من شبيه ولا نظير وله في علم الحقيقة أقوال وكبر رأيه من مكانة من أحوال
ولو تتبع مناقبه لاتسع الكلام ولكني أقول كان اوحده عصره والسلام عاش رضى
الله عنه في ثمانين سنة وكان الناس في زمانه في عيشة راضية وأحوال حسنة وكان
رضى الله عنه كثير الامراض والاسقام حصل له في آخر عمره ضعف شديد أقام به نحو سنة
ثم ترايد مرضه في العشر الاوّل من ذى الحجة الحرام فلما كانت ليلة الحادي عشر اشتد به
الامر واحتضر ولم ير في النزع الى ثالث الليل الاوّل من الليلة المذكورة ثم توفي رحمه الله
تعالى سنة احدى اربع مائة في ليلة الجمعة حادى عشر ذى الحجة الحرام سنة سبع وعشرين
وعثمان مائة ولما أخبر الناس بوفاته عظم مصابه على المسلمين ووقع النوح والبكاء والاسف
في اقطار البلدان حتى طوائف المخالفين لاهله من النصارى وغيرهم وصاروا يـ ~~كون~~
ويتوجعون ويتأسفون على فراقه ~~كيف~~ لا وهو امام العصر علامة الدهر حق فيه

قول القائل

حلف الزمان ليأتين بعثله * حنث عيذك يا زمان فكفر

رضي الله عنه ورضي عنه به ونفعنا ببركته في الدين والدنيا والآخرة فشرعوا في تجهيزه وغسله فكنث من حضر غسله ولكن لم يكن ذهني معي في تلك الساعة لما جرى علينا من المصيبة بفقده كيف لا وقد كان لي والدا شقيقا وبارا محسنا عشوقا فلما انتهى غسله رضي الله عنه جاء القضاة والنواب والكشاف والولاء وحملوه على أعناقهم ومضوا به إلى جامع الخطبة بالمحلة فضاقت بهم الجماعة على سعته وضائق الشوارع والسكك والطرفات من كثرة الناس فلم يرأ أكثر جمعا ولا أغزر دمه من ذلك اليوم وهذا دليل على أنه كان قطب أهل زمانه * قال الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه بيننا وبينهم الجنائز يريد ذلك اجتماع الناس والله أعلم فارتفع نوحه على أعناقهم وتقدم للصلاة شيخه العارف بالله تعالى سيدي سليمان الدواخلي نفعنا الله ببركته ودفن يوم الجمعة بزوايته التي أنشأها بسند فامع والده الشيخ الامام العالم العلامة مفتي المسلمين سراج الدين أبي حفص عمر الطريقي المالكي في قبر واحد نفعنا الله ببركته وجعل الجنة مقبلة ومشواه وحشرنا وإياه في زمرة سيد الأولين والآخرين محمد خاتم النبيين وأفضل المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأجمعين ونسأله لنا التوفيق والاعانة وأن يمتع المسلمين بطول بقاء أخيه سيدنا ومولانا الشيخ شمس الدين محمد الطريقي أدام الله أيامه للمسلمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الباب الحادي والثلاثون في مناقب الصالحين وكرامات الأولياء رضي الله عنهم)

اعلم أن كرامات الأولياء لا تنكر ومناقبهم أكثر من أن تحصر نسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم في زمرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم المحشر أنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهو حسينا ونعم الوكيل * (حكاية) قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى احبس عنك المطر بالبصرة فخرجنا نستهني مرارا فلم نزل الاجابة أثرنا فخرجت أنا وعطاء السلمي وثابت البناني ويحيى البكاه ومحمد بن واسع وأبو محمد السخيتاني وحبيب الفارسي وحسان بن ثابت بن أبي سنان وعنبية الغلام وصالح المزني حتى اذا صرنا إلى المصلي بالبصرة خرج الصبيان من المكاتب ثم استسقىنا فلم نزل الاجابة أثرنا حتى اتصف النهار وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت البناني بالمصلي فلما أظلم الليل اذا أنا بعبدة أسود مليح رقيق الساقين عليه جبة صوف قومت ما عليه بدرهمين فجاء بماء فتوضأ ثم جاء إلى الخراب فصلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه إلى السماء وقال الهي وسيدي ومولاي إلى كم ترده عبادك فيما لا ينفعك أنفد ما عندك أم نقص ما في خزائنك أقسمت عليك بحبك لي الا ما أسقمتنا غيثك الساعة قال فنام كلامه حتى تغيمت السماء وجاءت بطر ككافواه القرب قال مالك فتعترضت له وقلت له يا أسود أمانسحني مما قلت قال وما قلت قلت قولك بحبك لي وما يدريك أنه يحبك قال تنح عني يا من اشتغل عنه بنفسه أفترأ بدائي بذلك الا محبتة اياي ثم قال محبتة لي على قدره ومحبتة له على قدري فقالت له يرحمك الله ارفع قلبك لا فقال اني محلولك وعلى

فرض من طاعة مالكي الصفة فيقال فانصرف وجعلنا انفقوا اثره على البعد حتى دخل دار
نحاس فلما اصبحنا اتينا النحاس فقلت يرحمك الله عندك غلام تبنيه من الخدمة قال نعم عندي
مائة غلام للبيع فجعل يعرض علينا غلاما بعد غلام حتى عرض علينا سبعين غلاما فلم ألق
حبيبي فيهم فقال عودا الى في غير هذا الوقت فلما أردنا الخروج من عنده دخلنا بحجرة خربة
خلت داره واذا بالاسود قائم يصلي فقلت حبيبي ورب الكعبة فجئت الى النحاس فقلت
له يعني هذا الغلام فقال يا ابا يحيى هذا غلام ليست له همة في الليل الا بالهكاه وفي النهار
الا خلوة والوحدة فقلت له لا بد من أخذه منك ولك الثمن وما عليك منه فدعاه فجاءه
وهو يتناسع فقال خذ ما شئت بعد ان تبرئني من عيوبه كلها فاشتريته منه بعشرين
دينارا وقلت له ما اسمك قال ميمون فأخذت بيده أريد المنزل فالتفت الى وقال
يا مولاي الصفة غير ما اذا اشتريتهني وأنا لا أصالح لخدمة المخلوقين فقلت له والله يا سيدي انما
اشتريتك لخدمتك بنفسك قال ولم ذلك فقلت ألسنت صاحبنا البارحة بالمصلي قال بلى
وقد اطاعت على ذلك قلت نعم وأنا الذي عارضتك البارحة في الكلام بالمصلي قال فجعل
يمشي حتى أتى الى مسجد فاستأذنى ودخل المسجد فصلى فيه ركعتين خفيقتين
ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهى وسيدى ومولاي سر كان بينى وبينك أطلعت
عليه غيرك فكيف يطيب الا أن عيشي أقسمت عليك بك الا ما قبضتني اليك الساعة
ثم سجدة فانتظرت ساعة فلم يرفع رأسه فجئت اليه وحزته فاذا هو قد مات رجة الله
تعالى عليه قال فددت يديه ورجليه فاذا هو ضاحك مستبشر وقد غلب البياض على
السواد ووجهه كالقرنية البدر واذا شاب قد دخل من الباب وقال السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته أعظم الله أجورنا وأجوركم في أخينا ميمون هاكم الكفن فناء واني ثوبين مارأيت
مثلهم ما قط فغسلناه وكفنناه فيهما ودفناه قال مالك بن دينار فقبه قبره نستقي الى الآن
ونطاب الحوائج من الله تعالى رجة الله عليه * (وحكى) عن حذيفة المرعشي رضي الله عنه
وكان قد خدم ابراهيم الخواص رضي الله عنه وصحبه مدة فقبل له ما أعجب مارأيت منه
فقال بقينا في طريق مكة أياما لم نأكل طعاما فدخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خرب
فنظر الى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك أثر الجوع فقلت هو كما ترى فقال عني بدواة
وقرطاس فأحضرتهمما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال والمشار
اليه بكل معنى ثم قال

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنا ضائع أنا عارى

هى ستة وأنا الضمين لنفسها * فكن الضمين لنفسها يا بارئ

مدحى اغيرك اهب نار خضمها * فأجر عبيدك من اهب النار

قال حذيفة ثم دفع الى الرقعة وقال اخرج بها ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفعها الى
أول من يلقاك قال فخرجت فأقول من لقيني رجل على بغلة فمساواته الرقعة فأخذها فقرأها
وبكى وقال ما فعل بصاحب هذه الرقعة قلت هو في المسجد القلاني فدفع الى صرة فيها ستمائة
درهم فأخذتها ومضيت فوجدت رجلا فسألته من هذا الراكب على البغلة فقال هو رجل

نصراني قال فحدث ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمس الدراهم فان صاحبها يأتي
الساعة فلما كان بعد ساعة أقبل النصراني راكبا على بغلة فترجل على باب المسجد ودخل
فأكب على ابراهيم بقبل رأسه ويديه ويقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله قال فبكي ابراهيم الخواص فرحابه وسرورا وقال الحمد لله الذي
هداك للإسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام * (وحكى) أن بعضهم كان ملاحا
ببحر النيل المبارك بمصر قال كنت أعدى من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي
ومن الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي فبينما أنا ذات يوم في الزورق اذ بالشيخ مشرق
الوجه عليه مهابة فقال السلام عليك فرددت عليه السلام فقال أتحملي إلى الجانب
الغربي لله تعالى فقلت نعم فطالع إلى الزورق وعديت به إلى الجانب الغربي وكان على
ذلك الفقير مرقعة ويده ركوة وعصا فلما أراد الخروج من الزورق قال اني أريد أن أحلك
أمانة قلت وما هي قال اذا كان غد وقت الظهر تجددني عند تلك الشجرة مينا وستنسى فاذا
الهمت فأتني وغسلني وكفني في الكفن الذي تجده عند رأسي وصل علي وادفني تحت
الشجرة وهذه المرقعة والعصا والركوة بأيتك من يطأها منك فادفعها اليه ولا تحقره
قال الملاح ثم ذهب وتركني فتعجبت من قوله وبنت تلك الليلة فلما أصبحت انتظرت الوقت
الذي قال لي فلما جاء وقت الظهر نسيت فماتت كرت الاقرب العصر فسمت سرعة فوجدته
تحت الشجرة مينا او وجدت ككفنا جديدا عند رأسه تفوح منه رائحة المسك فغسلته
وكفنته فلما فرغت من غسله حضر عندي جماعة عظيمة لم أعرف منهم أم أفاضلنا
عليه ودفنته تحت الشجرة كما عهدت الي ثم عدت إلى الجانب الشرقي وقد دخل الليل فميت
فلما طلع الفجر وباتت الوجوه اذا بأبشاب قد أقبل على تحققت النظرة وجهه فاذا هو من
صبيان الملاهي كان يخدمهم فأقبل وعليه ثياب رفاق وهو مخضوب الكفين وطاهر تحت
ابطه فسلم علي فرددت عليه السلام فقال يا ملاح أنت فلان بن فلان فقلت نعم قال هات
الوديعه التي عندك قلت ومن أين لك هذا قال لا تسأل فقلت لا بد أن تخبرني فقال لا أدري
الا أنني البارحة كنت في عرس فلان التاجر فسمه رنان رقص ونغني إلى أن ذكر الله الذاكرون
على المآذن فميت لاستريح واذا برجل قد أيقظني وقال ان الله تعالى قد قبض فلانا الولي
وأقامك مقامه فسر إلى فلان بن فلان صاحب الزورق فان الشيخ أودع لك عنده كبت
وكبت قال فدفعتهما له فخلع أثوابه الرقاق ورمى بها في الزورق وقال تصدق بها علي من شئت
وأخذ الركوة والعصا وابس المرقعة وسار وتركني أتخرق وأبكي لما حرمت من ذلك وأقت يومى
ذلك أبكى إلى الليل ثم فميت فرأيت رب العزة جل جلاله في النوم فقال يا عبدي أثقل عليك
أن مننت علي عبد عاص بالرجوع إلى انما ذلك فضلي أوتيته من أشا من عبادي وأنا ذو الفضل
العظيم * (وحكى) أبو الحق الصعلوكي قال خرجت سنة إلى الحج فبينما أنا في البادية تائه
وقد جنى الليل وكانت لي له مقمرة اذ سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا أبا الحق
قد انتظرتك من الغداة فدنوت منه فاذا هو شاب نحيف الجسم قد أشرف على الموت وحوله
رياحين كثيرة منها ما أعرف ومنها ما لا أعرف فقلت له من أنت ومن أين أنت قال من مدينة

شمشاط كنت في عزة ورفعة فطالبتني نفسي بالغربة والعزلة فخرجت وقد اشرفت الان على الموت فدعوت الله تعالى أن يقبض لي وليا من أوليائه وأرجو أن تكون أنت هو فقلت لك حاجة قال نعم لي والددة واخوة وأخوات فقلت هل اشتقت اليهم قط قال لا الا اليوم اشتقت أن أشم ريحهم فهممت أن أريدهم فاحتوشني السباع والهوام وبكيت حتى وصلوا الي هذه الرياحين التي تراها قال أبو اسحق فبينما أنا معه يرق له قلبي واذا بصيحة عظيمة في فمها باقة نرجس كبيرة فقالت دع ولي الله تعالى فإن الله يغار على أوليائه قال فغشي عليه وغشي على فمها ففتت الا وهو قد خرجت روحه رحمه الله قال فدخلت مدينة شمشاط بعد ما حجت فاستقبلتني امرأة سيد هار كوة مارأت أشبه بالشاب منها فلما رأني ناديت يا أبا اسحق ما شأن الشاب الغريب الذي مات غريبا فاني منتظرك منذ كذا وكذا فذكرت لها القصة الى أن قلت لها اشم ريحهم فصاحت أقواه أقواه قد بلغ والله الشم ثم شهقت شهقة خرجت روحها فخرج اليها نبات أتراب عليهم مرقعات ومروط فكان أمر هار تولى دفنها ودفن مسميات رضوان الله على الجميع (شعر)

يا نسيم هب من وادي قبا * خبرني كيف حال الغر با
كم سالت الدهر أن يجده منا * مثل ما كنا عليه فأبى

(وحكى) أن رجلا كان يعرف يدinar العمار وكان له والددة صالحة تعظه وهو لا يتعظ فمر في بعض الايام بقبرة فأخذ منها عظما ففتت في يده ففكر في نفسه وقال ويحك يادinar كاني بك وقد صار عظمك هكذا وفاتا والجسم ترا بافندم على تفريطه وعزم على التوبة ورفع رأسه الى السماء وقال الهى وسيدى ألقيت اليك مقاليدا أمرى فاقبلني وارحني ثم أقبل نحو أمته متغير اللون منكسر القلب فقال يا أمه ما يصنع بالعبدا لا بقى اذا أخذه سبهده قالت يحسن ملبسه ومطعمه ويغل يديه وقدميه فقال أريد جبة من صوف واقراصا من شعير وغلين وافعل بي كما يفعل بالعبدا لا بقى اعمل مولاي يرى ذلى فيرحني ففعلت به ما أراد ففكر كان اذا جن عليه الليل أخذ في البكاء والعويل ويقول لنفسه ويحك يادinar لك قوة على النار كيف تعرضت لغضب الجبار ولا يزال كذلك الى الصباح فقالت له أمه يا بني ارفع نفسك فقال دعيني أنعب قليلا على أستريح طويلا يا أمه ان لي غدا موقفا طويلا بين يدي رب جليل ولا أدري أبومر بي الى ظل ظليل أو الى شر مقبل قالت يا بني تخذ لنفسك راحة قال است للراحة أطاب كانتك يا أمه غدا بان الخلائق يساقون الى الجنة وأنا أساق الى النار مع أهلها فتركتهم وما هو عليه فأخذ في البكاء والعبادة وقراءة القرآن فقرأ في بعض الليالي فو ربك للناس النهم أجمعين عما كانوا يعملون ففكر فيها وجعل يبكي حتى غشي عليه فجاءت أمه اليه فنادته فلم يجيبها فقالت له يا حبيبى وقرعة عيني أين الملقى فقال بصوت ضعيف يا أمه ان لم تجديني في عرصات القيامة فاسألى مالك كاخازن النار عني ثم شفق شهقة فمات رحمه الله تعالى ففعلت له أمه وجهزته وخرجت تنادى أيها الناس هلموا الى الصلاة على قبيل النار فجاء الناس من كل جانب فلم يرا أكثر جمعا ولا أغزر دمعانا من ذلك اليوم فلما دفنوه نام بعض أصدقائه تلك الليلة فرآه يتجتر في الجنة وعليه حلة خضراء وهو يقرأ الآية فو ربك للناس النهم أجمعين عما كانوا يعملون

ويقول وعزته وجلاله سألني ورحمني وغفرت لي وتجاوز عني ألا أخبروا عني والمدني بذلك
 * (وحكى) عن الحسن البصري قال نزل سائل بمسجد فسأل الناس أن يطعموه كسرة
 فلم يطعموه فقال الله تعالى ملك الموت اقبط روحه فإنه جائع فقبض روحه فلما جاء المؤذن
 رآه ميتا فأخبر الناس بذلك فتهاونوا على دفنه فلما دخل المؤذن المسجد وجد الكفن
 في الخراب مكتوبا عليه هذا الكفن مردود عليكم بئس التوم أنتم استطعمتمكم فقير فلم تطعموه
 حتى مات جوعا من كان من أحببنا لا نكاه إلى غيرنا * (وحكى) أبو علي المصري قال كان لي
 جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثني بأعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءني شاب
 في بعض الأيام ملجج الوجه حسن الثياب فقال لي أتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى
 أوقفني على باب فدخل هنيئة فاذا بجارية هي أشبه الناس بالشاب فخرجت وهي تسمع
 عنينها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
 العظيم فدخلت الدار وإذا أنا بالشاب الذي جاءني بعالم ~~سكرا~~ الموت وروحه في لبتة
 وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم أجلس إليه حتى قبض فقلت سبحان الله
 هذا ولي من أولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فأخذت في غسله وأنا ارتعد فلما
 أدرجته أتت الجارية وهي أخته فقبلته وقالت أما لي سألق بك عن قريب فلما أردت
 الانصراف شكرت لي وقالت أرسل إلى زوجتك إن كانت تحسن ما تحسنه أنت فارتعدت
 من كلامها وعلمت أن الحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلي فقصةصت عليهما القصة
 وأتيت به إلى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله ندخل زوجتك
 فدخلت زوجتي وإذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت ففعلتم أزواجي وأنزلتم ألي أخيرا
 راحة الله عليهما (شعر)

أحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت * لبعديكم آصالها وضحاها
 وفارقت الدار لا نيسة فاستوت * رسوم مبيتها وفاح كلاها
 كأنكم يوم العراق رحلتكم * بنومي فعبثي لا تصيب كراها
 وكنت شحما من دموعي بقطرة * فقد صرت سمعا بعدكم بدماها
 يراني بساما خليلي يظن بي * سرورا وحشاى السقام ملاها
 وكمنه في القلب منها حرارة * يشب لظاها لو كشفت غطاها
 رعى الله أبا ما بطيب حديثكم * تقضت وحيها الحياوس قاهها
 فما قلت أيم بعدد المسامر * من الناس الأقال قلابي آها *

(وحكى) سري السقطي رحمه الله تعالى قال أرقبت ليله ولم أقدر على النوم فلما طلع الفجر صليت
 فلما أصبحت دخلت المارسة فإذا أنا بجارية مقيدة مغلولة وهي تقول
 تغل يدي إلى عنقي * وما خانت وما سرقت
 وبين جوانحي كبد * أحس بها قد احترقت
 قال فقلت للقيم ما هذه الجارية قال هذه جارية اختل عقلها فحبست لها ما تصلح فلما سمعت
 كلامه تبست وقالت

معشر الناس ما جئت وليكن * اناس كراثة وقلبي صاحي
لم غلسم يدي ولم آت ذنبيا * غير هتكى في حبه واقتضاسي
* انما فتونة بحب حبيب * لست أبغى عن بابه من براح
ما على من أحب مولى المولى * وارضاءه لنفسه من جناح
قال فلما سمعت كلامها بكيت بكاء شديدا فقالت يا سري هذا بكائك من الصفة فكيف لو عرفته
حق المعرفة قال فينما هي تكلمني اذ جاء سيدها فلما رآني عظمي فقلت والله هي أحق مني
بالتعظيم فلم فعلت بها هذا قال اتقصيرها في الخدمة وكثرة بكائها وشدة حنينها وأنيدها كأنها
تلكى لاتام ولاتند عما تلام وقد اشتريتها بعشرين ألف درهم لصناعتها فانهم اطربوا فقلت فما كان
بده أمرها قال كان العود في حجرها يوما فجعلت تقول

وحقك لا نقضت الدهر عهدا * ولا كذرت بعد الصفو وودا

ملائت جواني والقلب وجدا * فكيف أقتر يا سكرى وأهدا

فيا من ليس لي مولى سواء * ترالز رضى قنى بالباب عبدا

فقلت لسيدتها أطلقها وعلى ثمن افصاح وافقرهم من أين لك عشرون ألفا يا سري فقلت لا تجهل
على فقال تكون في المارستان حتى يوفيني ثمنها فقلت نعم قال سري فانصرفت وعيني تدمع
وقلبي يحترق وأنا والله ما عمدى درهم من ثمنها فبقي طول ليلتي أتضرع الى الله تعالى فاذا بطارق
يطرق الباب ففتحت فدخل على رجل ومعه ستة من الخدم ومعهم خمس بدر فقال أتعرفني
يا سري فقلت لا قال أنا أحمد بن المثنى كنت نائما فمفاتيها انت وقال لي يا أحمد اهل لك
في معاملتنا فقلت ومن أولى مني بذلك فقال اعمل الى سري السقلى خمس بدر من أجل الجارية
الفلاية فان لنا بها عناية قال سري فسجدت لله شكرا وجلست أتوقع طلوع الفجر فلما طلع
صلىنا واذكرنا وانصرفنا فمناضوا فسمعناها تقول

قد نصبرت الى أن * عيل من حبك صبرى

ضاق من غلى وقيدى * وامتهانى منك صدرى

ليس يحق عنك أمرى * يا منى قلبي وذخرى

* أنت قد تعترق رقى * وتفلك اليوم أسرى *

قال سري فبينما أنا أسمعهما واذا بولاهما قد جاء وهو يبكي فقلت لاباس عليك قد جئتالك برأس
مالك وربح عشرة آلاف درهم فقال والله لا فعلت ذلك قلت نزيديك قال والله لو أعطيتني
ما بين الخافق بين ما فعلت وهي حرة لوجه الله تعالى قال فتعجبت من ذلك وقلت ما كان هذا
كلامك بالامس فقال حبيبي لا توبخنى فالذى وقع لى من التوبخ كفانى وأشهدك انى
قد خرجت من جميع مالى صدقة في سبيل الله تعالى وانى هارب الى الله تعالى فبالحق لا تردنى
عن صبيتك فقلت نعم ثم التفت فرأيت صاحب المال يبكي فقلت ما يبكيك قال يا أسدة اذى
ما قبلنى مولاي لما ندبني اليه ورد على ما بذلت أشم ذلك أنى قد خرجت من جميع ما أملكه لله
تعالى في سبيل الله وكل عبد أملكه وجارية أحرار لوجه الله تعالى قال سري فقلت ما أعظم
بركتك يا جارية قال فنزعنا الغسل من عنقهما والقبض من رجلهما وأخرجناهما من المارستان

فتزعت ما كان عليها من ناعم الثياب ولبست خمارا من صوف ومدرعة من شعر ووات
قال سرى فتوجهت أنا ومولاهما وصاحب المال الى مكة فبينما نحن نطوف اذ سمعنا صوتا
فتبعناه فاذا هي امرأة كالخيال فلما رأني قالت السلام عليك يا سرى فقلت لها وعليك
السلام ورجة الله وبركاته من أنت فقالت لا اله الا الله وقع الشك بعد المعرفة فتأملت افاذا
هي الجارية فقلت لها اما الذي أقادك الحق بعدد انفرادك عن الخلق فتالت أنسى به ووحشتي
من غيرة ثم توجهت الى البيت وقالت الهى كم تخلفنى فى دار لا أرى فيها أنيسا قد طال شوقى
إليك فجهل قدوى عليك ثم شفت شهقة وخزت مينة رجمة الله تعالى عليها فلما نظر اليها
مولاهما بكى وجعل يدعو ويضعف كلامه الى أن خرا الى جانبها ميتة رجمة الله عليه فدفناهما
فى قبر واحد (شعر)

بحرمة ما قد كان بينى وبينكم * من الوذا لا ما رجعت الى وصلى
ولا تحرمونى نظرة من جمالكم * فلن نجدوا عبدا ذليلا لكم مثلى
فوالله ما يهوى فؤادى سواكم * ولورشة قوه بالاسنة والنيل

(وحكى) انه كان فى زمن بنى اسرائيل رجل من العباد الموصوفين بالزهد وكان قد سخر
الله له صحابة تسير معه حيث يسير فاعتراه فتور فى بعض الايام فأزال الله عنه صحابته وجب
اجابته فكثر لذلك حزنه وشجونه وطال كده وأنيته وما زال يشفق الى زمن الكرامة ويكي
ويتأسف ويتحسر ويتلهف فقام إليه من الليالى فصلى ماشاء الله وبكى وتضرع ودعا الله
تعالى ونام فقبيل له فى المنام اذا أردت أن يرد الله تعالى عليك صحابتك فانت الملك القلانى
فى بلد كذا واسأله أن يدعو الله لك أن يرد عليك صحابتك قال فسار الرجل يقطع الارض
حتى وصل الى تلك البلد التى ذكرت له فى المنام فدخلها وسأل من يرشده الى قصر الملك فجاء
الى القصر واذا عند بابيه غلام جالس على كرسي عظيم من الذهب الاحمر مرصع بالدر
والجوهر والناس بين يديه يسألونه حوائجهم وهو يصرف الناس فوقف الرجل الصالح بين
يديه وسلم عليه فقال له الغلام من أين أنت وما حاجتك فقال من بلاد بعيدة وقصدي
الاجتماع بالملك فقال له الغلام لا سيبل لك اليه اليوم فسل حاجتك أقضها لك ان استطعت
فقال ان حاجتى لا يقضيها الا الملك فقال الغلام ان الملك ليس له اليوم واحد فى الجمعة يجتمع
اليه الناس فيه فاذهب حتى يأتى ذلك اليوم فانصرف الرجل الى مسجد دائر وأقام يعبد الله
تعالى فيه وأتذكر على الملك لاحتجابه عن الناس فلما كان ذلك اليوم الذى يجلس فيه الملك
جاء الى القصر فوجد خلقا كثيرا عند الباب ينتظرون الاذن فوقف مع جملة الناس
فلما خرج الوزير أذن للناس فى الدخول فدخل أرباب الحوائج ودخل صاحب الصحابة معهم
واذا بالملك جالس وبين يديه أرباب دولته على قدر مراتبهم فجعل رأس التوبة يقدم الناس
واحد بعد واحد حتى وصلت التوبة لصاحب الصحابة فلما نظر اليه الملك قال مرحبا
بصاحب الصحابة اجلس حتى أفرغ من حوائج الناس وأنظر فى أمرك قال فتخير صاحب
الصحابة فى أمره فلما فرغ الملك من حوائج الناس قام من مجلسه فأخذ بيد صاحب الصحابة
وأدخله معه الى قصره ثم مشى به فى دهليز القصر فلم يجد فى طريقه الا مملوكا واحدا

فساربه حتى انتهى الى باب من جريد واذا به بناء مهديم وحيطان مائلة وبيت خرب فيه برش
وايس هنالك مايساوى عشرة دراهم الا بهادة خالقة وقدح للوضوء وحصى بركة وشئ من
الخصوص فانفتح الملك من ثياب الملك وابس مرقعة من صوف وجعل على رأسه قلنسوة من
شعر ثم جلس وأجلس صاحب الصحابة ونادى يا فلانة قالت ليك قال أتدريين من هو الليلة
ضيقتنا قالت نعم هو صاحب الصحابة فدعاهم بالحاجة فخرجت فاذا هي امرأة كالشن البالي
عليها مسح من شعر خشن وهي شابة صغيرة قال الرجل فالتفت الى الملك وقال يا أخي نطلعك
على حالنا ونقضى حاجتك وتنصرف فقلت والله لقد شغلني حالكم عما جئت بسببه فقلت
الملك ان الله يعلم انه كان لي في هذا الامر آباء كرام صالحون يتوارثون المملكة كابرا عن كابر
فلما توفوا الى رحمة الله تعالى ووصل الامر الى بغض الله الى الدنيا وأهلها فأردت أن أسبح
في الارض وأترك الناس ينظرون لهم من يسوس أمرهم فبذلكونه عليهم ثم تخفت عليهم
دخول الفتنة وتضييع الدين والشرايع وتبديد شمل الدين فبايعوني وأنا والله كاره فتركت
أمورهم على ما كانت عليه وجعلت السباط على عادته والحراس على حالها والمماليك على
دأبها ولم أغير شيئا وأقعدت المماليك على الابواب بالسلاح ارهابا لاهل الشرور وردعا عن
أهل الخير وتركت القصر من بنا على حاله وفكت له بابا وهو الذي رأيته يوصلني الى هذه
الخربة فادخل فيها وأنزع ثياب الملك وألبس هذا وأضفر الخوص وأبيعه وأتقوت من غنمه
أنا وزوجتي هذه التي رأيتموها هي ابنة عمي ذهبت في الدنيا كرهدي واجتهدت حتى صارت
كالثن البالي والناس لا يعلمون ما نحن فيه ثم اني أقتلى نائبا ينوب عني طول الجمعة وعلمت
اني مسؤول فجعلت لي يوما في الجمعة ابرز للناس فيه وأكشف عن مظالمهم كما رأيت وأنا على
هذه الحالة مدة فأقم عندنا يرحمك الله حتى نبيع خويصاتنا ونبتاع من غنمنا طعاما ونفطر
معنا ونبيت عندنا الليلة ثم تنصرف بحاجتك ان شاء الله تعالى فلما كان آخر النهار دخل
علينا غلام خاسي العمر فأخذنا عملا من خوص وساربه الى السوق فباعه واشترى من
غنمه خبزا وقلنا واشترى بباقي غنمه خوصا فلما كان عند الغروب أفطرا وأفطرت معهما
وبت عندهما قال فقاما في نصف الليل يصليان ويبيكان فلما كان عند السحر قال الملك
اللهم ان عبدك هذا يطلب منك رده هباته وانك قد دلت عليه علينا اللهم اردد هباته انك
على كل شئ قدير والمرأة تؤمن على دعائه واذا بالصحابة قد طلعت من قبل السماء فقال لي لك
البشارة بقضاء حاجتك وتجميل اجابتك قال فودعتم ما وانصرفنا والصحابة معي كما كانت
فأنا بهد ذلك لأسأل الله تعالى بسرهم ما شيا الا اعطاني اياه رحمة الله تعالى عليهم (شعر)

استعمل الصبر يعني بعده العسلا * ولازم الباب حتى تبلغ الاملا
ومرغ الخلد في أعتابه سحرا * واجعل لمرضاته في الحب كل بلا
* فبافوز بوصول يا أخي سوى * صب انقل الهوى والوجد قد حلا
هذا الحبيب ينادي في الدجى سحرا * فانمض وكن رجلا بالسعي قد وصل

(رحمى) عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال خرجت الى مكة حاجا فبينما أنا سائر اذ رأيت
شابا ساكنا لا يذكر الله تعالى فلما جئت الليل رفع وجهه نحو السماء وقال يا من لا تسره الطاعات

ولا تضره المعاصي هب لي ما لا يسرك واغفر لي ما لا يضرك ثم رأيناه بذي الحليفة وقد لبس
 احرامه والناس يلبون وهو لا يلبى فقلت هذا جاهل فدوت منه فقلت له يا فتى قال ابيك قالت
 لم لا تلبى فقال يا شيخ وما تغني التلبية وقد بارزته بذنوب سالفات وجرائم مكتوبات والله اني
 لا خشى أن أقول ابيك فيقول لا لبيك ولا سعيديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك فقلت له
 لا تنقل فانه حلیم اذا غضب رضى واذا رضى لم يغضب واذا وعد وفى وفى فوعده فاقال يا شيخ
 انشبر على التلبية قلت نعم فبادر الى الارض واضطجع ووضع خداه على التراب وأخذ يحجرا
 فوضعه على خداه الاخر وأسبل دموعه وقال لبيك اللهم لبيك قد خضعت لك وهذا
 مصرى بين يديك فاقام كذلك ساعة ثم مضى فارأيت به الابعثى وهو يقول اللهم ان الناس
 قد ذبحوا ونحروا وتقرّبوا اليك وليس لي شئ أتقرّب به اليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم شق
 شهقة وخترمتها رحة الله تعالى عليه * (وحكى) انه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبى
 عبد الله الاندلسى وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج في بعض السنين الى
 السباحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلى وغيرهما من مشايخ العراق قال
 الشبلى فلم نزل في خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى ان وصلنا الى قرية من قرى
 الكفار فطلبنا ماء فتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بربلك القرية واذا نحن بكائن وبهم اشمامسة
 وقساوسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا
 الى بئر في آخر القرية واذا نحن بجوارب تتقن الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه
 ما بين احسن ولا أجمل منها وفي عنقها قلادة الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه
 ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدللها أبوها وبكرمها ولا يدعها
 تستقى الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى اذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تعجبها
 نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه
 يؤذى القريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلى فتقدمت اليه
 وقلت له يا سيدى ان أصحابك ومريديك يتعجبون من ~~سكونك~~ ثلاثه أيام وانت ساكت
 لم تكلم أحدا قال فأقبل علينا وقال يا قوم اعلوا أن الجارية التي رأيتها بالأمس قد شفقت
 بها حبا واشتغل قلبى بها وما بقيت أقدر فأفارق هذه الارض قال الشبلى فقلت له يا سيدى
 أنت شيخ أهل العراق ومهروف بالزهد فى سائر الآفاق وعدد مرديك اثنا عشر ألفا
 فلا تفضنا واياهم بجمرة الكتاب العزيز فقال يا قوم جرى القلم بما حكم ووقعت في جهار العدم
 وقد انحلت عنى الولاية وطوبت عنى أعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال يا قوم
 انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من ~~مكره~~
 ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه واجهين الى بغداد فخرج الناس الى اقامته
 ومريدوه في جملة الناس فلم يروه فساووا عنه فمقرنتاهم بما جرى فمات من مرديده جماعة
 كثيرة حزنا عليه وأسفا وجهه لى الناس سيكون ويتضرعون الى الله تعالى ان يرده عليهم
 وغاقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فأقننا سنة كاملة وخرجت

مع بعض أصحابي نكشف خبره فأبينا القرية فسألنا عن الشيخ فقبل لنا في البرية يرى
الخنزير قلنا وما السبب في ذلك قالوا انه خطب الجارية من أيها فأبى أن يتوجهما إلا من
هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكائن ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله
وهما هو في البرية يرى الخنازير قال السبب في ذلك فأنصت قلبنا وانهم ملت بالبعاء عيوننا
وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما رأى أننا نكسر رأسه واذا عليه قلنسوة النصراري
وفي وسطه زنار وهو متوكئ على العصا التي كان يتوكأ عليها اذا قام الى المهراب فسلمنا عليه
فرد علينا السلام فقلنا يا شيخ ماذا وماذا وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الاحاديث
والعلوم فقال يا اخواني وأصحابي ليس لي من الامر شيء سيدي تصرفت في كيف شاء وحيث
أراد أبعدني عن بابي بعد أن كنت من جملة أحبائه فالحذر الحذر يا أهل وداؤه من صدته
وابعادته والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من الطبيعة والجفاء ثم رفع طرفه الى السماء وقال
يا مولاي ما كان ظني فيك هذا ثم جعل يستغيث ويكي ونادى يا شبلي اتعظ بغيرك فتنادى
الشبلي بأعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكالل انكشف عنا هذه
الغمة بحملك فمددهمنا أمر لا كشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاءهم وضجيجهم
أقبلت اليهم ووجهات تترغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دويت منها الجبال
قال الشبلي فظننت أن القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلي فقلنا له
هل لك أن ترجع معنا الى بغداد فقال كيف لي بذلك وقد استرعت الخنازير بعد أن كنت
أرعى القلوب نقات يا شيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيئا فقال
نسيته كله الا آيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى ومن ين الله فلا من م كرم ان الله
يفعل ما يشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت
يا شيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيئا
قال حديثا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلي فتركناه
وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره نسرنا ثلاثة أيام واذا نحن به أمامنا قد تطهر من نهر وطاع
وهو يشهد شهادة الحق ويحسدنا سلامه فلما رأينا لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر
الينا وقال يا قوم أعطوني ثوبا طاهرا فأعطيناها ثوبا فلما لبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذي
وذلك علينا وجمع شملنا بك فصاف لنا ما جرى لك وكيف كان أمرنا فقال يا قوم لما وليتم من عندي
سأله بالوداد القديم وقات له يا مولاي أنا المذنب الجاني فعف عني بجوده وبستره غطاني فقلنا
له يا الله نسألك هل كان لمحتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكائن
قلت في نفسي ما قدر هو لا عندي وأنا مؤمن موحد فوديت في سرى ليس هذا منك ولو شئت
عرفت لك ثم أحسست بطائرة قد خرج من قلبي فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلي
ففرحتنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفقت الزوايا والرباطات
والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون
ألفا وأقام على ذلك زمانا طويلا ورداه عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث
وزاده على ذلك فيمنعنا نحن جلوس عنده في بعض الايام بعد صلاة الصبح واذا نحن بطارق

بطرف باب الزاوية فنظرت من الباب فإذا شخص ملتف بكساء أسود فقات له ما الذي تريد فقال
 قل لشيخكم ان الجارية الرومية التي تركتم بالقرية الفلانية قد جاءت لحديثك قال قد خات
 فعرفت الشيخ فاصفروا وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها
 الشيخ كيف كان مجيئك ومن أوصاك الى ههنا قالت يا سيدي لما ولت من قريةنا جاءني
 من أخبرني بك فبت ولم يأخذني قرار فرأيت في منامي شخصا وهو يقول ان أحبت أن تكوني
 من المؤمنات فاتركي ما أنت عليه من عبادة الاصنام واتبعي ذلك الشيخ وادخلي في دينه فقلت
 وما دينه قال دين الاسلام فأت وما هو قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت
 كيف لي بالوصول اليه قال أنمضي عيني وأعطيني يدك ففعلت فمضى قليلا ثم قال افتحي
 عينيك ففتحتهما فإذا أنا بشاطئ الدجلة فقال امضي الى تلك الزاوية وأقرني الشيخ مني السلام
 رقبولي له ان أخاك الخضر لم يملك قال فدخلها الشيخ الى جواره وقال تعبدني ههنا
 فكانت اعبد أهل زمانهم اتصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونهم افترضت مرض
 الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل علي قبل الموت
 فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليه فلما رآته بكت فقال لها لا تبكي فان اجتماعنا بعد في القيامة
 في دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعد لها أياما قلائل حتى مات
 رحمة الله تعالى عليه قال الشيخ لي فرأيت في المنام وقد تزوج بسبعين حورا وأول ما تزوج
 بالجارية وهم ما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
 أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وصلى الله على سيدنا محمد ودعو على آله
 وصحبه وسلم

الباب الثاني والثلاثون في ذكر الاشرار والفجار وما يرتكبون
 من الفواحش والوقاحة والسفاهة

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قبل قيام الساعة
 يرسل الله ريحا باردة طيبة فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الخلق يتهارجون تهارج
 الحمير وعاليهم تقوم الساعة وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى كفى بالمرء شرا أن لا يكون
 صالحا ويقع في الصالحين وقال لقمان لابنه يا بني كذب من قال الشر يطغى الشر فان كان
 صادقا فليوقد نارين ثم ينظر هل تطفئ احدهما الاخرى وانما يطفئ الشر الخير كما يطفئ
 الماء النار ووصف بعضهم رجلا من أهل الشر فقال فلان عري من حلة التقوى وهي عنه
 طابع الهدى لا تنبيه المراقبة ولا تنكف خيفة المحاسبة وهو لدعائمه دينه مضيع ولدواهي
 شيطانه مطيع (شعر)

كأنه التيس قد أودى به هرم * فلا لحم ولا صوف ولا غر

وقيل من فعل ما شاء لقي ما شاء وقيل زنى رجل بجارية فأحبها ففعلوا به ما فعلوا بالله هلا
 اذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغني أن المرء لم يكره قالوا فما بلغك أن الزنا حرام
 وقيل لأعرابي كان يتعشى في قينة ما يضرك لو اشتريت به بعض ما تنفق عليه قال
 فن لي اذ ذاك بلذة الخلة واقفاء المسارقة وانتظار الموعد وقال أبو العيساء رأيت جارية

مع النخاس وهي لمخلف أن لا ترجع لولاها فسادتهم عن ذلك فقالت يا سيدي انه يواقعني من قيام ويصلي من قعود ويستقي بأعراب ويلطن في القرآن ويصوم الخبيس والاشنين ويفطر رمضان ويصلي النحر ويترك القرض فقالت لأكثر الله في المسلمين مثله وكانت ظلمة القوادسة هي صغيرة في المكتبة تسرق دويات الصبيان وأقلامهم فلما شئت زنت فلما كبرت قادت وقال صاحب المسالك والممالك ان عامة ملوك الهند يرون الزنا سباحة لا ملك قمار قال الزنجشيري رحمه الله أقت بقمار سمين فلم أرمك كأغبيرو منه وكان يعاقب على الزنا وشرب الخمر بالقتل وقار ينسب اليها العود القماري كما ينسب الى منديل قال مسكين الدارمي

ولا ذنب للعود القماري انه * يحرق ان غنت عليه روائحه

وقال ابن عباس رضي الله عنهما عهدت الناس وهو اثم تبع لاديانهم وان الناس اليوم اديانهم تبع لاهوائهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم (ما جاء في الوقاحة والسفاهة وذكر الغوغاء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تسح فاصنع ما شئت وفي ذلك قيل

اذا لم تصن عرضا ولم تحش خالفا * وتسح مخلوقا فاشتت فاصنع

وقال ابن سلاّم العاقل شجاع القلب والاجنى شجاع الوجه وذم رجل قوماف قال وجوههم وأيديهم حديد أي وقاح بخلافه ووصف رجل وقحا فقال لودق الجارية بوجهه لرضها ولو خلا بأمة تارة لكعبة لسرقها قال الشاعر

لو أن لي من جلد وجهك رقعة * لجلعت منها حافر اللاشهب

وقال آخر

اذا رزق الفقى وجهها وقاحا * تقلب في الامور كإيشاء

وقال أنوشروان أربعة قبائح وهي في أربعة أقبح البخل في الملوك والكذب في القضاة والحسد في العلماء والوقاحة في النساء ويقال من جسر أيسر ومن هاب خاب قال الشاعر

لأنكونن في الامور هيوبا * فالى خيبة بصير الهيوب

وقال علي رضي الله عنه اذا هبت أمر افقع فيه فان شرت توقيه أعظم مما تخاف منه وقال رضي الله عنه الغوغاء اذا اجتمعوا ضروا واذا افترقوا انفعوا فقبل قد علمنا مضرة اجتماعهم فاما منفعة افتراقهم قال يرجع أهل المهن الى مهنتهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء الى بناءه والتساج الى منسجه والخباز الى مخبزه وقال بعض الساف لا تسبوا الغوغاء فانهم يطفئون الحريق ويخرجون الغريق وقال الاحنف ما قل سفهاء قوم الاذلوا وقال حكيم لا يخرجن أحد من بيته الا وقد أخذ في حجره قيراطين من جهل فان الجاهل لا يدفعه الا الجهل أراد السفة قال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقيل الجاهل من لا جاهل له أي من لا سقيه له يدفع عنه وقيل بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس اذ جاء اعرابي فاطمه فقام اليه واقر بن عمر فجلده الارض فقال عمر ايس

يعزى من ايس في قومه سفيه وقال الشاعر
ولا يلبث الجهال أن يتهموا * أخا الحلم ما لم يستعن بجهول
وقال صالح بن جناح

إذا كنت بين الجهل والحلم قاعدا * وخبرت أني شئت فالعلم أفضل
ولكن إذا أنصفت من ليس منصفاً * ولم يرض منك العلم فالجهل أمثل
وقال الاحنف بن قيس

وذي ضغن أبت القول عنه * بحلم فاستقر على المقال
ومن يحلم وليس له سفيه * يلاقى المضلات من الرجال
وقال آخر

فان كنت محتاجا الى العلم اني * الى الجهل في بعض الاحايين احوج
ولي فرس للخير بالخير لمجمل * ولي فرس للشر بالشر مسرج
* فن رام تقوى فاني مقوم * ومن رام تعويجي فاني معوج
وقال آخر

فان قيل حلم قلت للعلم موضع * وحلم اتقى في غير موضعه جهل
اللهم انا نعوذ بك أن نجعل أو يجعل علينا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث والثلاثون في الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الامجاد واحاديث الاجواد

اعلم أن الجود بذل المال وأنفعه ما صرف في وجه استحقاقه وقد ندب الله تعالى اليه في قوله
تعالى ان تناووا البر حتى تنفقوا مما تحبون قيل ان الجود والسخاء والايتار بمعنى واحد وقيل
من أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر فهو صاحب جود
ومن آثر غيره بالحاضر وبقي هو في مقاساة الضرر فهو صاحب ايتار وأصل السخاء هو
السماحة وقد يكون المعطى بخيلا اذا صعب عليه البذل والممسك سخيا اذا كان لا يستصعب
العطاء (فن الايتار ما حكى) عن حذيفة العدي أنه قال انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن
عملى في القتلى ومعى شئ من الماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به بين القتلى فقلت له
أسقيك فأشار الى أن نعم فاذا برجل يقول آم فأشار الى ابن عمى أن أنطق اليه وأسقيه فاذا هو
هشام بن العاص فقلت أسقيك فأشار الى أن نعم فسمع آخر يقول آم فأشار الى أن أنطلق اليه
فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد
مات (ومن عجائب ما ذكر في الايتار) ما حكاه أبو محمد الأزدي قال لما احترق المسجد بدمر ووطن
المسلمون أن النصارى أحرقوه فأحرقوا خاناتهم ثم فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا
الخانات وكتب رقاعا فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم فن وقع عليه رقعة فعسل به ما فيها
فوق رقعة فيها القتل بـ درجل فقال والله ما كنت أبالي لو لا أتملى وكان يجنبه بعض
القتيان فقال له في رقعتي الجلد وليس لي أم فخذ انت رقعتي وأعطى رقعتك ففعل فقتل ذلك

الفتى وتخلص هذا الرجل وقيل لقيس بن سعد هل رأيت قط اسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية
على امرأتها فجاء زوجها فقالت له انه نزل بشاخصه فبان فجاء بناقته ففخرها وقال شأنكم فلما كان
من الغد جاء بأخرى ففخرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحررت البارحة الا القليل فقال
اني لا أطمع ضيفاني البات فبقينا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل
وضعه مائة دينار في يده وقلنا للمرأة اعذري انما اليه وضيئنا فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح
خلفنا قفوا أيها الركب اللئام أعطيتونا نحن قرانا ثم انه طعنا وقال خذوها والاطعنكم برمحي
هذا فخذناها وانصرفنا وقال بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة
النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخصاص والعلم بجميع خصال الخير من فروعه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تجاوزوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عرف فأتى
له كلما افتقر وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال ما مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
قط فقال لا وعنه صلى الله عليه وسلم لم أنه قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب
من الجنة بعيد من النار والنجيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار
ولجاءه لـ حتى أحب إلى الله من عابد بجهل وقال بعض السلف منع الموجد سوء ظن
بالمعبود وتلا قوله تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال الفضيل
ما كانوا يعدون القرص معروفا وقال الحكماء من صنف صاحب المعروف لا يقع وان وقع
وجده متكا وقيل للحسن بن مسلم لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير فقلب اللفظ
واستوفى المعنى ووجدته مكتوبا على حجر انتم ز القرص عند امكانها ولا تحمل نفسكم هم
مالم يأنك واعلم أن تقبلك على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع ليعمل حليته وقال علي
رضي الله عنه ما جئت من المال فوق قوتك فانما أنت فيه خازن لغيرك وقال النعمان بن
المنذر يوم ما جلساته من أفضل الناس عيشا وأنعمهم بالآ والأكرمهم طباعا وأجلهم في النفوس
قد رافسكت القوم فقام فتى فقال أبيت اللعن أفضل الناس من عاش الناس في فضله فقال
صدقت وكان أسما بن خارجة يقول ما أحب أن أردأ حذاء عن حاجة لانه ان كان كريما
أصون عرضه أولتجاء أصون عنه عرضي وكان مورك الهبلي يتلطف في ادخال السرور والرفق
على اخوانه فبضع عنده أدهم البسيرة ويقول له امسكها حتى أعود اليك ثم يرسل يقول له
أنت منها في حل وقال الحسن بن رضي الله عنه باع طلحة بن عثمان رضي الله عنه أرضا
بسيعة مائة ألف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبت هذا عنده لا يدري ما يطرقه لغير بالله
تعالى ثم قسمه في المسلمين ولما دخل المنكدر على عائشة رضي الله عنها قال لها يا أُم المؤمنين
أصابني فاقة فقالت ما عندي شيء فلو كان عندي عشرة آلاف درهم لبعثت بها اليك فلما خرج
من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالد بن أسيد ف أرسلت بها اليه في أثره فأخذها
ودخل بها السوق فاشترى جارية بألف درهم فولدت له ثلاثة أولاد فكانوا عباد المدينة وهم
محمد وأبو بكر وعمر بنو المنكدر وأكرم العرب في الاسلام طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه
جاء اليه رجل فسأله برحم يئنه وبينه فقال هذا حاطي بكان كذا وكذا وقد أعطيت فيه مائة
ألف درهم يراح الى المال العشية فان شئت فالمال وان شئت فالخاط وقال زياد بن جبر

رأيت طلحة بن عبيد الله فترق مائة ألف في مجلس وأنه ليخيط ازاره بيده. وذكر الامام أبو
 علي القالي في كتاب الامالي أن رجلاً جاء الى معاوية رضي الله عنه فقال له سألتك بالرحم
 التي بيني وبينك الا ما قضيت حاجتي فقال له معاوية أمتن قريش أنت قال لا قال فأى رحم
 بيني وبينك قال رحم آدم عليه السلام قال رحم محمودة والله لا كون أول من وصلها ثم قضى
 حاجته (وروى) أن الأشعث بن قيس أرسل الى عدي بن حاتم يستعير منه قدورا كانت
 لابي حاتم فلا هاما لا وبعث بها اليه وقال انا لانهيرها فارغة وكان الاستاذ أبو سهل الصعلوكي
 من الاجواد لم يناول أحدا شئاً وانما كان يطرحه في الارض فيتناول له الا خدم من الارض
 وكان يقول الدنيا أقل خطر من أن ترى من أجهلها يد فوق يد أخرى وقد قال النبي صلى الله
 عليه وسلم البدا العليا خير من البدا السفلى وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهما عن
 الكرم فقال هو التبرع بالمعروف قبل السؤال والرأفة بالسائل مع البذل وقدم رجل من
 قريش من سفر فتر على رجل من الاعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به
 المرض فقال له يا هذا أعنا على الدهر فقال لفلان ما بقي معك من التفتة فادفعه اليه فصب
 في حجره أربعة آلاف درهم فبهتم ليقوم فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك
 لهالك استقلت ما دفعناه اليك فقال لا والله ولكن ذكرت ماتنا كل الارض من كرمك فأبكاني
 وقال بعضهم قصد رجل الى صديق له فمدق عليه الباب فخرج اليه وسأله عن حاجته فقال على
 دين كذا وكذا فدخل الدار وأخرج اليه ما كان عليه ثم دخل الدار بكافكا قالت له زوجته
 هلا قتلت حيث شئت عليك الاجابة فقال انما أبكى لاني لم أتفق حاله حتى احتاج الى ان سألني
 ويروي أن عبيد الله بن أبي بكر وكان من أجود الاجواد عطش يوماً في طريقه فاستسقى من
 منزل امرأة فأخرجت له كوزاً وقامت خلف الباب وقالت تنصوا عن الباب وياخذ بعض
 غلمانكم فاني امرأة عزب مات زوجي منذ أيام فشرب عبيد الله الماء وقال يا غلام احمل اليها
 عشرة آلاف درهم فقالت سبحان الله انسخر بي فقال يا غلام احمل اليها عشرين ألفاً
 فقالت أسأل الله العافية فقال يا غلام احمل اليها ثلاثين ألفاً فاستأمت حتى كثر خطاها
 وكان رضي الله عنه يتفق على أربعين داراً من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره وأربعين
 أمائه وأربعين خلقه وبيع اليهم بالاضاحي والكسوة في الاعياد ويعتق في كل عيد مائة
 مملوك رضي الله عنه ولما مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ اخوانه في العيادة فسأل
 عنهم فقيل له انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخري الله ما لا يمنع عني الاخوان من
 الزيارة ثم أمر منادياً بنادي من كان اقبس عنده مال فهو منه في حل فمكسرت عتبة بابيه
 بالعشى لكثرة العواد وكان عبيد الله بن جعفر من الجود بالمكان المشهود وله فيه أخبار يكاد
 سامعها ينكرها بعد ما عن المعهود وكان معاوية يعطيه ألف ألف درهم في كل سنة فيفترقها
 في الناس ولا يرى الا وعلية دين وسمن رجل بهيمة ثم خرج بها لبيعهها فتر بعبد الله بن جعفر
 رضي الله عنه فقال يا صاحب البهيمة أتبيعهها قال لا ولكنها هي لك هبة ثم تركها له وانصرف
 الى بيته فلم يلبث الا يسيراً واذا بالجمالين على بابيه عشرين نفراً عشرة منهم يحملون حنطة
 وخمسة لحما وكسوة وأربعة يحملون فاكهة وثلاثة واحد يحمل مالا فأعطاه جميع ذلك

واعتذر اليه رضى الله عنه ولما مات معاوية رضى الله عنه وفد عبد الله بن جعفر على يزيد
ابنه فقال كم كان أمير المؤمنين معاوية يعطيك فقال كان رحمه الله يعطينى ألف ألف
فقال يزيد قد زدنا لك لترجلك عليه ألف ألف فقال بأبى وأبى أنت فقال ولهذه ألف ألف
فقال أما انى لا أقولها لاحد بعدك فقبل يزيد أعطيت هذا المال كله من مال المسلمين
لرجل واحد فقال والله ما أعطيت له الا لجمع أهل المدينة ثم وكل به يزيد من صحبه وهو لا يعلم
لينظر ما يفعل فلما وصل المدينة فرّق جميع المال حتى احتاج بعد شهر الى الدين وخرج رضى
الله عنه هو والحسنان وأبو دحية الانصارى رضى الله عنهم من مكة الى المدينة فأصابهم
السماء بقطر فلبثوا الى خباء أعرابي فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء فذبح لهم
الاعرابي شاة فلما ارتحلوا قال عبد الله للأعرابي ان قدمت المدينة فسل عنا فاحتاج
الاعرابي بعد سنة من فقلت له امرأته لو أتيت المدينة فقلت أوائك الفتيان فقال قد نسيت
أسماءهم فقلت سل عن ابن الطيار فأتى المدينة فلقى سيدنا الحسن رضى الله عنه فامر له بمائة
ناقة بفعلها ورعاتها ثم أتى الحسين رضى الله عنه فقال كفانا أبو محمد مؤنة الابل فامر له
بالف شاة ثم أتى عبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال كفاني اخواني الابل والشياه فامر له
بمائة ألف درهم ثم أتى أبادحية رضى الله عنه فقال والله ما عندي مثل ما اعطوك ولكن ائتمنى
بابلك فأوقر هالك ثم افرم يزل اليسار في عقب الاعرابي من ذلك اليوم وقال الحسن والحسين
يوما لعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم انك قد أسرفت في بذل المال فقال بابي انتم ان
الله عز وجل عودنى أن يتفضل على وعودته أن أتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة
فيقطع عني المائدة وامتدحه نصيب فأمر له بخيل وأثاث ودنانير ودرهم فقال له رجل مثل
هذا الاسود تعطى له هذا المال فقال ان كان أسود فاق شأه أبيض ولقد استحق بما قال أكثر
مما نال وهل أعطيت له الا ثيابا تبلى وما لا يفنى وأعطانا مدحاً يروى وثناء يبقى وخرج عبد الله
رضى الله تعالى عنه يوماً الى ضيعة له فنزل على حائط به نخيل لقوم وفيه غلام أسود يقوم عليه
فأتى بقوة ثلاثة أقراص فدخل كب فدا من الغلام فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه
بالتاني والثالث فأكلهم ما وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال
فلم آثر هذا الكب قال أرضنا ما هي بأرض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جائعاً
فكرهت أن أردّه قال فأت صانع اليوم قال أطوى يومى هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام
على السخاء وان هذا الاسخى منى فاشتري الحائط وما فيه من النخيل والآلات واشترى الغلام
ثم أعتقه ووجهه الحائط بما فيه من النخيل والآلات فقال الغلام ان كان ذلك لي فهو في سبيل
الله تعالى فاستعظم عبد الله ذلك منه فقال يجود هذا وأبخل انالا كان ذلك أبداً وكان عبد الله
ابن عباس رضى الله عنه مامناً الاجواد أنه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال يا ابن
عباس ان لي عندك يد او قد احتجت اليها فضع يدك فيه بصممه فلم يعرفه فقال ما يدك قال رأيتك واقفاً
بفناء زمزم وغلامك يجمع لك من مائه والشمس قد صهرتك فظلمتك بفضل كسانى حتى شربت
فقال أجل انى لا ذكر ذلك ثم قال للغلام ما عندك قال مائة دينار وعشرة آلاف درهم فقال
ادفعها اليه وما أراها تبنى بحق يده وقدم عبد الله بن عباس رضى الله عنه ما على معاوية

مرة فاهدى اليه من هدايا النور زحلا كثيرة ومساكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها فقال له هل في نفسك من شئ قال ذم والله ان في نفسي منهما ما كان في نفسي يعقوب من يوسف عليم ما السلام فضحك عبد الله وقال خذها فهي لك قال جعلت فدائك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيمقدد على قال فاختمها بخاتمك وسلمها الى الخازن فاذا كان وقت خروج جناحناها اليك ليلا فقال الحاجب والله له ذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم وحبس معاوية عن الحسين بن علي رضي الله عنهما صلواته فقبل له لو وجهت الى ابن عمك عبد الله بن عباس فانه قدم بنحو ألف ألف فقال الحسين واني تقع ألف ألف من عبد الله فوالله له واجود من الریح اذا عصفت وأسخى من البحر اذا زخر ثم وجه اليه مع رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية صلواته عنه وضيق حاله وانه يحتاج الى مائة ألف درهم فلما قرأ عبد الله كتابه انهم مات عيناه وقال ويلك يا معاوية أصبحت ابن المهادر فيع العماد والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ثم قال لو كيلة اجل الى الحسين بن نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودواب وأخبره اني شاطرته فان كفاه والا اجل اليه النصف الثاني فلما أتاه الرسول قال ان الله وانا اليه راجعون ثقلت والله على ابن عمي وما حسبت أنه يسمح لنا بهذا كله رضوان الله عليهم أجمعين وجاء رجل من الانصار الى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال له يا ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم انه ولد لي في هذه الليلة مولود واني سميت به باسمك تبر كابل وان أمه ماتت فقال له بارك الله لك في الهبة واجرك على المصيبة ثم دعا بوكيلة وقال له انطلق الساعة فاشتر له مولودا جارية تحضنه وادفع لايه ما تقي دينار لينفقها على تربيته ثم قال لا انصاري بعد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفي العيش ييسر وفي المال قلة فقال الانصاري جعلت فدائك لو سبقت حاتم يوم ما ذكرته العرب وقال أبو جهم بن حذيفة يوما لمعاوية أنت عندنا يا أمير المؤمنين كما قال ابن عبد كلال

يقينا ما نخاف وان ظننا * به خيرا أرانا يقينا
نميل على جوانبه كأننا * اذا ملنا نميل على آيينا
نقلبه لنخبر حاله * فنخبر منهما كرمنا ولبنا

فأمر له بمائة ألف درهم وأنشده عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما

يلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ختمال وقال
ولم أرفى الخطوب أشد وقعا * وامضى من معاداة الرجال
وذقت مرارة الاشياء طرا * فاشئ أمر من السوال

فأعطاه مائة ألف درهم ودخل عليه الحسن يوما وهو مضطجع على سريره فسلم عليه وأقعدته عنده وجلس به وقال له ألا تعجب من قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تزعم اني است للخلافة أهلا ولا لها موضعا فقال له الحسن أو عجباً مما قالت قال كل العجب قال الحسن وأعجب من هذا كله جلوسى عند رجل بك فاستحيا معاوية واستوى جالسا ثم قال أقسمت عليك يا أبا محمد الا ما أخبرتنى كم عليك ديننا قال مائة ألف درهم فقال يا غلام أعط أبا محمد ثلثمائة ألف درهم مائة ألف يقضى به دينه ومائة ألف ينثرها على مواليه

ومائة ألف يستعين بهم اعلی نوابه وسوقها اليه الساعة وكان معن بزائدة من الاجواد وكان
عاملا على العراق بالبصرة قيل انه أتى اليه بعض الشعراء فاقام بيباه مدة يريد الدخول عليه فلم
يتيأله ذلك فقال يوما لبعض الخدم اذا دخل الامير البستان فعزني فلما دخل أعلمه بذلك فكتب
الشاعر بيتا ونقشه على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن جالساً على القنطرة
فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فاذا فيها بيت مفرد

أيا جوده عن ناج معنا بحاجة * فليس الى معن سوال شفيع

فقال من الرجل صاحب هذه فاني به اليه فقال كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشر
بدر فاخذها وانصرف ووضع عن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثاني اخرجها
من تحت البساط ونظر فيها وقال على بالرجل صاحب هذه فاني به فقال له كيف قلت
فانشده البيت فامر له بعشر بدر فاخذها وانصرف ووضع عن الخشبة تحت بساطه
فلما كان في اليوم الثالث اخرجها ونظر فيها وقال على بالرجل صاحب هذه فاني به اليه
فقال له كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشر بدر فاخذها وتفكر في نفسه وخاف
أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج من البلد عامعه فلما كان في اليوم الرابع طلب الرجل فلم يجد
فقال من لقي دسا والله ظنه واقدهم مت أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولادي نار
وفيه يقول القائل

يقولون معن لازكاة الماله * وكيف يزكى المال من هو باذله
 اذا حال حول لم تجد في دياره * من المال الا ذكره وبعائله
 تراه اذا ما جمته فتمللا * كأنك تعطيه الذي أنت نائله
 تعود بسط الكف حتى لو انه * أراد انقباضا لم تطعه أتايله
 فلم يكن في كفه غير نفسه * لجأد بها فاستق الله سائله

وَمِنْ قَوْلِهِمْ

دعيتي انهب الاموال حتى * أعف الاكرمين عن اللئام

وكان يزيد بن المهلب من الاجواد الاسخياء وله اخبار في الجود عجيبه من ذلك ما حكاه عقيل بن
أبي طالب رضي الله عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج الى واسط أتته فقالت ايها الامير ان
رأيت أن تاذن لي فاصحبك قال اذا قدمت واسط فاقنته ان شاء الله تعالى فسا فر وأقت فقال لي
بعض اخواني اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قالوا أتر يد من يزيد جوابا اكثر مما قال
قال فسمرت حتى قدمت عليه فلما كان في الليل دعيت الى السمر فحدثت القوم حتى ذكروا
الجواري فالتفت الى يزيد وقال ايها باعة بل فقلت

افاض القوم في ذكر الجوارى * فاما الاعزوبون فلن يقولوا

قال انك لم تنق عزبا فلما رجعت الى قنزلى اذا انا بمخاض قد اثنانى ومعه جارية وفرش بيت
وبدرة عشرة آلاف درهم وفي الليلة الثانية كذلك فكنيت عشرا بال وانا على هذه الحالة
فلما رايت ذلك دخلت عليه في اليوم العاشر فقلت ايها الامير قد والله اغنيت واقنيت فان
رايت ان تاذن لى فى الرجوع فاصبت عدوى واسر صديقى فقال انما اخبرك بين

خلمين اما ان تقيم فنوليسك أو ترحل فنغنيك فقلت أولم تغني أيها الأمير قال انما هذا أثاث المنزل ومصلحة القيدوم فنالني من فضله ما لا أقدر على وصفه وحدث أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلا فاجاب رأسه بخاؤه بحلاق فخلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم فقصر الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسة آلاف وأمضي إلى أم فلان أخبرها أنني قد استغنيت فقال أعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امرأته طالق ان حلفت رأس أحد بعدك وقيل ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مئة مائة ألف درهم فجمعت له وهو في السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لي عليه فقال انه في مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما نيت متوجه لما هو فيه ولم آت ممتدحا فاذن له فلما أبصره قال

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذوو الحاجات أين يزيد
فما طرت بالشرق بعدك قطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود
وما سرور بعدك عزك بهجة * وما الجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة ألف درهم التي جمعت لنا ودع الحجاج ولحي يفعل فيه ما يشاء فقال الحاجب للفرزدق هذا الذي خفت منه لما منعك من دخولك عليه ثم دفعها اليه فأخذها وانصرف ومز يزيد بن المهلب عند خروجه من حجن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بمحوز أعرابية فذبحت له عنزاً فقال لانه ما بهك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسر وهي لا تعرفك قال ان كان يرضيها اليسر فأنا لا أَرْضِي الا بال كثير وان كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي وقال مروان بن أبي الحبيب الشاعر أمر لي المتوكل بمائة وعشرين ألفاً وخمسين فبأورواحل كثيرة فقلت أيتها في شكره فلما بلغت قولي فأمسك ندي كفيك عني ولا تزد * فقد خفت أن اطغى وأن أتجبرا

فقال والله لا أمسك حتى أغرقك بجودي وأمر له بضريح تقوم بألف ألف وقال أبو العيضاء تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب في الدولة المروانية وعلى البرامكة في الدولة العباسية ثم اتفقوا على أن أجند بن أبي دؤاد أسكني منهم جميعاً وأفضل ودمي لمحق الموصل عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فينعمل بحسب ما يجد وفي يحيى يقول القائل

سألت الندي هل أنت حر فقال لا * والكنني عبد ليحيى بن خالد
فقات شراء قال لا بل وراثة * توارثني من والد بعد والد

وفي الفضل يقول القائل

اذ انزل الفضل بن يحيى بيادة * رأيت يهاغيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سبل حاجة * ولا بمكب في ثرى الارض ينكت

وفي محمد يقول القائل

سألت الندي والحدود مالي أراكما * تهذا عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهتما * فقالا أمينا بن يحيى محمد

فقلت فهـ الامتـاع بعد موته * وقد كنت اعبد به في كل مشهد
فقال أقنأ كي نهـ زى بفقدته * مسافة يوم ثم تتـ الوه في غد
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه من كانت له الى حاجة فليرفهها الى
في كتاب لاصون وجهه عن المسئلة وجاهه رضي الله عنه أعرابي فقال يا أمير المؤمنين ان لي
اليك حاجة الحياء يمنعني أن أذكرها فقال خطها في الارض فكتب اني فقير فقال يا قنبرا كسه
حامي فقال الاعرابي

كسوتني حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسول من حسن الثنا حال
ان نالت حسن الثنا قد نالت مكرمة * وليس تبـ بي بما قد متـ به بدلا
ان الثناء ليحي ذكرك صاحبـه * كالغيث يحيي نداء السهل والجبل
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزي بالذي فعـ لا
قال يا قنبر زده مائة دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتهم في المسلمين لاصلحت بهم من شأنهم فقال
رضي الله عنه صه يا قنبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن أثنى عليكم
واذا أناكم كرم قوم فأكرموه واعبدوا الله بن جدعان

اني وان لم ينـل مالي مداخلي * وهاب ما ملكت كفي من المال
لأحبس المال الاحيث أنفقه * ولا يغـ يرني حال الى حال
وقال بعض العرب لولده يا بني لا تزهدن في معروف فان الدهر ذو صروف فكم راغب كان
مرفوبا اليه وطالب كان مطلوبا ما لديه وكن كما قال القائل
وعتـ من الرحمن فضلا ونعمة * عليك اذا ما جاء للخير طالب
ولا تمنـ ذا حاجة جاء راغبا * فانك لا تدري متى أنت راغب

وقال بعضهم

أبيت خيمص البطن عريان طاويا * وأثر بالزاد الرفيق على نفسي
وامنحه فرشي وأقترش الثرى * وأجعل ستر الليل من دونه لبسي
حذار أحاديث المهافل في غد * اذا ضمقي يوما الى صدره رمسي
وقال يحيى البرمكي أهـط من الدنيا وهي مقبلة * فان ذلك لا ينقصك منها شيئا واعط منها وهي
مدبرة فان منعك لا يبقى عليك منها شيء فأفكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول لله دره
ما أطبعه على الكرم واعلمه بالدنيا وقد أمر يحيى من نظمه فقال

لا تجلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
فان نوات فاحرى أن تجود بها * فليس تبقي ولكن شكرها خلت

وقال يحيى لولده جعفر يا بني ما دام قلبك يرعد فأمره معروف فقال بعضهم

لا تكثري في الجود لا تثنى * واذا بنحت فاكثري لومي

كني فليست بحامل أبدا * ما عشت هم غدا الى يوم

وقال علي رضي الله عنه وكرم وجهه لا تستقي من عطاء القليل فالحرمان أقل منه وسئل
أهـق الموصلي عن الخلوع فقال كان أمره كما عجبنا كان لا يـ الى ابن يقعد مع جلسائه

وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبي جعفر يوما فأراد الرجوع الى أهله فقال له سفر البر أحب اليك أم سفر البحر قال البحر ألين علي فقال أوقروا له زورقه ذهباً وأمر له بألف ألف درهم وشهد سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان موسى شهوات الى سليمان بن عبد الملك وقال قد هيجاني يا أمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا أملك أتم بمجو سعيداً قال يا أمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية مدينية وأتيت سعيداً فقلت اني أحب هذه الجارية وان مولاتها أعطيت فيها مائتي دينار وقد أتيتك فقال لي بورك فيك فقال سليمان ليس هـذا موضع بورك فيك قال فأتيت يا أمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالي فقال يا جارية هاتي مطرفاً فأتته بمطرف خرفصرت لي في كل زاوية مائتي دينار فخرجت وأنا أقول

أبا خالد أعني سعيد بن خالد * أبا العرف لا أعني ابن بنت سعيد
ولكنني أعني ابن عائشة الذي * أبو أبيه خالد بن أسيد *
عقيد الندي ما عاش يرضى به الندي * فان مات لم يرض الندي بعقيد
ذروه ذروه انكم قدر قد عرو * وما هو عن احسانكم برقود

فقال سليمان قل ما شئت وكتب كاثوم بن عمرو الى بعض الكرماء رقة فيها
اذا تكرهت أن تعطى القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تقنعك قلتبه * فكل ما سدت فقرافه ومجود

فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفردة نعله وباع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضاً
بثمانين ألفاً فقبل له لو اتخذت لولدت من هذا المال ذخراً فقال بل اجعله ذخراً واجعل الله
ذخر الولدي وقسمه بين ذوي الحاجات وكان ابن مالك القشيري من الاجواد قبل انه أنجب
الناس ماله بعكاظ ثلاث مرات فعاتبه خاله فقال

يا خال ذرني ومالي ما فعلت به * وخذ نصيبك منه اني مودي
فان أطيعك الآن فقلدني * فاطربكيدك هل تستطيع تخليدي
الحمد لا يشترى الا بمكرمة * ولن أعيش بمال غير محمود

وقال المهذب عجبت ان يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الاحرار بفعاله ونزل بأبي
البحري وهب بن وهب القرشي ضيفاً فأسارع عبيده الى انزاله وخدموه أحسن خدمة
وفعلوا به كل جميل فلما هم بالرحيل لم يقربه أحد منهم وتجنبوه فان ذكر ذلك عليهم فقالوا نحن
انما نعين النازل على الإقامة ولا نعينه على الرحيل ووفدت ليلى الاخيلية على الحاج
فقال فيبه

اذا ورد الطحاج أرضاً مريضة * تتبع أقصى دائها شفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها * غلام اذا هز القنانه شفاها

فقال لا تقول لي غلام ولكن قولي همام يا غلام اعطها خمسة مائة فقالت أيها الأمير اجعلها نعمة
فجعلها ابلاً انا ما وقال أبو الفياض الطبري

والعزيف لا يرام بربعه * من لا يرى بذل التلاد تلادا

والجود أعلی كعب كعب قبلنا * فغضى جواد اليوم مات جوادا
وقال آخر

أيقنت أن من السماح شجاعة * وعلمت أن من السماحة جودا

وقال أحمد بن حمدون النديم علمت أم المستعين بساطة على صورة كل حيوان من جميع
الاجناس وصورة كل طائر من ذهب وأعينهم يواقيت وجواهر أنفقت عليه مائة ألف ألف
دينار وثلاثين ألف دينار وسأتمه أن يقف عليه ويتنظر اليه فكسل ذلك اليوم عن رؤيته
قال أحمد بن حمدون فقال لي ولا ترجع الهاشمي اذهب فانظرا اليه وكان معنا الحاجب فضاينا
ورأيناه فوالله ما رأينا في الدنيا شيئا أحسن منه ولا شيئا حسنا الا وقد عمل فيه فحدثت أنا ليدى
الى غزال من ذهب عيناها ياقوتتان فوضعه في كفي ثم جئناه فوضعه في كفي حسن ما رأيناه فقال
الرجلة يا أمير المؤمنين انه قد سرق منه شيئا وغمزه على كفي فأريته الغزال فقال بعياني عليكم
ارجعوا خلفي إذا ما أحييتما فضاينا فلا تأكلما منا وأقينا غنشي كالحيالي فلما رأنا ضحك
فقال بقبضة الجلساء ونحن فإذن بنا يا أمير المؤمنين فقال قوموا واخذوا ما شئتم ثم قام فوقف على
الطريق ينظر كيف يحملون ويضحك ونظر يزيد المهلبى تسللا من ذهب مملوا مسكا فأخذه
بيده وخرج فقال له المستعين الى أين فقال الى الحمام يا أمير المؤمنين فضحك من قوله
وأمر الفرشين والخادم أن ينهبوا الباقي فأتهموه فوجهت اليه أمته تقول سر الله أمير
المؤمنين لقد كنت أحب أن يراه قبل أن يفرقه فأننى أنفقت عليه مائة ألف ألف وثلاثين
ألف دينار فقال يحمل اليه امثل ذلك حتى تعيد مثله ففعلت ومضى حتى رآه وفعل به كفعله
بالقول ودخل طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال يا أبا فراس
اختر عشر من الابل ففعل فقال ضم اليه امثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال
هي لك فقال

يا طلم أنت اخو الندى وعقيدته * ان الندى مامات طلحة ماتا

ان الندى ألقى اليك رحاله * فحيث بت من المنازل باتا

وقدم زياد الابهيم على عبد الله بن الحشرج بنيسابور فأكرمه وأنعم عليه وبعث اليه بألف
دينار فقال

ان السماحة والمرواة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج

فقال زدني فقال كل شيء وثمنه ووفد ابو عطاء السدي على نصر بن سيار بنجر اسان مع رفيقين له
فأنزله وأحسن اليه وقال ما عندك يا أبا عطاء فقال وما عسى أن أقول وأنت أشعر العرب غير أنى
قلت بيتين قال هات ما قلت فقال

يا طالب الجود ما كنت تطلبه * فأطلب على باب نصر بن سيار

الواهب الخيل تغدو في أعنتها * مع القيان وفيها ألف دينار

فأعطاه ألف دينار ووصائف وكساه كسوة جيلة فتقسم ذلك بين رفيقيه ولم يأخذ منه شيئا
فبلغ ذلك نصراف فقال بالله قاتله الله من سيد ما أضخم قدره ثم أمر له بتمتله وقال العتيبي أشرف
عمر بن هبيرة يوم ما من قصره فاذا هو باعراي يرقل قلوصه فقال عمر والحاجبه ان ارادنى هذا

الاعرابي فأوصله إلى فلما وصل الاعرابي سأل الحاجب فقال أردت الأمير فدخل به إليه فلما مثل بين يديه قال له ما حاجتك فأنشد الاعرابي يقول

أصلحك الله قل ما يبدي * ولا أطيق العيال اذكروا

اناخ دهرى على كتابه * فارسلوني اليك وانتظروا

فأخذت عمرا الأريحية فجعل يهزئ بمجلسه ثم قال أرسلوك إلى وانتظروا اذن والله لا تجلس حتى ترجع إليهم ثم أمر له بالف دينار * وقيل أراد ابن عامر أن يكتب لرجل بمئة ألف درهم فحرق القلم بمئة ألف فراجعه الخازن في ذلك فقال أنفذه فبقي الانفاذه وان خروج المال أحب إلى من الاعتذار فاستشرفه الخازن فقال إذا أراد الله به بدخرا صرف القلم عن مجرى إرادة كاتبه إلى إرادته وأنا أردت شيئا وأراد الجواد الكريم أن يعطى عبده عشرة أضعافه فكانت إرادة الله الغالبة وأمره النافذ ووقف أعرابي على ابن عامر فقال يا قر البصرة وشمس الحجاز ويا ابن ذريرة العرب وابن بطحاء مكة برحت بي الحاجة وأكدت بي الآمال الابتناء فامضني بقدر الطاقة لا بقدر المجد والشرف والهمة فأمر له بمائتي ألف درهم وسمع المأمون قول عمار بن عقيل

أترك ان قلت دراهم خالد * زيارته اني اذا للثيم

فقال أوقلت دراهم خالد اجلوا إليه مائة ألف درهم فبعثها خالد بن يحيى إلى عمار بن عقيل وقال هذه قطرة من صحابك * ولما عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة بكى ثم قال والله ما بكائي جرم من العزل ولا أسفا على الولاية ولكن أخاف على هذه الوجوه أن يلي أمرها من لا يعرف لها حقا * وأراد الرشيد أن يخرج إلى بعض المقترجات فقال يحيى بن خالد لرجاء ابن عبد العزيز وكان على نفقته مائة ألف وثلثمائة من الأموال قال سبعمائة ألف درهم قال فأقبضها إليك يا رجاء فلما كان من الغد دخل عليه رجاء فقبل يده وعنده منصور بن زياد فلما خرج رجاء قال يحيى منصور قد ظننت أن رجاء توهم اننا قد وهبنا المال له وانما أمرناه بقبضه من الوكلاء ليحفظه علينا لما جئنا إليه في وجهنا هذا فقال منصور أنا استخبرك هذا فقال يحيى اذن يقول لك قل له يقبل يدي كما قبلت يده فلا تقل له شيئا فقد تركته الله * وقيل أن الرشيد وصل في يوم واحد بألف ألف وثمانمائة ألف وخمسين ألفا ووصل المنصور في يوم واحد إلى بني هاشم ووجوه قواده بعشرة آلاف ألف دينار على ما ذكر * وعن الاخفش الصغير قال كان أسيد بن عتقاء الفزاري من أكبر أهل زمانه قد راوا أكثرهم أدبا وأفصحهم لسانا وأثبتهم جنانا فطال عمره ونكبته دهره فخرج عشية ينتقل لأهله فريه عبيله الفزاري فسلم عليه وقال ما أصادك يا عم إلى ما أرى فقال بخجل مثلك بماله وصون وجهي عن مسألة الناس فقال والله لئن بقيت إلى غدا لغير ما أرى من حالك فرجع ابن عتقاء إلى أهله فأخبرها بما قال له عبيله فقالت له لقد غرتك كلام غلام في جنح الليل قال فكانت ألقمت فاه حجرا وبات متملا بين رجاء وبأس فلما كان وقت السهر جمع رجاء الأبل وصحبيل الخيل تحت الأموال فقال ما هذا قالوا عبيله قد قسم ماله شطرين وبعث إليك بشطره فأنشأ يقول

وآنى على ما بي عملته فاشتكى * الى ماله حالى قواسى وما هجر *
 ولما رأى الحمد استعيرت ثيابه * تردى رداً سابغ الذيل واتزر *
 غلام حباه الله بالحسن يافعا * له سمياء لا تشق على البصر *
 كأن الثريا علفت في جبينه * وفي أنفه الشعرى وفي جبينه القمر *
 وكان عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي من الاجواد قيل انه كان لرجل جارية
 يهاها فاحتاج الى بيعها فابتاعها منه ابن معمر بمال جزيل فلما قبض منها أنشأت
 تقول

هنيأ لك المال الذي قد قبضته * ولم يبق في كفى غير التهمير *
 أبو معمر من فراقك موجد * أنا جدي به صدر اطويل التفكير *
 فأجابها يقول

ولو لا قعود الدهر بي منك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاعذرى *
 عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر *
 فقال ابن معمر قد شئت وقد وهبتك الجارية وثمنها فخذها وانصرف * ووفد أبو الشعمق الى
 مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه الى منزله فوجد في دار الخراج يطالب
 فدخل عليه توجه له فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طالما * قدم الرجال عليهم فتولوا *
 أخنى الزمان عليهم فسكأنما * كانوا بأرض افقرت فيقولوا *
 فقال أبو الشعمق

الجود أفلسهم وأذهب مالهم * فاليوم ان راموا السماحة يجنوا *
 قال نفع محمد ثوبه وخاتمه ودفعها ما اليه فكتب بذلك مسـ متوفى الخراج الى الخليفة فوقع
 الى عام له باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام في تلك السنة واسقاط ما عليه من البقايا
 وأمر له بمائة ألف درهم معونة له على مروأته * وقال أبو العيناء حصلت لي ضيقة شديدة فكتمتها
 عن أصدقائي فدخلت يوماً على يحيى بن أسكهم القاضي فقال ان أمير المؤمنين المأمون
 جالس للمظالم وأخذ القصص فهل لك في الحضور قلت نعم فضيبت معه الى دار أمير المؤمنين
 فلما دخلها عليه أجلسه وأجلسني ثم قال يا أبا العيناء بالالفـة والمهبة ما الذي جاء بك في هذه
 الساعة فأنشدته

لقد رجوتك دون الناس كلهم * ولارجاء حقوق كلهم اتجب *
 ان لم يكن لي أسباب أعيش بها * فني العلالك أخلاق هي السبب *
 فقال يا سلامة انظر أي شئ في بيت ما نادون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له منها

مائة ألف درهم وبعث له عنهما في كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهراً مات المأمون فبكي عليه
 أبو العيناء حتى تقرحت أعضائه فدخل عليه بعض أولاده فقال يا ابتاه بعد ذهاب العين
 ماذا يتقع البكاء فأنشأ أبو العيناء يقول

شيان لو بكت الدماء عليهم ما * عيناى حتى يؤذنا بذهاب

لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب
وكان أسجد بن طولون كثير الصدقة وكان راتبه منها في الشهر ألف دينار سوى ما يطرأ عليه من
نذر أو صلة وسوى ما يطبخ في دار الصدقة وكان الموكل بصدقته سليم الخادم فقال له سليم يوما
أيها الأمير اني اطوف القبائل وأدق الابواب لصدقاتك وان البدعة الى وفيها الخناء وربما كان
فيها الخاتم الذهب والسوار الذهب فأعطى ام أرد قال فأطرق طويلاً ثم قال كل يد امة تدت
اليك فلا تردّها * وقال سلامة بن عياش في جعفر بن سليمان

وما سم أننى ربح كف شمتها * من الناس الاربح كفلك أطيب
فأمر له بالف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر * وكان عبد العزيز بن عبد الله
جواداً مضيافاً فتغدى عنده امرأى يوماً فلما كان من الغد مر على بابه فرأى
الناس في الدخول على هيئتهم بالامس فقال أوكل يوم يطعم الأمير الناس قالوا نعم فانشأ
يقول

كل يوم كأنه عبد أضحى * عند عبد العزيز أو عبد فطر
وله ألف جفنة مترحات * كل قدر يدها ألف قدر

وتعشى الناس ليلة عند سعيد بن العاص فلما خرجوا بقيت من الشام قاعداً فقال له سعيد
ألك حاجة وأطفأ الشمعة كراهة أن يحجل القتي فذكر أن أباه مات وخلف ديناراً وسأله
أن يكتب له كتاباً الى أهل دمشق ليقوموا ببعض اصلاح حاله فدفع له عشرة آلاف دينار
وقال له لا أدعك تقامى الذل على أبوابهم * ودخل رجل على علي بن سليمان الوزير فقال له
سألتك بالله العظيم ونبىه الكريم الامأ بجر تقي من خصمى فقال ومن خصمك حتى أجيرك منه
فقال الفقير فأطرق الوزير ساعة وقال قد أمرت لك بمائة ألف درهم فأخذها وانصرف
فبينما هو في الطريق اذا امر الوزير برده اليه فلما رجع قال له سألتك بالله العظيم ونبىه الكريم
متى أتاك خصمك معذفاً فارجع اليه منتظماً وقال لا عيش كانت عندي شاة فحزنت وفقدت
الصبيان لبنها فكان خيمنة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت
علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان يحيى لبد اجلس عليه فكان اذا خرج يقول
خذ ما تحت اليد حتى وصل الى من عله الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمت
ان الشاة لم تبرا (وحكى) ابو قدامة القشيري قال كنا مع يزيد بن مزيد يوماً فسمع صائحاً
يقول يا يزيد بن مزيد فطلبه فاني به اليه فقال ما جلتك على هذا الصباح قال فقدت دابتي وفقدت
نققتى وسمعت قول الشاعر

اذا قبل من اللجود والحمد والندى * فنادى بصوت يا يزيد بن مزيد

فأمر له بفرس ابلى كان محجبا به وبمائة دينار وخلعة سنية فأخذها وانصرف (وحكى) ان
قوماً من العرب جاؤا الى قبر بعض اصحابهم يزورونه فبانوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب
القبر في المنام وهو يقول له هل لك ان تبعني بعيرك بنجيبي وكان الميت قد خلف فجيهاً وكان
للرائى بعير سمين فقال نعم وباعه في النوم بعيره بنجيبيه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب
القبر الى البعير فخرم في النوم فانتبه الرائي من نومه فوجد الدم يسير من نحر بعيره فقام وأتم

نحره وقطع لحمه وطبخوه وأكلوا ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق
سأروا استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال
صاحب البعير نعم ها أنا فلان بن فلان فقال هل بعث من فلان الميت شيئا قال نعم بعثه
بعير ينجيه في النوم فقال هذا نجيبه نفذه وأنا ولده وقد رأيته في النوم وهو يقول
ان كنت ولدي فادفع نجيبتي الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف أكرم
أضيافه بعد موته * وروى عن الهيثم بن عدي أنه قال سمري ثلاثة نفر في الاجواد
فقال رجل أسخى الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر فقال الا آخر أسخى الناس
قيس بن سعيد بن عباد فقال الا آخر بل أسخى الناس اليوم عرابية الاوسى فتنازعوا
بقضاء الكعبة فقال لهم رجل لقد أفرطتم في الكلام فليض كل واحد منكم الى صاحبه
يسأله حتى تنظر بهم يعود فنصحتكم على العيان فقام صاحب ابن جعفر فوافاه وقد وضع رجلاه
في ركاب راحلته يريد ضيعة له فقال الرجل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سبيل
ومنة قطع به قال فأخرج رجلاه وقال ضع رجلك واسئع على الناقة وخذ ما في الحقبة وكان فيها
مطارف خز وأربعة آلاف دينار ومضى صاحب قيس فوجده نائما فقالت له جارية لقيس
ما حاجتك فقال ابن سبيل ومنة قطع به فقالت له الجارية حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس
فيه سبع مائة دينار ما في دار قيس اليوم غيرها وامض الى معاطن الابل نخذ راحلة من رواحله
وما يصلحها وعبد او امض لشأنك قيل ان قيس لما اتبعه أخبرته الجارية بما صنعت فاعتقها
ولولم تعلم أن ذلك يرضيه ما جسرت تفعله فخلق خدام الرجل مقتبس من خلقه قال بعض
الشعراء

واذا ما اختبرت وقد صدق * فاختبر وده من الغلمان

ومضى صاحب عرابية فوجده قد خرج من منزله يريد الصلاة فقال يا عرابية ابن سبيل ومنة قطع به
وكان معه عبدان فصفق يده اليمنى على اليسرى وقال آواه وآواه والله ما أصبح ولا أمسى الليلة
عند عرابية شيء ولا تركت له الحقوق ما لا واكن خذ هذين العبدين فقال الرجل والله ما كنت
بالذي يسألك عبدك فقال ان أخذتهم ما والافهم ما حتران لوجه الله تعالى فان شئت فخذ
وان شئت فأعتق فأخذ الرجل العبدين ومضى ثم اجتمعوا وذكر واقصة كل واحد فحكموا
لعرابية لانه أعطى على جهده * قيل ان شاعر اقصه خالد بن يزيد فأنشده شعرا يقول فيه

سألت الندى والجود حتران أنما * فقالا يميننا اننا العبيد

فقات ومن مولاكم ما قضا ولا * الى وقال خالد بن يزيد

فقال يا غلام أعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشده يقول

كريم كريم الاقهار مهذب * تدفق كفاه الندي وشماؤه

هو البحر من أي الجهات أتته * فليجته المعروف والجود ساحله

جواد بسيط المكف حتى لو أنه * دعاها القبض لم تجبه أناسله

فقال يا غلام أعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشده يقول

تبرعت لي بالجود حتى نعشتني * وأعطيتني حتى حسبتك تلعب

وأثبت ريشا في الجناحين بعد ما * تساقط من الريش أو كاد يذهب
فأنت الندي وابن الندي وأخو الندي * حليف الندي مال للندي عندك مذهب

فقال يا غلام أعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زنا لفقنا قال حسب الامير ما سمع وحسبي
ما أخذت وانصرف * وأما الذين انتهى اليهم الجود في الجاهلية فهم حاتم بن عبد الله
الطائي وهرم بن سنان وخالد بن عبيد الله وكعب بن مامة الايادي وضرب المنبل بحاتم
وكعب وحاتم أشهرهما فأما كعب بن جناد بن نفسه وأثر ربيعة بالماء في المقارة ومات عطشا
وليس له خبر مشهور وأما خالد بن عبيد الله فإنه جاء اليه بعض الشعراء ورجله في الركاب
يريد الغزو فقال له اني قلت فيك بيتين من الشعر فقال في مثل هذا الحال قال نعم فقال حاتم ما
فأنشده يقول

يا واحد العرب الذي * ما في الانام له نظير
لو كان مثلك آخر * ما كان في الدنيا فقير

فقال يا غلام أعطه عشرين ألف دينار فأخذها وانصرف وأما حاتم فأخبره كثيرة
وأثارة في الجود شهيرة ويكنى أبا سقانة وأبا عدي وكان يسير في قومه بالرباع والمرباع وربع
الغنمية وكان ولده عدي يعادي النبي صلى الله عليه وسلم فبعث النبي صلى الله عليه وسلم
عليه إلى طي فهرب عدي بأهله وولده وطلق بالشأم وخلف أخته سقانة فأسرتهها خيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما أتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالت يا محمد هلك الوالد وغاب
الرافد فان رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فان أبي كان سيد قومه يغفل العاني
ويقتل الجاني ويحفظ الجار ويحمي الزمار ويفترج عن المكر وبو ويطعم الطعام ويفشي
السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد في حاجة فردته خائبا أنابت حاتم
الطائي فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفات المؤمنين فقال لو كان أبوك
مسلم لترجنا عليه خلوا عنها فان أباهما كان يحب مكارم الاخلاق وقال فيها الرجوا عزيزا ذل
وغنى افتقروا لما ضاع بين جهال فأطلقها ومن عليها فاستأذنته في الدعاء فاذن لها
وقال لا صحابه اسمعوا وعوا فقلت أصاب الله ببركته مواقعه ولا جعل لك إلى لثيم حاجة ولا
سلب نعمة عن كريم قوم الا وجعلك سبيبا في ردها عليه فلما أطلقها صلى الله عليه وسلم رجعت
إلى قومها فأنت أخاها عديا وهو يدومة الجندل فقالت له يا أخى انت هذا الرجل قبل
أن تعلقك حبائله فاني قد رأيت هديا ورأيت غلب أهل الغلبة رأيت خصلا لا تعجبني رأيت
يحب الفقير ويغفل الاسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير وما رأيت أجود ولا أكرم
منه صلى الله عليه وسلم واني أرى أن تلحق به فان يك نبيا فلا سابق فضله وان يك ملكا فلن نذل
في عزالين فقدم عدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فالتقى له وسادة محشوة ليفا وجلس
النبي صلى الله عليه وسلم على الارض فاسلم عدي بن حاتم وأسأت أخته سقانة بنت حاتم
المتقدمة ذكرها وكانت من أجود نساء العرب وكان ابوها يعطيها الضريبة من ابله فتم بها
وذهبها الناس فقال لها ابوها يا نبية ان الكريمين اذا اجتمعوا في المال ألقاه فاما ان أعطى
وتعسكى واما ان أمسك وتعطى فإنه لا يبقى على هذا شي فقالت له منك تعلمت مكارم

الاخلاق قال ابن الاعرابي كان حاتم الطائي من شعراء الجاهلية وكان جوادا يشبهه جوده
شعره ويصدق قوله فعلمه وكان حبيبا نزل عرف منزله وكان يظفرا اذا قاتل غلب واذا سئل
وهب واذا سابق سبق واذا أسرا طلق وكان اذا اهل رجب الذي كانت تعظمه مضر
في الجاهلية فمهر كل يوم عشرة من الابل وأطعم الناس واجتمعوا اليه وكان قد تزوج ماوية
بنت عوف وكانت تلومه على اتلاف المال فلا يلتفت لقولها وكان لها ابن عم يقال له مالك
فقال لها انوما مانصنعه من بجاتم فوالله لئن وجدنا لابلتنا منه وان لم يجد بدلية تكلفن ولئن مات
لتركنا أولاده عالة على قومك فقالت ماوية صدقت انه كذلك وكانت النساء يطلقن
الرجال في الجاهلية وكان طلاقهن أن يكن في بيوت من شعر فان كان باب البيت من قبل
المشرق حولته الى المغرب وان كان من قبل المغرب حولته الى المشرق وان كان من
قبل النين حولته الى الشام وان كان من قبل الشام حولته الى اليمن فاذا رأى الرجل
ذلك علم أنها طلاقته فلم يأتها ثم قال لها ابن عمها طلقى حاتما وأنا تزوجك وأنا خير لك
منه وأكثر مالا وأنا أمسك عليك وعلى ولدك فلم يزل بها حتى طلقته فأتاها حاتم
وقد حوت باب الخباء فقال حاتم لولده يا عدي ما ترى ما فعلت أمك فقال قد رأيت ذلك
قال فأخذ ابنه وهب بطيخان وادفنوا فيه فجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون
وكانت عدتهم خمسين فارسا فضاعت بهم ماوية ذروعا وقالت لجاريةها اذهبي الى ابن عمي
مالك وقولي له ان أضيافا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلا فارسل الينا بشئ نقرهم
وابن نسقهم وقالت لها انظري الى جبينه وفيه فان شافهك بالعرف فاقبلي منه وان ضرب
بطيخته على زوره وأطعم رأسه فأقبلي ودعيه فلما أتته وجدته متوسدا وطبا من ابن فأيقظته
وأبقت الرسالة وقالت له انما هي الليلة الحق يعلم الناس مكان حاتم فلطم رأسه بيده
وضرب بطيخته وقال اقريئها السلام وقولي لها هذا الذي أمرتك أن تطلقى حاتما لاجله
وما عدي ابن يكتفي أضياف حاتم فرجعت الجارية فأخبرتها بمارات وبعثا قال لها فقالت
لها اذهبي الى حاتم وقولي له ان أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا مكانك فأرسل
الينا بباقة نقرهم وابن نسقهم فأتت الجارية حاتما فصاحت به فقال لبيك قريبا دعوت
فأخبرته بما جاءت بسببه فقال لها حبا وكرامة ثم قام الى الابل فأطلق اثنين من
عقالهم وأوصاح بهم ما حتى أتيا الخباء ثم ضرب عراقيهم ما فطفت ماوية تصيح هذا الذي
طلعتك بسببه تترك أولادنا وليس لهم شئ فقال لها ويحك يا ماوية الذي خلفهم وخلف الخلق
متكفل بأرزاقهم وكان اذا اشتد البرد وغاب الشتاء أمر غلمانا يسار فيا وقد ونها في بقاع
الارض لينظر اليها من ضل عن الطريق لئلا فيعصدها ولم يكن حاتم يسكن شيئا ماعدا فرسه
وسلاحه فانه كان لا يجود به ما ثم جاد بفرسه في سنة مجدية (حكى) ان ملكا كان ابن أخي ماوية
قال قلت لها ياوما يا همة تدثني ببعض عجائب حاتم وبعض مكارم أخلاقه فقالت يا ابن أخي
أعجب ما رأيت منه أصابت الناس سنة أذهبت الخلف والظاف وقد أخذني واياهم الجوع
وأمرنا فأخذت سفانة وأخذت عديا وجعلنا نعللها ما حتى ناما فأقبل على يدتي وبعلني
بالحديث حتى أنام فرفعت به لما به من الجوع فأمره صكت عن كلامه لينام فقال لي

أنت فلم أجبه فسكت ونظر في فناء الخلاء فإذا نسي قد أقبل فرفع رأسه فإذا امرأة فقال ما هذا
فقلت يا أبا عري أنتك من عند صبية يتعاونون كالكلاب أو كالذئاب جوها فتالها أنا حضري
صبيانك فوالله لا شيعتهم فقامت سرية لاولادها فرفعت رأسي وقلت له يا حاتم بماذا تشبع
أطقالها فوالله ما نام صبيانك من الجوع الا بالتعليل فقال والله لا شيعتك وأشبع من صبيانك
وصبيانها فلما جاءت المرأة نهض قائما وأخذ المديية بيده وعمد الى فرسه فذبحه ثم أخرج نارا
ودفع اليها شفرة وقال قطعي واشوي وكلي وأطعمي صبيانك فأكلت المرأة وأشبع صبيانها
فأبقت اولادي وأكلت وأطعمتهم فقال والله ان هذا هو اللوم تأكلون وأهل الحى
حالكهم مثل حالكم ثم أتى الحى بيتا يتابعون لهم انهم ضوا عليكم بالثار فاجتمعوا حول الفرس
وتنقع حاتم بكساته وجاس ناحية فوالله ما أصعبوا وعلى وجه الارض منها قليل ولا كثير
الا لعظم والخافرو ولا والله ماذا لها حاتم وانه لا شيعتهم جوها وأخباره كثيرة مشهورة
ومن شعره

أماوى ان المال غادورائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر

وقد علم الاقوام لو ان حاتم * أراد ثراء المال كان له وفر

وأغار قوم على طي فركب حاتم فرسه وأخذ درمحه ونادى في جيشه وأهل عشيرته ولحق القوم
فهزمهم وتبعهم فقال له كبيرهم يا حاتم هب لي ربحك فرمى به اليه فقبل لحاتم عرضت نفسك
للهلك ولو عطف عليك لقتلك فقال قد علمت ذلك ولكن ما جواب من يقول هب لي ولمسات
عظم على طي موته فادعى أخوه انه يخافه فقالت له أمة هيأت شتان واقه ما بين خلقكم وضعته
فبقي والله سبعة أيام لا يرضع حتى ألقت احدي ثديي طفلا من البهران وكنت أنت ترضع ثديا
ويذكر على الآخر فأتى لك ذلك قال الشاعر

يعيش الندام ما عاش حاتم طي * وان مات قامت للسفاه ما أتم

وكانت العرب تسمى الكلب داعي الضمير وعقم النعم وشبهه بالذكري لما يجاب من الاضياف
بنجاحه والضمير القريب وكانوا اذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران فزقوا الكلاب
حوالي الحى وربطوها الى العمدة لتروح من فتحة فتهدى الضلال وتأتى الاضياف على
نجاحها والحكايات في ذكر الاجواد والكرماء والاضياء وأهل المعروف وما كانوا عليه
من السخاء والكرم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر فني مثل هذه المناقب فليتنا فسر
المتنافسون ولئلاها فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت
وخلود جيل الذكر فانالم تجد شيئا يبقى على الدهر الا الذي ذكره حسننا كان أوفيهما
وقد قال الشاعر

ولاشئ يدوم فكن حديثا * جميل الذكر فالدينا حديث

فانتهز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما قدم واتذكر بالصالحات
كما ذكرها واذا خرا نفسك في القيامة كما ادخروا واعلم أن الماء كقول الله بدن والموهوب
للمعاد والمتروك للعبد وفاخر ترى الثلاث شئت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

(الباب الرابع والثلاثون في البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم)*

قال الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الآية
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم وعنه صلى
الله عليه وسلم أنه قال البخل جامع لمساوي القلوب وهو زمام يقاد به إلى كل سوء وقالت أم
البنين أخت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما إن البخل لو كان قيصا ما لبسته أو كان طريقا
مساكته * وقيل لبخل العرب أربعة الخطيئة وحيد الارقط وأبو الاسود الدؤلي وخالد
ابن صفوان فاما الخطيئة فزبه انسان وهو على باب داره ويدهم عصا فقال أناضيف فأشار إلى
العصا وقال لكعاب الضيفان أعدتها وأما حيد الارقط فكان هجاء للضيفان فخاشاء عليهم
نزل به مرة أضيف فأطعمهم غرا وهاجهم وذكر أنهم أكلوه بنواه وأما أبو الاسود فتصدق على
سائل بتمر فقال له جعل الله نصيبك من الجنة مثلهما وكان يقول لو أطعنا المساكين في أموالنا
كأننا أسوأ حالاً منهم وأما خالد بن صفوان فكان يقول للدرهم إذا دخل عليه يا عيار كم نعيم
وكم تطوف وتطير لا طيلن حبسك ثم يطرحه في الصندوق ويقفل عليه وقيل له لم لا تنفق ومالك
عريض فقال الدهر أعرض منه وأنشد بعضهم

وهبني جمعت المال ثم خزنته * وحانتي وفاقي هل أزد به عمرا

إذا خزن المال البخل فإنه * سيورته غما ويعقبه وزرا

واستاذن حنظلة على صديق له بخيل فقيل هو محجوم فقال كوا بين يديه حتى يعرق وكتب سهل
ابن هرون كتاباً في مدح البخل وأهداه إلى الحسن بن سهل فوقع على ظهره قد جعلنا نوابك عليه
ما أمرت به فيه وقال ابن أبي فتن

ذريتي واتلاني لما لي فاني * أحب من الاخلاق ما هو أبجل

وان أحق الناس باللوم شاعر * يلوم على البخل الرجال وبخيل

وكان عمر بن يزيد الاسدي بخیلاً جداً أصابه القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير
فأنخل ما في بطنه في الطست فقال له لامة اجمع الدهن الذي نزل من الحقنة وأسرج به
وكان المنصور شديد البخل جداً مر به مسلم الحادي في طريقته إلى الحج فخلاله يوماً بقول
الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره * يزيده حياؤه وخيره

ومسكه يشوبه كافوره * إذا غدتى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المجل ثم قال يارب سيع أعطه نصف درهم فقال مسلم لم نصف درهم
يا أمير المؤمنين والله لقد حدثت له شام فأمرني بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال
المسلمين ثلاثين ألف درهم يارب سيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فما زلت
أمشي بينهم ما وأروضة حتى شرط مسلم على نفسه أن يحدوله في ذهبه وإياه بغير مودة *
وكان أبو العتاهية ومروان بن أبي حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان ما فرحت
بشيء أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها إلى المهدي فوزنتها فرحت درهما فاشترت
به لحماً واشترى يوماً لحماً بدرهم فلما وضعه في الفة رد دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب

بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادى على اللحم ويقول هذا لحم مروان واجتاز يوما
باعتراية فأضافته فقال ان وهب لي أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه
سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دنانير ومن الموصوفين بالجلل أهل مروية قال ان من
عادتهم اذا تراقفوا في سفر أن يشترى كل واحد منهم قطعة سلم ويشمكها في خيط
ويجمعون اللحم كله في قدر ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جز كل منهم
خيطه وأكل كل لحمه وتغاسموا المرق وقيل لحييل من أشجع الناس قال من سمع وقع
أضراس الناس على طعامه ولم تشق مرارته وقيل لبعضهم أممايكسوك محمد بن يحيى
فقال والله لو كان له بيت ملؤه ابرا وجاء يعقوب ومعه الانبياء شفعا والملائكة ضعفاء يستعير
منه ابرة ليخيط بهم اقبص يوسف الذي قدم دبر ما عاره اياها فكيف يكسوني وقد نظم
ذلك من قال

لو أن دارك أنبت لك واحتشت * ابرا يضيق بها فناء المنزل

وأناك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قد قصصه لم تفعل

وكان المتنبي بخيلا جدا مدحه انسان يقصصه مدة فقال له كم أملت مناعلي مدحك قال عشرة
دنانير قال له والله لو ندفت قطن الارض بقوس السماء على جباه الملائكة مادفعت لك دافعا
وقال دعبل كاعند سهل بن هرون فلم يبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال ويلك يا غلام آتنا
غداء فأتاني بقصعة قيم اديك مطبوخ فحتمه تريد قليل فتأمل الديك فراه بغبر رأس فقال
لفلامه وأين الرأس فقال رميته فقال والله اني لا كره من يرى برجله فكيف برأسه ويحك
أما علمت أن الرأس رئيس الاعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذي يتبرك
به وعينه التي يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لو جمع الكلية ولم نر
عظما أهش تحت الاسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أني لا آكله أما قلت عنده من يأكله
انظر في أي مكان رميته فأتني به فقال والله لا أدري أين رميته فقال لكني أنا أعرف أين رميته
رميته في بطنك الله حسبك وقيل من الناس من يجعل بالطعام ويجود بالمال وبالهكس قال
بعضهم في أبي دلف

أبو دلف بضيع ألف ألف * ويضرب بالحسام على الرغيف

أبو دلف لمطبخه قنار * والكن دونه سل السيوف

واشتهى رجل مروزي صدره من سعال فوصفوا له سويق الاوز فاستنقل المنفقة ورأى
الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يطال الايام ويدافع الآلام اذا أتاه بعض
أصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال انه يجلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها
لخلا صدره ووجد منه بعض فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخي
لاهل بيتنا النخالة فأتني وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك به هذه
النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله على هذه النعمة وعن خاقان بن صبح قال دخلت على
رجل من أهل خراسان اسلافاً تانا بمرجة فيها فتيلة في غاية الرقة وقد هلك فيها عودا بنجيط
فقلت له ما بال هذا العود مر بوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم يفظه احتجنا الى غيره

فلا نجد الا عودا عطشاناً ونحشى أن يشرب الدهن قال فيمنأنا أتعجب وأسأل الله العافية
اذ دخل علينا شيخ من أهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يا فلان لقد فررت من شيء ووقعت
فيما هو شر منه أما علمت أن الريح والشمس يأخذان من سائر الاشياء وينشفان هذا العود
لم لا اتخذت مكان هذا العود ابرة من حديد فان الحديد أملس وهو مع ذلك غير نشاف والعود
أيضاً رمية معلق به شعرة من قطن القليلة فينبه قصها فقال له الرجل الخراساني أرشدك الله ونفع
بك فلقد كنت في ذلك من المسرفين وقال الهيثم بن عدي نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من
الهمامة فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة أن يلزمه قراء في هذه الليلة فخرج الضيف واشترى
ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه

يا أيها الخارج من بيته * وهارباً من شدة الخوف

ضيفك قد جاء بزاده * فارجع وكن ضيفاً على الضيف

واشترى رجل من البغداد داراً وانتقل اليها فوقف يبابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف
ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته فقال لها ما أكثر السؤال
في هذا المكان قالت يا أبت ما دمت مسكسكالهم بهذه الكلمة فأتالي كثروا أم قلوا وألأم
اللتام وأبخلهم حديد الأرقط الذي يقال له هباء الاضياف وهو القائل في ضيف له يصف أكله
بهذا البيت من قصيدة له

ما بين لقمة الاولى اذا فحدرت * وبين أخرى تليها قيداً ظفور

وقال فيه أيضاً

تجهز كفاه ويحدر حلقه * الى الزور ما ضمت عليه الانامل

وأكل أعرابي مع أبي الاسود رطباً فأكثر ومد أبو الاسود يده الى رطوبة لما أخذها
فسبقه الاعرابي اليها فسقطت منه في التراب فأخذها أبو الاسود وقال لا أدعها
للسيطان يأكلها فقال الاعرابي والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزل من السماء ما تركتها
وقال أعرابي لنزيل نزل به نزلت بواحد غير مطور ورجل بك غير مسرور فأقام بعدم أو ارجل
بندم ولله مدوني

رأيت أبا زرارة قال يوماً * لحاجبه وفي يده الحسام

لئن وضع الخوان ولا ح شخص * لا تخطفن رأسك والسلام

فقال سوى أباك فذا الشيخ * بفيض ليس يردعه الكلام

فقام وقال من حلق اليه * بيت لم يرد فيه القيام

أبي وابن أبي والكلب عندي * بمنزلة اذا حضر الطعام

وقال له ابن أبي يابن كلب * على خبزي أصادراً وأضام

اذا حضر الطعام فلا حقوق * على لوالدي ولا ذمام

فما في الارض أقبح من خوان * عليه الخبز يحضره الزحام

فان هذا من القائل

بجمل يرى في الجود عاراً وانما * يرى المرء عاراً أن يرضن ويحلا

إذا المرء أثرى ثم لم يرج نفعه * صديق فلاقته المنية أولا
وقال آخر

وأمره بالبخيل قات لها أقصرى * فليس إليه ما حبيت سبيل
أرى الناس أخوان الكريم وما أرى * بخياله في العالمين خليل
وقالوا إذا سألت لثيما شيئا فعاجله ولا تدعه يفكر فانه كلما فكر ازداد بعدا وقال ربهى
الهمداني

جمعت صنوف المال من كل وجهة * وما نلتها الا بكف كريم
واني لا أرجو أن أموت وتنقضى * حياتي وما عندي بدلتيم
وأشد الجاحظ لابي الشعة مق

من تعالت هذا * أن لا تجود بشي
أما مرت بعبد * لعبد طامى
ومما قاله الشعراء في الضلاء وطعامهم فن أجهى ما قيل فيهم بيت جرير في بني تغلب
والتغلبى إذا تضحخ للقرى * حكاسته وتغزل الامثالا
وله أيضا فيهم

قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رجاج الباب والدار
قوم اذا استبح الضيفان كلهم * قالوا لا تمهم بولى على النار
فتمنع البول شحا أن تجوده * وما تبول له — م الابعق دار
والخبز كالغدير الهندي عندهم * والقمح خسون اردبا بد ينار
فأين هؤلاء من الذى قال فيه الشاعر

أبلج بين حاجبيه نوره * اذا تغدى رفعت ستوره

وقال بعضهم في بخيل

أنا بخيل — ل بخيل له * كمثل الدراهم في رفته
اذا ماتت نفس حول الخوان * تطاير في البيت من خفته
وقال آخر

تراهم خشية الاضياف خرسا * يقيمون الصلاة بلا أذان
وقال آخر وقد بات عند بخيل

فبتنا كأننا بينهم أهل مأتم * على ميت مستودع بطن ملحد
يحدث بعضها بعضا بصابه * ويأمر بعضها بعضا بالتجدد
وقال آخر

وجيرة لا ترى في الناس مثاهم * اذا يكون لهم عيد وافتار
ان يوقدوا يوسعون من دخانهم * وليس يباغنا ما تطبخ النار
وقال آخر وأجاد

فصدق إيمانه أن قال مجتهدا * لا والرغيف فذاك البر من قسمة
فإن هممت به فاعبت بخبرته * فإن موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبني لو أن غيرته * على جرادفه كانت على حرمه
وقال آخر

ذهب الكرام فلا كرام * وبقي العصار بط اللثام
من لا يقبل ولا ينسل * ولا يشم له طعام
وقال آخر

خيلي من كعب أعيننا أظاكما * على دهره أن الكريم معين
ولا تجللا بخيل ابن قزعة أنه * مخافة أن يربح نداء حزين
إذا جنته في حاجة سديابه * فلم تلقه إلا وأنت كين
وقال آخر

له يومان يوم ندى ويوم * يسل السيف فيه من القراب
فأما جوده فعلى تحاب * وأما سيفه فعلى الكلاب
وقال آخر

زفقت إلى نهان من صفوف كرتي * عرو ساغدا بطن الكتاب لها صدرا
فقبلها عشرا — را وهام بجها * فلما ذكرت المهر طلقها عشرا
وقال آخر

لوعبر البحر بأموأجه * في له — له مظلمة بارده
وكفه بملاوة خرد لا * ماسقطت من كفه واحدة
وقال آخر

يا قائما في داره قائدا * من غير معنى لا ولا قائده
قدمات أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائدة
وقال آخر

نوالك دونه شول القتاد * وخيزك كالثريا في البعاد
فلو أبصرت ضيفافي منام * لحزمت الرقاد إلى المعاد
وقال آخر

لا تعجب من خبز زل من يده * قال الكوكب النهر يسقي الأرض أحيانا
وقال ابن أبي حازم

وقالوا قدم مدحت فتى كريما * فقلت وكيف لي بنقى كريم
بلوت ومررتي بخسون حولا * وحسبك بالبحر ب من عليم
فلا أحد بعد اليوم خير * ولا أحد يمجود على عديم

ومن رؤساء أهل الجبل محمد بن الجهم وهو الذي قال وددت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة

من الخطباء وعشرة من الشعراء وعشرة من الأدباء تواطؤوا على ذمى واستنهم لواء شتمى
حتى يتشرد ذلك في الآفاق فلا يلقى إلى أمل أمل ولا يسط نخوى رجاء راج وقال له أصحابه
يوماً أنا نخشى أن نقعد عندك فوق مقعد اشرهم ونك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت
استئذانك لجمال استئنا فقال علامة ذلك أن أقول يا غلام هات الغداء * وقال عمر بن ميمون
مررت ببعض طرق الكوفة فإذا أنا برجل بخصام جازاله فقلت ما بالكم فقال أحدهما
إن صديقاً لي زارني فاشتري رأساً فاشتريته وتغدينا وأخذت عظامه فوضعتها على باب
داري أتجمل بها الجفاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس أنه هو الذي اشتري
الرأس * وقال رجل من البخلاء لا ولادة اشتروا لي لحماً فاشتروه فأمر بطبخه فلما استوى
أكله جميعه حتى لم يبق في يده الا عظيمة وعيون أولاده ترمقه فقال ما أعطى أحدا
منكم هذه العظيمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الا كبراً مشحماً يا أبت وأمصها
حتى لا أدع للذرف فيم اقبل الا قال است بصاحبها فقال الا وسط ألو كها يا أبت وألحمها
حتى لا يدري أحد الطعام هي أم الاممين قال است بصاحبها فقال الا صغري يا أبت أمصها
ثم أدقها وأسفها سفا قال أنت صاحبها وهي لك زادك الله معرفة وحزناً * ووقف أعرابي
على أبي الاسود وهو يتغذى فسلم فرد عليه ثم أقبل على الاكل ولم يعزم عليه فقال له
الاعرابي أما اني قد مررت بأهلك قال كذلك كان طريقك قال واهراً أنك حبل قال كذلك
كان عهدى بها قال قد ولدت قال كان لا بد لها أن تلد قال ولدت غلامين قال كذلك
كانت أمهما قال مات أحدهما قال ما كانت تقوى على ارضاع اثنين قال ثم مات الآخر
قال ما كان لي بقي بعد موت أخيه قال وماتت الام قال حزناً على ولديها قال ما أطيب
طعامك قال لاجل ذلك أكلته وحدي وروا الله لاذقته يا اعرابي * وقيل خرج أعرابي قد ولده
الحجاج بعض التواخي فأقام بهامدة طويلة فلما كان في بعض الايام ورد عليه أعرابي
من حبيبه فقدهم اليه الطعام وكان اذا نجا عاقساً له عن أهله وقال ما حال ابني عمير قال على
ما تحب قد ملا الارض والحي رجالاً ونساء قال فافعات أم عمير قال صالحة أيضاً قال فما
حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلمنا ايقاع قال قد ملا الحى نجماً قال فما حال جـلى
زريق قال على ما يسر لك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفعي الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابي
ثم أقبل عليه يسأله وقال يا مبارك الناصية أعد على ما ذكرت قال سئل عما به لك
قال فما حال كـبي ايفاع قال مات وما الذي أماته قال اختنق بعظيمة من عظام جـلاك
زريق فمات قال أو مات جـلى زريق قال نعم قال وما الذي أماته قال كثرة نقل الماء
الى قبر أم عمير قال أو مات أم عمير قال نعم قال وما الذي أماته قال كثرة بكائها على عمير
قال أو مات عمير قال نعم قال وما الذي أماته قال سقطت عليه الدار قال أو سقطت الدار قال
نعم قال فقام له بالعصا ضارباً فولى من بين يديه هارباً (وحكى) بعضهم قال كنت في سفر
فضلت عن الطريق فرأيت بيتاً في الفلاة فأتيت به فاذا به اعرابية فلما رأته قالت من
تـكون قلت ضيف قالت أهلاً ومرحباً بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت
فقدمت لي طعاماً فأكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك اذا بـل صاحب البيت فقال

من هذا فقال ضيف فقال لأهلا ولا مرح - بما لنا ولا ضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتي وسرت فلما كان من الغد رأيت بيتا في الثلاثة فقصدته فإذا فيه أعرابية فلما رأيتها قالت من تكون قلت ضيف قالت لأهلا ولا مرح - بما بالضيف مالنا ولا ضيف فبينما هي تمككني إذا قبل صاحب البيت فلما رأاني قال من هذا قالت ضيف قال مرح - بما وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وما فشربت فتذكرت ما مررتي بالامس فتبسمت فقال هم تبسمك فقصدت عليه ما اتفق لي مع ذلك الاعرابية وبعلمها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التي رأيتهما هي أختي وإن بعلمها أخوها أنتي هذه تغلب على كل طبع أهله وحكايات هؤلاء وأمثالهم كثيرة وأخبارهم ونواديرهم شهيرة وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله تعالى التوفيق واله - داية انه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس والثلاثون في الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والمضيف وأخبار الأكلة وما جاء عنهم وغير ذلك

* (أما باحة الطيب من المطاعم) * فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محرم الحلال كحلل الحرام وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده في مأكله ومشربه وكان الحسن يقول ليس في اتخاذ الطعام سرف وسئل الفضل عن يترك الطيبات من اللحم والخبيص للزهد فقال مال للزهد وأكل الخبيص ليس لك تأكل وتنتق الله ان الله لا يكرم أن تأكل الحلال اذا اتقيت الحرام انظر كيف تركت بوالدينك وصلتك للرحم وكيف عطفتك على الجار وكيف رحمتك للمسلمين وكيف كظمك للغضب وكيف عتوك عن ظلمك وكيف احسانك الى من أساء اليك وكيف صبرك واحتمالك للذي أنت الى احكام هذا أخرج من ترك الخبيص * (وأما نعوت الاطعمة وما جاء فيها) * فقد نقل عن الرشيد أنه سأل ابا الحرث عن الفالوذج والوزنج أيهما أطيب فقال يا أمير المؤمنين لا أقضي على غائب فأحضرهما اليه فجعل يأكل من هذا القمة ومن هذا القمة ثم قال يا أمير المؤمنين كلما أردت أن أقضي لأحدهما أتى الآخر بحجته واختلف الرشيد وأتم جعفر في الفالوذج والوزنج أيهما أطيب فحضر أبو يوسف الثاني فسأله الرشيد عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا يقضي على غائب فأحضرهما فأكل حتى اكتفى فقال له الرشيد احكم قال قد اصطلح الخصمان يا أمير المؤمنين فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار فبلغ ذلك زينة فأمرت له بألف دينار ألاف دينار وسمع الحسن البصري رجلا يعيب الفالوذج فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما أظن عاقلا يعيبه وقال الأصمعي أقول من صنع الفالوذج عبد الله بن جدعان وأني أعرابي بفالوذج فأكل منه لمة ففيل له هل نعرف هذا فقال هذا وحياتك الصراط المستقيم وكان

أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم وكان صلى الله عليه وسلم يقول هو سيد الطعام في الدنيا والآخرة وهو يزيد في السمع ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم أفعل وكان صلى الله عليه وسلم يحب الدباء ويقول يا عائشة إذا طبختن قدرافاً ثروا فيها من الدباء فانه يشد القلب الحزين وهي شجرة أخى يونس وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالقرع فانه يشد القواد وي زيد في الدماغ وعليكم بالعدس فانه يرق القلب ويغفر الذمعة وعن أبي رافع قال كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول أكل القرأمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصلح الكبد والزيب يشد العصب ويذهب بالنصب والوصب والكرفس يقوى المعدة ويطيب الفمكة وأطيب اللحم الكتف وكان يديم أكل الهريسة وكان يأكل على سباط معاوية ويصلي خلف علي ويجلس وحده فسئل عن ذلك فقال طعام معاوية أدم والصلاة خلف علي أفضل وهو أعلم والجلوس وحدي لي أسلم وسميت المتوكلمة بالمتوككل والمأمونية بالمأمون وقال الحسن بن سهل يوماً على مائدة المأمون الارز يزيد في العمر فبأله المأمون عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان طب الهندي صحيح وهم يقولون ان الارز يري منامات حسنة ومن رأى مناماً حسناً كان في نهاري ن فاستحسن قوله ووصفه وقال أبو صفوان الارز الأبيض بالسمن والسكر ايس من طعام أهل الدنيا وقيل لابي الحرث ما تقول في القالوذجة قال وددت لو أنهم اوملأ الموت اعتلجها في صدري والله لو أن موسى لقي فرعون بالقالوذجة لآمن ولكنه لقتله بعصا وكانت العرب لا تعرف الألوان انما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح حتى كان زمن معاوية رضي الله عنه فاتخذ الألوان ويقال للمرقعة المسخنة بنت نارين وكان بعض المترفهين يقول جنبوا مائدتي بنت نارين وقالوا كل طعام أعيد عليه التسخين مرتين فهو فاسد وقيل اذا ألقى اللحم في العسل ثم أخرج بعد شهر طر يافانه لا يتغير ويقال للسكاج سيد المرق وشيخ الاطعمة وزير الموائد ويقال اذا طبخت اللحم بالخل فقه دأقيت عن معدتك ثلث المونة ويقال للخبز ابن حبة قال بعضهم

في حبة القلب مني * زرعت حب ابن حبه

وعن ابن عباس رضي الله عنه ما رفعه أكرموا الخبز قالوا وما كرامته يا رسول الله قال لا ينتظر به الا دام اذا وجدتم الخبز فكلوه حتى تؤثروا به وفي الحديث من داوم على اللحم أربعين يوماً قسا قلبه ومن تركه أربعين يوماً ساء خلقه وقيل المائدة التي أنزلت على نبي اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكزاث وتمكة عندها رأسها خيل وعنده ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل واحد زيتون وحب رمان ودخل ابن قزعة يوماً على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه فقال ما بال مولانا ايس يدعوني الى الفوز بأكل الموز فقال صفه حتى أطمعك منه فقال ما الذي أصف من حسن لونه فيه سمائك ذهبية كأنها خشيت زبدا وعسل أطيب الثمر كأنه مخ الشحم سهل المقشر ابن المكسر عذب

المطعم بين الطعوم سلس في الحلقوم ثم متيده وأكل وسمع رجلا يذم الزبد فقال له ما الذي ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه وقيل له ما تقول في الباذنجان قال أذنا ب المحاجم وبطون العقارب وبزور الرقوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشى بالثعوى والمغفرة ما أفلح * وصنع الخجاج ولينة واحتفل فيها ثم قال لرازان هل هل كسرى مثلها فاستهفاه فأقسم عليه فقال أولم عبد عند كسرى فأقام على رؤس الناس ألف وصيفة في يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الخجاج اف والله ما تركت فارس لمن بعدهما من الملوك شرفا * وأهدى رجل الى آخر فالوذجة زنجفة وكتب اليه اني اخترت لعمليها السكر السوسى والعسل الماردانى والزعفران الاصهب اني فأجابه والله العظيم ما علمت الا قبل أن توجد أصهبان وقبل أن تفتح السوس وقبل أن يوحى ربك الى النحل وقيل ان أباجهم ابن عطية كان عينا لابي مسلم الخولاني على المنصور فأحس المنصور بذلك فطاولة الحديث يوما حتى عطش فاستسقى فدعاه بقدح من سويق اللوز فيه السم فناولوه اياه فشرب منه فما بلغ داره حتى مات فقيل في ذلك

تجنب سويق اللوز لا تقر به * فشرب سويق اللوز أردى أباجهم
وقال أبوطالب المأمونى

فما جلت كف امرئ متطعما * الذواشمى بن أصابع زينب

وأصابع زينب ضرب من الخلوى يعمل بيغداد يشبه أصابع النساء المنقوشة * ودخل السائب على علي رضي الله عنه في يوم شات فناولوه قدح فيه عسل وسم وابن فأباه فقال أما انتك لو شربته لم تزل دفتا شبعان ما نرى يومك * وعن نافع بن أبي نعيم قال كان أبوطالب يعطى عليا قدح من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويول على اللات * (وأما الزهد في المأكول) فقد زهد فيه كثير من الاخيار مع القدرة عليه ومنهم من لا يقدر عليه قالت عائشة رضي الله عنها والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما كان لنا منخل ولا أككل رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا منخولا منذ بعثه الله تعالى الى أن قبض قيل فكيف كنتم تأكلون الشعر قالت كنا نقول اف اف وعن جابر رضي الله تعالى عنه رفعه نعم الادم الخلل وكفى بالمرء سرفا أن يتسخط ما قرب اليه وقال عمر رضي الله عنه ما اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ادمان الا أكل أحدهما ونصدق بالآخر وقالت عائشة رضي الله عنها ما كان يجتمع لوانان في لقمة في فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان الخالم يكن خبزا وان كان خبزا لم يكن الخما وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا علي ابدأ بالمح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء وروى أن نبيا من الانبياء عليهم السلام شك الى الله الضعف فأمره أن يطبخ اللحم باللبن فان القوة فيه ما وسند كفضل الزهد في المأكول والمشارب في باب مدح الفقراء ان شاء الله تعالى

* (وأما ما جاء في آداب الاكل) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عند مطعمه ومشربه بسم الله خير الاسماء بسم الله رب الارض والسماء لم يضره ما أكل وما شرب وكان صلى الله عليه وسلم اذا وضع بين يديه الطعام قال بسم الله اللهم بارك لنا فيما

رزقنا وعليك خلفه وقال صلى الله عليه وسلم من أكل طعاما فقال الحمد لله الذي
أطعمني هذا ورزقني من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا
فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقني من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه
وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل
أحدكم فليذكر اسم الله فان نسي في أوله فليقل بسم الله وأوله وفي حديث ابن عمر رضي
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل أحدكم فليأكل كل بيمينه وإذا شرب
فليشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله وقال صلى الله عليه وسلم
الأكل في السوق دناءة وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزرجر
عن الشرب قائما قال فسألناه عن الأكل قائما فقال هو شربة من الشرب وأوصى رجل
من خدم الملوكة ابنة فقال إذا كنت فضع شفتيك ولا تلمتن يميناً ولا شمالاً ولا تقم بسكين
ولا تجلس فوق من هو أشرف منك وأرفع منزلة ولا تبصق في الأماكن النظيفة ومن هذا
ما رواه الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينهي عن النخ في الطعام والشراب وقال علي
رضي الله عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤكل الطعام حاراً وفي الصحيحين عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم طعاماً قط ان شتماء أكله
والأتركة وقال عمرو بن هيرة عليكم بما كره الغداة فان مكرهه تطيب التكهة وتعين على المرواة
قبل وما عاتته على المرواة قال أن لا تنفق نفسك إلى طعام غيرك وعن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من أكل من سقط المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده وولد له من الحق وعنه
صلى الله عليه وسلم من أقطش يأمن الطعام فأكله حرم الله جلده على النار وكان الحرث
ابن كلفة يقول إذا تغذى أحدكم فليمن على غدائه وإذا تعشى فليخط أربعين خطوة وقيل خير
الغداة بواكره وخير العشاء سواقره وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما قال نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يتبع الرجل بصره لقمة أخيه وقال الججاج لأعرابي يوماً على سباطه
أرفق بنفسك وأنت يا ججاج اغضض من بصرك وقال معاوية لرجل على مائدة خذ
الشعرة من لقمته فقال وإنك تراعي من يرى الشعرة في لقمته لا أكل لك طعاماً
أبداً ووضع معاوية بين يدي الحسن بن علي رضي الله عنهما ما دجاجة ففكها فقال معاوية هل
بينك وبين أمها عداوة فقال الحسن فهل بينك وبين أمها قرابة أراد معاوية أن الحسن يوقر
بجاسه كما يوقر مجالس الملوكة والحسن أعلم منه بالأداب والرسوم المستحسنة رضي الله
عنه ما حضر أعرابي على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدي مشوي فجعل الأعرابي يسرع
في أكله منه فقال له الخليفة أرايت أكله بمجرد كأن أمه تطحنك فقال أرايت تشفق عليه
كأن أمه أرضعتك (وأما ما جاء في كثرة الأكل) فقد روي عن حذيفة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قل طعامه صح بطنه وصفا قلبه ومن كثرت طعامه سقم
بطنه وقسا قلبه وعنه صلى الله عليه وسلم لا تبتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب
كالزراع إذا كثرت المياه مات وقال صلى الله عليه وسلم ما زين الله رجلاً بنية أفضل
من عفاف بطنه وقال عمرو بن عبس ما رأيت الحسن ضاحكاً لامرأة واحدة قال رجل

من جلسائه ما آذاني طعام قط فقال له آخر أنت لو كانت في معدتك الحجارة لطحنها وقال
علي كرم الله وجهه البطنة تذهب الفطنة وقال ابن المقفع كانت ملوك الاعاجم
اذا رأت الرجل ثم ما شرها أخرجوه من طبقة الجد الى باب الهزل ومن باب التعظيم الى باب
الاحتقار وتقول العرب أقلل طعاما تتجدد مناما وكانت العرب تعبير بعضها بكثرة الاكل
وأنشدوا

استبأ كال كاء كل العبد * ولا يتوأم كنوم الفهد

وأنشد الاسدي لرجل من بني فهد

اذالم أزرالا لا كل أكلة * فلا رفعت كفي الى طعام

فما أكلة ان نلتها بغنية * ولا جوعه ان جعته بغرام

وقالت عائشة رضي الله عنها أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشتري غلاما فألقى بين يديه
نمرا فأكل فأنكر فقال صلى الله عليه وسلم ان كثرة الاكل شؤم وقالوا الوحدة خير من الجليس
السوء والجليس السوء خير من الأكل السوء وشكا أبو العناء الى صديق له سوء الحال
فقال اشكر فان الله قد رزقك الاسلام والعافية قال أجل ولكن بينهما جوع يقلقل الكبد
ودعت أبا الحرث حبيبة له فخادته ساعة فجاء فطلب الاكل فقالت له أما في وجهي
ما يشغلك عن الاكل قال جعلت فداك لو أن جملا وبنيمة قعدا ساعة لا يأكلان لم يبق كل
منهما في وجه صاحبه واقتربا

* (وأما أخبار الأكلة) * فقد قيل ان وهب بن جريس سأل ميسرة البراش عن أعجب
ما أكل فقال أكلت مائة رغيف بمكوك بلح * ومرت ميسرة المذكور يوما بتوم وهو راكب
حمارا فدعوه للضيافة فذبحوا له حماره وطبخوه وقدموه له فأكله كله فلما أصبح طلب حماره
ليركب عليه فقتل له هو في بطنك * وقال المعتمر بن سليمان قلت له لال المازني ما أكلة
بأفنى عندك قال جعت مرة ومعي بعير لي فخبرته وشوئته وأكلته ولم أبق منه الا شيا
يسير اجنته على ظهري فلما كان الليل أردت أن أجمع أمة لي فلم أقدر أصل اليها
فقالت كيف تصل الي وينما جل فقلت له كم تكفيك هذه الاكلة فقال أربعة أيام وقال
الاصمعي ان سليمان بن عبد الله كان شرهانا ما وكان من شرهه أنه اذا أتى بالسفود
وعليه الدجاج السمين المتوى لا يصبر الى أن يبرد ولا أن يوثق بنسديل فيأخذ بكفه فيأكل
واحدة واحدة حتى يأتي عليها فقال الرشيد ويحك يا أصمعي ما أهلك بأخبار الناس
اني عرضت على جباب سليمان فرأيت فيها آثار الدهن فظننته طيبا حتى حدثتني ثم أمرني
بجبة منها فكنت اذا لبستها أقول هذه جبة سليمان بن عبد الملك * وقال الشمر دل
وصكيل عمرو بن العاص قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمرو بن
عبد العزيز الى وقال يا شمر دل ما عندك ما تطعمني قلت عندي جدى كأكظم
ما يكون منما قال جهل به فأنتبه به كأنه عكة سم ففعل بأكل منه ولا بدعوه عمر حتى اذا لم يبق
منه الاخذ قال هلم يا أبا جعفر ففر فقال اني صائم فأكله ثم قال يا شمر دل ويلك أما عندك شيء قلت
ست دجاجات كأنهن أنخا ذنعام فأنتبه بهن فأتى عليهن ثم قال يا شمر دل أما عندك شيء قلت

سويته كأنه قراضة الذهب فأتيته به فعبه حتى أتى عليه ثم قال يا غلام أفرغت من غدائنا
قال نعم قال ما هو قال نصف وثلاثون قدرا قال ائتني به قدر قدراً ثانياً بها ومعه الرقاق فأكل
من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلم على فراشه وأذن للناس فدخلوا ووصف الخوان ففقد
وأكل مع الناس وكان هلال بن الأسعر يضع القمع على فيه ويصب اللبن أو النبيذ وكان غليظاً
عملاً * وقال أعرابي لرجل رآه سميناً أرى عليك قطيعة من نسج أضر أسك * وقال أبو المحسر
الأعرابي كانت لي بنت تجلس معي على المائدة فتبرز كفاً كأنها صالفة في ذراع كأنه
جارية فلا تقع عينها على لقمة نفيسة الاخصني بها فكبرت وزوجتها وصرت أجلس على
المائدة مع ابن لي فيبرز كفاً كأنها كرافة فوالله ان تسبق عيني الى لقمة طيبة الاسبق يده اليها
* وقال مسلم بن قتيبة عدت للحجاج أربعة وعثمان بن زغبة فامع كل رغبة سمكة * ويقال
فلان يحياكي حوت يونس في جودة الاتقام وعصا موسى في سرعة الاتهام * وقيل لابي مرة
أى الطعام أحب اليك قال لحم سمين وخبز سميد أضرب فيه ضرباً ولئى السوء في مال اليتيم
* وقال صدقة بن عبيد المازني أولم لي أبى لما تزوجت فعمل عشر جفان تريد من جزور فكان
أول من جاءنا هلال المازني فقدمنا له جفنة مربعة فأكلها ثم أخرى فأكلها حتى أتى على
الجميع ثم أتى بقربة مملوءة من النبيذ فوضع طرفها في شدة وقطر عليها في جوفه ثم قام فخرج
واستأنفنا عمل الطعام * وكان عبيد الله بن زياد يأكل في كل يوم خمس أكالات فخرج يوماً
يريد الكوفة فقال له رجل من بني شيخان العداة أصلم الله الأمير فنزل فذبح له عشرين طائراً
من الاوز فأكلها ثم قدم الطعام فأكل ثم أتى برتيلين في أحدهما تين وفي الآخر بيض
لجعل يأكل من هذائنة ومن هذائنة حتى أتى على ذلك جميعه ثم رجع وهو جائع وكان
ميسرة البراش يأكل الكبش العظيم ومائة رغيف فذكر ذلك للمهدي فقال دعوت يوماً بالليل
وأمرت فألقى اليه رغيف رغيف فأكل تسعة وتسعين وألقى اليه تمام المائة فلم يأكله
* وحدث الشيخ نبيه الدين الجوهري أنه سمع الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام يقول
ان معاوية بن أبي سفيان كان يأكل في كل يوم مائة رطل بالدمشقي ولا يشبع * ونزل رجل
بصومعة راهب فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضرا اليه العدس فحمله وجاء
فوجد مائة رطل فذهب فألقى بخبز فوجد مائة رطل بالدمشقي ولا يشبع * ونزل رجل
فسأله الراهب أين مقصده قال الى الاردن قال لماذا قال بالغنى أن به طيباً حاذقاً سأله
عما يصلح معدني فاني قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لي اليك حاجة قال وما هي قال
اذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك على

* (وأما المهازلة على الطعام) فقد روى عن يحيى بن عبد الرحمن رضى الله عنه قال قالت
عائشة رضى الله عنها كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت حريرة فجئت
به فقلت لسودة كلى فقالت لا أحب به فقلت والله لتأكلين أو لا تطحن وجهك فقالت ما أنا
بذا فقلت فأخذت من الصحن شيئاً فطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني
وبينها فتناورات من الصحن شيئاً فطخت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يضحك * واشترى غندر يوماً مائة كوكا وقال لا هله أصلحوه ونام فأكل عباله السمك ولطخوا

يده فلما انتبه قال قد. وا الى السمك قالوا قد اكلت قال لا قالوا ثم يدك ففعل فقال صدقتم
وايكن ماشعنت * ودخل الجدوني على رجل وعنده اقوام بين ايديهم هم اطباق الحلوى
ولا يعتدون ايديهم فقال لقد ذكرتوني ضيف ابراهيم وقول الله تعالى فلما رأى ايديهم لا تصل
اليه نكرهم. وأوجس منهم خيفة ثم قال كلوا رحمكم الله فضحكوا واكلوا والحكايات
في ذلك كثيرة

* (وأما الضيافة واطعام الطعام) * فقه. فقال الله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم
المكرمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
ولا يؤذجاره وقال صلى الله عليه وسلم من أكل وذو عيين ينظر اليه ولم يواسه ابلى بداء
لادواءه وقال الحسن كأنهم مع أن احدى مر اجب الرحمة اطعام الاخ المسلم الجائع وقيل
لابراهيم الخليل عليه السلام بم اتخذك الله خليلا قال ثلاث ما خبرت بين شيئين الا اخترت
الذي لله على غيره ولا اهتمت بما تكفل لي به ولا تغتبت ولا تعشيت الا مع ضيف ويقولون
ما خلا مضيف الخليل عليه السلام الى يومنا هذا ليله واحدة من ضيف وكان الزهرى
اذ لم يأكل أحد من أصحابه من طعامه حاف لا يحدته عشرة أيام * وقالوا المائدة مرزوقه
أى من كان مضيفا فوسع الله عليه * وقالوا أقول من سن القرى ابراهيم الخليل عليه السلام
وأقول من ثرد الثريد وهشمه هاشم وأقول من أفطر جيرانه على طعامه في الاسلام عبد الله
ابن عباس رضى الله عنه ما هو وأقول من وضع موائده على الطريق وكان اذا خرج من بيته
طعام لا يعود منه شئ فان لم يجد من يأكله تركه على الطريق * وقيل لبعض الكرماء كيف
اكتسبت مكارم الاخلاق والتأذب مع الاضياف فقال كانت الاسفار تجوحنى الى أن أفد على
الناس فاستحسنه من أخلاقهم اتبعته وما استعجبته اجتنبته

* (وأما آداب المضيف) * فهو أن يخدم أضيافه ويظهر ابراهيم الغنى وبسط الوجه فقه. وقيل
البشاشة في الوجه خير من القرى قالوا فكيف بمن يأتي بها وهو ضاحك وقد ضمن الشيخ
شمس الدين البديوى رحمه الله هذا الكلام بأيات فقال

اذا المرء وافى منزلا منك قاصدا * قرأك وأومته لديك المسالك
فكن باسمى وجهه متللا * وقل مرحبا أهلا ويوم مبارك
وقدم له ما استطيع من القرى * عجولا ولا تبخل بما هو مالك
فقد قيل بيت سالف متقدم * تدا وله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى * فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك

وقالت العرب تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهله وإطالة الحديث عند الموائكة وقال
حاتم الطائي

سلي الطارق المعتر يا أم مالك * اذا ما أتاني بين نارى ومجزرى
أبسط وجهى انه أول القرى * وأبذل معروفى له دون منكر

وقال آخر فى عبد الله بن جعفر

انك يا ابن جعفر خير فنى * وخيرهم اطارقا اذا أتى

ولله در القائل

الله يعلم انه ما مررتني * شئ كطارقة الضيوف المنزل
مازالت بالترحيب حتى خلعتني * ضيفاله والضيف رب المنزل
أخذ من قول الشاعر
يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وأنت رب المنزل
وما أحسن ما قال سيف الدولة بن حيدان
منزلنا رحب لمن زاره * نحن سواء فيه والطارق
وكل ما فيه حلاله * الا الذي حرّمه الخالق
وقال الاصمعيّ - الت عينة بن وهب الدارمي عن مكارم الاخلاق فقال أو ما سمعت قول
عاصم بن وائل

وانا لقري الضيف قبل نزوله * ونشبعه بالبشر من وجه ضاحك
وقال بعض الكرام

اضاحك ضيفي قبل أنزل رحله * ويخصب عندي والهلّ جديب
وما الخصب الا ضيف أن تكثر القري * ولكنما وجه الكرم خصيب
وقال آخر

عوّدت نفسي اذا ما الضيف نهني * عقر العشار على عسر وإيسار
ومن آداب المضيف أن يتفقد دابة ضيفه ويكرمها قبل اكرام الضيف قال الشاعر
مطية الضيف عندي تلوصاحبها * ان يأمن الضيف حتى تكرم القرى
وقال علي بن الحسين رضي الله عنهم ما من تمام المرأة خذمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا
ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وأهله أما سمعت قول الله عز وجل وأمرأته
قائمة ومن آداب المضيف ان يحدث أضيفه بما قيل اليه نفوسهم ولا يناس قبلهم ولا يشكو
الزمان بحضورهم ويبش عندهم ويألم عندهم وداعهم وأن لا يحدث بما يروعههم به
كما حكى بعضهم قال استدعاني الحق بن ابراهيم الظاهري الى أكل هريسة في بكرة فنهّار
فدخلت فأحضرت لنا الهريسة فأكلنا فاذا شجرة قد جاءت على لقمة غفلة عن اطباخه
فاستدعي خادمه فأسر اليه شيأ لم نعلمه فعاد الخادم ومعه صينية مغطاة فكشف
عن الصينية فاذا يد الطباخ مغطاة تحتلج فتكدر علينا عيشنا وبقينا من عنده ونحن لا نعقل
فيجب على المضيف أن يراعي خواطر أضيفه كيف ما أمكن ولا يغضب على أحد
بحضورهم ولا ينقص عيشهم بما يكرهونه ولا يعيب بوجهه ولا يظهر زكدا ولا ينهر أحدا
ولا يشتمه بحضرتهم بل يدخل على قلوبهم السرور بكل ما أمكن كما حكى عن بعض الكرام
أنه دعا جماعة من أصحابه الى بستانه وعمل لهم سماطا وكان له ولد جميل الطلعة فكان
الولد في أول النهار يخدم القوم ويأثسون به في آخر النهار يصعد الى السطح فتسقط فئات لوقته
فحلب أبوه على امه بالطلاق الثلاث أن لا تمرخ ولا تسمى الى أن تصبح فلما كان الليل
سأله أضيفه عن ولده فقال هو نائم فلما اصبحوا وأرادوا الخروج قال لهم ان رأيتم ان تصلوا

على وادى فانه بالامس سقط من على السطح فأتى اعمته فقالوا له لم لا أخبرتنا حين
 ما انك فقال ما ينبغي اعاقل ان ينقص على اضيافه في المناداهم ولا يكتر عليهم في عيشهم
 فتعجبوا من صبره وتجلده ومكارم أخلاقه ثم صلوا على الغلام وحضروا دفنه وبكوا
 عليه وانصرفوا وعلى المضيف ان يأمر غلامه بحفظ نعال اضيافه وتنقذ غلمانهم بما يكفيهم
 ويسهل حجابهم وقت الطعام ولا يمنع واردا وقيل لبعض الامراء الكرام لا بأس بالحجاب
 لئلا يدخل من لا يعرفه الامير ويحترز عن العدو فقال ان عدوا يأكل طعامنا ولا يتخذ
 لا يمكنه الله منا والابق بالكريم الرئيس ان يمنع حاجبه من الوقوف بابه عند حضور الطعام
 فان ذلك أول الشناعة عليه وعليه ان يسهر مع اضيافه ويؤانسهم بلذات المحادثة وغريب
 الحكايات وان يستميل قلوبهم بالبذل لهم من غرائب الطرف ان كان من أهل ذلك وان يرى
 اضيافه مكان الخلاء فقد قيل عن ملك الهند انه قال اذا ضافك أحد فأره المضيف فاني
 ابتليت به مرة فوضعت في قلبي وقى وقالوا لا بأس ان يدخل الرجل دار أخيه يستطعم للصدقة
 الوكيدة وقد قصه النبي صلى الله عليه وسلم والشيخان منقول الهيثم بن التيهان وأبي أيوب
 الانصاري وكذلك كانت عادة السلف رضي الله تعالى عنهم وكان اعون بن عبد الله المسعودي
 ثلثة مائة وستون صديقا فكان يدور عليهم في السنة ولا بأس أن يدخل الرجل بيت صديقه
 فيها كل وهو غائب فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة رضي الله عنها فأكل طعامها
 وهي غائبة وكان الحسن رضي الله عنه يوما عند بقال فجعل يأخذ من هذه الجونة تينة ومن
 هذه فستقة فبأكلها فقال له هشام مباد لك يا أبا سعيد في الورع فقال له بالكع اتل على آية
 الاكل قلا ولا على أنفكم أن تأكلوا من بيتكم الى قوله أو صديقكم فقال الصديق من
 استروح اليه النفس واطمأن اليه القلب وعلى المضيف الكريم أن لا يتأخر عن اضيافه
 ولا يمنع عن ذلك قلة ما في يده بل يحضر اليهم ما وجد فقد جاء عن أنس وغيره من الصحابة رضي
 الله عنهم أنهم كانوا يفتنون الكسرة اليابسة وحشيف التمرو يقولون ما ندرى أيهم ما أعظم
 وزرا الذي يحقر ما قدم اليه أو الذي يحقر ما عنده ان يقدمه وعن أنس رضي الله عنه عن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال من لقم اخا قمة حلوة صرف الله عنه حرارة الموقف
 * (وحكى) عن الامام الشافعي رضي الله عنه أنه كان نازلا عند الزعفراني يبعدا فكان
 الزعفراني يكتب في كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويدفعها الى الجارية فأخذها
 الشافعي منها يوما وألحق فيها لونا آخر فعرف الزعفراني ذلك فأعتق الجارية سرورا بذلك
 وكانت سنة السلف رضي الله عنهم أن يقدموا لاله الالوان دفعة ليأكل كل شخص
 ما يشتهي ومن السنة ان يشيع المضيف الضيف الى باب الدار وعلى المضيف اذا قدم
 الطعام الى اضيافه أن لا ينتظر من يحضر من عشيرته فقله قيل ثلاثة قضى سراج لا يضي
 ورسول بطن ومائدة ينتظران من يحيى ونزل الامام الشافعي رضي الله عنه بالامام مالك رضي
 الله عنه فصب بنفسه الماء على يديه وقال له لا يرعك ما رأيت مني فخدمة المضيف على المضيف
 فرض

اعرض طعامك وابذله لمن أكلا * واحلف على من أبي واشكران فعلا

ولا تمكن سابري العرض محتشما * من القليل فاست الدهر محتفلا
ومن البخلاء من يعزم على الضيف فيعذره فيسلك عنه بمجرد الاعتذار كأنه تخلص من ورطة
وقيل لبعض البخلاء ما الفرج بعد الشدة قال أن يعذر الضيف بالصوم ومن البخلاء
من يعجبه طعامه ويصف زباده ويشتهى أن تبقى على حالها ومنهم من يحضر طعامه فإذا
رآه ضيوفا أمر بأن يرفع منها أطيبها وأشهاها إلى النفوس ويعذر أن في أصحابه من يحضر
بالغداة عنده * (وحكى) عن بعض البخلاء أنه استأذن عليه ضيف وبين يديه خبز
وزبده فبها غسل فحل فرفع الخبز وأراد أن يرفع العسل فدخل الضيف من قبل أن يرفعه
فظن الضيف أن ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز فقال له ترى أن تأكل عسلا بلا خبز
قال نعم وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقة فقال له البخل مهلا يا أخي والله أنه يعرف القاب
قال نعم صدقت ولكنه قلبك * (وحكى) عن بعضهم أنه قال غلب علي الجوع مرة فقلت
أمضى إلى دار فلان لا تغذي عنده ففتحت إلى باب بيته فوجدت غلامه فقلت له أين سيدك
فقال والله لا قلت لك عليه إلا أن أعطيتني كسرة قال فرجعت هاربا ومن البخل تقديم
الشيء اليسير وتفخيمه * (حكى) عن بعض البخلاء أنه حلف يوما على صديقه وأحضر له
خبزا وجبنا وقال له لا تستقل الجبن فإن الرطل منه بثلاثة دراهم فقال له ضيفه أنا جعله
بدرهم ونصف قال وكيف ذلك قال آكل لقمة يجبن واقمة بلا جبن فأين هؤلاء من الذي
يقول

قالت أما ترحل تبغي الغنى * قلت فمن لطارق المعتم
قالت فهل عندك شيء * قلت نعم جهد القتي المعدم
فكمم وحق الله من ليلته * قد أطم الضيف ولم أطم
أن الغنى بالنفس يا هذه * ليس الغنى بالمال والدرهم

وقال بعض البخلاء

سرى نحو ناي في القرى طاوى الحشى * لقد علمت فيه الظنون الكواذب
فبات له منا إلى الصبح شام * بعدد تطفيل الضيوف وضارب

فستان ما بين القائلين

* (وأما آداب الضيف) فهو أن يبادر إلى موافقة المضيف في أمور منها أكل الطعام
ولا يعتذر بشبع بل يأكل كيف أمكن * فقد حكى أنه ورد على بعض الأعراب ضيف
فدخل به إلى بيته وقدم له الطعام فقال الضيف لست بجائع وإنما احتاج إلى مكان أبيت
فيه فقال الأعرابي إذا كان هذا عزمك فكن ضيف غيري فاني لا أرى أن تغدحني
في البلاد وتجعوني فيما بيني وبينك * (وحكى) عن بعض التجار قال استدعاني أبو
حفص محمد بن القاسم الكرخي لأعرض عليه قماش من تجاري فبينما أنا بين يديه وإذا بأطباق
الفاكهة قد حضرت فقامت من مجلسه فقال يا فلان ما هذا الخلق العاصي اجلس فجلس
وتحقت كرمه وجعلت آكل الكمية في لقمة والتفاحة في لقمة ثم قدم الطعام وكنت
جائعا فأكلت أكلًا جيدًا ثم انصرفت فلم أشعر في اليوم الثاني إلا وقد جاءني غلامه

بفعله فاستدعاني اليه فقال لي يا فلان اني قليل الاكل بطي الهضم ولقد طابت لي مؤاكلة
بالامس فأريد أن لا تنقطع بعدها عني قال فكنت متى انقطعت حضر غلامه في طابى فحصل لي
بقربي منه مال كثير وجاء عريض ومن آداب الضيف أيضا أن لا يسأل صاحب المنزل
عن شيء من دأره سوى القبله وموضع قضاء الحاجة وأن لا يتطالع الى ناحية الحرم وأن لا
يخالفه اذا أجلسه في مكان واكرمه به وأن لا يمنع من غسل يديه واذا رأى صاحب المنزل
قد تحرل بجركه فلا يمنعه منها فقد نقل في بعض المجاميع ان بعض الكرماء كان عريضا على
اضيافه سي الخلق بهم فبلغ ذلك بعض الاذكياء فقال الذي يظهر لي من هذا الرجل أنه كريم
الاخلاق وما أظن سوء اخلاقه الا سوء أدب الاضياف ولا بد ان انطلق عليه لارى حقيقة
امره قال فقصدته وسلمت عليه فقال هل لك أن تكون ضيفي قلت نعم فسار بين يدي الى ان جاء
الى باب داره فأذن لي فدخلت فأجلسني في صدر مجلسه فجاءت حيث اجلسني واعطاني مسندا
فاستندت اليه فاخرج لي شطرنجيا وقال أتتقن شيئا قلت نعم فاعبت معه فلما حضر الطعام جعل
يقدم لي ما استطابه وأنا آكل فلما فرغنا قدم طسنتا واربعا وأراد ان يمسك الماء على
يدي فلم امنعه من ذلك وأراد الخروج بين يدي بعد ان قدم نعلي فلم أرده عن ذلك فلما أراد
الرجوع قلت يا سيدي انشدك الله الا فرجت عني كربة قال وما هي فأخبرته الخبر فقال
والله ما يحوجني لذلك الا سوء أدبهم يصل الضيف الى دارى فاجلسه في الصدر فيأتي ذلك
ثم اقدم اليه الطعام فلا تحفه بشئ مسستظرف الارده على ثم اريد ان اصب الماء على يديه عند
الفصل فيحاف بالطلاق الثلاث ما تفعل ثم اريد ان أشبعه فلا يمكنني من ذلك فاقول في نفسي
لا يحكم الانسان على نفسه حتى في بيته فعند ذلك أشتمه والعنه بل وأضر به وفي معنى ذلك
يقول بعضهم

لا ينبغي للضيف ان يعترض * ان كان ذا حزم وطبع لطيف

فالامر للانسان في بيته * ان شاء ان يصف أو أن يحيف

ومما يعاب على الضيف أمور منها كثرة الاكل المفرط الا أن يكون بدويا فانه اعادته ومنها ان
يتبع طريق الشرهين كن يتخذ معه خريطة مشبعة يقلب فيها الزبادى والامراق والحلوى
وغير ذلك ومنها ان يأخذ معه ولده الصغير ويعلمه ان يبكي وقت الانصراف من الطعام ليعطى
على اسم ولده الصغير ومنها قبح المؤاكلة وقد عدها عيوب كثيرة فمن المتشاور والعقاد
والجفاف والرشاف والنفاض والقراض والبهات واللغات والعوام والقسام والمخل
والزبد والمرشح والمرشش والمفتش والمنشف والملبب والصباغ والنقاخ والحامى
والمنجج والشطرنجى والمهندس والمتقى والفضولى فاما المتشاور فهو الذى يستحكم
جوعه قبل فراغ الطعام فلا تراه الا متطعنا ناحية الباب يظن ان كل ما دخل هو
الطعام وأما العقاد فهو الذى يستغرق في عذ الزبادى ويعتدى على أصابعه ويشير اليها وينسى
نفسه والجفاف هو الذى يجعل اللقم في جانب الزبدية ويجرف بها الى الجانب الآخر
والرشاف هو الذى يجعل اللقمة في فيه ويرشها فيسرع لها حين البلع حس لا يخفى
على جاساته وهو يتسبب بذلك والنفاض هو الذى يجعل اللقمة في فيه وينقض أصابعه في

الزبدية والقراض هو الذي يقرض اللقمة بأطراف أسنانه حتى يهذبها ويضعها في الطعام بعد ذلك والبهات هو الذي يهت في وجوه الأكلين حتى يهتهم ويأخذ اللحم من بين أيديهم واللتات هو الذي يلت اللقمة بأطراف أصابعه قبل وضعها في الطعام والعوام هو الذي يميل ذراعيه يمنة ويسرة لاخذ الزبادي والقسام هو الذي يأكل نصف اللقمة ويعيد الباقي في الطعام من فيه والمخل هو الذي يخلل أسنانه بأظفاره والمزبد هو الذي يحمل معه الطعام والمرخ هو الذي يرخ اللقمة في الامراق فلا يطلع الاولى حتى تلبث الثانية والمرشش هو الذي يفسخ الدجاج بغبر خبيرة فيرش على مؤاكله والمفتش هو الذي يفتش على اللحم بأصابعه والمنشف هو الذي ينشف يديه من الدهن باللحم ثم يأكلها والملب هو الذي يملأ الطعام ليابا والصباغ هو الذي ينقل الطعام من زبدية الى زبدية ليرتد والنفاخ هو الذي ينفخ في الطعام والحامي هو الذي يجعل اللحم بين يديه فيحميه عن مؤاكله والمجخ هو الذي يزاحم مؤاكله بجناحيه حتى يفسخ له في المجلس فلا يشق عليه الاكل والشطرنجي هو الذي يرفع زبدية ويضع زبدية أخرى مكانها والمهندس هو الذي يقول لمن يضع الزبادي ضع هذه هنا وهذه هنا حتى يأتي قدامه ما يحب والمفتي هو الذي يقول ليتني لم يكن معي من يأكل والفضولي هو الذي يقول لصاحب المنزل عند فراغ الطعام ان كان قد بقي عندك في القدور شيء فأطعم الناس فان فيهم من لم يأكل * ومن الاضياف من لا يذله حديث الوقت غسل يديه فيبقى الغلام واقفا والابريق في يده والناس ينتظرونه ومنهم من يغسل يديه بالاشنان مرة واحدة فاذا اجتمع الوسخ والزفر تسوّل بهما ومنهم من يدخل الدار فيبتدئ بالهندسة أولا فيقول كان ينبغي أن يكون باب المجلس من ههنا والايوان كان ينبغي أن يكون ههنا وينتقل من الهندسة الى ترتيب المجلس فينقل الفاكهة من موضعها الى موضع آخر وان كان ما استصحبكم جوعه استعفى من الطعام وذهل عن بقية الاضياف وشدة جوعهم ومنهم من يخرج فيطوف على أصدقاء صاحب الدعوة فيسألهم من انقطاعهم ويسألهم عن غيبتهم ويسألهم على عرض صاحبهم * ولقد حكى عن مغن غير مجيد انه لم يطل ولا ليله واحدة وما ذاك الا أنه كان اذا سئل أين كنت قال كنت عند الناس واذا قيل له أين أكلت قال أكلت في بطني واذا قيل له أين شربت قال شربت في في ومنهم من يفهم عن صاحب الدعوة أنه يقول لغلامه اشتر كذا فيقول والله العظيم أو الطلاق الثلاث يلزمه ما يشتري شيئا فاذوقه فيعجز صاحب المنزل ويحججه اذا لم يكن في بيته شيء موجودا ويتشعرى اذا كان لا يأكل فلا شيء حضر ومنهم من يرى صاحب البيت قد أسر الى صديقه شيئا فيقول ما الذي قال المولى لصاحبنا وهو لا يريد ان يعلم ومنهم من يستعجل صاحب المنزل بالاكل ويشبه كالجوع ويظن أن ذلك بسط ومكارم اخلاق وانما ذلك يكون في بيته لا في بيوت الناس ومنهم من يقول لصاحب الدعوة من يغني لنا فيقول فلان فيقول له غلطت لم ادعوت فلانا ومنهم من يسأل صاحب البيت كيف قوته في النكاح فيقول له أنا رجل كبير قد ضعفت قوتي وشهوتي أو يقول مالي قوة طائلة في ذلك فيقول أنا والله كلما مر على عام ترايت شهوتي

وكثيرا هذا الفن نشوقى ويعلن بذلك حتى تسمعه صاحبة البيت ومنهم من يشكو حاله مع أهل بيته ويذكر نفقته عليهم وكسوته لهم وكثرة انعامه واحسانه اليهم وما عليه زوجته من سوء الاخلاق وكبر النفس لتستقل زوجة صاحب البيت ما هي فيه مع زوجها وربما كان ذلك سببا لافراقها منه ومنهم من تعجبه نفسه ويستحسن لباسه ويستطيب رائحته واذاسمع الغناء تواجد وأظهر الطرب وحرك رأسه ويقوم قائما يتمايل حتى يرى أهل الرجل أنه لطيف الشكل بديع الحركات ويظن في نفسه أنه يعشق وأن رسول صاحبة البيت لا يبطئ عنه ومنهم من يقال له لعب الشطرنج فيأباه ويستغل بالندنة فيقع في الفضول ومنهم من يتأمر على غلمان صاحب البيت ويهين أولاده ويظن أنه يدل عليهم ومنهم من يقول له صاحب البيت كل فيقول ما آكل الا أنا ورفيقي ومنهم من يسمع السائل على الباب فيصدق عليه من مال صاحب البيت بغير إذنه أو يقول للسائل فتح الله عليك ومنهم من يدعو الناس لصاحب الوليمة بغير إذنه ويقلمه بذلك المنى وأكثر الناس واقع في ذلك نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدا وأن يعيدنا من شرور أنفسنا ومنه وكرمه أنه جواد كريم رؤوف رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السادس والثلاثون في العفو والحلم والصبر وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المذرة والعتاب وما أشبه ذلك

قد ندب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم الى الصبر والعفو بقوله تعالى فاصبر الصبر الجميل قبل هو الرضا بالاعتاب وقال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى وإن صبر وغفران ذلك لمن عزم الأمور وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالعفو فلو لا على بالله لظننت أنه يوصيني بترك الحدود وقال الحسن بن أبي الحسن إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا العافون عن الناس وتلا قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وقال علي كرم الله وجهه أول الناس بالعفو أقدروهم على العقوبة وكان المؤمنون رحمهم الله تعالى يحب العفو ويؤثروه ويقول لقد حبيب الى العفو حتى اني اخاف أن لا اثاب عليه وكان يقول لو علم أهل الجرائم لذني في العفو لا تركبوها وقال لو علم الناس حبى للعفو لما تقربوا الى الا بالجنائيات وقال علي كرم الله وجهه إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكري للقدرة عليه وقال رضي الله تعالى عنه أقبلوا ذوى المروآت عنراتهم فبايعت منهم عاترا لا ويده يد الله يرفعه وقال رضي الله عنه ان أقول عوض الحليم عن حمله أن الناس أنصار له على الجاهل وقال المنتصر لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفى يلحقها ذم الندم وقال ابن المعتز لا تشن وجه العفو بالتقريب وقيل ما عفا عن الذنب من قرع به وقال رجل لرجل سبه اياك أعنى فقال له وعندك اعرض وكان الاحنف

رحمه الله تعالى كثير العفو والحلم وكان يقول ما اذاني أحد الا أخذت في أمره باحدى ثلاث
ان كان فوقى عرفته له فضله وان كان مثلى تفضلت عليه وان كان دونى أكرمت نفسه عنه وكان
مشهورا بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته وكان يقول وجدت الاحتمال انصرى من
الرجال وقيل له من تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم كما يختلف اليه في الحلم كما يختلف الى
الفقهاء في الفقه واقد حضرت عنده يوما وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه فخاوا به مكتوفاً فقال
ذعرت أخى أطلقوه واجلوا الى أم ولدى ديتة فانها ليست من قومنا ثم أنشأ يقول
أقول للنفس نصـ بيراوت عزية * احدى يدي اصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا اخى حين ادعوه وذاولدى

وقيل من عادة الكريم اذا قدر غفروا اذا رأى زلة ستر وقالوا ليس من عادة الكرام سرعة الغضب
والانتقام وقيل من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه فلم يجب شكره ولم يحمد في العالمين ذكره
والعرب تقول لا سودد مع الانتقام والذي يجب على العاقل اذا أمكنه الله تعالى أن لا يجعل
العقوبة شيمته وان كان ولا بد من الانتقام فليرفق في انتقامه الا أن يكون حتما من حدود الله
تعالى وقال المنصور لجان عجز عن العذر ما هذا الوجوم وعهدى بك خطيبا بالسـ نأقـال يا أمير
المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولا كنه موقف توبة والتوبة بالاسـتـكانة والخضوع فرق له
وعنا عنه وسعى الى المنصور برجل من ولد الاشتر النخعي ذكر له عنه أنه يميل الى بنى على والتعصب
لهم فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ذنب أعظم من نقرتك وعفوك أعظم
من ذنبي ثم قال

فهبنى مسيئا كالذى قلت فلما * فعفوا بجملا كي يكون لك الفضل

فان لم أكن للعفو منك لسوءا * أتيت به أهلا فأنت له أهل

فعفا عنه وأمر له بصلته وأحضر الى المأمون رجل قد أذنب ذنبا فقال له أنت الذى فعلت كذا
وكذا قال نعم يا أمير المؤمنين أنا ذاك الذى أشرف على نفسه واتكل على عفوك فعفا عنه وخلى
سبيله وأحضر الى الهادي رجل من أصحاب عبد الله بن مالك فوجبه على ذنب فقال يا أمير
المؤمنين ان اقرارى يلزمنى ذنب الم أفعله ويلحق بى جرما لم أقف عليه وانكارى رده عليك
ومعارضتك ولاكنى أقول

فان كنت تبغى بالعقاب تشـفيا * فلا ترهـدن عند التجاوز فى الاجر

فقال لله درك من معتد بذكر جوق أو باطل ما مضى لسانك وأثبت جنانك وعفا عنه وخلى
سبيله وركب يوما عمرو بن العاص رضى الله عنه بغلة له شـهباء ومضى على قوم فقال بعضهم
من يقوم للامير فيسأله عن أمه وله عنزة آلاف فقال واحد منهم أنا انتقام وأخذ بعنان بغلته
وقال اصلى الله الامير انت أكرم الناس خيلا فلم ركبت دابة اشهاب وجهها فقال انى لا أمل
دايتى حتى غلنى ولا أمل رفيقى حتى غلنى فقال اصلى الله الامير ما العاص فقد عرفناه وعلما
شرفه من الام قال على الحبـيرـى قط امى النابغة بنت حرملة بن عزة سبتم ارماح العرب فأتى
بها سوق مكاف فبيعت فاشـتراها عبد الله بن جعدان ووهبها للعاص بن وائل فولدت وأنجبت
فان كان قد جعل لك جعل فارجع وخذه وأرسل عمان الدابة وقيل ان أمه كانت

بغيا عند عبد الله بن جده ان فوطئها في طهر واحد ابواهب وامية بن خلف وابوسفيان بن
 حرب والعاص بن وائل فولدت عمرا فادعاه كاهنهم فحكمت فيه امه فقالت هو للعاص لان
 العاص هو الذي كان يتفق عليها وقالوا كان أشبه بأبي سفيان وكان الواثق يتشبه به بالمأمون
 في اخلاقه وحلمه وكان يقال له المأمون الصغير نقل عنه انه دخلت عليه ابنة مروان
 ابن محمد فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لست به فقالت السلام عليك أيها الأمير فقال
 لها و عليك السلام ورجة الله وبركاته فقالت ليس عنا ذلكم فقال اذا لا يبقى على وجه الارض
 منكم احدا لانكم حاربتم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرتم وجهه ومنعتم حقه وسببتم
 الحسن رضي الله عنه ونقضتم شرطه وقتلتم الحسين رضي الله عنه وسببتم أهله ولعنتم علي بن
 أبي طالب رضي الله عنه على منابركم وضربتم علي بن عبد الله ظمأ بسببكم فعدنا لا يبقى
 منكم احدا فقالت فليس عنا عفوكم قال أما هذا فنعم وأمر بردأموها عليها وبالغ في الاحسان
 اليها وكان معاوية رضي الله عنه يعرف بالحلم وله فيه أخبار مشهورة وآثار مذكورة وكان
 يقول اني لا أنف أن يكون في الارض جهل لا يسعه حلمي وذنب لا يسعه عفوي وحاجة
 لا يسعها جودي وهذه مرواة عالية المراتبة وقال له رجل يوما ما أشبه استك باست أمك
 فقال ذاك الذي أعجب أباسفيان منها وكتب معاوية الى عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه
 يعتذر اليه من شيء جرى بينهم يقول من معاوية بن أبي سفيان الى عقيل بن أبي طالب أما بعد
 يا بني عبد المطلب فأنتم والله فروغ قصي وللباب عبد مناف وصفوة هاشم فابن اخلاقكم
 الراسية وعقولكم الكاسية وقد والله أساء أمير المؤمنين ما كان جرى وان يعود مثله الى
 أن يغيب في الثرى فكتب اليه عقيل يقول

صدقت وقلت حقا غير أني * أرى أن لا أراك ولا تراني
 ولست أقول سوا في صديقي * وليكني أصدا اذا جفاني

فركب اليه معاوية رضي الله عنه وناشده في الصفيح عنه واستعطفه حتى رجع (وحكى) عنه
 رضي الله عنه انه لما ولي الخلافة وانتظمت اليه الامور وامتلات منه الصدور وأذعن لامره
 الجمهور وساعده في مراده القدر المندور استحضرت ليله خواص أصحابه رذاكرهم وفائع
 أيام صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين فانهم مكروا في القول الصحيح والمريض
 وآل حديد بهم الى من كان يجتهد في ايقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا امرأة من
 أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدى كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخنة
 بأصحاب على سمعهم كلاما كالصوارم مستحثة لهم يقولون سمعنا الجبان اقاتل والمدير لا قبل
 والمسلم لحارب والقار لكروا المترزل لا ستقرر فقال لهم معاوية رضي الله عنه أياكم يحفظ
 كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال فهاشبيرون على فيها قالوا نشير بقتلها فانها أهل لذلك فقال
 لهم معاوية رضي الله عنه بتسمي أسمركم به وقبحا لما قلتم أياكم ان يشتم عني أني بعد ما ظفرت
 وقدرت قتلت امرأة قد رقت لصاحبها اني اذ التئيم لا والله لا فعلت ذلك أبدا ثم دعا
 بكتابه فكتب كتابا الى واليه بالكوفة ان أنفذ الى الزرقاء بنت عدى مع نفر من عشيرتها

وفرسان من قومها ومهد لها وطاء لبنا ومر كاذلولا فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها وقرأه
عليها فقالت بعد قراءة الكتاب ما أبا نأفة عن الطاعة فعملها في هودج وجعل غشاها
خرا مبظنا ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية قال لها امر حبا وأهلا خير مقدم قدمه
واقدر كيف حالت يا حالة وكيف رأيت سيرك قالت خير من سير فقال هل تعلمين لم بعثت اليك قالت
لا أعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى قال أنت راكبة الجمل الا جريوم صفتين وأنت بين
الصنفين توقدين نارا للحرب وتحرضين على القتال قالت نعم قال فما حملك على ذلك قالت يا أمير
المؤمنين انه قد مات الرأس وبتر الذنب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والامر يحدث بعده
الامر فقال صدقت فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت قالت لا والله قال الله أبوك فقلت قد
سمعتك تقولين أيها الناس ان الله باح لا يضي في الشمس وان الكواكب لا تضي مع القمر
وان البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا بالحديد الا من استرشدنا أرشدناه ومن سألنا
أخبرناه ان الحق كان يطلب ضالة فأصابهم اقصر ايام عشر المهاجرين والانتصار فكانتكم
وقد التأم مثل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطاله فانه لا يبتوى الحق والمبطل
أفن كان مؤمنا كن كان فاستقلا يستوون فالتزال النزال والصبر الصبر الا وان خضاب النساء
الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير الامور عاقبة اثنا الحرب غيرنا كصين فهذا يوم له
ما بعده يازرقاء أليس هذا قولك وتحريضك قالت لقد كان ذلك قال لقد شاركت عليا في كل دم
سفكته فقالت احسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامك مثلك من يبشر بخير ويسر
جلبسه فقال معاوية أوقد سرك ذلك قالت نعم والله لقد سرتني قولك وأني لي بتصديقه فقال
لها معاوية والله لو فاؤكم له بعد موتة أعجب الي من حبكم له في حياته فاذا كرى حوائجك
تقض فقالت يا أمير المؤمنين اني آليت على نفسي أن لا أسأل أحدا بعد علي حاجة فقال
قد أثار علي بعض من عرفك بقتلك فقالت لو من المشير ولو أطعته لشاركته قال كلا
بل نعتو عنك ونحسب ان اليك ونرعاك فقالت يا أمير المؤمنين كرم منك ومثلك من قدر فعنا
وتجنا وزعم أساء وأعطي من غير مسئلة قال فأعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضبعة
تغل لها في كل سنة عشرة آلاف درهم وأعادها الي وطنها سالمة وكتب الي والي الكوفة
بالوصية بها وبعث يريتها * وقيل كان لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أرض وكان له فيها عبيد
يعملون فيها والي جانبها أرض معاوية وفيها أيضا عبيد يعملون فيها فدخل عبيد معاوية
في أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا الي معاوية يقول له فيه أما بعد دينا معاوية
ان عبيدك قد دخلوا في أرضي فانهم عن ذلك والا كان لي ولك شان والسلام فلما وقف
معاوية على كتابه وقرأه دفعه الي ولده يزيد فلما قرأه قال له معاوية يا بني ما ترى قال أرى أن
تبعث اليه جيشا يكون أقوله عنده وآخره عندك يا تونك برأسه فقال بل غير ذلك خير منه يا بني
ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير يقول فيه أما بعد فقد وقفت على كتاب
ولد حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأني ما سأه والديا يا أميرها هينة عندي
في جنب رضاه نزلت عن أرضي لك فأضعتها الي أرضك بما فيها من العبيد والاموال
والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما على كتاب معاوية رضي الله عنه

كتب اليه قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدهم الرأي الذي أحله
 من قرير هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير وقرأه رمى به إلى ابنه
 يزيد فلما قرأه تهمل وجهه وأسفر فقال له أبوه يا بني من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال
 اليه القلوب فإذا ألبت بشي من هذه الأدواء فداوه بمثل هذا الدواء * ولما دخل القيل دمشق
 واجتمع الناس لرؤيته صعد معاوية في مكان مرتفع ينظر اليه فبينما هو كذلك اذ نظر في بعض
 الحجر من قصره رجلا مع بعض حرمة فألقى الحجر وودق الباب فلم يكن من فتحه بل قد وقعت عينه
 على الرجل فقال له يا هذا في قصرى وتحت جناحي تهتمك حرمتى وأنت في قبضتى ما جئت على
 هذا قال فبهت الرجل وقال حملك أوقعنى فقال له معاوية فان عفوت عنك تسترها على قال
 نعم فعفا عنه وخلي سبيله وهذا من الحلم الواسع أن يطلب المستر من الجاني وهو عرض قول
 الشاعر

إذا مرضتم أئبناكم نعودكم * وتذنبون فنأتبكم ونعتذر

(وحكى) عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال ما رأيت رجلا أربط جاشا وأثبت جنانا من
 رجل سعى به إلى المنصور أن عنده ودائع وأموال ابني أمية فأمرني بإحضاره فأحضرت به إليه
 فقال له المنصور قد رفع السناخبر الودائع والأموال التي عندك ابني أمية فأخرج لها منها
 وأحضرها ولا تكتم منها شيئا فقال يا أمير المؤمنين أنت وارث بنى أمية قال لا قال فوصى لهم
 في أموالهم ورباعهم قال لا قال فإمامتكم عما في يدي من ذلك قال فاطرق المنصور وتفكر
 ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بنى أمية ظلموا المسلمين فيها وأتوا وكيل المسلمين في حقوقهم وأريد
 أن آخذ ما ظلموا المسلمين فيه فاجعله في بيت أموالهم فقال يا أمير المؤمنين فتحت حاج إلى إقامة
 بينة عادلة أن ما في يدي ابني أمية مما خافوه وظلموه فان بنى أمية قد كانت لهم أموال غير
 أموال المسلمين قال فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ربيع ما أرى الشيخ الا قد صدق
 وما يجب عليه شيء وما يسعنا الا أن نعفو عما قيل عنه ثم قال هل لك من حاجة قال نعم حاجتى
 يا أمير المؤمنين ان تجمع بينى وبين من سعى في البسك فوالله الذى لا اله الا هو ما في يدي ابني
 أمية مال ولا ودعة ولكنى لما مثلت بين يديك وسألتنى عما سألتنى عنه فابلت بين هذا القول
 الذى ذكرته الا أن وبين ذلك القول الذى ذكرته أقول رأيت ذلك أقرب إلى الخلاص
 والنجاة فقال يا ربيع اجع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فلما رآه قال هذا غلامى
 اختلس لى ثلاثة آلاف دينار من مالى وأبقى منى وخاف من طلبى له فسعى بى عند أمير المؤمنين
 قال فشد المنصور على الغلام وخوفه فأقر بأنه غلامه وأنه أخذ المال الذى ذكره وسعى به
 كذباً عليه وخوفاً من أن يقع في يده فقال له المنصور سألتك أيها الشيخ ان تعفو عنه فقال
 قد عفوت عنه وأعفته ووهبته ثلاثة آلاف التي أخذها وثلاثة آلاف أخرى ادفعها
 اليه فقال له المنصور ما على ما فعلت من مزيد قال بلى يا أمير المؤمنين ان هذا كله لقليل في مقابلة
 كلامك وعفوك عني ثم انصرف قال الربيع فكان المنصور يتعجب منه وكلمه بذكره يقول
 ما رأيت مثل هذا الشيخ يا ربيع * وغضب الرشيد على حميد الطوسي فدعاه بالنطع
 والسيف فبكى فقال له ما بك فكيف فقال والله يا أمير المؤمنين ما أفرع من الموت

لانه لا بد منه وانما بكت أسفا على خروجي من الدنيا وأمر المؤمنين ساخط على فضحك
وعفائه وقال ان الكريم اذا خادعته انخدع * وأمر زباد بضرب عنق رجل فقال أيها
الامير ان لي بك حرمة قال وما هي قال ان أبي جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يا مولاي اني
نسيت اسم نفسي فكيف لا أنسى اسم أبي فرد زبادكه على فقه وضحك وعفائه * وأمر الحجاج
بقتل رجل فقال أسألك بالذي أنت غدا بين يديه اذل موقفا مني بين يديك الاعفوت عني
فعفائه * ولما ضرب الحجاج رقاب أصحاب ابن الاشعث أتى رجل من بني تميم فقال والله
يا حجاج اني كنا أسأنا في الذنب احسنت في العفو فقال الحجاج أفأهذه الجيف أما كان
فيهم من يحسن الكلام مثل هذا وعفائه وخلي سبيله * وكان ابراهيم بن المهدي يقول والله
ما عفا عني المؤمن تقربا الى الله تعالى ولا صلة للرحم ولكن له سوق في العفو يكره أن تكسده
بقتلي * وسئل الفضل عن الفتوة فقال الصريح عن عثرات الاخوان * وفي بعض الكتب
المنزلة ان كثرة العفو زيادة في العمر وأصله قوله تعالى وأما ما ينفع الناس فيك في الارض
* وقال يزيد بن مزيد أرسل الى الرشيد ليل يدعوني فأوجبت منه خيفة فقال له أنت القاتل
أنا ركن الدولة والشائر لها واضارب اعناق بغاتهم الا تم لك أي ركن وأي ثأر أنت قلت
يا أمير المؤمنين ما قلت هذا انما قلت ان عبد الدولة والشائر لها فاطرق وجعل يخل غصبه عن
وجهه ثم ضحك فقلت احسن من هذا قولي

خلافة الله في هرون ثابته * وفي بنيه الى ان ينفخ الصور

فقال يا فضل اعطه مائتي ألف درهم قبل ان يصبح * وأمر مصعب بن الزبير بقتل رجل فقال
ما أقبح بي ان اقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنه ووجهك هذا الذي يبتضاء
به فاتعلق باطواقك وأقول اي رب سئل مصعب ألم قتلت فقال اطلقوه فلما اطلقوه قال ايها
الامير اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض عيش قال قد أمرت لك بمائة ألف درهم
فقال

انا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولولم يكن ذنب لما عرف العفو

* وتغيط عبد الملك بن مروان على رجل فقال والله لان امكنني الله منه لافعلن به كذا وكذا قلما
صار بين يديه قال له رجاء بن حيوة يا امير المؤمنين قد صنع الله ما احببت فاصنع ما احب الله
فعفائه وأمر له بصله * وقال الحسن ان افضل ردا تردى به الانسان الحلم وهو والله عليك
أحسن من برد الخبر وفيه قال ابو تمام

رقيق حواشي الحلم لو ان حلمه * بكفبك ما ماريت في انه برد

ويقال الحلیم سليم والسقمه كليم وقال محمد بن عجلان ما شئ اشد على الشيطان من عالم معه حلم
ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان سكونه اشد على من كلامه
(شعر)

اذا كنت تبغي شجرة غير شجرة * طبعك عليهم الم تطعمك الضرائب

وعن علي بن الحسين رضي الله عنهم ما أقرب ما يكون العبد من غضب الله اذا غضب * وفي
التوراة اذ كرتي اذا غضبت اذكر لك اذا غضبت فلا تحققيها الحق واذا ظلمت فاصبر وارض

بنصرتي فان نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك * وكان ابن عون اذا غضب على انسان قال له بارك الله فيك وكانت له ناقة كريمة فضر بها الغلام فأندرعينها فقالوا ان غضب ابن عون فانه يغضب اليوم فقال للغلام غفر الله لك وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي شيء أشد قال غضب الله قال فما ياعدني من غضب الله قال أن لا تغضب ويقال من أطاع الغضب اضاع الارب قال ابو العتاهية

ولم ارفى الاعداء حين اختبرتهم * عدو العقل المرء اعدى من الغضب

وقال ابو هريرة رضي الله عنه ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن مسعود رضي الله عنه كفى بالمرء انما ان يقال له اتق الله فيغضب ويقول عليك نفسك * وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عامل من عماله ان لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا * وقيل لابن المبارك رحمه الله تعالى اجعل لنا حسن الخلق في كلمة واحدة قال ترك الغضب * وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب ويشته غضبه فكتب ثلاث صحائف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا اشتد غضبي فقم الى هذه الصحيفة وناولنيها وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فناولنيها وقال للثالث اذا ذهب غضبي فناولنيها وكان في الاولى أقصر فمأنت وهذا الغضب انك انت باله انما انت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض برحمتك من في السماء وفي الثالثة اجل عباد الله على كتاب الله فانه لا يصح لهم الا ذلك روى أنه انوشروان وكان الشيعي أولع شيء بهذا البيت

ليست الاحلام في حال الرضا * انما الاحلام في حال الغضب

وعن معاذ بن جبل عن أنس رضي الله عنهم ما عن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه وهو قادر على أن ينقذه دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخبره في أي الحور شاء وروى ملاءه الله امنا واما * وقال ابن السماك أذنب غلام لامرأة من قريش فأخذت السوط ومضت خائفة حتى اذا قاربته رمت بالسوط وقالت سماترتك التقوى أحدا يشفي غيظه * وقال أبو ذر الغلام لم أرسلت الشاة على علف الفرس قال أردت أن أعيظك قال لا جمعن مع العيظ أجرا أنت حر لوجه الله تعالى * واستأذن رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم فمالوا السام عليك يا محمد فقالت عائشة رضي الله عنها بل السام عليكم واللجنة فقال يا عائشة ان الله يحب الرفق في الأمر كله فقالت ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت وعليكم * ورفع الى عبد الملك ابن مروان أعرابي يقال له حزة سرق وقامت عليه البيعة فهم عبد الملك بقطع يده فكتب اليه حزة من السجن يقول (شعر)

يدي يا أمير المؤمنين أعيدتها * بعفوك أن تلقى مقاما يشينها

فلا خير في الدنيا وكانت خبيثة * اذا ما شمل فارقتم ايمانها

قال فابي عبد الملك الاقطعه فدخلت عليه أم حزة وقالت يا امير المؤمنين بني وكاسي وواحدى فقال لها عبد الملك بمس الكاس لك هذا من حمد الله تعالى فقالت يا امير

المؤمنين فاجعله أحد ذنوبك التي تستغفر الله منها فقال عبد الملك ادفعوه اليها وخلي سيده
(شعر)

اذا ما طاش حلمك عن عدو * وهان عليك هجران الصديق
فلست اذا اخافو وصفح * ولا لاخ على عهد وثيق
اذا زل الرقيق وانت بمن * بلا رفق بقيت بلا رفيق
اذا انت اتخذت احاديدا * لما أنكرت من خلق عتيق
فما تدري لعلمك مستجير * من الرضا فر الى الحريق
فكم من سالك لطريق أمن * أناه ما يحاذر في الطريق

وشتم رجل رجلا فقال له يا هذا لا تغرق في شتمنا ودع للصالح موضعاً فاني ايت مشاة الرجال
صغيرا فلن أجيبها كبيراً واني لأ كافي من عصي الله في باكر من ان أطيع الله فيه (وحي)
عن جعفر الصادق رضي الله عنه أن غلاماً له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يده
الغلام في الطست فطار الرشاش في وجهه فتنظر جعفر اليه نظراً غضب فقال يا مولاي
والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قال والعافين عن الناس قال قد عفوت عنه
قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى * وقيل لما قدم نصر بن منيع
بين يدي الخليفة وكان قد أمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمات أقولها قال قل
فانشأ يقول

زعموا بأن الصقر صادف مرة * عصفور بر ساقه التقدير
فتمكلم العصفور تحت جناحه * والصقر منقض عليه بطير
اني لمنسلك لا اتم لقمة * ولئن شويت فأنى للحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده * كرماً وأقلت ذلك العصفور

قال فعضاه وخلي سيده قال الشاعر

أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزهم * عنه فان جحود الذنب ذنبان
قال بعضهم

يستوجب العفو الفتي اذا اعترف * وتاب عما قد جنأ واقترب
لنفسه قل للذين كفروا * ان ينتموا يغفر لهم ما قد سلف
وقال آخر

اذا ذكرت أباديك التي سلفت * مع قبح فعلي وزلاتي ومجترمي
أ كاد اقتل نفسي ثم يدركني * على بانك مجبول على الكرم

وروي ان عمر رضي الله عنه رأى سكراناً فاراد ان يأخذه ليعزره فشتمه السكران فرجع عنه
فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته قال انما تركته لانه أغضبني فلو عزرته لكنت قد انتصرت
انفسي فلا أحب ان اضرب مسلماً لحماية نفسي * وغضب المنصور على رجل من الكتاب فامر
بضرب عنقه فانشأ يقول

وانا الكاتبون وان أسأنا * فهبنا للسكران الكاتيننا

فعمدنا عنه وخطي سيده واكرمه * وقال الرشيد لاعرابي يم بالغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة قال
بحلمه عن سيفه ما وعشوه عن مسيئنا وجهه عن ضعفنا الامنان اذا وهب ولا حدود اذا غضب
رحب الجنان سمح البنان ماضى اللسان قال فأوما الرشيد الى كلب عبيد كان بين يديه وقال
والله لو كانت هذه في هذا الكلب لاستحق به السودد * وقيل لمن بن زائدة المزاخذة بالذنب
من السودد قال لا ولكن احسن ما يكون الصفيح عن عظم جرمه وقل شفعاؤه ولم يجدها نصرا *
وقال محمود الوراق

سألزم نفسي الصفيح عن كل مذهب * وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فسوق فاعرف قدره * واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فان قال صنت عن * اجابته نفسي وان لام لائم
وأما الذي مثلي فان زل أو هفا * تفصلت ان الحرب بالفضل حاكم
وقال الاحنف بن قيس لابنه يابني اذا أردت ان تواخي رجلا فاغضبه فان انصفك والافاحذره
قال الشاعر

اذا كنت محتصا النفس صاحبا * فن قبل ان تلقاه بالود اغضبه
فان كان في حال القطيعة منصفا * والا فقد جريته فتجنبه
ومن أمثال العرب احلم تسد قال الشاعر
ان يبلغ المجد أفوام وان شرفوا * حتى يذلوا وان عزوا لا قوام
ويشتقوا فترى الالوان مسفرة * لا صفح ذل ولكن صفح اكرام
وقال آخر

وجهل رددناه بفضل حلومنا * ولو اتنا شئنا رددناه بالجهل
وقال الاحنف اياكم ورأي الاوغاد قالوا وما رأي الاوغاد قال الذين يرون الصفيح والعقود عارا *
وقال رجل لابي بكر الصديق رضي الله عنه لا سب لك سببا يدخل معك قبرك فقال معك والله
يدخل لامعي * وقيل ان الاحنف سبه رجل وهو عياشي في الطريق فلما قرب من المنزل وقف
الاحنف وقال له يا هذا ان كان قد بقي معك شيء فهاهنا فقله ههنا فاني اخاف ان يسمعك قسيان
الحى فيؤذوك ونحن لا نحب الانتصار لانفسنا وقال لقمان لابنه يابني ثلاثة لا يعرفون الا
عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الأخوك الا عند الحاجة
اليه ومن أشعريت قيل في الحليم قول كعب بن زهير
اذا أنت لم تعرض عن الجهل والحنأ * أصبت حليما أو أصابك جاهل
وقال آخر

واذا بغى باغ عليك بجهله * فاقتله بالمعروف لا بالمنكر
وقال آخر
قل ما بدالك من صدق ومن كذب * حلى اصم واذنى غيرهما
ويروى في بعض الاخبار ان ماسكاً من الملوك أمر ان يصنع له طعام واحضرت ومامن

خاصته فلما دنا السباط اقبل الخادم وعلى كفه صحن فيه طعام فلما قرب من الملك أدركته الهيبة
فنهرفوقع من مرق الصحن شي يسير على طرف ثوب الملك فأمر بضرب عنقه فلما رأى الخادم
العزيمة على ذلك عمد بالصحن فصب جميع ما كان فيه على رأس الملك فقال له ويحك ما هذا فقال
أيها الملك انما صنعت هذا لشجاعتي عرضك وغيرتك عليك لئلا يقول الناس اذا سمعوا ذنبي الذي
به تقتلني قتله في ذنب خفيف لم يضره واخطأني العبد ولم يقصد به فتنسب الى الظلم
والجور فصنعت هذا الذنب العظيم لتعذر في قتلي وترفع عنك الملامة قال فاطرق الملك
ملياً ثم رفع رأسه اليه وقال يا قبيح الفعل يا حسن الاعتدال قد وهبنا قبيح فعلك وعظيم
ذنبتك لحسن اعتذارك اذهب فانت حر لوجه الله تعالى (وحكى) عن أمير المؤمنين
المؤمن وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور في الاتفاق بعفو وحمله انه لما خرج عنه
ابراهيم بن المهدي عليه وبايعه العباسيون بالخلافة في بغداد وخلصوا المؤمنين وكان
المؤمنون اذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما بلغ بغداد اختفى ابراهيم بن المهدي
وعاد العباسيون وغيرهم الى طاعة المؤمنين ولم يزل المؤمنون من طلب ابراهيم حتى أخذه وهو
منتقب مع نسوة فحبس ثم احضر حتى وقف بين يدي المؤمنين فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين
ورحمة الله وبركاته فقال المؤمنون لاسلم الله عليك ولا تقرب دارك استغواك الشيطان
حتى حدثت نفسك بما تنقطع دونه الا وهام فقال له ابراهيم مهلا يا أمير المؤمنين فان ولي النار
محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم شرف القرابة
وعدل السياسة وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك فان أخذت
فبحقك وان عفوت فبفضلك والفضل أولى بك يا أمير المؤمنين ثم قال هذه الايات

ذنبك عظيم * وانت أعظم منه
نخذ بحقوقك أولاً * فاصفح بعفوك عنه
ان لم اكن في فعالي * من الكرام فكنه

فلما سمع المؤمنون كلامه وشعره ظهرت الدموع في عينيه وقال يا ابراهيم الزم توبة وعفو الله
تعالى اعظم مما تحاول وأكثر مما تأمل ولقد حجب الى العفو حتى خفت ان لا أفرج عليه
لا تريب عابك اليوم ثم أمر بفك قيوده وادخاله الحمام وازالة شعته وخلع عليه وردأمواله
جميعها اليه فقال فيه مخاطباً

رددت مالي ولم تبخل علي به * وقبل ردك مالي قد حقت دمي
فان جددت ما اوليت من كرم * اني لباللوم أولى منك بالكرم

* وكتب عبد الملك بن مروان الى الجراح يأمره ان يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكري فقتل
له عباد أيها الأمير أنشدك الله لا تقتلني فوالله اني لاعول أربعاء وعشرين امرأة مالهن من كاسب
غيري فرق لهن واستحضرهن واذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الجراح ما أنت منه قالت أنا
بنته فاسمع يا جراح مني ما أقول ثم قالت

أججاج اما أن غن بتركه * علينا واما أن تقتلنا معا

اجحاج لا تفجع به ان قتله * ثمانا وعشرا واثنين واربع

اجحاج لا تترك عليه بنانه * وخالاته يندبه الدهر اجمع

فبكي الجحاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلته * ولما قدم عيينة بن حصن على ابن أخيه الحزبن قيس وكان من الفقر الذين يدينهم عمر رضى الله عنه وكان القراء أصحاب مجلس عمرو مشاورنه كهولا كانوا أو شبانا فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه فاستأذن فاذن له عمر فلما دخل قال هيه يا ابن الخطاب فوالله ما نعطينا الجزل ولا تحمكم فيه يا عدل فغضب عمر حتى هم ان يوقع به فقال له الحزب يا أمير المؤمنين ان الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر رضى الله عنه حين تلاها عليه وكان وقفا عند كتاب الله تعالى (وحكى) أن رجلا زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع فتضمن انه اطلق له أنف دينار ثم جاء به الى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليه لم يشك انه الخط الفضل فشرع في ان يزن له الالف دينار واذا بالفضل قد حضر ليحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمرهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظرفي وجه الرجل فرآه كاديوت من الوجمل والنجل فاطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل ان تدري لم أتيتك في هذا الوقت قال لا قال جئت لاستنصحتك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة فاسرع عند ذلك الوكيل في وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا في أمره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا وامض الى سبيك آمننا على نفسك قبل الرجل يده وقال له استرني سترتني الله في الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى فيجب على الانسان ان يتأسى بهذه الاخلاق الجميلة والافعال الجليلة ويقتنى سنة نبيه عليه الصلاة والسلام فقد كان أكثر الناس حلما وأحسنهم خلقا وأكرمهم خلقا وأكثرهم تجاوزا وصفحا وأبرهم لهم عتر عليه فجعاصلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجعبن والحمد لله رب العالمين

وأما ما جاء في العتاب فقد قيل العتاب خير من الحق ولا يكون العتاب الا على زلة وقد مدحه قوم فقالوا العتاب حدائق المتحابين ودليل على بقاء المودة وقد قال أبو الحسن بن منقذ (شعر)

اسطو عليه وقبلى لو تمككن من * يدى غلهم ما غيظا الى عنفى

واستعبر له من سطوتى حنقا * وأين ذل الهوى من عزة الحق

وذمه بعضهم قال ايام بن معاوية خرجت في سفر ومعى رجل من الاعراب فلما كان في بعض المناهل لقى به ابن عم له فقاما وتعاثا الى جانبهما شج من الحى فقال لهما انعم ما عيشا ان المعاتبة تبعث التجنى والتجنى يبعث الخصامة والخصامة تبعث العداوة ولا خير في شئ ثمرته العداوة قال الشاعر

فدع ذكر العتاب فرب شر * طويل هاج اوله العتاب

وقيل العتاب من حركات الشوق وانما يكون هذا بين المتحابين قال الشاعر

علامة ما بين المحبين فى الهوى * عتابهم فى كل حق وباطل

وكتب بعضهم يعاتب صديقه على تغير حاله معه يقول
عرضنا أنفسنا عزت علينا * عليكم فاستخف بها الهوان
ولو اننا رفعناها لعزت * ولكن كل معروض مهان
وقال آخر يعاتب صديقه

وكنت اذا ما جئت أدنيت مجلسي * ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فن لي بالعين التي كنت مرة * الى بها في سالف الدهر تنظر
وقال أبو الحسن بن منقذ

أخلاقك الفتر السجيا مالها * حملت قذى الواشين وهي سلاف
ومرآة رأيك في عبيدك مالها * صدقت وأنت الجوهر الشفاف
وقال آخر يعاتب صديقه على كتاب أرسله اليه وفيه خطا عليه
اقرأ كتابك واعلم به قريبا * فكفي بنفسك لي علمك حسيبا
اكذبا يكون خطاب اخوان الصفا * ان أرسلوا به لولا الخطاب خطوبا
ما كان عذري ان اجبت بمثله * أو كنت بالعتب العنيف مجيبا
لكنني خفت انتقام مودتي * فبعت احساني اليك ذنوبا
وقال آخر

اراك اذا ما قلت قولا قبلته * وليس لا قوالى لديك قبول
وما ذاك الا ان ظنك سيئ * بأهل الوفا والظن فيك جيل
فكن قائل لا قول الجاسي تأمنا * بنفسك عجبنا وهو منك قليل
وتكران شئنا على الناس قواهم * ولا ينكرون القول حين نقول
وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق فمالته اضافة ثم ولي عملا فأثرى فقصدته محمدا - لما فرأى
منه تغيرا فكتب اليه

لئن كانت الدنيا نالته ثروة * فأصحت ذايسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الاثر منك خلائقا * من اللوم كانت تحت ثوب من الفقر
وقال آخر في المعنى

دعوت الله ان تسمو وذلوا * علوا النجوم في أفق السماء
فلما أن سموت بعدت عني * فكان اذا على نفسي دعاء
وكان ابن عرادة السعدي مع سلم بن زياد بجخراسان وكان له مكرما وابن عرادة يتجنى عليه فقارقه
وصاحب غيره ثم ندم ورجع اليه وقال

عتبت على سلم فلما فقه دته * وصاحبت اقواما بكيت على سلم
رجعت اليه بعد تجريب غيره * فكان كبره بعد طول من السقم
وقال مسلم بن الوليد

ويرجعني اليك اذا نأت بي * ديارى عنك تجر يد الرجال
وقال أبو الحسن القاسبي

إذا أنا عاتبت الملول فاعلم * أخطأ أقلامي على الماء احرفا
وهبه ارفعوى بعد العتاب ألم تكن * مودته طبعه افسارت تكلفا
وقال أبو الدرداء رضي الله عنه معاتبة الصديق اهلون من فقدته وما أحسن ما قيل في العتاب
وفي العتاب حياة بين اقوام * وهو المحمل لدى ايس واجهام
فما تم تنبيأ أحسن من معاتبة الاحباب ولا ألذ من مخاطبة ذوى الالباب والله سبحانه وتعالى
أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والثلاثون في الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذمم)

ارجح دليل يتسلك به الانسان كتاب الله تعالى الذي من تمسك به هداى ومن استدل به ارشده
هداه قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل ذكره وتقدس اسمه الذين يوفون
بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال جل وعلا وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان
بعدتوا كبدها وقال تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا والآيات في ذلك كثيرة ومن
أشد ما قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا
تفعلون * وروى في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتفق خان
فالوفاء من شيم المنفوس الشريفة والاخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبها
في العيون وتصدق فيه خطرات الظنون ويقال الوعد وجه والانجاز محاسنه والوعد مصابة
والانجاز طره وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كل شئ رأس ورأس المعروف تعجبه
وأنشدوا

إذا قلت في شئ نعم فاعلمه * فان نعم دين على الحر واجب
والافقل لا تسترح وترح بها * اثلا يقول الناس انك كاذب
وقال آخر

لا كاف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الاعمى تجرد
فلا تعد مدة الاوفيت بها * واحذر خلاف مقال للذي تعد

وقال اعرابي وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل وقال اعرابي أيضا العذر
الجميل خير من المطل الطويل ومدح بشار خالدين برمك فامر له بعشرين ألفا فأبطأت عليه
فقال لقائمه أغنى حيث يمر فأقامه فتر فآخذ بلجام بغلته وأنشأ يقول

أظلت عاينامك يوما مصابة * أضاء لها برق وابطار شائها
فلا غمها يجلي فيبأس طامع * ولا غمها يأتى فتروى عطاشها

فقال لا تبرح حتى تؤتي بها وقال صالح اللخمي

لئن جمع الآفات فالجمل شرها * وشر من الجمل المواءم والمطل
ولا خير في وعد إذا كان كاذبا * ولا خير في قول إذا لم يكن فعلا

وقيل ما أتى للهذلي أم ولد فامر المنصور الربييع أن يعزبه ويقول له ان أمير المؤمنين من موجه
اليك جارية تقيسه أهلا أدب وظرف يسليك بها وأمر لك معها بفرس وكسوة ووصلة فلم يرزل

الهدلى يتوقع وعد أمير المؤمنين ونسبه المنصور فخرج المنصور ومعه الهدلى فقال المنصور وهو
بالمدينة انى أحب ان اطوف الليلة المدينة فاطلب لى من يطوف بى فقال الهدلى انى لها يا أمير
المؤمنين فطاف به حتى وصل بيت عائكة فقال يا أمير المؤمنين وهذا بيت عائكة الذى يقول فيه
الاخوس

يا بيت عائكة الذى اتفرل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل
انى لا منحك الصدود وانى * قسما اليك مع الصدود لا ميل
فكره المنصور ذكر بيت عائكة من غير ان يسأله عنه فلما رجع المنصور أمر القصيدة على قلبه
فاذا فيها

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول ما لا يفعل
فذكر المنصور الوعد الذى كان وعده الهدلى فأفجزله واعتمر اليه وقال الشاعر
تجمل وعد المرأة كرومة * تذمر عنه أظيب الذكر
* والحر لا يعطل معروفه * ولا يابق المظل بالحر *
وقال آخر

ولقد وعدت وأنت اكرم واعد * لا خير فى وعد بدغ بترعام
انعم على بما وعدت فكزما * فالماطل يذهب بهجة الانعام
وقال آخر

* لعبدك وعد قد تقدم ذكره * فأقوله حمد وآخره شكر *
وقد جعت فيك المكارم كلها * فمالك عن تأخير مكرمة عذر
وقال آخر

وميعاد الكريم عليه دين * فلا تزدد الكريم على السلام
يذكره سلامك ما عليه * وبغنيك السلام عن الكلام
وقال آخر

شكك لسانى ثم امسكت نصفه * فنصف لسانى بامتدادك ينطق
* فان لم تنجز ما وعدت تركتني * وباقى لسانى بالمدمة مطلق *
وقال آخر

بانت لوعدك عيني غير راقدة * والليل حى الدياحى منبت السهر
هذا وقد بت من وعد على ثقة * فكيف لو بت من هجر على حذر
وقال آخر

نذكر بالرفاع اذا سينا * ويأبى الله ان تنسى الكرام
وأما الوفا بالعهد ورعاية الذمم فقد نقل فيه من عجائب الوقائع وغرائب البدائع ما يطرب
السامع ويشنف السامع كفضيلة الطائي وشريك نديم النعمان بن المنذر وتلخيص معناها
ان النعمان كان قد جعل له يومين يوم يؤس من صادفه فيه قتله وأرداء ويوم نعيم من اتبعه فيه
أحسن اليه واغناه وكان هذا الطائي قد رماء حادث به يوم فافتته وفقره فاخرجته

الفاقة من محل استقراره ابر تادش - يا اصبية وصغاره فيبينما هو كذلك اذ صادفه النعمان في يوم
بؤسه فلما رآه الطائي علم انه مقتول وان دمه مطلول فقال - حي الله الملك ان لي صبية صغارا
وأهل جيا عا وقد أرق ما وجهي في حصول شيء من الباغية لهم - وقد اقدمتني سوء الخط على
الملك في هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والاهل وهم على شفا تلاف من الطوى
وان يتفاوت الحال في قتلى بين أول النهار وآخره فان رأى الملك ان يأذن لي في أن أوصي
اليهم هذا القوت وأوصي بهم أهل المرواة من الحى لئلا يهاكوا ضياعا ثم أعود الى الملك
وأسلم نفسي لنفاذ أمره فلما سمع النعمان صورة مقالته وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على
ضياع أطفاله رقه ورثى لحاله غير أنه قال له لا آذن لك حتى يضمنك رجل معنا فان لم ترجع
قتلناه و كان شريك بن عدى بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي الى شريك
وقال له

يا شريك بن عدى * ما من الموت انخرام
من لاطفال ضعاف * عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار * وافتقار وسقام
يا أخا كل كريم * أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جدلى * بضمنان والسترام
ولك الله بأنى * راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدى أوص لي الله الملك على نعمانه فوالطائي مسرعا وصار النعمان يقول
لشريك ان صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك على سيدى حتى يأتى المساء فلما
قرب المساء قال النعمان لشريك قد جاء وقتك قم فتأهب للقتل فقال شريك - هذا شخص قد
لاح قبه لا أرى رجوا أن يكون الطائي فان لم يكن فامر الملك بمقتله قال فيبينما هم كذلك واذا
بالطائي قد اشتد دمه في سيره مسرعا حتى وصل فقال خشيت ان ينقضى النهار قبل وصولي
ثم وقف قائما وقال أيها الملك امر بامر لك فاطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت
أعجب منك أما أنت باطائي فماتت كذا لحد في الوفاء مقاما يتوم فيه ولا ذكرا يفتخر به وأما
أنت يا شريك فماتت كذا كسر يم سماحية يذكركم في الكرماء فلا أكون أنا الا ثم الثلاثة
ألا واني قد رفعت يوم بؤسى عن الناس ونقضت عادتي كرامة لوفاء الطائي وكرم شريك فقال
الطائي

واقعد عني للخلاف عشرين * فعددت قولهم ومن الاضلال
انى امر قمنى الوفاء صبية * وفعال كل مهذب مفضل

فقال له النعمان ما حالك على الوفاء وفيه اتلاف نفسك فقال دنى فنى لا وفاء فيه لادين له
فاحسن اليه النعمان ووصله بما أغناه وأعادهم مكرما الى أهله وأتاه ما تنناه * ومن ذلك
ما حكى أن الخليفة المأمون لما ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشام وأطلق حكمه
دخل على المأمون بعض اخوانه يوما فقال يا أمير المؤمنين ان عبد الله بن طاهر عيل الى ولد
أبى طالب وهو امة مع العلوين وكذلك كان أبوه قبله فحصل عند المأمون شيء من كلام أخيه

من جهة عبد الله بن طاهر فتشوش فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا وجعه له في زى الزهاد
والنسالة الغزاة ودسه الى عبد الله بن طاهر وقال له امض الى مصر وخالط اهلها وادخل
كبراءها واسمهم الى القاسم بن محمد العلوي واذا كرمناقيه ثم بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة
عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد ذلك وادعه الى القاسم بن محمد العلوي
واكشف باطنه وابحث عن دفين نية واثنى بما تسمع ففعل ذلك الرجل ما أمر به المأمون
وتوجه الى مصر ودعا جماعة من أهلها ثم كتب ورقة لطيفة ودفعها الى عبد الله بن طاهر
وقت ركوبه فلما نزل من الركوب وجلس في مجلسه خرج الحاجب اليه وأدخله على عبد الله
ابن طاهر وهو جالس وحده فقال له لقد فهمت ما قصدته فهات ما عندك فقال ولى
الامان قال نعم فاظهر له ما أراد ودعاه الى القاسم بن محمد فقال له عبد الله أو تنصفني فيما
أقول لك قال نعم قال فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عند الاحسان والمنة قال نعم
قال فيجب على وأنا في هذه الحالة التي تراها من الحكم والنعمة والولاية ولى خاتم في المشرق
وخاتم في المغرب وأمرى فيما بينهم ما مطاع وقولى مقبول ثم انى التفت يمينا وشمالا فأرى
نعمة هذا الرجل عامرة واحسانه فأنضأ على أفق قد دعوتنى الى الكفر بهذه النعمة وتقول
اغدرو جانب الوفاء والله لو دعوتنى الى الجنة عما نالنا غدت ولما نكمت بيعة وتركت الوفاء له
فسكت الرجل فقال له عبد الله والله ما أخاف الا على نفسك فارحل من هذا البلد فلما يتس
الرجل منه وكشف باطنه وسمع كلامه رجع الى المأمون فاخبره بصورة الحال فسرته ذلك
وزاد في احسانه اليه وضاعف انعامه عليه ومما بعد من محاسن الشيم ومكارم الاخلاق
أهل الكرم ويحث على الوفاء بالعهد ودور عاية الذمم ماروا حمزة بن الحسن بن الفقيه
في تاريخه قال قال لي أبو الفتح المنطبي كنا جلوسا عند كافور الاخشيدى وهو يومئذ
صاحب مصر والشام وله من البسطة والمكة ونفقوذا الامر وعاقو القدر وشهرة الذكر ما يتجاوز
الوصف والحصر فحضرت المائدة والطعام فلما اكنا نام وانصرفنا فلما اتينا من نومه طلب
جماعة منا وقال امضوا الساعة الى عقبة النجارين وسئلوا عن شيخ منكم أعور كان يتبعه هنالك
فان كان حيا فاخبروه وان كان قد توفى فسئلوا عن أولاده واكتشفوا أمرهم قال فضينا الى
هنالك وسألنا عنه فوجدناه قد مات وترك بنتين احدهما متزوجة والاخرى عاتق فرجعنا الى
كافور وأخبرناه بذلك فسهر في الحال واشترى لكل واحدة منهم ما دارا وأعطاها ما لا
جزى الا وكسوة فاخرة وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهم ما رزقا وأظهر أنهم من
المتعلقين به لرعاية أمورهما فلما فعل ذلك وبأبلغ فيه ضحك وقال أنعمون سبب هذا قلنا لا فقال
اعلموا انى مرت يوم ما بوالدهما المنجم وأفاق ملك ابن عباس الكاتب وأنا بحالة ربه فوقفت
عليه فنظرت الى واستجلبتني وقال أنت تصير الى رجل جليل القدر وتبلغ منه مبلغا كبيرا
وتنال خيرا كثيرا ثم طاب منى شيئا فأعطيته درهمين كانا معي ولم يكن معي غيرهما فرحى بهما الى
وقال أبشرك بهذه البشارة وتعطينى درهمين ثم قال وأزيد لك أنت والله تملك هذا البلد
وأكثر منه فاذا كرتنى اذا صرت الى الذى وعدتك به ولا تنس فقلت له نعم فقال عاهدنى انك تنقلى
ولا يشغل ذلك عن اقتعادي فعاهدته ولم يأخذ منى الدرهمين ثم انى شغلت عنه بما

تجددلى من الامور والاحوال وصرت الى هذه المنزلة ونسيت ذلك فلما اكلنا اليوم ونمت رأيت
 في المنام قد دخل على وقال لي أين الوفاء بالعهد الذى بينى وبينك واتمام وعدك لا تغدر فيه غدر
 بك فاستيقظت وفعات ما رأيت ثم زادنى احسانه الى بنات المنجم وقياموا لهما بما وعداه والله
 أعلم ومما اسفرت عنه وجوه الاوراق وأخبرت به الثقافات فى الآفاق وظهرت روايته بالشام
 والعراق وضرب به الامثال فى الوفاء بالاتفاق حديث السموأل بن عاديا وتخصيص معناه ان
 امرئ القيس الكندى لما أراد المضى الى قيصر ملك الروم أودع عند السموأل دروعا وسلاحا
 وأمتعة تساوى من المال جلة كثيرة فلما مات امرئ القيس أرسل ملك كندة يطلب الدروع
 والاسلحة المودعة عند السموأل فقال السموأل لا أدفعها الا لمن يثقها والى ان يدفع اليه منها
 شيئا فعاوده قاتلى وقال لا أغدر بدمتى ولا أخون أمانتى ولا اترك الوفاء الواجب على نقصده
 ذلك الملك من كندة بعد كرهه فدخل السموأل فى حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك
 وكان ولدا السموأل خارج الحصن فظفر به ذلك الملك فأخذه أسيرا ثم طاف حول الحصن وصاح
 بالسموأل فأشرف عليه من اعلى الحصن فلما رآه قال له ان ولدك قد أسرت وهما هوسعى فان سلمت
 الى الدروع والسلاح اتى لامرئ القيس عندك رحلت عنك وسلمت اليك ولدك وان امتنعت
 من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر فاخترأهم ما شئت فقال له السموأل ما كنت لا خفر ذما حى
 وابطل وفائى فاصنع ما شئت فذبح ولده وهو يتنظر ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبا واحتسب
 السموأل ذبح ولده وصبر محافظا على وفائه فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم اليهم
 الدروع والسلاح ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحب اليه من حمية ولده وبقائه فصارت
 الامثال فى الوفاء تضرب بالسموأل واذا مدحوا أهل الوفاء فى الانام ذكروا السموأل فى الاول
 وكم أعلى الوفاء رتبة من اعتلقه بيديه وأعلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق الافواه لفاعله
 بالثناء عليه واستطلق الايدى المقبوضة عنه بالاحسان اليه ومما وضع فى بطون الدفاتر
 واستحسنته عمون البصائر ونقلته الاصاغر عن الاكابر وتداولته الالسنه من الاوائل والواخر
 مارواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال طلبنى أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال
 لى خدمتك فلا ناو فلانا ومما هما أحدهما على بن محمد والاخر دينار الخادم واذهب مسرعا
 لما أقوله لك فانه قد بلغنى ان شيخا يحضر ايمالا الى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا
 كثيرا ويندبهم ويكي عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلى ودينار حتى تروا هذه الخرابات
 فاستتر واخاف بعض الجدران فاذا رأيت الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيئا فأتونى به
 قال فاخذتم ما مضينا حتى أتينا الخرابات واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسى حديد واذا
 شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة وقار قد اقبل فجلس على الكرسي وجعل يبكى ويقتحب ويقول
 ولما رأيت السيف جندل جعفر * ونادى مناد للخليفة فى يحيى
 بكيت على الدنيا وزاد تأسفى * عليهم وقت الآن لا تنفع الدنيا
 مع آيات أطالها ورددها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففرع فزعاشد ديدا
 وقال دعونى حتى أوصى وصية فانى لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين
 فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدي أمير

المؤمنين زجره وقال له من أنت وبماذا استوجبت البرامكة منك ما تفعله في خرائب دورهم
وما نقوله فيها قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال يا أمير المؤمنين إن للبرامكة عندي
أيادي خطيرة أفتأذن لي أن أحدثك حديثي معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن
المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت
إلى بيع مسقط رأسي ورؤس أعلی أشاروا على بالخروج إلى البرامكة فخرجت من دمشق
ومعني ثلثون امرأة وصبياء وصبيات ولبس معنأ ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد
ونزلنا في بعض المساجد فدعوت بشويات لي كنت قد أعددتها لاستقبح بها الناس فلبسنا
وخرجت وتركتهم جميعا على شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد أسأئل عن دور البرامكة
فإذا أنا بمسجد من خرف وفيه مائة شيخ بأحسن زى وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت
في القوم وولت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأخروا العرق يسيل مني لأنهم لم تكن
صناعتي وإذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت
معهم وإذا يحيى جالس على دكة له في وسط بستان فسلمنا وهو يعتنأ مائة وواحد أو بين يديه
عشرة من ولده وإذا غلام أمر دعز خدام قد أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم
منطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم بحجرة
من ذهب في كل بحجرة قطعة من عود كهيمئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطاني
فوضعه بين يدي الغلام وجلس الغلام إلى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضي تكلم وزوج
بنتي عائشة من ابن عمي هذا فخطب القاضي وزوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا
بالنثار بينادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كمي ونظرت فإذا نحن
في المكان ما بين يحيى والمشايع وولده والغلام مائة وأثناعشر رجلا فخرج إلينا مائة وأثناعشر
خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها ألف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل مناصيبية
فرايت القاضي والمشايع يصوبون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت أباطهم
ويقوم الأول فالأول حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى لأجسر على أخذ الصينية فغمزني
الخادم فجسرت وأخذتها وجمعت الذهب في كمي وأخذت الصينية في يدي وقت وجهات
ألقت إلى رائي مخافة أن أمنع من الذهاب بهم فبينما أنا كذلك في صحن الدار ويحيى يلحظني
إذا قال للخادم أنتي بذلك الرجل فرددت إليه فأمر بصب الدنانير والصينية وما كان في كمي
ثم أمرني بالجلوس فجلست فقال لي من الرجل فقصصت عليه قصتي فقال للخادم أنتي بولدي
موسى فأتى به فقال له يا بني هذا رجل غريب فخذ اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فتقبض
موسى على يدي وأدخلني إلى دار من دورها كرمي غابة الأكرام وأتت عنده يومى وإيلتي
في الأديش وأتمسروا فلما أصحج دعا بأخيه العباس وقال إن الوزير قد أمرني بالعطف على
هذا الرجل وقد علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين فأقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمني
غابة الأكرام فلما كان من الغد تسلمني أخوه أحمد ثم أزل في أيدي القوم يتداولوني عشرة أيام
لا أعرف خبر عيالي وصياني في الأموات هم أم في الأحياء فلما كان اليوم الحادى عشر
جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لي قم فإخرج إلى عيالك بسلام فقلت وأوبلاه

سلبت الدنانير والصينية وأخرج الى عيالي على هذه الحالة ان الله وانا اليه راجعون فرفع الستر
الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخدام السترا لخير قال لي مه ما كان لك من
الحوائج فارفعها الي فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس
حسنا ونورا واسعة قبلي منها راحة الندى والعود ونفحات المسك واذا بصبيان وعيالي يتقالبون
في الحرير والديبايح وجل الى ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشورين بضبيعتين
وتلك الصبغة التي كنت أخذتها بعافيه من الدنانير والبنادق وأقت يا أمير المؤمنين
مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا ام رجل غريب
اصطنعوني فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل أبجفني عمرو بن مسعدة
والزمني في هاتين الضبيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل على الدهر كنت في أواخر
الليل اقصد خرابات القوم فاندبهم واذكر حسن صنيعهم الي واشكرهم على احسانهم فقال
المأمون على عمرو بن مسعدة فلما أتني به قال له يا عمر وأتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين
هو بعض صنائع البرامكة قال لكم الزمته في ضبيعتي قال كذا وكذا قال رده كل
ما استأديه منه في مده ووقع له به اليك وتاله واعقبه من بعده قال فعلا فحبب الرجل وبكاؤه
فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا قد أحسننا اليك فلم تبك قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا
من صنائع البرامكة اذ لو لم آت خراباتهم فأبكمهم واندبهم حتى اتصل خبري بأمير المؤمنين
ففعّل بي ما فعل فبن أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون
وقد دمت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمرى هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم
فاشكر واياهم فأوف ولا احسانهم فاذا كر وقيل اذا أردت ان تعرف وفاء الرجل ودوام عهده
فانظر الى حنينه الى أوطانه وتشوقه الى اخوانه وكثرة بكائه على ماضى من زمانه قال الشاعر

سقى الله اطلال الوفاء بكفه * فقد درست اعلامه ومنازله

وقال آخر

اشدد يدك بمن يلوّث وفاءه * ان الوفاء من الرجال عزيز

وقال مالك بن عمار اللخمي كنت جالسا في ظل الكعبة أيام الموسم عند عبد الملك بن مروان
وقبيصة بن ذؤيب ومروان بن الزبير وكان نحوض في الفقه مرة وفي المذاكرة مرة وفي الشعار
العرب وامثال الناس مرة فكنيت لأجد عند أحمد ما أجد عند عبد الملك بن مروان من
الاتساع في المعرفة والتصرف في فنون العلم وحسن استماعه اذا حدث وحلاوة لفظه اذا
حدث فخلوت معه ليلة فقلت له والله اني لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك وحسن
حديثك واقبالك على جماعتك فقال ان تعش قلبا لافست ترى العيون طامحة الى والاعناق
نحوي متطاولة فاذا صار الامر الى فاعلك ان تنقل الى ركابك فلا ملأن يديك فلما
أفضت اليه الخلافة توجهت اليه فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر فلما رأي اعرض
عني فقلت له لم يعرفني أو عرفني وأظهر لي نكره فلما قضيت الصلاة ودخل بيته لم ألبث ان
خرج الحاجب فقال أين مالك بن عمار فقمت فأخذ يدي وادخلني عليه فخذني الى يده وقال انك

ترأيت لي في موضع لا يجوز فيه الامارات فاما الان فرحبا وأهلا كيف كنت بعدى
فاخبرته فقال لي أتذكر ما كنت قلت لك قلت نعم فقال والله ما هو غير ما وعظما ولا أثر
رويناه ولكنني أخبرك بخصال من سميت به بنفسي الى الموضع الذي ترى ما كنت ذا ودق
ولاشمت بصيبة عدو قط ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهي حديثه ولا قصدت كبيرة من
محارم الله تعالى متلذذا بها فكنت أو مل به هذه أن يرفع الله تعالى منزلي وقد فعل ثم دعا غلام
فقال له يا غلام بؤته منزلا في الدار فأخذ الغلام بيدي وأفر دلي منزلا حسنا فكنت في الدار
وأنعم بال وكان يسمع كلامي وأسمع كلامه ثم أدخل عليه في وقت عشاءه وغدا فرفع منزلي
ويقبل علي ويحادثني ويسألني مرة عن العراف ومرة عن الحجاز حتى مضت لي عشرون ليلة
فتغذيت يوما عنده فلما تفرق الناس نهضت قائما فقال علي رسلك فقعدت فقال أي الأمرين
أحب اليك المقام عندنا مع النصفه لك في المعاشرة أو الرجوع الى اهالك ولك الكرامة فقلت
يا أمير المؤمنين فارتفت أهلي وولدي علي أني أزور أمير المؤمنين وأعود اليهم فان أمرني أمير
المؤمنين اخترت رؤيته علي الاهل والولد فقال لا بل أرى لك الرجوع اليهم والخيار لك بعد
في زيارتنا وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار وكسوناك وحنالك اتراني قد ملأت يديك فلا خير
فيمن ينسي اذا وعد وعدا واشتت صحبتك السلامة ومن ذلك ما روى عن أبي بكر الاعمى وكان
قد انقطع الى آل برمك قال مسرورا الكبير لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلت عليه
فوجدت عنده أبا بكر الاعمى يغنيه ويقول

فلا تحزن فكل فتى سياتي * عليه الموت يطرق أو يغادى

فقلت في هذا والله قد أتيتك ثم أمسكت بيد جعفر وألقته وضربت عنقه فقال أبو بكر
ناشدك الله الألفه تني به فقلت له ما الذي جعلك علي هذا فقال أغضاني عن الناس فقلت حتى
استأمر الرشيد ثم أحضرت الرأس الى الرشيد وأخبرته بخبر أبي بكر فقال هذا رجل
فيه مصطنع اضممه اليك وانظر ما كان يجري عليه جعفر فادفعه اليه وكان يحيى بن
خالد اذا أكد في يمينه قال لا والذي جعل الوفاء أعز ما يرى قال أبو فراس بن جعدان
الشاعر

بمن يتقى الانسان فيما ينوبه * ومن أين للعز الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس الأقلهم * ذئابا على اجسادهم شيا

وسال المنصور بعض بطانة هشام عن تدبيره في الحروب فقال كان وجه الله يفعل كذا وكذا
فقال المنصور عليك لعنة الله تطأ بساطي وترحم علي عدوي فقال ان نعمة عدوك لقلادة
في عنقي لا ينزعها الا غالي فقال له المنصور ارجع يا شيخ فاني أشهد انك لو في حافظ للخبر ثم أمر له
بمال فأخذته ثم قال والله لولا جلاله أمير المؤمنين وأضاء طاعته ما لبست لاحد بعد هشام
نعمة فقال له المنصور لله درك فلولم يكن في قومك غيرك لكنت قد أبقيت لهم مجدنا مخلدا
وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب في بعض جنباب الشام فاذا امرأة جالسة
على قبر تبكي قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فحككت شمساً عن متون غمامة فوقفنا
متحبرين ننظر اليها فقال لها يزيد بن المهلب يا ممة الله هل لك في أمير المؤمنين بعلا فنظرت اليها

ثم انشأت تقول

فان تسالني عن هواي فانه * يجول به ذا القـبر يا فتى
واني لا استحييه والتربيتنا * كما كنت أستحييه وهو يراني

ومن ذلك ما روى عن نائلة بنت المرافصة بن الاخوص الكلابي زوج عثمان رضي الله عنه - ما
أن عثمان لما قتل اصابته ضربة على يدها وخطبها معاوية فرقة وقالت ما يعجب الرجل مني
فالواثنيا لك كسرت ثناياها وبعثت بهن الى معاوية فكان ذلك مما رغب قريشا في نكاح نساء
بنى كلب واما أحسن مصعب بن الزبير بالقتل دفع الى مولاه زياد فص يا قوت قيمته ألف ألف
وقال له انج به - اذا فاخذ به زياد ودقه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعدك ولما قدم
هـدية بن الحشرم للقتل بحضرة مروان بن الحـكم قالت زوجته ان هـدية عندي وديعة
فأمهلها حتى آتيت بها فقال أسرعي فان الناس قد كثروا وكان مروان قد جلس لهم بارزاعن
داره فاضت الى السوق وأتت الى قصاب فقالت أعطني شفرتك وخذ هـذين الدرهمين وأنا
أردّها عليك فأخذتم اوقرت من حائط وأرسلت ملحفته على وجهها ثم جددت أنفها من
أصله وقطعت شفتيها وردت الشفرة الى القصاب ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس فقالت
أتراني يا هـدية متزوجة بعد - لما ترى فقال الآن طابت نفسي بالموت فجزا الله من حامـلة
وفية خيرا ولجعل لهذا الباب من القضايا ختما هو وأجرها كالأما وأحسن انظاما وأبينها
حكما واحكاما وهي قضية جمعت الامرين وفاء وغدرا وعرفا ونكرا وخيرا وشرا
ونفعا وضرا واشتملت على حال شخصين أحدهما وفي بعده ففاز ونجوا وحاز من مقترحات مناه
ما أقبل ورجا وغدرا الآخر فلم يجد له من جزاء غدره الى النجاة فرجا ولم يلق له من ضيق الغدر
مخرجا وهو ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم وكان مطلعاً على أحوال احمد بن طولون عارفا
بأموره عالم بآبوره وصدوره فقال ما معناه ان احمد بن طولون وجد عند سقايته طفلا
مطر وحافا لقطه ورباه وسماه احمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان اكثر الناس ذكاه وفضلة
وأحسنهم زيارا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تم - ذب وتمزق فلما حضرت احمد بن طولون
الوفاة أوصى ولده أبا الجيش بخارويه به فاخذه اليه فلما مات احمد بن طولون أحضره الامير
أبو الجيش اليه وقال له انت عندى بمكانة أرفعاً منهم ولكن عادنى أنى أخذ العهد على كل من
أصرفه في شئ انه لا يخوننى فعاهدته ثم حكمه في أمواله وقدمه في أشغاله فصار احمد باليتيم
مستحوذاً على المقام حاكماً على جميع الحاشية الخاص والعام والامير أبو الجيش بن طولون
يحسن اليه فلما رأى خدمته متصفة بالنصح ومساعدته متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد في أمور
بيوته عليه فقال له يوما يا احمد امض الى الحجرة القلانية ففى المجلس حيث أجلس سبعة بجوهر
فاتنى بها فضى احمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياها مع شاب من
القراشين ممن هو من الامير يعمل قريب فلما رأياه خرج الفتى وجاءت الجارية الى احمد وعرضت
نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال لها ما عاذ الله أن اخون الامير وقد أحسن الى وأخذ
العهد على ثم تركها وأخذ السبعة وانصرف الى الامير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة
الحنوف من احمد بعد ما أخذ السبعة وخرج من الحجرة لا يذكرك حالها الا لا مبرفا قامت أياها

لم يجد من الأمير ما غيره عليها ثم اتفق أن الأمير اشترى جارية وقدمها على خطاياه ونحوها
بعطاياه واشتغل بها عن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية
غيرها ولا يراها وكان أول ما مشغولا بتلك الجارية الخاسرة الخائنة الغادرة العائبة
العاهرة الفاسقة الفاجرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة المجددة السعيدة المسعدة
الحامدة المحمودة الوصيفة الموصوفة الأليفة المألوفة العارفة المعروفة وصرف لهجة
محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضاها عن ارتشاف ضرب
أضرابها وكانت تلك الجارية الأولى لحسنها متأثرة على قنمير لا تخاف من وليه ولا نصيره
فكبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك إلى أحمد البيتيم لاطلاعه على ما كان منها قد دخلت على
الأمير وقد ارتدت من السكابة بجلباب نكرها وأعلنت بالبكاء بين يديه لانتقام كيدها ومكرها
وقالت إن أحمد البيتيم راودني عن نفسي فلما سمع الأمير ذلك استشاط غيظا وغضبها وهم
في الحال بقتله ثم عاوده ما كرم عقله فتأني في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له إذا أرسلت
إليك انسانا ومعه طبق من ذهب وقلت لك على لسانه املا هذا الطبق مسكا فاقبل ذلك
الانسان واجعل رأسه في الطبق وأحضره مغطى ثم إن الأمير أبا الجيش جالس لشربه
وأحضر عنده ندماء الخواص وأدناهم لمجلس قربه وأحمد البيتيم واقف بين يديه آمن في شربه لم
يخطر بخواطره شيء ولا هجس هاجس في قلبه فلما مثل بين يدي الأمير وأخذ منه الشراب شرع
في التسدير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به إلى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير
المؤمنين املا هذا الطبق مسكا فخذ هذا أحمد البيتيم ومضى فاجتاز في طريقه بالمغنين وبقية
الندماء والخواص فقاموا إليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ماض في حاجة للأمير أمرني
بإحضارها في هذا الطبق فقالوا له أرسل من ينوب عنك في إحضارها وخذها أنت وادخل
بها على الأمير فأدار عينيه فرأى الفتى الفرائش الذي كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال له
امض إلى فلان الخادم وقل له يقول لك الأمير املا هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفرائش إلى
الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله في الطبق وأقبل به فمناوله لأحمد البيتيم
فأخذه وأيسر عنده علم من باطن الأمر فلما دخل به على الأمير كشفه وتأنقه وقال ما هذا نقص
عليه خبره وعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم الجلوس معهم وما كان من انفاذ
الطبق وإرساله مع الفرائش وأنه لا علم عنده غير ما ذكره قال انعرف لهذا الفرائش خبرا
يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الأمير إن الذي تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت
رأيت الأعراض عن اعلام الأمير بذلك وأخذ أحمد يتحدث بما شاهدته وما جرى له من
حديث الجارية من أقوله إلى آخره لما أتته هذه لاحتار السجدة الجوهر فدعا الأمير أبو الجيش
بتلك الجارية واستقررها فقرت بصحة ما ذكره أحمد فأعطاه أياها وأمره بقتلها ففعل
وازدادت مكانة أحمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه إليه وجعل أزعة جميع
ما يتعلق به بيديه فانتظر رجاء الله إلى آثار الوفاء كيف تحمي من المعاطب وتنبني من قبضة
التلف بعد امضاء القواضب ويقضي بصاحبه إلى ارتقاء غوارب المراتب فهذه الغلام
لما وفي مولاه بعهدده وهو بشر مثله وليس في الحقيقة بعهدده واطلع الله عز وجل على صدق

نيتة وقصده دفع عنه هذه القنلة الشنيعة بالطف من عنده فاذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافيافي طاعته بعهده كيف لا يقبض عليه من أطاف مواهب بره ورفده ويفتح له من أنواع رحمة وأقسام نعمته ما لا يحصى له من بعده وقالوا ليس شيء أوفى من القمرية اذا مات ذكرها لم تقرب آخر بعده ولا تزال تنوح عليه الى أن تموت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب الثامن والثلاثون في كتمان السر وتحصينه وذم افشائه)

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب ص لوات الله وسلامه عليه يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية فلما أفشى يوسف عليه السلام رؤياه بمشهد امرأة يعقوب أخبرت اخوته فحل به ما حل ومن شواهد الكتاب العزيز في السر قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى وقوله تعالى وما هو على الغيب بظنين اي بعثهم وفي الحديث استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال علي رضي الله عنه وكترم وجهه سرته أسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره واعلم أن أمناء الامرار أقل وجودا من أمناء الاموال وحفظ الاموال أيسر من كتمان الاسرار لان احراز الاموال منية بالابواب والاقفال واحراز الاسرار بارز يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وجل الاسرار أثقل من حمل الاموال فان الرجل يستقل بالجل الثقيل فيحملة ويمشي به ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره في قلبه فيطعمه من القلق والكرب ما لا يلحقه من حمل الاثقال فاذا أذاعه استراح قلبه وسكن خاطره وكأنا ألقى عن نفسي حلا ثقيلا وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه القلوب أوعى والشفاه أقفأها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل انسان مفتاح سره ومن عجايب الامور أن الاموال كلما كثرت خزائنها كان أوثق لها وأما الاسرار فانها كلما كثرت خزائنها كان أضيع لها وكم من اظهر سرأ راق دم صاحبه ومنع من بلوغ ما ربه ولو كتمه أمن من سطوانه وقال ابو شروان من حصن سره فله تحصينه خصلتان الظفر بحاجة والسلامة من السطوات وقيل كلما كثرت خزان الاسرار زادت ضياعا وقيل انفسرد بسرك لا تودعه حازم فيزل ولا جاهل فيخون وقال كعب بن سعد الغنوى

واستعبد للرجال سريرتي * ولا أناعن أسرارهم بسؤل

وقال أبو مسلم صاحب الدولة

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بني مروان اذ جهدوا

ما زلت أسعى عليهم في ديارهم * والقوم في غفلة بالشام قد ردوا

حق ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم يفتحها قبلهم أحد

ومن رعى غنما في أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الأسد

وأسر رجل الى صديقه حديثا ثم قال له أفهمت قال بل جهلت ثم قال له أحفظت قال بل

نسيت وقيل لبعضهم - كيف كتمانك للسري قال أجمد المخبر وأحلف للمستخبر وقال المهلب
أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما أسرا إليه ومن أحسن ما قيل
في كتمان السر قول الشاعر

ولها سر أثر في الضمير طويتها * نسي الضمير بأنما في طيه
وقد أجازها الشيخ شمس الدين البدوي فقال

اني كتبت حديث ليلى لم أبح * يوما بظاهره ولا بحقيقه
وحفظت عهد ودادها متمسكا * في حبها برشاده أو غيبه
ولها سر أثر في الضمير طويتها * نسي الضمير بأنما في طيه

وقيل كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكأنه لا خير في آية لا تمسك ما فيها فكذلك
لا خير في انسان لا يمسك سره قال الشاعر

ومستودعي سراي كتبت مكانه * عن الحس خوفا أن ينم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهوة * فأودعته من حيث لا يبلغ الحس

وقال قيس بن الخطيم

أجود بمكنون التلادواني * بسرى عن سالي اضمنين
وان ضيع الاقوام سرى فاني * كتوم لاسرار العشير أمين

وقال جعفر بن عثمان

يا ذا الذي أودعني سره * لا ترج أن تسمعه مني
لم أجره قط على فكرتي * كأنه لم يجبر في أذني

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما افشيت سرى الى أحد قط فأفشاء فلمته اذ كان
صدرى به أضيق وقال الاحنف بن قيس يضيق صدر الرجل بسره فاذا حدث به أحدا
قال اكتمه على قال الشاعر

* اذا المرأ أفشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو أحمق *
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر أضيق

وقال آخر

اذا ما ضاق صدرك عن حديث * وأفشيت الرجل فن تلوم
وان عاتبت من أفشى حديثي * وسرني عنسده فأنا الملوم

وقال صالح بن عبد القدوس لا تودع سر لك الى طالبه فالطالب للسر مذيع ولا تودع مالك
عند من يستدعيه فالطالب لا ودية خائن * وقيل لا عرابي ما بلغ من حفظك للسر قال
أفرقه تحت شغاف قلبي ثم أجمعه وأنساه كأنني لم أسمع * وكان يقال أحزم الناس من لا يفشى
سره الى صديقه مخافة أن يقع بينهم ما شرفه ففشي عليه وقال حكيم قلوب الاحرار
قبور الاسرار وقبل الطمأنينة الى كل أحد قبل الاختبار حق وقال بعضهم

اذا ما غفرت الذنب يوم صاحب * فليست معي داما حيث له ذكرا
واست اذا ما صاحب خان عهده * وعندى له سر مذيعه له سرا

وأين هذا من القاتل

ولا تودع الأسرار اذنى فاعلم * تصبى ماء في اناء ثم لم

أو القاتل

ولا أكنتم الأسرار لكن أذيعها * ولا أدع الأمر ارتد على قاي
وان قلبك العقل من بات ليلة * تقالبه الأسرار جنباً الى جنب
وقال آخر

وانك كلما استودعت سرًا * أنتم من التسميم على الرباض

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي

اناس أمناهم فتم واحد ديتنا * فلما كتمنا السر عنهم تقولوا

ولله در المتنبي حيث قال

والسر منى موضع لا يناله * نديم ولا يفضى اليه شراب

وقد اقتصرنا من ذلك على هذا القدر البسيط وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

الباب التاسع والثلاثون في الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه

فصول

(الفصل الاول في الغدر والخيانة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمل الاشياء عقوبة
البغي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر والخديعة
والخيانة في النار وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثلاث من كن فيه كن عليه البغي
والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيتكم على أنفسكم وقال تعالى فمن نكث فاعلم انك
على نفسك وقال تعالى ولا يصحيق المكر السيئ الا بأهله وكم أوقع الغدر في المهالك من غادر
وضاقت عليه من موارد الهلكات فسبحات المصادر وطوقه غدره طوق خزي فهو على فكه
غير قادر وأوقعه في خطة خسف وورطة حنف فإله من قوة ولا ناصر ويشهد صحة هذه
الأسباب ما لاحظت به علوم ذوى الالباب من قصة ثعلبة بن حاطب الانصارى وتلخيص
معناها أن ثعلبة هذا كان من أنصار النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه يوم ما وقال يا رسول
الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قلبك توذى
شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني
مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة أمالك في رسول الله اسوة حسنة والذي
نفسى بيده لو أردت أن تسير بالجمال معي ذهباً وفضة لاسارت ثم أتاه بعد ذلك مرة ثالثة
فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق نبيا لن يرزقني الله مالا لا أعطين
كل ذي حق حقه وعاهد الله تعالى على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فأتته ثعلبة غنما فمكت كما ينو الدود فضاقت عليه المدينة ففتنى
عنها ونزل واديها من اوديتها وهي تنمو كما ينو الدود وكان ثعلبة لكثرة ملازمته للمسجد
يقال له جماعة المسجد فلما كثرت الغنم وتفتى صار يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

الظهر والعصر ويصلي بقية الصلوات في غمته **فكثرت** ونمت حتى بعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت فتبعه ايضا عن المدينة حتى صار لا يشهد الجمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة قالوا يا رسول الله اتخذ عثمان ما يسبها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين رجل من بني سليم ورجل من جهينة وكتب لهم ما أنصاب الصدقة وكيف يأخذونها وقال لهم امرا ثعلبة بن حاطب ورجل آخر من بني سليم نفذا صدقاتهم ما تخرجوا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الاجزية أو ما هذه الاخت الجزية انطلقا حتى تفرغتم عودا الى فانطلقا وسمع بهما السلي فنظرا الى خيار ابله فعزاهما للصدقة ثم استقبلهما ما بهما فلما رأياه قالاما هذا قال خذاه فان نفسي به طيبة فترأى على الناس وأخذ الصدقات ثم رجعوا الى ثعلبة فقال اروني كتابكم فقرأه ثم قال ما هذه الاجزية أو ما هذه الاخت الجزية اذهب حتى أرى رأيا قال فذهبا من عنده وأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال قبل أن يتكلمما يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلو به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا **كذبون** ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل صدقته فقال ان الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقة ففعل ثعلبة بحشو الثراب على رأسه ووجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ثم أتى الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين استخاف فقال قد علمت منزلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر رضي الله عنه لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فلا قبلها أنا فقبض أبو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فلم يقبلها منه وقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضي الله عنه فأبانا لا قبلها وقبض عمر رضي الله عنه ولم يقبلها ثم ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه فسأله أن يقبل صدقته فقال له لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهم ما فانا لا قبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه فانظر الى سوء عاقبة غدره **كيف** أذاقه وبال أمره ووسمه بسمة عارقضت عليه بهنصره وأعقبه نقاشا بخزبه يوم فاقته ونفقه فأى خزي أريج من ترك الوفاء بالمشاق وأى سوء أقيح من غدر يسوق الى النفاق وأى عار أفضح من نقض العهد اذا عذت مساوى الاخلاق وكان يقال لم يغدر غادر قط الا صغره همته عن الوفاء وانصاع قدره عن احتمال المكاره

في جنب نيل المكارم قال الشاعر

غدرت بأمر كنت أنت جذبتنا * اليه وبئس الشيعة الغدر بالعهد

ولما حلف محمد بن المؤمنين بالله الحرام وهو ما ولياها - مد طالبه جعفر بن يحيى
أن يقول خذني الله أن خذته فقال ذلك ثلاث مرات فقال الفضل بن الربيع قال لي
الأمير في ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله يا أبا العباس أجد في نفسي أن أمري
لا يتم فقلت له ولم ذلك أعز الله الأمير قال لاني كنت أحلف وأنا أنوي الغدر وكان كذلك
لم يتم أمره وورد في أخبار العرب أن الضيزن بن معاوية بن قضاة - كان ملكا بين
دجلة والفرات وكان له هناك قصر مشيد يعرف بالجوسق وبلغ ملكه الشام فأغار على مدينة
سابور ذي الكاف فأخذها وأخذ أخت سابور وقتل منهم خلقا كثيرا ثم ان سابور جمع
جيشا وصار إلى الضيزن فأقام على الحصن أربع سنين لا يصل منه إلى شيء ثم ان النصيرة
بنات الضيزن عركت أي حاضت فخرجت من الرض وكانت من أجل أهل دهرها وكذلك
كانوا يفعلون بنسائهم اذ احضن وكان سابور من أجل أهل زمانه فرأها ورأته فغشها
وعشقته وأرسلت اليه تقول ما تجد لي ان دللتك على ماتم - دم به هذه المدينة وتقتل أبي
فقال أحكمك فقالت عليك بجماعة مطوقة ورقاء فكتب عليها بجيش جارية ثم أطلقها
فانهم اتفعد على حائطة المدينة فتداعى المدينة كلها وكان ذلك طلسم لا يهدمها الا هو ففعل
ذلك فقالت له وأنا أسنى الحرم الخرفاذ اصروا فاقبلهم ففعل ذلك فتداعت المدينة وقصها
سابور عنوة وقتل الضيزن واحتمل ابتغى النصيرة وأعرض بها فلما دخل بها لم تزل لياليتها
تتضرر وتتمل في فراشها وهو من حرير محشور بريش النعام فالتس ما كان يؤذيها فاذا هو
ورقة آس التصقت بعنقها وأثرت فيها وقيل كان ينظر إلى مخ عظمها من صفاء بشرتها ثم ان
سابور بعد ذلك غدر بها وقتلها قيل انه أمر رجلا فركب فرسا جوحا وضفر غداثرها بذنبه
ثم اسير كضه فقطعها قطعاً قطعه الله ما أغدره * وتقول العرب جزاني جزاء سمخار وهو أن
أزدر بن سابور لما خاف على ولده بهرام وكان قبله لا يعيش له ولد سأل عن منزل صحيح
مرى فدل على ظهر الجزيرة فدفع ابنه بهرام إلى النعمان وهو عامله على أرض العرب وأمره
أن يبنى له جوسقا فامتثل أمره وبني له جوسقا كالحسن ما يكون وكان الذي بنى الجوسق
رجلا يقال له سمخار فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه فقال لوعلمت أنكم توفوني اجرته ابنته
بناء يدور مع الشمس حيث دارت فقالوا وانك لتبني احسن من هذا ولم تبني ثم أمر به فطرح
من أعلى الجوسق فمقطع فكانت العرب تقول جزاني جزاء سمخار * ومن غدر عبد الرحمن بن
المجمل لعنه الله غدر به على رضى الله عنه وقته * وعمر بن جرموز غدر بالزبير بن العوام رضى
الله عنه وقته * وابواؤة غلام المغيرة بن شعبه لعنه الله غدر بأمر المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وقته * وجعل المنصور العهد إلى عيسى بن موسى ثم غدر به وأخذه وقدم
المهدي عليه فقال عيسى

أينسى بنو العباس ذبي عنهم * بسيفي ونار الحرب زاد سعيها
فصت لهم شرق البلاد وغربها * فذل معاديهما وعز نصيرها

أقطع أرحاما على عزيرة * وأبدي مكيدات لها وأثيرها
فلما وضعت الأمر في مستقره * ولاحت له شمس تلالاً نورها
دفعت عن الأمر الذي استحقه * واوسق أوساق من الغدر عيرها
وخرج قوم اصيد فطردوا ضبعة حتى ألجوها إلى خباء أعراى فأجارها وجعل يطعمها ويسقيها
فبينما هو نائم ذات يوم اذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت بجاء ابن عمه يطلبه فوجدته ملقى فقبضها
حتى قتلها وأنشده قول

ومن يصنع المعروف مع غير أهله * يلاق كمالاً في مجيراته عامر
أعد لها لما استجارت بيته * أحاليب البان اللقاح الدوائر
وأسمها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنساب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من * يجود بعروف على غير شاكر

(وحكى بعضهم) قال دخلت البادية فاذا أنا بهجوز بين يديها شاة مقتولة وإلى جانبها جرو ذئب
فقلت أنت ترى ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب اخذناه صغيراً وأدخلناه بيتنا ووريناه
فلما كبر فعل بشاقي ماترى وأنشدت

بقرت شويهي ونجعت قومي * وأنت اشأتنا ابن ربيب
غذيت بدرتها ونشأت معها * فمن أنبالذات ابالكذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا أدب يفيسد ولا أدب

اللهم اننا نعوذ بك من البغي وأهله ومن الغادر وفعله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

(الفصل الثاني في السرقة والسرقة) قيل مرّ عمر بن عبيد بجماعة وقوف فقال ما هذا قيل
السلطان يقطع سارقاً فقال لا اله الا الله سارق العلانية يقطع سارق السر وأمر الاسكندر
بصلب سارق فقال أيها الملك اني فعلت ما فعلت وأنا كاره فقال وتصلب أيضاً وأنت كاره
وسرق مدني فقصاً فأعطاه لابنه يبيعه فسرقة منه فجاءه فقال بكم بيعته قال برأس المال
وقال اكل السلي وكان لصافانكا

واني لا استحي من الله أن أرى * اجر جر حبل لي من فيه بهير
وأن أسأل المرء الذي بعيره * وأجال ربي في البلاد كثير
وقال الفرزدق

وان أبا الكرشاء ليس بسارق * وليكن متى ما يسرق القوم يأكل

وكان عمرو بن دويرة البجلي أخ قد كاف يفت عثم له فتسور عليها الدار ذات ليلة فأخذته
اخوته وأتوا به خالد بن عبد الله القسري وجعلوه سارقاً فسأله خالد فصدقهم لم يدفع الفضيحة
عن الجارية فهم خالد بقطعه فقال عمرو وأخوه

خالد قد والله أوطئت عشوة * وما العاشق المظلم فينا بسارق
أقرب ما يأت المرء انه * رأى القطع خيراً من فضيحة عاشق

فعفا عنه خالد وزوجه الجارية

(الفصل الثالث فيما جاء في العداوة والبغضاء) قد ذكر الله عز وجل العداوة والبغضاء في كتابه العزيز فقال تعالى والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وقال تعالى ان الشيطان للانسان عدو مبين وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه العداوة تتوارث وقال زياد بن عبد الله

فلو أني بليت بهاشمي * خولته بنو عبد المدان

صبرت على عداوته ولكن * تعالوا فانظروا بين ابنة لاني

ونت رجل في وجه أبي عبيدة مكروها فأنشأ يقول

فلو أن لحي اذ وهي لعبت به * سباع كرام أو ضباع وأذوب

لهون وجردي أو لسلي مصيبي * وأسكنما أودي بلحمي أكاب

وقيل لكسرى أي الناس أحب اليك أن يكون عاقلا قال عدوى قيل وكيف ذلك قال لانه اذا كان عاقلا كنت منه في عافية وأمن وقيل كونوا من المرأة الدغل أخوف من الكاشع المعلن فان مداواة أهل العلل الظاهرة أهون من مداواة ما خفي وبطن وقالوا اياك أن تعادي من اذا شاء طرح ثيابه ودخل مع الملك في لحافه وقال أبو العتاهية

تنح عن القبيح ولا ترده * ومن أوليته حسنة فزده

ستلني من عدوك كل كيد * اذا كاد العدو ولم تكده

وكانت جليلة بقت مرة أخت جساس تحت كليب فقتل أخوها زوجها وهي حبلى به جرس ابن كليب فلما كبرو شب قال

أصاب أبي خالي وما أنا بالذي * أميل وأمرى بين خالي ووالدي

وأورث جساس بن مرة غصة * اذا ما انترتني حرها غير بارد

ثم قال بعد ذلك

بالرجال لقاب ماله جلد * كيف العزاء وثاري عند جساس

ثم حل على خاله فقتله وقال

ألم ترني ثأرت أبي كليباً * وقد يرعى المرشح للدخول

غسلت العار عن جسم ابن بكر * بجساس بن مرة ذى البتول

(بيت)

سن العداوة آباء لما سلفوا * فلن تبديدوا آباء ابنا

ويقال دار عدوك لاحد أمرين اما صداقة تؤمنك أو فرصة تمكنك وكتب سويد الى

مصعب

فبلغ مصعبا عن رسول * وهل تلقى المصيح بكل وادي

تعلم أن أكثر من تنابح * وان ضحكوا إليك هم الأعداء
ويقال فلان كثر المراق مزال مذاق وقال الحجاج الخارجي والله اني لا بعضك قال
أدخل الله الجنة أشدنا بغضا لصاحبه ولما أراد أن يشر وان أن يقتل ابنه هزم ولاية
العهد استشار عظماءه ملكته فأنكر وأعليه وقال بعضهم ان أمه تركية وقد علمت
في أخلاقهم ما علمت فقال ان الأبناء ينسبون الى الآباء لا الى الأمهات وكانت أم قبادة
تركبة وقد رأيت من حسن سيرته ما رأيت من فقيل هو قصير وذلك يذهب بهاء الملك فقال ان
قصيره من رجله ولا يكاد يرى إلا جالسا أو راكبا فلا يستبين ذلك فيه فقيل هو بفيض
في الناس فقال أوامه لك ابني هزم فقد قيل اذا كان في الانسان خير واحد ولم يكن ذلك الخير
المحبة في الناس فلا خير فيه واذا كان فيه عيب واحد ولم يكن ذلك العيب البغض في الناس
فلا عيب فيه

ولست براء عيب ذي الود كاه * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليله * كما أن عين السخط تبدي المساويا
وفي المعنى قيل

وعين البغض تبرز كل عيب * وعين الحب لا تجد العيوب
وعن أبي حيان قال قال لقمان نقلت الصخور وحملت الحديد فلم أر شيئا أثقل من الدين
وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أر شيئا أذل من العاقبة وأنا أقول لو نزحوا البحار
وكنسوا الثقار لوجدوها أهون من شماعة الأعداء خصوصا اذا كانوا مساهمين
في نسب أو مجاورين في بلاد الله هم انا نعوذ بك من تتابع الاتم وسوء الفهم وشماعة ابن العم
وقيل لا يؤوب عليه السلام أي شيء كان عليك في بلائك أشد قال شماعة الأعداء وأنشد
الجاحظ

تقول العاذلات تسلي عنها * وداو عليل قلبك بالساق
وكيف ونظرة منها اختلاسا * أذل من الشماعة بالعدو

وقال ابن أبي جهينة المهلب

كل المصائب قد تمر على الفقي * فتكون غير شماعة الأعداء

وقال الجاحظ ما رأيت سنانا أنفذ من شماعة الأعداء وقيل لما قبض رسول الله صلى
الله عليه وسلم سمع بموته نساء من كعدة وحضر موت فخصن أيديهن وضر بن بالدقوف
فقال رجل منهم

أبلغ أبا بكر اذا ما جثته * ان البغايا من بني مرهم
اظهرن في موت النبي شماعة * وخصنن أيديهن بالعلام
فاقطع هديت كفهن بصارم * كالبرق أومض في متون غمام

فكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه الى المهاجر عامله فأخذه من قطع أيديهن ويقال فلان
يتربص بك الدوائر ويتمنى لك العوائل ولا يؤمل صلاحا الا في فسادك ولا رفعة الا في سقوطك

حالك وقال **حكم** لا تأمن عدوك وان كان ضعيفا فان القناة قد تقتل وان عدمت
السنان قال الشاعر

فلا تأمن عدوك لو ترام * اقل اذا نظرت من القراد
فان الحرب ينشأ من جبان * وان النار تضرهم من رماد
(بيت مفرد)

فمن لم يكن منكم مسيئا فانه * يشد على كف المسى فيجباب
وقال عبد الله بن سليمان بن وهب

كفاية الله خير من توقينا * وعادة الله في الماضي تكفينا
كاد الا عادي فلا والله ما تركوا * قولا وفعلاتنا وتهميها
ولم نزد نحن في سر وفي علان * على مقالنا يا ربنا اكفينا
فكان ذاك ورد الله حاسدا * بغيطه لم ينل تقديره فينا

(النص ————— ل الرابع في الحسد) قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال علي رضي الله عنه الحاسد مغتاط على من لا ذنب له وقيل الحسود مخضب ان على القدر ويقال ثلاثة لا يهنا أصحابها عيش الحق والحسد وسوء الخلق وقيل بئس الشعار الحسد وقيل لبعضهم ما بال فلان يفضلك قال لانه شقي في النسب وجاري في البلد وشريك في الصناعة فذكر جميع دواعي الحسد وقال أعرابي الحسد داء منصف يفعل في الحاسد أكثر من فعله في المحسود وهو مأخوذ من الحديث قاتل الله الحسد ما أعد له بدأب صاحبه فقتله وقال الفقيه أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى يصل الى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده الى المحسود أولاها غم لا ينقطع الثانية مصيبة لا يوجب عليها الثالثة مذمة لا يحمد عليها الرابعة سخط الرب الخامسة يغلق عنه باب التوفيق (ومن ذلك ما حكى) أن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقتله وأدناه وجعله نذية وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوي وحسده وقال في نفسه ان لم أحمل على هذا البدوي في قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدني منه فصار يتلفظ بالبدوي حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكفر فيه من الثوم فلما أكل البدوي منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيأذي من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلابه وقال يا أمير المؤمنين ان البدوي يقول عنك للناس ان أمير المؤمنين أبخروا هلكا من رائحة فقه فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كفه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستترقه بكفه قال ان الذي قاله الوزير عن هذا البدوي صحيح فكذب أمير المؤمنين كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوي ودفع اليه الكتاب وقال له امض به الى فلان واتني بالجواب فامتثل البدوي ما رسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ قلبه الوزير

فقال ابن تزييد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين إلى عامله فلان فقال الوزير في نفسه ان هذا البدوي يحصل له من هذا القليل مال جليل فقال له يا بدوي ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك أني دينار فقال أنت الكبير وأنت الحاكم ومهـ ما رأيته من الرأي افعل قال أعطني الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير أني دينار وسار بالكتاب إلى المكان الذي هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة في أمر البدوي وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ما ظهر وأن البدوي بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوي فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التي اتفقت له مع الوزير من أولها إلى آخرها فقال له أنت قلت عني للناس اني أبحر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين أن اتحدث بما ليس لي به علم وانما كان ذلك مكرامته وحسدا وأعلمه كيف دخل به إلى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعد له بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوي واتخذ وزيراً وراح الوزير بحسده وقال المغيرة شاعر آل المهلب

آل المهلب قوم ان مدحتهم * كانوا الاكارم آباء وأجدادا

ان العرانيين لقاها محسدة * ولا ترى للثام الناس حسادا

وقال عمر رضي الله عنه يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك وقال مالك بن دينار شهادة القراء مقبولة في كل شيء الا شهادة بعضهم على بعض فانهم أشد تحاسدا من التيوس وعن أنس رضي الله عنه رفعه ان الحسدياً كل الحسنات ككأن كل النار الحطب وقال منصور الفقيه

منافسة الفقى فيما يزول * على نقصان هـمته دابل

ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

يقول الله عز وجل الحاسد عدو نعمتي متخطلفه على غير راض بقسمتي التي قسمت لعبادي قال الشاعر

أيا حاسدا إلى علي نعمتي * أتدري على من أسأت الادب

أسأت على الله في حكمه * لانك لم ترض لي ما وهب

فاخرالك ربي بان زادني * وسد عليك وجوه الطلب

وقال الاصمعي رأيت أعرابيا قد بلغ عشرين سنة فقلت له ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقالوا لا يخلوا السيد من دود يدح وحسود يدح وقال ابن مسعود رضي الله عنه ألا لاتعدوا نعم الله قيل ومن بعدى نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقيل لعبد الله بن عروة لم لزمت البدو وترك قومك فقال وهل بقي الا حاسد على نعمة أو شامت على نكبة وقال الشاعر

يا طالب العيش في أمن وفي دعة * رغدا بلا قـمـتر صفوا بلا رنق

خلص فؤادك من غل ومن حسد * فالغل في القلب مثل الغل في العنق

وقال آخر

اصبر على حسد الحسود * دفان صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها * ان لم تجد ماتاً كاه
وفي نوابغ الحكم الحسد حسك من تعلق به هلاك ولبعضهم
اني حسدت فزاد الله في حسدي * لا عاش من عاش يوماً غير محسود
وقال نصر بن سيار

اني نشأت وحسادي ذو وعد * يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا
ان يحسدوني على ما بي لم يهزم * فقل ما بي مما يجلب الحسدا
وكان عمر رضي الله عنه يقول نعوذ بالله من كل قدر وافق ارادة حاسد وقيل لارسطاطاليس
ما بال الحسود أشد غمفاً قال لانه أخذ بنصيبه من غموم الدنيا ويضاف الى ذلك غمه لسرور
الناس والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الاربعون في الشجاعة وغرورها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس
والتهريض على القتال وفيه فصلان

(الفصل الاول في فضل الجهاد في سبيل الله وشدة البأس) قد أثنى الله تعالى على
الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ووصف المجاهدين فقال تعالى ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وندب الى جهاد الاعداء ووعد عليه
أفضل الجزاء والرأى في الحرب امام الشجاعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب
خدعة وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دم في سبيله
أو قطرة دم في جوف ليل من خشية وسمع رجل عبد الله بن قيس رضي الله عنه يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تحت ظلال السيوف فقال يا أبا موسى أنت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال نعم فرجع الى أصحابه فقال أقرأ عليكم
السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل وكتب
أبو بكر الصديق رضي الله عنه الى خالد بن الوليد اعلم أن عليك عيوننا من الله ترعاه وترأى
فاذا قتلت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة ولا تقبل الشهادة من دماهم
فان دم الشهيد يكون له نور يوم القيامة وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين اتينا الى خيبر الله اكبر خربت خيبرانا اذ انزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين وعنه رفعه لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها وعن ابن مسعود
رفع ان ارواح الشهداء في حواصل طيور خضرها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة
حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل وقيل ان أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله
عنه لم يشهد بدرا فلم يزل متحسرا يقول أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غيب
عنه فلما كان يوم أحد قال واهل الرمح الجنة دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد في بدنه بضع
وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية فضالت أخته الربيع بنت النضر فما عرفت أخي الابناته
وعن فضالة بن عبيد رفعه كل ميت يحتم على عمه الا الماربط فانه يغني له عمه الى يوم القيامة

ويؤمن من قسنة القبر وعن سهل بن حنيف رفعه من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه فسدأل الله أن يرزقنا الشهادة ويجعلنا من الذين أحسنوا فلهم الحسنى وزيادة

(الفصل الثاني في الشجاعة وغرتها والحروب وتدبيرها) اعلم ان الشجاعة عماد الفضائل ومن فقد هالم تكمل فيه فضيلة ويعبر عنها بالصبر وقوة النفس قال الحكماء وأصل الخبر كله في ثبات القلب والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة اوجه الوجه الاول اذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران وتكالت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكتر وينادي هل من مبارز والثاني اذا نشب القوم واخترطوا ولم يدرك احد منهم من أين يأتيه الموت يكون رابط الجأش ساكن القلب حاضر القلب لم يخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة فيقلب قلب المالك لأمواله القائم على نفسه والثالث اذا انهمز اصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب اصحابه ويرجى الضعيف ويتهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن بكاه فرسه جاء حتى يياس العدو منهم وهذا أجدهم شجاعة وعن هذا قالوا ان المقاتل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين ومن اكرم الكرم الدفاع عن الحرم (وحكى) سيدي أبو بكر الطرطوشي رحمه الله تعالى عليه في كتابه سراج الملوك قال كان شيوخ الجند يحكون لنا في بلادنا قالوا دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا في المعركة قطعة خودة قدر الثلث بما حوته الرأس فقالوا انه لم يرقط ضربة أقوى منها ولم يسمع عنها في جاهلية ولا اسلام فحملتها الروم وعلقتها في كنيسة لهم فكانوا اذا دعوا يروا بانهم زاهمهم يقولون لقينا أقواما هذا ضربهم في رجل أبطال الروم اليها يروها قالوا ومن الحزم أن لا يحتمل الرجل عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم برغوث أسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا قال الشاعر

فلا تحقرن عدو رماك * وان كان في ساعديه قصر

فان السيوف تهز الرقاب * وتهجز عمتال الابر

واعلموا ان الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتباً ورتبوا فيها ترتيباً ولنصف منها شيئا نبداً منها ولا بما ذكره الله تعالى في القرآن العظيم قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فبقوله تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ما هو في مقدور البشر من العدة والآلة والجملة وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة حين مر على أناس يرمون فقال الان القوة الرمي ألان القوة الرمي ألان القوة الرمي وأفضل العدة أن تقدم بين يدي اللقاء عملاً صالحاً من صدقة وصيام ورد المظالم وصله الرحم ودعاء مخلص وأمر معروف ونهي عن منكر وأمثال ذلك والشان كل الشان في استجداء القواد وانتخاب الامراء واصحاب الاولوية فقد قالت حكماء المجسم أسديقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد فلا ينبغي أن يقدم الجيش الا الرجل ذو البسالة والتجدة والشجاعة والجرأة ثابت الجأش صامد القلب صادق البأس ممن قد تيسر الحروب وما رص

الرجال وما رسوم ونازل الاقصران وفارع الابطال عارفا بمواضع الفرص خبير بمواقف القلب
والمنعة والميسرة من الحروب فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كانوا جميعا
كأنهم مثله فانه ان رأى لقراع الكتائب وجهها والاردا الغنم الى الزريبة واعلم ان الحرب
خدعة عند جميع العقلاء وكان عظماء التركية يقولون ينبغي للعاقل العظيم القباد أن يكون
فيه عدة اخلاق من اخلاق الهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقاب الاسد وحيلة
الخنزير وروغان الثعالب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركى وغارة الذئب
ومن تغير وهي دويبة تكون بجوارسان تسمن على التعب والشقاء * وكان يقال أشد خلق الله
تعالى عشرة الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تأكل الحديد والماء يطفى النار
والسحاب يحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان يتقى الريح بمخاضه والسكر
يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهتيم يمنع النوم فأشد خلق ربك الهتم اللهتم انا
نعوذ بك من الهتم والحزن * ومن الحيل في الحرب أن يثبت جواسيسه في عسكره عدوه ليستعلم
أخبارهم ويستميل قلوب رؤسائهم وذوى الشجاعة منهم فيهدس اليهم ويعددهم وعدا جيلا
ويقوى أطماعهم في نيل ما عندهم من الهبات الفخيمة والولايات السنية وان رأى وجهها
عاجلهم بالهدايا وسادهم اما الغدر بصاحبهم واما الاعتزال وقت اللقاء ويكتب على السهام
أخبارا مزورة ويرمى بها في جيوشهم واعلم ان الحيلة لا ترد القضاء والقدر وأن الدول
اذا زالت صارت حيلتها وبالاعليها واذا اذن الله تعالى في حلول البلاء كانت الآفة في الحيلة
وقال الحكماء اذا نزل القضاء كان العطب في الحيلة ويغلب الضعيف باقبال دولته كما يغلب
القوى ببقائه فتن الحزم المؤلف عند سواس الحروب أن تكون حجة الرجال وكما
الابطال في القلب فانه اذا انكسر الجناحان كانت العيون ناظرة الى القلب فاذا كانت
رايته تتحقق وطموه تضرب كان حصنا للجناحين يأوى اليه كل من هزم واذا انكسر القلب
تمزق الجناحان مثال ذلك أن الطائر اذا انكسر أحد جناحيه ترجى عودته ولو بعد حين
واذا انكسر الرأس ذهب الجناحان وقل عسكر انكسر قلبه فافلح أو تراجع اللهم الا أن
تكون مكيده من صاحب الجيش فيخلى القلب قصدا ونعمدا حتى اذا توسطه العدو
واشتغل بنهبه انطبق عليه الجناحان فقد فعل ذلك رجال من اهل الحروب ويقال حبيب
الى عدوك الفرار بان لا تتبعهم اذا انهزموا ويقال الشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان
مبغض حتى الى أمته * ولما أقبل كسرى بن هرمز الى محاربة جرام قال له صاحبه أما تستعد
قال عدتي ثبات قلبي واصابة رأيي ونصل سيفي ونصره خالقي * وخرج يزيد بن عبد الملك
من بعض مقاصيره وعابسه درع وذلك في أيام قتال يزيد بن المهلب فأثبته مسلة قول
الخطيب

قوم اذا حاربوا شدوا وما آزرهم * دون النساء ولو باتت باطهار

فقال يزيد انما اذا حاربنا كفاءنا واما مثل هذا ونظرائه فلا تقام اليه مسلة فقبله بين
عينيه * وقيل لما مات ملك الفرس أرادوا أن يعلكوا عليه رجلا من آل ساسان فوجد

عليهم يرام جور فقال اعدوا الى أسدين جاعين فاطرحوا بينهما التاج فمن أخذه فهو الملك
ففعلا فاذنهما فافاهو يا نخوة فأخذ برأس أحدهما فاذناه من رأس الآخر ثم نطحه به
فقتلهما جميعا وشد على التاج فأخذه ووضع على رأسه وملكته القرس عليهم وقيل لم يكن
في العجم أرمي من الملك يرام خرج يتصيد يوما وهو مردف حظية له كان يمشي بها فعرضت له
طباء فقال في أي موضع تريد أن أضع هذا السهم فقالت أريد أن تشبهه ذكرانها بالاناث
واناها بالذكور ان فرمى طيبا ذكر ان يشابه ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمي طيبة بنشابتين
اثبتهما في موضع القرنين ثم سأله أن يجمع بين ظلف الطي وأذنه بنشابة فرمى أصل الاذن
ببندقية ثم أهوى الطي برجله الى أذنه ليحتمك فرماه بنشابة فوصل اذنه بظلفه * ويقال ان من
اعظم المكاييد في الحرب الكمين وذلك أن الفارس لا يزال على حية في الدفاع وحى الذمار
حتى ينفق فيرى وراءه بندا منشورا ويسمع صوت الطبل فينتدب يكون همه خلاص نفسه
وعليك بانتخاب الفرسان واختيار الابطال ولاتنس قول الشاعر

والناس ألف منهم كواحد * وواحد كالآلاف ان امر عنى

بل قد جرت ذلك فوجد الواحد خيرا من عشرة آلاف وسأحكى لك من ذلك ما ترى فيه العجب
فمن ذلك لما التقى المستعين بن هود مع الطاغية بن روميل النصراني على مدينة وشقة من ثغور
بلاد الاندلس وكان معه كران كالتسكافئين كل واحد منهم ما يقارب عشرين ألف
مقاتل خيل ورجل فحدث من حضر الواقعة من الاجناد قال لما دنا اللقاء قال الطاغية بن
روميل لمن يشق بقله ويمارسه للحروب من رجاله استعلم الى من في عسكر المسلمين من الشجعان
الذين يعرفهم كما يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان
فعدت سبعة رجال فقال له انظر من في عسكري من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب
منهم فعدتهم فوجدتهم ثمانية رجال لا يزيدون فقيام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول
ما أبيضك من يوم ثم ثارت الحرب بينهم فلم تزل المضاربة بين الفريقين لم يول أحدهم دبره
ولا ترحل عن مقامه حتى فنى أكثر العسكرين ولم يفتروا احد منهم قال فلما كان وقت العصر
نظروا اليأساءة ثم جلوا علينا جلة وداخلونا مدخله ففترقوا بيننا وصرنا شطرين وحاولوا
بيننا وبين أصحابنا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم تقم الحرب الا ساعة ونحن في خسارة
معهم فاشارة مقدم العسكر على السلطان أن يجوب نفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق
جمعهم وملك العدو مدينة وشقة فاعتبر ذو الحزم والبصرة من جمع يحتوى على أربعين ألف
مقاتل ولم يحضره من الشجعان المدودين الا خمسة عشر نفرا واعتبر بضمان العلي بالظفر
واستشاره بالغنية لما زاد في أبطاله رجل واحد * (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشي رحمة
الله تعالى عليه قال سمعت استاذنا الناضى أبا الوائدي يحيى قال بينما المنصور بن أبي عامر
في بعض غزواته اذ وقف على نشر من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين من بين يديه ومن
خلفه وعن يمينه وعن شماله قد ملأوا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل
يعرف بابن المصعب فقال له كيف ترى هذا العسكر أيعا الوزير قال أرى جمعا كثيرا وجيشا
واسعا كبيرا فقال له المنصور ما ترى هل يكون في هذا الجيش أئمة مقاتل من أهل الشجاعة

والجدة والسالة فسكت ابن المضجعي فقال له المنصور ما سكونك أليس في هذا الجيش ألف مقاتل قال لا فتعجب المنصور ثم قال فهل فيهم خمسة مائة مقاتل من الأبطال المعدودين قال لا فتعجب المنصور ثم قال أفهم مائة رجل من الأبطال قال لا قال أفهم خمسة مائة رجل من الأبطال قال لا قال فسيب المنصور وأغلظ عليه وأمر به فأخرج على أسوأ حال فلما توسطوا بلاد الروم اجتمعت الروم وتصاف الجمعان فبرز علي من الروم بين الصفيين شاكى السلاح وجعل يكتر ويقر ويقول هل من مبارز فبرز إليه رجل من المسلمين فتجاول ساعة فقتله العلي ففرح المشركون وصاحوا واضطرب المسلمون لها ثم جعل العلي يوج بين الصفيين وينادي هل من مبارز اثنين لواحد فبرز إليه رجل من المسلمين فتجاول ساعة فقتله العلي وجعل يكتر ويحمل وينادي ويقول هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز إليه رجل من المسلمين فتجاول ساعة فقتله العلي فصاح المشركون وذلل المسلمون وكادت أن تكون كسرة فقبل للمنصور مالها إلا ابن المضجعي فبعث إليه فحضر فقال له المنصور ألا ترى ما يصنع هذا العلي الكلب منذ اليوم فقال لقد رأيته فما الذي تريد قال أن تسكني المسلمين شره قال الآن يكفي المسلمين شره إن شاء الله تعالى ثم قصه إلى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من أهل الثغور على فرس قد تهتت أوراكهها هزالا وهو حامل قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل في حليته ونفسه غريم متصنع فقال له ابن المضجعي ألا ترى ما يصنع هذا العلي منذ اليوم قال قد رأيته فما الذي تريد قال أريد أن تسكني المسلمين شره قال حبا وكرامة ثم انه وضع القربة بالأرض وبرز إليه غريم مكث به فتجاول ساعة فلم ير الناس إلا المسلم لم خارجا إليهم يركض ولا يدرون ما هنالك وأذا برأس العلي يلعب بها في يده ثم ألقى الرأس بين يدي المنصور فقال له ابن المضجعي عن هؤلاء الرجال أخبرتك قال فرذا ابن المضجعي إلى منزلته وأكرمه ونصر الله جيوش المسلمين وعساكر الموحدين* (وحكى) أنه كان للعرب فارس يقال له ابن فكهون وكان أشجع العرب والهجم في زمانه وكان المسلمون يكرمه ويعظمونه ويجري له في كل عطية خمسة مائة دينار وكانت جيوش الكفار تهابه وتعرف منه الشجاعة وتخشي لقاؤه فيحكي أن الرومي كان إذا سقى فرسه ولم يشرب يقول له ويلك لم لا تشرب هل رأيت ابن فكهون في الماء فحده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان فوشوا به عند المسلمين فأبعدوه ومنعه من عطايته ثم ات المسلمون أنشأ غزوة إلى بلاد الروم فتقابل المسلمون والمشركون صنفان ثم برز علي إلى وسط الميدان ونادى وقال هل من مبارز فبرز إليه فارس من المسلمين فتجاول ساعة فقتله الرومي فصاح المشركون سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب الرومي يجول بين الصفيين وينادي هل من اثنين لواحد فخرج إليه فارس من المسلمين فقتله الرومي فصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب يجول بين الصفيين وينادي ويقول ثلاثة لواحد فلم يجترأ أحد من المسلمين أن يخرج إليه وبقي الناس في حيرة فقبل للسلطان مالها إلا أبو الوليد بن فكهون فدعاه ولطف به وقال له يا أبا الوليد أمارى ما يصنع هذا العلي فقال ها هو بعيني قال فما الحيلة فيه قال الساعة أكفي المسلمين شره فليس قميص كان واستوى على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ يده سوطا طويلا وفي طرفيه عقدة معقودة ثم برز إليه فتعجب

منه النصراني ثم حمل كل واحد منهم - ما على صاحبه فلم تحط طعنة النصراني سرج ابن فتكون
 وإذا ابن فتكون متعلق برقبة الفرص ونزل الى الارض لاشئ منه في السرج ثم انقلب في
 سرجه وحمل على العلي وضربه بالسوط فالتوى على عنقه فذهب بيده من السرج فاقتلعه
 وجاء به يحمله حتى ألقاه بين يدي المستعين فعلم المستعين أنه كان قد أخطأ في صنعه مع أبي
 الوليد بن فتكون فاعتذر إليه وأكرمه وأحسن إليه وبالغ في الانعام عليه وردّه الى
 أحسن أحواله وكان من أعز الناس إليه * وينبغي لقائد الجيش أن يتخفى العلامة التي هو
 مشهور بها فان عدوه قد يستعلم حليته وألوان خيله ورايته ولا يلزم خيمته لئلا يلا
 نهارا وليبدل زيه ويغير خيمته كيلا يلتبس عدوه غرته منه وإذا سكن الحرب فلا يعيش
 في النقر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه متجسسة عليه وبهذا الوجه كسر
 المسلمون جيوش افر يقية عند فتحها وذلك أن الحرب سكنت وسط النهار فجعل مقدم العدو
 يعيش خارج عسكره يتميز عساكر المسلمين فجاء الخبر الى عبد الله بن أبي السرح وهو نائب في قبته
 فخرج فيمن وثق به من رجاله وحمل على العدو وقتل الملك وكان الفتح وبمثل هذا قهر البارسلان
 ملك التتر ملك الروم وقعه وقتل رجاله وأباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا بقل أن
 يجمع لغيرهم من بعدهم مثلها وكان قد بلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كتاب متواصلة
 وعساكر مترادفة وكرايس يتلو بعضها بعضا لا يدركهم من الطرف ولا يحصيهم من العدد وقد
 استعدوا من الكراع والسلاح والجهانيق والآلات المعينة للحروب وفتح الحصون
 بما لا يحصى وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام والعراق ومصر وخراسان وديار بكر ولم
 يشكوا أن الدولة قد دارت لهم وأن نجوم السعد قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين
 فتواترت أخبارهم الى بلاد المسلمين واضطربت لها ممالك أهل الاسلام فاحتشد للقائه
 الملك البارسلان وهو الذي يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة اصبهان واستعد
 بما قدر عليه ثم خرج يؤتاهم فلم يزل العسكران يتدانيان الى أن عادت طلائع المسلمين الى
 المسلمين وقالوا للبارسلان غدا يترأى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم في عدد
 لا يحصى - مالا الله الذي خلقهم وما المسلمون فيهم - مالا كلمة جائع فبقى المسلمون وجاين ما
 دهمهم فلما أصبحوا صباح يوم الجمعة نظروا بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما رأوا ومن
 كثرة العدو وقامر البارسلان أن يعدد المسلمون فبلغوا اثني عشر ألفا فكانوا
 كالشامة البيضاء في الثور الاسود فجمع ذوي الرأي من أهل الحرب والتدبير والشفقة على
 المسلمين والنظر في العواقب واستشارهم في استخلاص أصوب الرأي فقتلوا وبرزه ثم
 اجتمع رأيهم على اللقاء فتوابع القوم وتحالوا وانصهوا الاسلام وأهلها وتأهبوا أهبة اللقاء
 وقالوا للبارسلان بسم الله نحمل عليهم فقال البارسلان يا معشر أهل الاسلام أمهلوا فان
 هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون الناس في شرق البلاد وغربها فإذا زالت
 الشمس وعلمنا أن المسلمين قد صلوا ودعوا الله أن ينصر دينه جلنا عليهم - اذ ذلك كان
 البارسلان قد عرف خيمة ملك الروم وعلامته وزيه وزينته وفرسه ثم قال لرجاله لا يتخلف

أحدهم منكم أن يفعل كفعلي ويتبع أثرى ويضرب بسيفه ويرمي بسهمه حيث أضرب
بسيفي وأرمي بسهمي ثم جعل رجاله حمله رجل واحد إلى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان
دونهم ووصلوا إلى الملك فقتلوا من كان دونه وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك قتل الملك
فسمعت الروم أن ملكهم قد قتل فتبددوا وغزقوا كل غزق وعمل السيف فيهم أياماً وأخذ
المسلمون أموالهم وغنائمهم وأتوا بالملك أسيراً بين يدي البارسلان والحبل في عنقه فقال
له البارسلان ماذا صنعت تصنع بي لو أسرني قال وهل تشك أنني كنت أقتلك فقال له
البارسلان أنت أقل في عيني من أن أقتلك اذهبوا به فيبعوه لمن يزيد فيه فكان يقاد والحبل
في عنقه ويشادى عليه من يشترى ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام
ومنازل المسلمين وينادون عليه بالدرهم والنلوس فلم يدفع فيه أحداً شيئاً حتى باعوه من
إنسان بكاب فأخذ الذي ينادى عليه وأخذ الكاب وأتى به ما إلى البارسلان وقال قد
طفت به جميع العرب كرو ناديت عليه فلم يبدل أحداً فيه شيئاً سوى رجل واحد دفع فيه
هذا الكاب فقال قد أنصفك إن الكاب خير منه ثم أمر البارسلان به بذلك باطلاً
وذهب إلى القسطنطينية فعزاه الروم وكلموه بالذار فانظر ماذا يأتي على الملوك إذا عرفوا
في الحرب من الحيلة والمكيدة اللهم انصر جيوش المسلمين وعساكر المؤمنين وأهلك
الكفرة والمشركين وانصر المسلمين نصر عزيزاً برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

الباب الحادي والاربعون في ذكر أسماء الشجعان وذكر الأبطال وطبقاتهم وأخبارهم
وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن

(الطبعة الأولى الذين أدركوا الجاهلية والاسلام) * حجة بن عبد المطالب رضي الله عنه عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم أسد الله وأسد رسوله قتل في غزاة أحد رماه وحشى مولى جبير
ابن مطعم بحربة فقتله وكان فارس قريش غير مدافع وبطلها غير ممانع وعظم قتله على النبي
صلى الله عليه وسلم ونذر أن يقتل به سبعين رجلاً من قريش وكبر عليه في الصلاة سبعين تكبيرة
* أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه آية من آيات الله ومعجزة من
معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مؤيد بالآية الإلهية كشف الكروب ومجلبها
ومثبت قواعد الاسلام ومرسماً وهو المتقدم على ذوى الشجاعة كلهم بالأميرية ولا خلاف
روى عنه رضي الله عنه أنه قال والذي نفس ابن أبي طالب بيده لآلف ضربة بالسيف أهون
علي من موتة على فراش وقال بعض العرب ما لقينا كتيبة فيها علي بن أبي طالب رضي الله
عنه إلا أوصى بعضنا على بعض وقال رضي الله عنه لمعاوية قد دعوت الناس إلى الحرب فدع
الناس جانباً واخرج إلى ليلى المران على قلبه والمغضى على بصره وأنا أبو الحسن قاتل
جذك وخالك وأخيك شدخاوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب التي عدوى وقيل له كرم
الله وجهه إذا جالت الخيل فأين ظلمك قال حيث تر كتموني وقيل له كيف كنت تقتل الأبطال
قال لاني كنت ألقى الرجل فاقتدر أني أقتله ويقتلني فأتى قتله فأكون أنا ونفسي عوناً
عليه وقال مصعب بن الزبير كان علي رضي الله عنه حذراً في الحروب شديد الروغان

لا يكاد أحد يتمكن منه وكانت درعه صدر الاظهر لها فقبل له أما تخاف أن تؤتى من قبل
ظهورك فقال إذا كنت عدوى من ظهري فلا أبقي الله عليه أن أبقي على قتله عبد الرحمن
ابن ملجم المرادي لعنة الله تعالى عليه غدره وهو في صلاة الصبح وسبب ذلك أن عبد الرحمن
ابن ملجم لعنه الله تزوج بقطام بنت علقمة وكانت خارجية فقالت له لا أقنع الا بصداق أسمي
وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وامة وأن تقبل على بن أبي طالب فقال لها لك ما سألت الا على
ابن أبي طالب وكيف لي به قالت تفتاله فان سلمت أرحمت الناس من شره وأقت مع أهلك وان
أصبت دخلت الجنة فقال

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المخـ ذم

فلامهر أعلى من على وان علا * ولاقتك الادون فتك ابن ملجم

وقيل انه طعنه وهو داخل المسجد في الغلس وذلك في تاسع عشر رمضان المعظم سنة
أربعين وكن رضي الله عنه في ثلاثة أثواب ودفن في الرحبة بمبالي باب كندة
من أبواب المسجد قالوا لما ضرب به ابن ملجم لعنه الله ثارا الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر
رضي الله عنهم فاحتضنوه وقام المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب فأخذه فأوما
على رضي الله عنه الى المغيرة أن صل بالناس فصرى بهم الفجر وأقبلت همدان فدخلوا على
على فقالوا يا أمير المؤمنين لا تقوم لهم قائمة ان شاء الله تعالى فقال لا تفعلوا انما النفس
بالنفس قال ثم ان الحسن رضي الله عنه صلى الفجر وصعد المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة
ثم نطق فقال الحمد لله على ما أحببنا وكرهنا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وانى أحسن عبيد الله عز وجل مصابى بأفضل
الآباء رسول الله القائل صلى الله عليه وسلم من أصيب بمصيبة فليتسل بمصيبة في فأنها أعظم
المصائب والله الذي لا اله الا هو الذي أنزل على عبده الفرقان لقد قبض في هذه الليلة رجل
ما سبقه الا قولون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدركه الا آخرون فعند الله نحتسب
ما دخل علينا وعلى جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوالله لا أقول اليوم الا حقا لقد
دخلت مصيبتهم اليوم على جميع العباد والبلاد والشجر والدواب ولقد قبض في الليلة التي
رفع فيها عيسى بن مريم عليهم السلام الى السماء وقبض فيها موسى بن عمران ويوشع بن نون
عليهم السلام وأنزل فيها القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم والله كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبعثه في السرية ويسير جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فيايرجع حتى يفتح
الله عز وجل على يديه وما نزل صقرا ولا يضاء الاسبع بمائة درهم أراد أن يتناع بها
خادما لاهله الا أن أمورا لله تعالى تجرى على أحواله فأحسنها من الله وأسوأها من
أنفسكم الا ان قريشا أعطت أزممتها شياطينها فقادت بها بآمنتها الى النار فتم من قاتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أظهره الله تعالى عليه ومنهم من أسر الضعيفة حتى وجد
على المصافي أعوانا رفع الكتاب وجف القلم وأمور تقضى في كتاب قد خلا ثم أطرق الحسن
فبكي الناس بكاء شديدا ثم نزل فجرد سيفه ودعا ابن ملجم فأقبل يخطر واضعا شمره على
أذنيه حتى قام بين يديه فقال يا حسن انى ما عاهدت الله تعالى على عهد قط الا وفيت به

عاهدت الله تعالى على أن أقتل أباك وقد قتلتك فان تخلى اقتل معاوية فان أنا قتلتك أضع
يدي على يدك وان أقتل فهو الذي تريد فقال الحسن رضي الله عنه أما والله لا سبيل الى
بقائك ثم قام اليه فضربه بالسيف فانتقام ابن ملجم يده ثم أسرع السيف فيه فقتله * ومن
الابطال خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي رضي الله عنه سيف الله وسيف رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يزل مذكور وفارس مشهور في الجاهلية والاسلام قتل مالك بن نويرة
وقتل مسيلمة الكذاب لعنه الله وكان الفتح لحالد يوم اليمامة وهو الذي فتح دة شق
وأكثر بلاد الشام وله وفائع عظيمة في الروم أيد الله به الاسلام مات على فراشه
وكان يقول لقد شهدت كذا وكذا زحفنا وما في جسدي موضع شبر الا وفيه أثر من
طعنة أو ضرب أو رمية وهذا أنا أموت على فراشي لانمت عين الجبان وكان ينشد ويرتجز
ويقول

لا ترعبونا بالسيف المبرق * ان السهام بالردى مفوقة

والحرب دونها العقال مطاقه * وخالد من دينه على ثقه

رضي الله عنه * الزبير بن العوام رضي الله عنه حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن
عمته بطل شجاع لا يمارى وشهم لا يجارى قتله عمرو بن جرموز اغتاله وهو في الصلاة * عمرو
ابن عبد كرب الزبيدي فارس من فرسان الجاهلية وله مراقف مذكورة ومواطن
مشهورة وأسلم ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام وشهد حروب الفرس وكان له فيها أفعال عظيمة
وأحوال جسيمة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رآه قال الحمد لله
الذي خلقنا وخلق عمرا وروى عنه رضي الله عنه أنه سأله يوما فقال له يا عمر وأى السلاح
أفضل في الحرب قال نعم أيهما تسأل قال ما تقول في السهام قال منها ما يخطى ويصيب قال
فما تقول في الرمح قال أخوك وربما خاتك قال فما تقول في الترس قال هو الدائر وعليه
تدور الدوائر قال فما تقول في السيف قال ذلك العدة عند الشدة وقبل انه نزل يوم القادسية
على النهر فقال لأصحابه اني عابر على هذا الجسر فان أسرعتم مقدار جزر الجزر ووجدتموني
وسميتي يدي أقاتل به تلقاه وجهي وقد عرفني القوم وانا قائم بينهم وان أبطأتم وجدتموني
قتيلا بينهم ثم انغمس فجعل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بني زيد علام تدعون
صاحبكم والله ما نطق انكم تدركونه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ
يرجل فرس رجل من العجم فأمسكها والفرس يضرب فرسه فلم تقدر أن تتحرك فلما رآنا
أدركاه رمى الرجل نفسه وخطى فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو نور كذا رضي الله عنه فقتلوني فقالوا
أين فرسك فقال رمى بنشابة فغاص وشب فصرعني ويروى أنه حمل يوم القادسية على رستم
وهو الذي كان قد تم به يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين فاستقبله عمرو
وكان رستم على فيل فضرب عمرو الفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع
خرج كان فيه اربعون الف دينار فقتل رستم وانهم زمت العجم وقتل عمرو بنهاوند في وقعة
الفرس بعد أن عمر حتى ضعف وكان من الشعراء المهديين وفيه يقول العباس
ابن مرداس

اذا مات عمرو قلت للخيل أوطئ * زييداً فقد أودى بنجدتها عمرو
 طلحة الاسدي رضي الله عنه كان من أكبر الشجعان جاهلية واسلاماً ثم ارتد وتباً أوجع جمعاً
 عظيماً قتل خالد بن الوليد بجمعه وكان يتكهن ثم عاد إلى الاسلام وشهد حرب القادسية وغيرها
 من الفتوح * المقداد بن الاسود رضي الله عنه كان من أشجع الفرسان شديد البأس قوي
 الجنان رابط الجأش وله في الشجعان اسم مشهور ووصف مذكور بحجز الواصف عن
 وصف صفاته رضي الله عنه وأرضاه * سعد بن أبي وقاص الزهري الانصاري رضي الله عنه
 كان فارساً بطالاً رامياً وهو أول من رمى في سبيل الله بسهم ولما قتل عثمان بن عفان رضي الله
 عنه اعتزل ولم يشهد الحرب بعده ومات حنفاً لله * أبودجانه الانصاري رضي الله عنه الذي
 خرج يتجتر بين الصفيين فقال عليه الصلاة والسلام انها المشية يبغيضها الله تعالى الا في هذا
 الموضع * المثني بن حارثة الشيباني رضي الله عنه هو أول من فتح حرب الفرس * أبو عبيد بن
 مسعود الثقفي رضي الله عنه قاتل القوم يوم قس الناطف في حرب القادسية * عمار بن ياسر
 رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الحق يدور مع عمار حيث داروا خبر أنه تقاتله الفئة الباغية فقتل بصفيين مع علي رضي الله
 عنه * هاشم بن عتبة رضي الله عنه من أكبر الشجعان صاحب راية علي رضي الله عنه بصفيين
 * مالك بن الحارث النخعي الاشتهر رضي الله عنه مات مسموماً في شربة من عسل فقال معاوية
 ان الله جنوداً منها العسل * القعقاع بن عمرو وطاعن الفيل في عشيمة القادسية رضي الله عنه
 * الطبقة الثانية * عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه قاتل جرير ملك افرقيية الذي
 كان يرى أنه أشجع أهل عصره قال عمر بن عبد العزيز لابن أبي مليكة صف لي عبد الله بن الزبير
 فقال والله ما رأيت جلوداً قط ركب على لحم ولا لحماً على عصب ولا عصباً على عظم مثل جلوده
 ولحمه وعصبه ولا رأيت نفساً بين جنينين مثل نفس ركبت بين جنينيه ولقد قام يوماً إلى الصلاة
 فترجرج من سجادة المنجنيق بين لحبيه وصدره فوالله ما خشع له بصره ولا قطع له قرأته ولا ركع
 دون الركوع الذي كان يركع قتله الحجاج بعد أن حوضر بمكة وأسلمه أصحابه وعشيرته وصلبه
 الحجاج ألا إلى الله نصير الامور * أبو هاشم محمد بن علي بن أبي طالب ابن الحنفية رضي الله
 عنه كان أبوه يلقبه في الوقائع ويتق به العظام وهو شديد البأس ثابت الجنان قيل له يوماً
 ما بال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه يفتحكم الحروب دون الحسن والحسين رضي الله
 عنهم ا فقال لانهم ما كانوا عيانية وكنت أنا بديهي فكان يتق عيانية يديه وقيل ان أباه عليه رضي الله
 عنه اشترى درعاً فاستطأها فأراد أن يقطع منها فقال له سمياً بآب علم موضع القطع فعلم على
 موضع منها فقبض محمد بن علي عليه السلام على ذيله او بالآخرى على موضع العلامة ثم جذبه فافتطعها
 من الموضع الذي حدثت به وكان عبد الله بن الزبير مع تقدمه في الشجاعة يحسده على
 قوته واذا حدثت بهذا الحديث غضب ما تخطف انقه بشعب رضوى * عبد الله بن حازم
 السلمي رضي الله عنه والي خراسان شجاع مضر وفارسها في عصره قتله وكيع بن أبي سويد
 بخراسان في الفتنة * وكيع بن أبي سويد قاتل عبد الله بن حازم المقتدم ذكره شجاع فأنك
 أهوج والي خراسان قبل لما قتل عبد الله بن حازم ولم يتم أمره له وجهه مات حنفاً لله *

مصعب بن الزبير بن العوام شجاع بطل جواد جاد بماله وبني نفسه قتله عبيد الله بن زياد في الحروب
التي كانت بينه وبين عبيد الملك بن مروان * غير بن الحبيب السلمي فارس الاسلام قتله بنو
تغلب في الحرب التي كانت بينهم وبين قيس * مسلمة بن عبد الملك بن مروان فخل بن أمية
وفارسها ووالى حروبهم اقبل انه جلس يوم القيضى بين الناس بعصر فكلما منه امرأة فلم يقبل عليها
فقات ما رأيت أقل حياء من هذا ففكشفت عن مائة فاذا فيها اثنتان طعنات فقال لها هل
ترين أثر هذا الطعن والله لو أخوت رجلى قبيد شبر ما أصابني واحدة منهم من وما منعتني من
تأخيرها الا الحياء وانت تخلمني قلته * المعتصم بطل شجاع فارس منديد لم يكن في بني
العباس أشجع منه ولا أشد قلبا قال ابن أبي دؤاد كان المعتصم يقول لى يا أبا عبد الله عض على
ساعدي يا كثر قوتك فأقول والله يا أمير المؤمنين ما تطيب نفسي بذلك فيقول انه لا يضرني
فأروم ذلك فاذا هو لا تعمل فيه الا سنة فكيف تعمل فيه الاسنان ويقال انه طعنه بعض
الخوارج وعليه درع فأقام المعتصم ظهره فقسم الرمح نصفين وكان يشتديده على كابة الديار
فيهموها يأخذ عود الحديد فيلوي به حتى يصير طوقا في العنق * ابراهيم بن الاشر النخعي كان
من الشجعان الممدودين حارب عبيد الله بن زياد وهو في أربعة آلاف وعبيد الله في سبعين ألفا
قطف ربه وقتله بيده وهزم جيشه * عبد الله بن الحارث الجعفي شجاع شاعر فأنك له وقائع عظيمة
هائلة وأخبار في الشجاعة مشهورة * جحدر بن ربيعة الكلبي كان بطالا شجاعا فأنك ما غيرا
شاعرا قهر أهل البصرة وأبادهم فباع ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامله يوجهه بتغاب
جحدر عليه ويأمره بالتجرد له حتى يقتله أو يحمله اليه أسيرا فوجهه العامل اليه فتيه من بني
حنظلة وجعل لهم جعلاً عظيماً ان هم قتلوا جحدر أو أتوا به أسيرا فوجهه الفتيه في طلبه حتى
اذا كانوا قريبا منه أرسلوا يقولون له انهم يريدون الانقطاع اليه والارتفاق به فوثق بذلك منهم
وسكن الى قولهم فيمنعهم هو معهم يوم ما اذوثوا عليه فشدوه وثاقا وقدموا به الى العامل فوجه
به الى الحجاج معهم فلما قدموا به عليه ومثل بين يديه قال له أنت جحدر قال نعم أصلح الله الأمير
قال ما جرت لك على ما بلغني عنك قال أصلح الله الأمير كاب الزمان وجفوة السلطان وجرأة
الجبان قال وما بلغ من امرك قال لو ابالي الى الأمير ووجهاني مع الفرس ان رأيتني ما يهجه قال
فتعجب الحجاج من ثبات عقله ومنطقه ثم قال يا جحدر اني قاذف بك في حاجر فيه أسد عظيم فان
قتلك كما نأنا وثقتك وان قتله عقوبتنا عنك قال أصلح الله الأمير قرب الفرج ان شاء الله تعالى
فأمر به فصعدوه بالحديد ثم كتب الى عامله أن يرتادله أسدا ويحملة اليه فتحمل العامل وارتادله
أسدا كان كاسرا خبيثا قد أفنى عاقمة المواشي فتعجلوا حتى أخذوه وصبروه في نابوت وصحبوه على
عمل فلما قدموا به على الحجاج أمر به فألقى في الحاجر ولم يطعم شيئا ثلاثة أيام حتى جاع واستمكب
ثم أمر بجحدر أن ينزلوه اليه فاعطوه سيفا وأزروه اليه فقيدها وأشرف الحجاج والناس
حوله ينظرون الى الاسد ما هو صانع بجحدر فلما نظر الاسد الى جحدر نهض ووثب وغطى
وزحف زعقة دوت منها الجبال وارتاعت أهل الارض فشد عليه جحدر وهو ينشد ويقول
ليث وليث في مجال ضحك * كلاه ما ذو قوة وسفك * وصوله وبطشة وفكك
ان يكشف الله قناع الشك * فأنت لى في قبضتي وملاكي

ثم دنا منه وضربه بسيفه ففلق هامته فكبر الناس وأعجب الحجاج ذلك وقال لله درك ما أنجيت ثم أمر به فأخرج من الحاجر وفك عنه قيوده وقال له اخترا ما أن تقيم معننا فسكر منك ونقرب منزلتك وأما أن نأذن لك فقله قبيلا ذلك وأهلك على أن تضمن لنا أن لا تحدث بها أحدنا ولا تؤذي بها أحدنا قال بل اختار صحتك أيها الأمير ففعله من سماره وخواصه ثم لم يلبث أن ولاء على اليمامة وكان من أمره ما كان * المهلب بن أبي صفرة كان من الشجعان ومن الأبطال المعدودة وأولاده كلهم انجباد أبطال إلا أن المغيرة من بينهم كان أشد تمككا وكان المهلب يقول ما شهدته معي حربا إلا رأيت البشرية في وجهه وجل عليه بعض الشجعان وفي يده شجرة فلما رآها نكس رأسه على قربوس السرج وجل من تحتها فبرأها بسيفه وكان المهلب يقول أنجبع الناس ثلاثة ابن الكلبية وأحر قريرش وراكب البغلة فابن الكلبية مصعب بن الزبير وأحر قريرش عمر بن عبيد الله بن معمر مالم يخيلا قط إلا فرقها وراكب البغلة عباد بن الحصين ما كان قط في كربة إلا فرقها وهو من فرسان الإسلام وكان للمهلب في الحروب مكاييد مشهورة ووفاته أنه أبادت الخوارج بعد أن كانوا قد استولوا على المسلمين وكان سيدها كريما مات حنفاً رحمه وكذلك ابنه المغيرة وفيه يقول زياد الأعجم

مات المغيرة بعد طول تعرض * للقتل بين أسنة وصفائح

وكان في الخوارج فوارس مشهورة لا تثبت لهم الرجال وذكرهم بطول ويخرج عما أوردناه ففهم أبو بلال مرداس خرج في أربعين فهزم أنفين * وشيب الخارجي الذي غرق في الفرات نذرت امرأته غزاة أن تصلي في جامع الكوفة ركعتين تقرأ في الأولى البقرة وفي الثانية آل عمران فعبر بها جسر الفرات وادخلها الجامع ووقف على بابها بحمها حتى وقت بنذرتها والحجاج في الكوفة في خمسين ألفا * ومنهم قطري بن الفجاءة كان رأس الخوارج وخطبوه بأمر المؤمنين وعظموه وبعجلوه وأشعاره في الشجاعة تدل على مكانه منها قتل في بعض وقائع الخوارج

(الطبعة الثالثة) معن بن زائدة الشيباني قتل الخوارج بسجستان في أيام المهدي * الوليد بن طريف الشيباني قتل يزيد بن مزيد * عمرو بن حنيفة كان من الفرسان المعدودة نقل عنه أنه كان يتصيده فتبعه حمار وحش وما زال يركض إلى أن حاذاه فجمع رجله ووثب من على فرسه وصار على ظهر حمار الوحش وطار يحز عنقه بسيفه أو سيفه في يده حتى قتله * أبوداف القاسم بن عيسى الهجلى فارس بطل شاعر زديم جامع لما تفرق في غيره طعن فارسين رديفين فأفقد الرمح من ظهرهم - ما وجل برمحهم أربعة نفر وفيه يقول بكر بن النطاح

قالوا ويظلم فارسين بطعنة * يوم اللقاء ولا يرام جليلا

لأنجيو والو كان مدقنانه * ميلا إذا نظم القوارس ميلا

وسأله يوما رجل شيا فقال له أتسأل وجهك القاتل

ومن يشقر منابه من بحسامه * ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

وانالتهو بالسيف كالهت * فتاة بعقد أو تخاب قرنه

خرج الرجل فجرد سيفه فلم يصادفة في طريقه الا وكيل لابي دلف ومعه مال جزيل فاستلبه منه وقتله فبلغ الخبر ابادلف فقال دعوه فاني علمته على نفسي * بكر بن النطاح بطل شجاع فارس فانت له اشعار مشهورة واخبار مذكورة
(ومما جاء في مدح السيف) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبير في السيف والخير مع السيف والخير بالسيف وكان مصاصم عمرو أشهر سيف العرب ويمن تمثيل به ثم شل فقال

أخ ما جد ما خاتني يوم مشهد * كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه
ولما وهبه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن قال
* خليلي لم أخنه ولم يخني * اذا ما صاب أوساط العظام *
* خليلي لم أهبه من قلاه * وانكن المواهب للكرام *
* حبوت به كريمة من قريش * فسرته وصين عن اللثام *
وودعت الصقي صقي نفسي * على الصمصام أضعاف السلام
ولم يزل في آل سعيد حتى اشتراه خالد بن عبد الله القسري بمال جزيل لهشام وكان قد كتب اليه فيه فلم يزل عند بني مروان ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدي فلم يجدوه فخذ الهادي في طلبه حتى ظفربه وكان مكتوب عليه هذا البيت

ذكر على ذكر يصول بصارم * ذكر يمان في بين يمانى

وقال ابن الرومي

* لم أر شيئا حاضرا نفعه * للمرء كالدرهم والسيف *

يقضى له الدرهم حاجاته * والسيف يحميه من الخيف

وقال زيد بن علي رضي الله عنهما

السيف يعرف عزمي عندهزته * والرحم بي خبر والله لي وزر

ان النامـل ما كانت أوائلنا * من قبل تامله ان ساعد القدر

وقال عبد الله بن طاهر

بيت ضجبي السيف طوراً وتارة * بعض بهامات الرجل مضاربه

أخوثة أرضاه في الروع صاحباً * وفوق رضاه أنى أنا صاحب

وليس أخو العلياء الاقتى له * بها كلف ما تستقر ركائبه

وقدم عمرو بن الزبير على عبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله فطلب منه سيف الزبير

وقال له رده على فانه السيف الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم له يوم حنين فقال له

عبد الملك أو تعرفه قال نعم قال بماذا قال اعرفه بما لا تعرف به سيف أي ان اعرفه بقول الشاعر

ولا عيب فيهم غير ان سيفوفهم * بهن فلول من قراع الكائب

وقال الاجدع الهمداني

لقد علمت نسوان همدان أننى * لهن غداة الروع غير خذول

وأبذل في الهيجاء وجهي وانى * له في سوى الهيجاء غير بذول

وقال آخر

عشرون ألف فتى ما منهم أحد * الا كالف فتى مقدامة بطل
راحت من اودهم ملوأة أملا * ففرغوها وأكوهما من الاجل

* (ومن أخبار الشجعان ما حكاه الفضل بن يزيد) * قال نزل علينا بنو ثعلبة في بعض السنين
وكنت مشغوقا بأخبار العرب أن اسمعها وأجمعها فيمنما أنا أدور في بعض أحيائهم اذا انبأ رأة
واقفة في فناء خبائها وهي آخذة بيد غلام فلما رأيت مثله في حسنه وجماله ذوو ابنتان كالسبع
المنظوم وهي تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تحن اليه الاسماع وترتاح له القلوب واكثر
ما اسمع منها أي بنى وهو يتبسم في وجهها قد غلب عليه الحياء والتجمل كأنه جارية بكر لا يرد
جوابا فاستحسننت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت منه وسلمت فرد علي السلام فوقففت
أنظر اليه ما فقلت يا حضري ما حاجتك فقلت الاستكثار مما أسمع والاستمتاع بما أرى من هذا
الغلام فقالت يا حضري ان شئت سقت اليك من خبره ما هو أحسن من منظره فقلت قد شئت
برحك الله فقالت جلته والرزق عسر والعيش فكدر جلا خفيفا حتى مضت له تسعة أشهر وشاء
الله عز وجل أن أضعه فوضعتة خلفا سويا فورد بك ما هو الا أن صار ثالث أبويه حتى افاضل الله
عز وجل واعطى وأتى من الرزق بما كفي وأغنى ثم أرضعته حواين كاملين فلما استتم الرضاع
نقلته من خرق المهد الى فراش أبيه فربى ~~كأنه~~ شبل أسداً أقيه برد الشتاء وحر الصيف
حتى اذا مضت له خمس سنين أسلمته الى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب
في مفاخر قومه وآبائه واجداده فلما أن بلغ الحلم واشتد عظمه وكل خائفه جلته على عتاق
الخيل فتمقرس وتمقرس ولبس السلاح ومشى بين يدي يات الحى الخيلاء فأخذ في قرى الضيف
واطعام الطعام وأنا عليه وجهه أشفق عليه من العيون أن تصيبه فاتفق أن نزلنا بمنزل من
المناهل بين أحياء العرب فخرج فتيان الحى في طلب نار لهم وشاء الله تعالى أن أصابته وعكة
شغلته عن الخروج حتى اذا أدهن القوم ولم يبق في الحى غيره ونحن آمنون وادعون ما هو الا
أن ادبر الليل واسفر الصباح حتى طلعت علينا غر الجياد وطلائع العدو فها هو الا هنيئة حتى
احرزوا الاموال دون أهلها وهو يسألنى عن الصوت وأنا أستر عنه الخبر اشفاقا عليه وضنا به
حتى اذا علت الاصوات وبرزت المخدرات رعى دناره وثار كايثور الاسد وأهربا من راج فرسه
ولبس لامة حربه وأخذ رحمه بيده وخلق جماعة القوم فطعن أدناهم منه فرمى به وخلق أبعدهم
منه فقتله فانصرفت وجوه الفرسان فرأوه صبيبا صغيرا لا مدد وراءه فحملوا عليه فأقبل يوم
البيوت ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة حتى اذا مدهم وراءه وامتدوا في أثره عطف
عليهم ففرق شملهم وشنت جمعهم وقلل كثيرهم ومنزقهم كل ممزق ومزق كما يمرق السهم وناداهم
خلو عن المال فوالله لا رجعت الابه أو لا هلكن دونه فانصرفت اليه الاقران وتمايلات
فجوه الفرسان وعيزت له الفتيان وجلووا عليه وقد رفعوا اليه الاسنة وعطفوا عليه بالاعنة
فوثب عليهم وهو يهدركا يهدر الفحل من وراء الابل وجعل لا يصمل على ناحية الا حطمها
ولا كتمية الا مزقها حتى لم يبق من القوم الا من نجى به فرسه ثم ساق المال وأقبل به فكبر
القوم عند رؤيته وفرح الناس بسلامته فوالله ما رأيتنا قط يوما كان أسمع صبا حوايا حسن

رواحا من ذلك اليوم واقدم سمعته يقول في وجود قتيان الحى هذه الايات
 تأملن فعلى هل رأيتن منه سله * اذا حشر جنت نفس الجبان من الكرب
 وضافت عليه الارض حتى كانه * من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
 ألم أعطه كلاله ونصيبه * من السهرى اللدن والمرهف العصب
 * أنا ابن أبي هند بن قيس بن مالك * سليل المعالي والمكارم والسيب *
 ابي لى أن أعطى الظلامه مرهف * وطرف قوى الظهر والخوف والجنب
 * وعزم صحيح لو ضربت بجده الـ * جبال الرواسى لانهططن الى الترب *
 * وعرض نقي أنقى أن أعيبه * وبيت شريف فى ذرى ثعلب الغلب *
 * فان لم أقاتل دونك كن وأحقى * لكن وأحيكن بالطعن والضرب *
 * فلا صدق الملاقى مشين الى أبى * يمينه بالفارس البطل النديب *

وقال الشاعر

آراؤهم ووجوههم وسيوفهم * فى الحوادث اذا دجى نجوم
 منها معالم للهدى ومصابيح * تجلوا الدجى والاخريات رجوم
 وقال آخر

فوارس قوالون للخيال أقدمى * وليس على غير الرؤس مجال
 بأيديهم سمعهم الى كانهما * تشب على أطرافهن ذبال
 وقال آخر

قوم اذا اقصموا الهجاج رأيتهم * شمسا وقلت وجوههم اقمارا
 لا يعدلون برؤسهم عن سائل * عدل الزمان عليهم أوجارا
 واذا الصريح دعاهم للمسة * بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا

* (ذكر الجبلين والجبناء وأخبارهم وما جاء عنهم) * قد استعاذ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من الجبلين فقال اللهم انى أعوذ بك من الهسم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك
 من الجبن والبنجل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال فعوذ بالله مما استعاذ منه سيد الخلق
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكفيلك أن يقال فى وصف الجبان ان أحسن بعصفور طار
 فواده وان طنت بعوضة طال مهاده يفرع من صرير الباب ويقلق من طنين المذباب
 ان نظرت اليه شرا أغنى عليه شهرا بحسب خفوق الرياح قهقهة الرماح قال الشاعر
 اذا صوت العصفور طار فواده * وليث حديد المذباب عند الثرائد

وكان حسان بن ثابت رضى الله عنه من الجبناء روى عن ابن الزبير أنه قال كان حسان فى قاع
 اطعم مع النساء يوم الخندق فاتاهم فى ذلك اليوم يهودى يطوف بالحصن فقالت صفية بنت
 عبد المطلب رضى الله عنهما يا حسان ان هذا اليهودى كما ترى يطوف بالحصن وانى والله
 ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءه من اليهود فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت
 عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قال فاعتجرت صفية ثم أخذت عمودا ونزلت
 من الحصن فضربت به بالعمود حتى قتلتها ورجعت الى الحصن فقالت يا حسان قم اليه فاسلبه

فانه ما منعه من سلبه الا انه رجل فقال ما لي بسلبه من حاجة * وقيل كان لفق من قر يش
جارية مليحة الوجه حسنة الادب وكان يحبها حباً شديداً فأصابته اصابة فافاقة فاحتاج الى
ثمنها فحمله الى العراق وكان ذلك في زمن الحجاج بن يوسف فابتاعها منه الحجاج فوكت منه
بمنزلة فقدم عليه فتى من ثقيف من اقاربه فأنزله قرياً منه وأحسن اليه فدخل على الحجاج
والجارية تكبسه وكان الفتى جليلاً فعملت الجارية تسارقه النظر فظن الحجاج بهم افوهها له
فأخذها وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت بغلس فأصبح لا يدري أين هي وبلغ الحجاج ذلك
فأمر منادياً أن ينادى برئت الذمة ممن رأى وصيفة من صفتها كذا وكذا ولم يحضرها فلم يلبث
أن أتى له بها فقال لها الحجاج يا عدوة الله كنت عندى من أحب الناس الى فاخترت لك ابن
عمى شاباً حسن الوجه ورأيتك تسارقيه النظر فعملت انك شغفت به فوهبت له فهربت من
ليلتك فقالت يا سيدي اسمع قصتي ثم اصنع بي ما شئت قال هاتي ولا تخفي شيئاً قالت كنت للفتى
القرشي فاحتاج الى ثمن فحملني الى الكوفة فلما قرى بها من اذنامي فوقع على فسمع زئيراً الاسد
فوثب واخترط سيفه وحل عليه وضربه فقتله وأتى برأسه ثم أقبل على وما برد ما عنده ثم قضى
حاجته وان ابن عمك هذا الذي اخترته لي لما أظلم الليل قام الى فلما علم لا بطني وقعت فأرة
من السقف فضرط ثم غشي عليه فمكث زماناً طويلاً وأنا أأرث عليه الماء وهو لا يفيق فخفت
أن يموت فتمسني به فهربت فزعامتك فمالك الحجاج نفسه من شدة الضحك وقال ويحك
اكتفى هذا ولا تعلى به أحد فقالت على أن لا تردني اليه قال لك ذلك * وحدث جارية لابي حنيفة
النخري قال كان لابي حنيفة سيف ليس بينه وبين العاصم فرق وكان يسميه لعاب المنية
فأشرفت عليه ذات ليلة وقد انتصاه وهو واقف على باب بيته وقد سمع حساً في داره وهو
يقول أيها المغتر بن المجترى علمنا بنس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل وهو
لعاب المنية الذي سمعت به اخرج بالعفو عنك قبل أن ادخل بالعقوبة عليك ثم فتح الباب على
وجل فاذا كلب قد خرج فقال الحمد لله الذي مسحك كلباً وكفانا حروباً * وخرج المعتصم يوماً
الى بعض متصيدياته فظهر له أسد فقال لرجل من أصحابه اعجبه قوامه وسلاحه وتعام خلقه
أفبك خير يا رجل قال لا فضحك المعتصم وقال قبح الله الجبان * ورأى الاسكندر رسمه الى ليرال
ينهزم فقال له يا رجل اما أن تغير فعلك واما أن تغير اسمك * ووقع في بعض العساكر نجدة
فوثب خراساني الى دابته ليجمها فصير اللجام في الذنب من الدهش وقال يخاطب
الفرس هب جبهتك عرضت فناصريتك كيف طالت * وخرج أسلم بن زرعة الكلابي في
الفين لمحاربة أبي بلال مرداس وكان مرداس في أربعة من رجلا فانهزم أسلم منه فلاموه
على ذلك وذمه ابن أبي زياد فقال لأن يذمتني ابن أبي زياد حياً أحب الى من أن يذمتني
ميتاً وكان أسلم به ذلك اذا خرج الى السوق ومز بصبيان صاحوبه أبو بلال ورائك فكبر
ذلك عليه فشكاهم الى ابن أبي زياد فأمر صاحب الشرطة أن يكتفهم عنه وفي ذلك يقول
بعضهم (شعرا)

يقول جبان القوم في حال سكره * وقد شرب الصم بآهل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات في الوغى * أنازل منهم كل ايت مناهز

ففي السكر قيس وابن معدى وعامر * وفي الصحو تلقاه كبعض المجازر
وهذا ما انتهى اليه من هذا الباب والحمد لله الكريم الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وأصحابه الطاهرين والحمد لله رب العالمين

الباب الثاني والاربعون في المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة
وفيه فصول

* (الفصل الاول في المدح والثناء) * المدح وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها صاحبه او يكون
نعتا حميدا وهذا يصح من المولى في حق عبده فقد قال الله تعالى في حق نبيه ايوب عليه
الصلاة والسلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم هم خاشعون الى آخر
الآية فعلى هذا يجوز مدح الانسان بما فيه من الاخلاق الحميدة وأما قوله صلى الله عليه
وسلم اذا رأيتم المادحين فاحشوا في وجوههم التراب فقد قال العتيبي هو المدح الباطل
والكذب وأما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به وقد مدح أبو طالب والعباس وحسان وكعب
 وغيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا انه حشأ في وجهه مادح ترابا وقد مدح هو
صلى الله عليه وسلم المهاجرين والانصار رضى الله عنهم وفي حشو التراب معنيين أحدهما
التغليظ في الرذيلة والثاني كأنه يقال له يكفئك التراب وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه
اذا مدح قال اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون
واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون ومدح سارية الدليل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو سارية الذي أتمره عمر رضى الله عنه على السرية وناداه في خطبته بقوله
ياسارية الجبل فن مدحه في رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله

فما جلت من ناقة فوق ظهريها * أبر وأوفى ذمة من محمد

وهو اصدق بيت قالته العرب ومن أحسن ما مدحه به حسان رضى الله عنه
قوله

واحسن منك لم تر قط عيني * وأجل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

ومن أحسن ما مدحه به عبد الله بن رواحة الانصاري رضى الله عنه قوله

لوم تكن فيه آيات مينة * كانت بديهة تنبيك بالخبر

ولما حججت وزرته صلى الله عليه وسلم تطلعت على جنبه المعظم وامتدحته بأيات مطولة
وأشدت يمينه بالجرة الشريفة تجاه الصدوق الشريف وأنام كشف الرأس وأبكي
من جلاتها

يا سيد السادات جئتكم فاصدا * أرجو رضالك وأحتي بحمكا

والله يا خير الخلائق ان لي * قلبا مشوقا لاروم سواكا

ووحق جاهك اني بك مغرم * والله يعلم أنني أهواكا

أنت الذى لولاك ما خلق امرؤ * كلا ولا خلق الورى لولا كا
 أنت الذى من نورك البدر اكتسى * والشمس مشرقة بنورها كا
 أنت الذى لما رفعت الى السما * بك قد سمعت وتزينت اسرا كا
 أنت الذى ناداك وبك مرحبا * ولقد دعاك لقربه وجبا كا
 أنت الذى فينا سألت شفاعة * ناداك ربك لم تكن لسوا كا
 أنت الذى لما توسل آدم * من ذنبه بك فاز وهو أبا كا
 وبك الخليل دعا فعادت ناره * بردا وقد خمدت بنور سنا كا
 ودعاك أيوب لضرر مسه * فأزيل عنه الضر حين دعا كا
 وبك المسيح أتى بشيرا مخبرا * بصفات حسنك مادحا لعلا كا
 وكذلك موسى لم يرزل متوسلا * بك فى القيامة مرجح لندا كا
 والانبياء وكل خلق فى الورى * والرسل والأملالك تحت لوا كا
 لك معجزات أعجزت كل الورى * وفضائل جلت فليس تحاكي
 نطق الذراع بسمه لك معلنا * والضرب قد لباك حين أنا كا
 والذئب جاءك والغزالة قد أتت * بك تسخير وتغتمى بحمما كا
 وكذا الوحوش أتت اليك وسلمت * وشكا البعير اليك حين رآ كا
 ودعوت أشجارا أتتك مطيعة * وسعت اليك بحبيبة لندا كا
 والماء قاض براحتيك وسبحت * صم الحصى بالفضل فى يننا كا
 وعليك ظلال الغمامة فى الورى * والجذع حن الى كريم لقاص كا
 وكذلك لأثر لمشيكم فى الثرى * والصخر قد غاصت به قدما كا
 وشفيت ذا العاهات من امراضه * وملائك كل الارض من جدوا كا
 ورددت عين قتادة بعد العمى * وابن الحصين شفيته بشفا كا
 وكذا حبيب وابن عقرى عندما * جرحا شفيتهم ما بلس يدا كا
 وعلى من رمده داوية * فى خيبر فشفى بطيب لما كا
 وسألت ربك فى ابن جابر بعدما * قد مات احياء وقد أرضا كا
 ومسيست شاة لام معبد بعدما * نشفت قدرت من شفا رقيما كا
 ودعوت عام المحمل ربك معلنا * فانهم لقطر السحب عند دعا كا
 ودعوت كل الخلق فانقادوا الى * دعواك طوعا سامعين ندا كا
 وخفضت دين الكفر يا علم الهدى * ورفعت دينك فاستقام هنا كا
 اعداك عانوا فى القليب بجهلهم * صرعى وقد حرموا الرضا بجهفا كا
 فى يوم بدر قد أتتك ملائك * من عند ربك قاتلت أعدا كا
 والفتح جاءك يوم فتح مكة * والنصر فى الاحزاب قد وافا كا
 هود ويونس من بهالك نجما * وجمال يوسف من ضياء سنا كا

قد فقت ياطه جميع الانبيا * نورافسبحان الذي سواكا
 والله يا ياسين مثلك لم يكن * في العالمين وحق من نباكا
 عن وصفك الشعراء يامتدثر * عجزوا وكوا عن صفات علاكا
 انجيل عيسى قد أتى بك مخبرا * واتى الكتاب لتبجدح حلاكا
 ماذا يقول المادحون وما عسى * أن يجمع الكتاب من معناكا
 والله لو أن البحار مداد هم * والعشب اقلام جعلن لذاكا
 لم تقدر الثقلان تجميع ذرة * ابدوا وما استطاعوا له ادراكا
 لي فيك قلب مغرم يا سيمدى * وحشاشة محشوة بهم وراكا
 فاذا سكت ففمك صمتي كله * واذا نظمت فغادح علياكا
 واذا سمعت ففمك قول لطيبا * واذا نظرت فلا أرى الا كا
 يا مالكي كن شافعي من فاقتي * اني فقير في الوري لغناكا
 يا أكرم الثقلين يا كنز الوري * جدلي بجودك وارضي برضاكا
 انا طامع في الجود منك ولم يكن * لابن الخطيب من الانام سواكا
 فمسالك تشفع فيه عند حسابه * فلقه غدما مستمسكا بعراكا
 ولأنت أكرم شافع ومشفع * ومن التجالخال نال وفاكا
 فاجعل قرأى شفاعتي في غد * فعسى أرى في الحشر تحت لواكا
 صلى عليك الله يا خير الوري * ما حن مشتاق الى مشواكا
 وعلى صحباتك الكرام جميعهم * والتابعين وكل من والاكا

وماذا عسى أن يقول المادحون في وصف من مدحه الله تعالى واثنى عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم أناس يدولون آدم ولا نفر والله لو أن البحار مداد والاشجار اقلام وجميع الخلائق كتاب لما استطاعوا أن يجمعوا النثر ليسير من بعض صفاته ولكوا عن الاتيان ببعض بعض وصف معجزاته صلى الله عليه وسلم * ومدح رجل هشام بن عبد الملك فقال له يا هذا انه قد نهي عن مدح الرجل في وجهه فقال ما مدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد لها شكر افعال له هشام هذا أحسن من المدح ووصله وأكرمه * وكتب رجل الى عبد الله بن يحيى بن خاقان رأيت نفسي فيما أنعم الله من مدحك كالخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر وأيقنت أني حيث أنتهي من القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ووكت الاخبار عنك الى علم الناس بك * وقال الحرث بن ربيعة في رجل من آل المهلب

فتي دهره شطران فيما ينوبه * فتني بأسه شطروني في جوده شطر
 فلامن بغاة الخبر في عينه قذى * ولامن زئير الحرب في أذنه وقر

وقال أعرابي لرجل لا يذم بلدا أنت تأويه ولا يشكى زمان أنت فيه * وكان الحجاج يستنقل زياد بن عمرو والعكلى فلما قدم على عبد الملك بن مروان قال يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذي لا ينبو وسهمك الذي لا يطيش وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن بعد ذلك

على قلب الحجاج أخف منه وقال رجل لا آثر أنت بستان الدنيا فقال له وأنت النهر الذي يسقي
منه ذلك البستان وقال رجل لابي عمرو الزاهد صاحب كتاب الباقوت في اللغة
أنت والله عين الدنيا فقال له وأنت والله نور تلك العين وقال القاسم بن أمية بن أبي الصلت
التقي

قوم اذا نزل الغريب بدارهم * تركوه رب صواهل وقيان
واذا دعوتهم ليوم كريهة * سدوا شعاع الشمس بالفرسان
وقال أوس في حاتم الطائي

فان تنكح مارية الخير حاتما * فماتله فينا ولا في الاعاجم
فتي لا يزال الدهر أكبرهم * فكال أسير أو معونة غارم
وقال ابن جندب في آل المهلب

* آل المهلب معشر أمجاد * ورثوا المكارم والوفاء فسادوا
* شاد المهلب ما بنى آباؤه * وأتى بنوه ما بنى فسادوا
وكذا لمن طابت مغارس نبتة * وبني له الآباء والاحداد
وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة فلما سجن ونقب له السجن وسار هو وبنوه تحت الأرض
قال الفرزدق

ولما رأيت الأرض قد ستظهرها * ولم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذي ناداه يونس بعدما * نوى في ثلاث مظلمات فخرجا
فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجائي أميرا ومدحني أسيرا وقال سري بن هبيرة
الرحمن الرفاء في خالد بن حاتم

يا واحد العرب الذي دانت له * لحطان قاطبة وسادن زارا
اني لا أرجوان لقيتك سالما * أن لأعالج بعدك الأسفارا
وقال كعب بن مالك الانصاري في آل هاشم

يا آل هاشم الاله حباكم * ما ليس يبلغه اللسان المنصل
قوم لأصلهم السيادة كلها * قد ما وفرعهم النبي المرسل
وقال الحسين بن دعلج الخزاعي

ملك الامور بجوده وحسامه * شرفا يقود عدوه بزمامه
فأطاع أمر الجود في أمواله * وأطاع أمر الله في أحكامه
وقال آخر

يلقي السيوف بصدرة ونحره * ويقوم هاتمه مقام المغفر
ويقول للطرف اصطبلسني القنا * فعقرت ركن المجدان لم تعقر
واذا تراهي شخص ضيف مقبل * متسريل أثواب محل أغبر
أوحى الى الكوماء هذا طارق * نخرتني الاعداء ان لم تنحري

وقال شاعر بني تميم

اذالبسوا عمامتهم طورها * على كرم وان سفروا أناروا
يبسح ويشتري لهم سواهم * ولكن بالطعان هم تجار
اذا ما كنت جاربني تميم * فأنت لا كرم الثقليين جار
وقالت امرأة من بني نمر وقد حضرتها الوفاة وأهلها مجتمعون من ذا الذي يقول
لهمري مارماح بني نمر * بطائشة الصدور ولا قصار
قالوا زياد الاعمى قالت أشهدكم أن له الثلث من مالي وكان مالا كثيرا وأثنى رجل على
رجل فقال هو أفصح أهل زمانه اذا حدث وأحسنهم استماعا اذا حدث وأمسكهم عن
الملاحاة اذا خولف يعطى صديقه النافلة ولا يسأله الفريضة له نفس عن القحشاء محصورة
وعلى المعالي مقصورة كالذهب الابريق الذي يعز كل أوان والشمس المنيرة التي لا تخفى بكل
مكان هو النجم المضي للحيران والمنهل البارد العذب للعطشان وقال الحسن بن
هاني

اذا نحن أثنينا عليك بصالح * فأنت كاثني وفوق الذي تنني
وان جرت الالفاظ يوم بعدة * غيرك انسا نانا أنت الذي نغني
وله في الفضل بن الربيع

لقد نزلت أبا العباس منزلة * ما ان ترى خافها الابصار مطرحا
وكان بالدهر عينا غيرة غافلة * بجودك فك تأسو كل ماجر حا
وقال زياد الاعمى في محمد بن القاسم الثقفي
ان المنابر أصبحت محتالة * بمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة * يا قرب سورة سودد من مولد
ومن بدائع مدائح المتنبي قوله

ليت المدائح نستوفي مناقبه * فما كيب وأهل الأعصر الا أول
خذا ما تراء ودع شيا سمعت به * في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل
وقد وجدت مكان القول ذاسعة * فان وجدت لسانا فاق لا فقل

ومدح أبو العتاهية عمرو بن العلاء فأعطاه سبعين ألفا وخلق عليه خلعا سنية حتى انه لم يستطع
أن يقوم فغار الشعر اراه منه فجمعهم وقال يا لله العجب ما أشد حسد بعضكم لبعض ان أحدكم
يأتينا ليمدحنا في تغزل في قصيدته بخمسين بيتا فيا يلغنا حتى يذهب رونق شعره وقد تشبب
أبو العتاهية بآيات يسيرة ثم قال

اني أمنت من الزمان وصرفه * لما علفت من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله * جعلوا له حر الوجه نعالا
ان المطايا تشبه كيك لانها * قطعت اليك سباسب اورمالا
فاذا وردن بنا ووردن خفافنا * واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

ووفد أبو نواس على الخصب بمصر فأذن له وعنده الشعراء فأنشد الشعراء أشعارهم فلما فرغوا قال أبو نواس أنشد أيها الأمير قصيدة هي كعصا موسى تلقف ما صنعوا قال أنشد فأنشده قصيدته التي منها قوله

إذا لم تزر أرض الخصب ركابنا * فأي فتي بعد الخصب تزور
فتى يشتري حسن الثناء بماله * ويعلم أن الدائرات تدور
فأفاته جود ولا ضل دونه * واكن يسيرا لجود حيث يسير
فاهتز الخصب لها طربا وأمر له بالقدينا ووصيف ووصيفة (وحكى) أن أبادلف ساربوما مع أخيه معقل فرأيا امرأتين يتماشيان فقالت احداهما للآخرى هذا ابودلف قالت نعم الذي يقول فيه الشاعر

انما الدنيا أبودلف * بين يديه ومحتضره
فاذا ولي أبودلف * وات الدنيا على أثره

فبكى أبودلف حتى جرت دموعه فقال له معقل مالك يا أخي تبكي فقال لاني لم أقض حق الذي قال هذا قال أولم تعطه مائة ألف درهم قال والله ما في نفسي حسرة الا لكوني لم أعطه مائة ألف دينار ويقال هذه المدحة فأين المنحة قال بعضهم

إذا ما المدح صار بلا نوال * من الممدوح كان هو الهجاء

وامتدح محمد بن سلطان المعروف بابن جيوش محمد بن نصر صاحب حلب فأجازه بألف دينار ثم مات محمد بن نصر وقام ولده نصر مقامه فقصدته محمد بن سلطان بقصيدة مدحه بها منها

تواعدت عنكم حرمة لازهادة * وسرت اليكم حين مسنى الضر
فجاد أبو نصر بألف نصرت * واني عليم ان سيخلفها نصر
فلما فرغ من انشادها قال نصر والله لو قال سيضعفها نصر لأضعفتها له وأعطاء ألف دينار في طبق فضة ومدح بعض الشعراء وقيل هو البديع الهمداني انسا نا فقال

يكاد يحكيه صوب الغيث منسكا * لو كان طلق الحميا يطر الذها
والدهر لو لم يحن والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
وقال آخر

أخوكم يفضي الوري من بساطه * الى روض مجد بالسماح مجود
وكم يلجأه الراغبين لديه من * مجال سجود في مجالس جود

ويقال فلان رفيع الجود ودخيله وزميل الكرم ونزله وغرة الدهر وتحجيلة مواهبه الانواء وصدره الدهناء عونه موقوف على اللهييف وغوته مبدول للضعيف يطفو جوده على موجوده وهمته على قدرته ينابيع الجود تتفجر من أنامله وريبع السماح يفيض عن فواضله ان طلبت كرمي في جوده مت قبل وجوده أو ماجدا في أخلاقه مت ولم تلاقه بأسل تعود الاقدام حيث تزل الاقدام وشجاع يرى الاجسام عارا

لا تمعوه الايام له خلق لوما زج البحر لنقى ملوحته وصفي كدوره خلق كنسيم الاسمار على صفحات
الانهار اطيب من زمن الورد في الايام وأبهج من نور البدر في الظلام خلق يجمع الالهواء
المتفرقة على محبته ويؤلف الآراء المتشتة في موته هو ملح الارض اذا فسدت وعمارة
الدنيا اذا خربت يحل دقائق الاشكال ويزيل جلائل الاشكال البيان أصغر صفاته
والبلاغة عنوان خطرته **كأنما أوحى التوفيق الى صدره** وحس الصواب بين طبعه
وفكره فهو يعيب بالكلام ويقوده بألن زمام حتى كأن الالفاظ تتحاسد في التسابق الى
خواطره والمعاني تتفاخر في الامتثال لاوامره بوجز فلا يحل ويطغى فلا يعل كلامه يشتد
مرة حتى تقول الصخر أأييس ويلين تارة حتى تقول الماء أو أسلس فهو اذا أنشأ وشي واذا عبر
حبر واذا أوجز أعجز تاهت به الايام وباهت في يمينه الاقلام له أدب لو تصور شخصاً
لكان بالقلوب محمداً قال الشاعر

له خلق على الايام بصفو * كما تصفو على الزمن العقار

وقال آخر

لو كان يحوى الروض ناضر خلقه * ما كان يذبل نوره بشتاته
أو قابل الافلاك طالع سعدة * ما سار نحس في نجوم سماته

وقال آخر

ووجهك بدر في الغياض مشرق * وكفك في شهب السنين غمام
عجب لبدر لا يزال أمامه * سحاب ولا يغشاه منه ظلام
وأعجب من هذا غمام اذا سطا * تلظى مكان البرق منه حسام

وقال الحسين بن مطير الاسدي

له يوم يؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس انعم
فيمطر يوم الجود من كفه الندى * ويمطر يوم البؤس من كفه الدم
فلو أن يوم البؤس خلى عقابه * على الناس لم يصبح على الارض مجرم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه * على المال لم يصبح على الارض معدم

وللسيخ جمال الدين بن نباتة

والله ما عجبى لقدرك أنه * قدر على باغي مداه بعيد
الا لكونك است تشكرو وحشة * في هذه الدنيا وأنت وحيد

ولمضى الدين الحلي

أثنى فتنيني صفاتك مظهرا * عباوكم أعيت صفاتك خاطبا
لو أننى والحق جمعاً ألسن * ثنى عليك لما قضينا الواجبا

وللسيخ برهان الدين القيراطي

أوصافكم تجرى أحاديثها * مجرى النجوم الزهر في الافق
كما أحاديث الندى عنكم * تسندها الزكبان من طرق

وللشيخ جمال الدين بن نباتة

روى عنك أخبارا لمعالي محاسنا * كفت بلسان الحال عن ألسن الحمد
فوجهك عن بشروك عن عطا * وخلقت عن سهل ورأيك عن سعد

وقال غيره

من زار بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ما أوليت من من
فالعين عن قرّة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن

ولأبي فراس بن جمدان

لئن خاق الانام لحب كاس * ومن مار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو جمدان الا * لمجد أولباس أو بلود

وقال آخر

ان الهبات التي جاد الكرام بها * مطروقة وندى كفيتك مبتكر
مازات تسبق حتى قال حاسدكم * له طريق الى العلماء مقتصر

ولمحمد بن مناذر في آل برمك

أتانا بنو الاملاك من آل برمك * فيا طيب أخبار وأحسن منظر
لهم رحله في كل عام الى العدا * وأخرى الى البيت العتيق المنور
اذ انزلوا بطعام مكة أشرفت * ببجي وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت الابلودا ك منهم * وأقدامهم الالسعي مظفر
اذ ارام ببجي الامر ذلت صعا به * وناهيك من راع له ومدبر

ولما عزل ابراهيم بن المنذر عن صدقات البصرة تلقاه مجنون وانشد

ليت شعري أي قوم أجذبوا * فاغيثوا بك من بعد العجف
نظر الله لهم م من بيننا * وحرمانك بذنب قد سلف
يا أبا اسحق سرفى دعة * وامنض مصحوبا فامتك خلف
انما انت ربيع باكر * حينما صرّفه الله انصرف

وقال آخر

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لاقبل اقدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس وارتنعوا * الى السماء فانتم سادة الناس

وللعسين بن مطير الاسدي في المهدي

لو يعبد الناس يا مهدي أفضلهم * ما كان في الناس الا انت معبود
أضحت عينك من جود مصورة * لا بل عينك منها صور الابلود
لو أن من نوره مثقال خردلة * في السود طرا اذن لا ييضت السود

وقال آخر

أوابتني نعمة وفضلًا زائدًا * وبررتني حتى رأيتك والدا
أقسمت لو جاز السجود لمنعم * ما كنت إلا راكعًا لك ساجدا
وقال آخر

ثناؤك في الدنيا من المسك أعطر * وحفظك في الدنيا جزيل موفر
وكنفك بحر والنامل أنهر * رعى الله كفافيه بحر وأنهر
أعبدك بالرحمن من كل حاسد * فلا زالت الحساد تنغي وتصقر
لساني قصير في مدحك سبدي * لأنني فقير والفتير مقرر

(الفصل الثاني من هذا الباب في شكر النعمة) أما الشكر الواجب على جميع
الخلائق فشكر التائب وهو أن يعلم العبد أن النعمة من الله عز وجل وأن النعمة على الخلق من
أهل السموات والأرض إلا وبدايتها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله عن نفسه وعن
غيره والدليل على أن الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله أي
أيقنوا أنها من الله وقيل الشكر معرفة العجز عن الشكر وقد روى أن داود عليه السلام
قال الهى كيف أشكرك وشكرى للنعمة من عندك فأوحى الله تعالى إليه الآن قد شكرتني
وفي هذا يقال الشكر على الشكر أتم الشكر والمجود الوراق

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الإفضله * وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا مس بالسر أعمر سرورها * وإن مس بالضراء أعقبها الأجر
فما من - ما إلا له فيه نعمة * تضيق بها الأوهام والسر والظهر

وفي مناجاة موسى عليه السلام الهى خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرتك فقال
علم أن ذلك منى فكانت معرفته بذلك شكره لى * وأما شكر اللسان فقد قال الله تعالى فيه
وأما نعمة ربك فحدث وروى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر
الله والتحدث بالنعم شكر وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه تذكروا النعم فإن
ذكرها شكر * وأما الشكر الذى على الجوارح فقد قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا
الآية بفعل العمل شكرا وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت
قدماه فقبل له يارسول الله أفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
قال أفلا كون عبدا شكورا وقال أبو هريرة دخلت على أبي حازم فقلت له يرحمك الله
ما شكر العينين قال إذا رأيت بهما خيرا ذكرته وإذا رأيت بهما شرا استترته قلت فما
شكر الأذنين قال إذا سمعت بهما خيرا حفظته وإذا سمعت بهما شرا نسيتته وفي حكمة
أدريس عليه الصلاة والسلام إن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الأنعام على
خلقه ليكون صانعا إلى الخلق مثل ما صنع الخالق إليه فإذا أردت أن تحرم دوام النعمة من
الله تعالى عليك فادم مواساة الفقراء وقد وعد الله تعالى عباده بالزيادة على الشكر فقال

تعالى لنشكرتم لازيد نكرم وقد جعل لعباده علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر
عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا رأينا الغنى يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان علمنا انه
قد أخل بالشكر امانه لا يزكى ماله أو يزككه لغير أهله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقا
واجبا عليه من كسوة عريان أو اطعام جائع أو شبه ذلك فيدخل في قول النبي صلى الله
عليه وسلم لو صدق السائل ما أفلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم واذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله ما بهم من الاحسان وقال بعض
الحكماء من أعطى أربعة لم يمنع من أربع من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة
لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقال
المغيرة بن شعبه اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لا بقاء للنعم اذا كفرت ولا
زوال لها اذا شكرت وكان الحسن يقول ابن آدم متى تنفك من شكر النعمة وأنت
مستمن بها كلما شكرت نعمة تجدد ذلك بالشكر أعظم منها عليك فأنت لا تنفك بالشكر
من نعمة الا الى ما هو أعظم منها وروى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دعى الى أقوام
ليأخذهم على ربيعة فاقتروا قبل أن يأخذهم عثمان فاعتق رقبة شكرا لله تعالى اذ لم
يجر على يديه فضيحة مسلم وروى أن غملا قالت لسليمان بن داود عليه السلام يا نبي الله
أنا على قدرى أشكر الله منك وكان راكبا على فرس ذلول فخر عنه ساجدا لله تعالى ثم قال لولا أنى
أبجلك لسألتك أن تنزع منى ما أعطيتنى وقال صدقة بن يسار بينما داود عليه السلام
في محرابه اذ مرت به دودة فتفكر في خلقها وقال ما يعبا الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى له
فقال يا داود تعجبك نفسك وأنا على قدر ما آتاني الله تعالى أذكرك الله وأشكر له منك على
ما آتاك وقال على رضى الله عنه احذروا نفارا لنعم فما كل شارح مردود وعنه عليه
السلام اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا اتصالها بقله الشكر وقيل اذا قصرت يدك
عن المكافاة فليطل لسانك بالشكر وقال حكيم الشكر ثلاث منازل فمير القلب ونشر
اللسان ومكافأة اليد قال الشاعر

أفادتك النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا

وقال ابن عائشة كان يقال ما أنعم الله على عبد نعمة فظلم بها الا كان حقا على الله تعالى أن
يزيلها عنه وأنشد أبو العباس بن عمار في المعنى

أعارك ما له لتقوم فيه * بواجبه وتقضى بعض حقه

فلم تقصد اطاعته ولكن * قويت على معاصيه برزقه

وقال آخر

ولو أن لى فى كل منبت شعرة * لسانا يطيل الشكر كنت مقصرا

وقال محمد بن حبيب الراوية اذا قل الشكر خسر المني وروى اذا جدد الصنعة خسر
الامتنان وسئل بعض الحكماء ما أضيع الاشياء قال مطر الجود فى أرض سبعة

لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها وسراج يوقد في الشمس وجارية حسناء تزف الى أعمى وصنيعة
تدبى الى من لا يشكرها وقال عبد الأعلى بن حماد دخلت على المتوكل فقال يا أبا يحيى قد
هممت أن نصلك بخير فمدا فعمته الامور فقلت يا أمير المؤمنين بلغني عن جعفر بن محمد الصادق أنه
قال من لم يشكر الهمة لم يشكر النعمة وأنشدته

لا شكرن لك معروف فاهممت به * فان همك بالمعروف معروف

ولا ألومك ان لم يمضه قدر * فالشر بالقدر المحتوم مصروف

وقال ابو فراس بن جددان

وما نعمة مكفورة قد صنعتها * الى غير ذي شكر تمنعني أخرى

سأ تقي جيل ما حيت فاني * اذالم أفدشكرا افدت به أجرا

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من امتطى الشكر بلغ به المازيد وقيل من جعل الحمد
خاتمة للنعمة جعله الله فاتحة للمزيد وقال ابن السكيت النعمة من الله على عبده مجهولة
فاذا فقدت عرفت وقيل من لم يشكر على النعمة فقد استدعى زوالها وكان يقال
اذا كانت النعمة وسية فاجعل الشكر لها تيمية وقال حكيم لانصطنعوا ثلاثة اللهم فانه
بمنزلة الارض السبخة والفاش فانه يرى ان الذي صنعت اليه انما هو لخافة فخسه
والاحق فانه لا يعرف قدر ما أسديت اليه واذا اصطنعت الكريم فازرع المعروف واحصد
الشكر ودخل أبو نجيعة على السفاح لينشده فقال ما عسيت أن تقول بعد قولك
لمسلة

أمسلة يا فخر حكل خليفة * ويا فارس الدنيا ويا جبل الارض

شكرك ان الشكر دين على التقى * وما كل من أوليته نعمة يقضى

وأحييت لي ذكرى وما كان خاملا * واكن بعض الذكرا نبه من بعض

وسمعه الرشيد فقال هكذا يكون شعر الاشراف مدح صاحبه ولم يضع نفسه وعن نصر بن
سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من أنعم
على رجل نعمة فلم يشكره فدعا عليه استجب له ثم قال نصر اللهم اني أنعمت على بني سام فلم
يشكروا اللهم اقتلهم فقتلوا كلهم وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ليسب من الطعام فيحمد الله تعالى فيعطيه من الاجر ما يعطى
الصائم القائم ان الله شاكر يحب الشاكرين وعن محمد بن علي ما أنعم الله على عبده نعمة فعلم انها
من الله الا كتب الله له شكرها قبل أن يحمد الله عليها ولا أذن عبده ذنبا فعلم أن الله قد اطلع
عليه ان شاء غفر له وان شاء أخذ به قبل أن يستغفره الا غفر الله له قبل أن يستغفره وأولى
رجل رجلا عرايا خيرا فقال لا أبلالك الله يلا يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها
شكرك وأنشد بعضهم وأجاد

سأشكر لا أني أجازيك منعمًا * بشكري ولكن كي يزدلك الشكر

وأذكر أياما لدنى اصطنعتها * وأنعم ما بقي على الشاكر المذكر

وقال آخر

أوليتني نعماً أبوح بشكرها * وكفيتني كل الأمور بأمرها
فلا تشكرنك ما حيت وإن امت * فلتشكرنك اعظمي في قبرها

وقال آخر

أيارب قد أحسنت عودا وبدأة * إلى فلم ينهض بأحسانك الشكر
فإن كان ذاعذر لديك وحجة * فعذري أقراري بأن ليس لي عذر

وقال محمود الوراق

الهي لك الحمد الذي أنت أهله * على نعم ما كنت قطلها أهلا
إن ازددت تقصيرا تزدني تفضلا * كافي بالتقصير أستوجب الفضلا
وقد أحسن نصيب في وصف الثناء والشكر بقوله

فما جواواثنوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق

وقال رجل من غطفان

الشكر أفضل ما حاولت ملتصقا * به الزيادة عند الله والناس

وقبل ~~الشكر~~ المنعم عليك وأنعم على الشاكر لك تستوجب من ربك الزيادة ومن أخيك
المنفعة

(الفصل الثالث من هذا الباب في المكافأة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أسدى اليكم معروفا فكافوه فإن لم تقدرُوا فادعوا له ولما قدم وفد النجاشي على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قام يخدمهم بنفسه فقيل له يا رسول الله لو تركنا كفيئنا لفقنا
كانوا لأصحابي مكرمين وقيل أتى رجل من الأنصار إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقال

أذكر مني إذا جالك ذوسقه * يوم السقيفة والصدق مشغول

فقال عمر يا علي صوتك أدنى مني فدنا منه فاخذ بذراعه حتى استشرفه الناس وقال ألا إن هذا
ردعني سفيها من قومه يوم السقيفة ثم جله على نجيب وزاد في عطائه وولاه صدقة قومه وقرأ
هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وقال رجل لسعيد بن العاص وهو أمير الكوفة يدي
عندك بيضاء قال وما هي قال كبت بك فرسك فتمتعت اليك قبل غلمانك فاخذت بعض ذلك
وأر كبتك وأسقيتك ماء قال فإين كنت إلى الآن قال سمعت عن الوصول اليك قال قد أمرنا
للعماتى ألف درهم وبما يملكه الحاجب اذ جئنا عنا وقال قطري بن الفجاءة لخارجي أسره
الحجاج ثم من عليه فأطلقه عاود قتال عدو الله فقال هيئات شديدا مطلقها وأرق رقبة
معتقها ثم قال

أأقاتل الحجاج عن سلطانته * بيد تقربانها مولاه

ماذا أقول اذا وقفت ازامه * في الصف واحتجت له فعلاته
 أقول جار على لا اني اذا * لا حق من جارت عليه ولاته
 وتحدث الاقوام ان صنائها * غرست لدى فحفظت فخلاته
 واجتاز الشافعي رحمه الله تعالى بصرف في سوق الحدادين فسقط سوطه فقام انسان فأخذه
 ومسحه وناول له اياه فقال لعلامه كم معك قال عشرة دنائير قال ادفعها اليه واعتذر له واسـ تنشد
 عبد الملك عامر الشعبي فأنشده لغير ما شاعر حتى أنشد لحسان
 من سره شرف الحياة فلم يزل * في عصبية من مالحى الانصار
 البائعين نفوسهم لنبيهم * بالمشرقي وبالقسنا الخطار
 الناطرين بأعين محمرة * كالجر غـير كيلة الابصار
 فقام أنصاري فقال يا أمير المؤمنين اسـ توجب عامر الصلة على له ستون من الابل
 كما أعطينا حسان يوم قالها فقال عبد الملك وله عندي ستون ألفا وستون من الابل
 وعن علي كرم الله وجهه أحـ نوافي عقب غيركم تحفظوا في عتبتكم وقال المدائني رأيت
 رجلا يطوف بين الصفار والمروة على بغله ثم رأيت ماشيا في سفر فسالتـه عن ذلك فقال ركبت
 حيث يمشي الناس فكان حقاء على الله أن يرحلني حيث يركب الناس
 ومما جاء في المكافاة ما حكى عن الحسن بن سهل قال كنت يومئذ مع يحيى بن خالد البرمكي
 وقد خلا في مجلسه لاحكام أمر من امور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من
 أصحاب الخوارج فضاهاهم ثم توجهوا الشأهم فكان آخرهم قياما أحد بن أبي خالد الاحول
 فنظر يحيى اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يا بني ان لا يبك مع ابى هذا الفقى حديثا فاذا
 فرغت من شغلي هذا فدكرني أحدثك به فلما فرغ من شغله وطعم قال له ابنه الفضل أعزك الله
 يا أبى أمرني أن أذكرك حديث أبي خالد الاحول قال نعم يا بني لما قدم أبوك من العراق أيام
 المهدي كان فقيرا لا يملك شيئا فاشتد بي الامر الى أن قال لي من في منزلي انا قد كتمنا حالنا وزاد
 ضررنا وانا اليوم ثلاثة أيام ماعندنا شيء فنقمت به قال فبكيت يا بني لذلك بكاء شديدا وبقيت
 وله ان حيران مطر قامة فكر اني تذكرك منديلا كان عندي فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو
 باق عندنا فقلت ادفعوه الي فأخذته ودفعته الى بعض أصحابي وقلت لابعه بما يسرفباعه بسبعة
 عشر درهما فدفعها الى أهلي وقلت أنفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغدا الى باب
 أبي خالد وهو يومئذ وزير المهدي فاذا الناس وقوف على دأره ينتظرون خروجه فخرج عليهم
 راكبا فلما رأي سلم علي وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالأسـ
 منديلا بسبعة عشر درهما فنظر الى نظرا شديدا وما أجابني جوابا فرجعت الى أهلي كسير
 القلب وأخبرتهم بما اتفق لي مع ابى خالد فقالوا بشر والله ما فعلت توجهت الى رجل كان
 يرضيك لا مرجايل فكشفت له سره وأطلعته على مكنون أمره فأزريت عنده بنفـه وصغرت

عنده منزلة بعد أن كنت عنده جلوساً فصار له بعد اليوم الابهة العين فقلت قد قضى
 الأمر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد صكرت إلى باب الخليفة فلما بلغت
 الباب استقبلني رجل فقال لي قد ذكرت الساعة بياب أمير المؤمنين فلم ألتفت لقوله
 فاستقبلني آخر فقال لي كقالة الأول ثم استقبلني حاجب أبي خالد فقال لي أين تكون قد امرني
 أبو خالد بالجلوس لك إلى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رأي دعاني
 وأمرني بركوب فرسك وسرت معه إلى منزله فلما نزل قال علي بفلان وفلان الخناطين
 فأحضرا فقال لهما ما ألت تشتريان مني غلات السواد بثمانية عشر ألف درهم قالان نعم قال
 ألم اشترط عليكم شركة رجل معكم قالوا بلى قال هو هذا الرجل الذي اشتريت شركته لكم ثم
 قال لي قم معهما فلما خرجنا قال لي ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك في أمر يكون لك
 فيه الربح الهنيء فدخلنا مسجداً فقالا لي انك تحتاج في هذا الأمر إلى وكلاء وأمناء
 وكالين وأعوان وموئن لم تقدر منها على شيء فهل لك أن تبيعنا شركة بك بمال نجعله لك فتنتفع به
 ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وما لكم بذلكان لي فقالا مائة ألف درهم فقلت لا أفعل
 فما زال يزيداني وأنا لا أرضى إلى أن قال لي ثلثمائة ألف درهم ولا زيادة عندي على هذا
 فقلت حتى أشاور أبا خالد قال ذلك لك فرجعت إليه وأخبرته فدعا بهما وقال لهما هل وافقتماه
 على ما ذكر قالان نعم قال اذهبا فأقبضاه المال الساعة ثم قال لي أصليح أمرك وتهياً فقد قلدتك
 العمل فأصلحت شأني وقلدتني ما وعدني به فما زلت في زيادة حتى صار أمرى إلى ما صار ثم قال
 لولده النضر ليا بني فما تقول في ابن من فعل بأبيك هذا الفعل وما جزأؤه قال حق له امرى
 وجب عليه فقال والله يا ولدي ما أجده لك مكافأة غير أني أعزل نفسي وأولي به ففعل ذلك
 رضى الله عنه وهم كذلك كون المكافأة (ومن ذلك ما حكى) عن العباس صاحب شرطة
 المأمون قال دخلت يوماً إلى مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما
 رأيته قال لي يا عباس قتل لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا إليك فاستوثق منه واحتفظ به
 وبكر به إلى في غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدروا أن
 يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب
 إلا أن يكون معي في بيتي فأمرتهم فتركوه في مجلس لي في داري ثم أخذت أسأله عن
 فضيته وعن حاله ومن أين هو فقال أنا من دمشق فقلت جرى الله دمشق وأهلها خيراً من
 أنت من أهلها قال وعن تسأل قلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت
 وقع لي معه قضية فقال ما كنت بالذي أعرفك خبره حتى تعرفني قضية ثم معه فقال ويحك
 كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى أن الوالي تدلى في زبد من
 من قصر الحاج وهرب هو وأصحابه وهرب في جملة القوم فبينما أنا هارب في بعض الدروب
 وإذا بجماعة يهدون خلقي فصارلت أعدو أمامهم حتى فترت بهم هذا الرجل الذي
 ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثنى أغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار
 فدخلت فقلت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلت ووقف الرجل على باب الدار فما

شعرت والا وقد دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار فتشوها
 ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المتصورة وامرأتها فيهم اذ قالوا هو ههنا فصاحت بهم المرأة
 ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرحف ما تحملى
 رجلاي من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لأبأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل
 الرجل فقال لا تحتقد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى
 فقلت له جزا الله خيرا فإزال يعاشرفني أحسن معاشرته وأجلها وأفردني مكانا في داره
 ولم يحوجني الى شيء ولم يفتقر عن تفقد أحوالي فأقمت عنده أربعة أشهر في أرغد عيش وأهنية
 الى ان سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أأذن لي في الخروج حتى أتفقد حال غلماني
 فاعلى أقف منهم على خبر فأخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلماني فلم
 أراهم أثرأ فرجعت اليه واعلمته الخبر وهو مع هذا كانه لا يعرفني ولا يسألني ولا يعرف
 اسمي ولا يخاطبني الا بالكنية فقال لي علام تعزم فقلت قد عزم على التوجه الى
 بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة ايام تخرج وها أنا قد علمت فقلت له انك قد تفضلت على
 هذه المدة ولك على عهد الله اني لا أنسى لك هذا الفضل ولا وفيتك مهما استطعت قال فدعا
 غلاما له أسود وقال له أسرج الفرس القلاني ثم جهز الة السفر فقلت في نفسي أظن انه يريد
 أن يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي فاقاموا يومهم ذلك في كد وتعب فلما كان يوم
 خروج القافلة جاءني في السحر وقال لي يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد
 عنها فقلت في نفسي كيف أصنع وليس معي ما تزود به ولا ما أكرى به مر كوابثم فاذا هو
 وامرأتها يحملان بقية من أفخر الملابس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءني بسيف
 ومنطقة فشدهما في وسطى ثم قدم بغلا فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ودفع الى
 نسخة ما في الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم الى الفرس الذي كان جهزه
 وقال أركب وهذا الغلام الاسود يخدعك ويسوس مر كوكبك وأقبل هو وامرأتها
 يعتذران الى من التقصير في أمري وركب معي يشيعني وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره
 لا في بهدي له في مجازاته ومكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أتفرغ أن أرسل اليه من
 يكشف خبره فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك الله تعالى من
 الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت
 وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذي أنا فيه غير عليك حالي وما كنت تعرفه مني
 ثم لم يزل يذكر لي تفاصيل الاسباب حتى اثبت معرفته فاعلمت ان وقت وقيلت رأسه ثم
 قلت له في الذي اصارك الى ما أرى فقال هاجت به دمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في أيامك
 فذهبت الى وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلاد وأخذت أنا وضربت الى أن أشرفت
 على الموت وقصدت وبعثتني الى أمير المؤمنين وأمري عنده عظيم وخطبي لديه جسيم
 وهو قاتلي لا محالة وقد أخرجت من عند أهلي بلا وصية وقد تعني من غلماني من ينصرف الى
 أهلي بخبري وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لي ان ترسل من يحضره لي

حتى أوصيه بما أريد فان أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حدة المكافأة وقت لي بوفاء عهدك
قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضر حذاء في اللبيل فك قبوده وأزال ما كان فيه من
الانكسار وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم سبر من أحضر اليه غلامه
فلما رام جعل يبكي ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال علي بالفرس الفلاني والفرس
الفلاني والبغل الفلاني والبغلة الفلانية حتى عتد عشرة ثم عشرة من الصناديق ومن
الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لي بدرة عشرة آلاف
درهم وكتب فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه في الشرطة خذ هذا الرجل وشيعة الي
حد الانبار فقلت له ان ذنبي عند أمير المؤمنين عظيم وخطيبي جسيم وان أنت احتجبت باني
هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من علي بابة فارتد وأقتل وقال لي انج بنفسك ودعني
أدبر أمري فقلت والله لأأبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجبت الي
حضورى حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر علي ما يقول فليكن في موضع كذا
فان أنا سلمت في غداة غد أعلمته وان أنا قتلت فقد وقبته بنفسى كما وقباني بنفسه وأنشدك
الله أن لا يذهب من ماله درهم ويتجهدي في اخراجه من بغداد قال الرجل فاخذني صاحب
الشرطة وصبرني في مكان أثق به وتفترغ العباس لنفسه وتحنط وجهازه كفنا قال
العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون في طلبي يتولون يقول لك أمير المؤمنين
هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس وعليه ثيابه وهو
ينظرنا فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني
فقال لله علي عهد لن ذكركت انه هرب لا ضرب عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين
ما هرب و ككن اسمع حديثي وحديثه ثم شأنك وما تريد أن تفعله في أمري قال قل فقلت
يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كبت وكبت وقصصت عليه القصص جميعها وعرفته اني
أريد أن أفي له وأكافئه علي ما فعله معي وقت أنا وسيدى ومولاى أمير المؤمنين بين أمرين
أما أن يصنع عني فأكون قد وفيت وكافأت وأما أن يقتلني فأقبه بنفسى وقد تحنطت وها
كفني يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لأجزاك الله عن نفسك خيرا
انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهم هذا لا غير هلا عرفتنى خبره
فكانه كافئه عند ولا تقصر في وفائك له فقلت يا أمير المؤمنين انه ههنا قد حلف أن لا يبرح
حتى يعرف سلامتى فان احتجبت الى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منة أعظم من
الاولى اذهب الان اليه فطيب نفسه و ككن روعه واثقتى به حتى أتولى مكافأته قال
العباس فأتيت اليه وقلت له ليزل خوفك ان أمير المؤمنين قال كبت وكبت فقال الحمد لله
الذى لا يحمد علي السراء والضراء سواء ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين
يدى أمير المؤمنين بن أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحده حتى حضر الغداء وأكل معه
وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة أفراس
بسر وجهاولها وعشرة أبغال بالآتما وعشر بدرة وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك
بدواهم ككتبت الى عامله بدمشق بالوصية به واطلاق خراجه وأمره بمكاتبته باحوال

دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه
يقول لي يا عباس هذا كتاب صديقك والله تعالى أعلم * ومن عجائب هذا الاسلوب وغرائب
ما أورده محمد بن القاسم الانباري رحمه الله تعالى أن سوارا صاحب رجة سوار وهو من
المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدي فلما دخلت منزلي دعوت بالطعام
فلم تقبله نفسي فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحب حديثها وأشتغل
بها فلم تطب نفسي فدخل وقت القائلة فلم يأخذني النوم فنهضت وأمرت بغيره لي
فأسرجت وأحضرت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلني وكيل لي ومعه مال
فقلت ما هذا فقال ألسادهم جيتهم من مستغلاتك الجديد قلت أمسكها معك واتبعني
فأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى
الصحناء ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب
خادم فعطشت فقلت للخادم أعطني ماء فسقني به قال نعم ثم دخل وأحضرت قنينة
طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على
الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي إذا أنا بأعني يلتمس فقلت ما تريد يا هذا قال أياك أريد
قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس الى جانبي وقال شمت منك رائحة طيبة فظننت أنك من
أهل النعم فأردت أن أخذتك بشيء فقلت قل قال ألا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال
هذا قصر كان لابي فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التي كنا
فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فالت صاحب هذه الدار لا سأله شيئا يصلي به وأوصل
الى سوارفانه كان صديقا لابي فقلت ومن أبوك قال فلان ابن فلان فعرفته فاذا هو كان
من أصدق الناس الى فقلت له يا هذا ان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام والنوم
والقرار حتى جاء به فأقعد بين يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعها اليه
وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلي ثم مضيت وقلت ما أحدثت أميرا المؤمنين بشيء
أطرف من هذا فأنتبه فاستأذنت عليه فأذن لي فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لي فاعجبه
ذلك وامرني بالثمن دينار فأحضرت فقال ادفعها الى الاعي فنهضت لا قوم فقال
اجلس فجلس فقال أعلبك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فحدثني ساعة
و حال امض الى منزلك فضيت الى منزلي فاذا بجانب معي خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين
اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ على الاعي وأنا في رسول
المهدي يدعوني فجئته فقال قد فكرت البارحة في أمرك فقلت يقضي دينه ثم يحتاج الى
القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءني الاعي
فدفعته اليه الا اني دينار وقلت له قدر رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان أيبك
وكافاني على اسداء المعروف اليك ثم أعطيت شيئا آخر من مالي فاخذته وانصرف والله سبحانه
وتعالى أعلم

(ومما هو أوضح حسنا وأرجح معنى) ما حكاه القاضي يحيى بن أكرم رحمه الله عليه قال

دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد ولد المهدي وهو مطرق مفكر فقال لي أتعرف
فائل هذا البيت

الخير أبقى وإن طال الزمان به * والشر أخبت ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين إن لهذا البيت شأن مع عبيد بن الأبرص فقال علي - بعبيد فلما حضر بين
يديه قال له أخبرني عن قضية هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت في بعض السفين حاجا فلما
توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة في القافلة ألحقت أولها بآخرها فسألت عن
القصة فقال لي رجل من القوم قد قدم ترما بالناس فتقدمت إلى أول القافلة فإذا أنا بشجاع
أسود فاغرفاه صك الجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كغناء البعير فها إلى أمره وبقيت
لأهتدي إلى ما أصنع في أمره فعد لنا عن طريقه إلى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فقلت أنه
لسبب ولم يحسم أحد من القوم أن يقربه فقلت أفدى هذا العالم بنفسى وأتقرب إلى الله تعالى
بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء فتقلدتها وسللت سيني وتقدمت
فلما رأني قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يتلاني فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت
فم القربة في فيه وصبت الماء كما يصب في الإناء فلما فرغت القربة تسبب في الرمل
ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لجننا ثم عدنا
في طريقنا ذلك وحططنا في منزلتنا تلك في ليلة مظلمة مداهمة فأخذت شيئا من الماء وعدلت
إلى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتي ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله تعالى فأخذتني
عيني فميت مكاني فلما استيقظت من النوم لم أجده للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا لم
أر أحدا ولم أهتد إلى ما أفعله وأخذتني حيرة وجعلت أضطرب وإذا بصوت هاتف أسمع صوته
ولا أرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل مركبه * ما عنده من ذي رشاد يصحبه
دونك هذا البكر منا تركبه * وبكرك الميمون حقا تجنبه
حتى إذا ما الليل زال غيبه * عند الصباح في القلانس يبه

فنظرت فإذا أنا بكرفاءم عندي وبكري إلى جانبي فأخنته وركبته وجئت بكري فلما سرت قدر
عشرة أميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فقلت أنه قد حان نزولي فتحولت إلى
بكري وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن هموم تضل المديح الهادي
الا تخسبرني بالله خالقنا * من ذا الذي جاد بالمعروف في الوادي
وارجع جيدا فقد أبلغتنا مننا * بوركك من ذي سنام رافع غادي

فالتفت البكر إلى وهو يقول

أنا الشجاع الذي ألفتني رمضا * والله يكشف شر الخائر الصادي
فحدثت بالماء لما ضن حاسله * تسكر ما منسك لم تثن بأنك كاد
فألخبر أبقى وإن طال الزمان به * والشر أخبت ما أوعيت من زاد

هذا جراً أولاً مني لأمن به * فاذهب جمدار عاك الخالق الهادي
 فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والايات فكتبت
 عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع * والله
 سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه
 المرجع والمآب

تم الجزء الاول ويليه الثاني اوله الباب الثالث والاربعون